خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

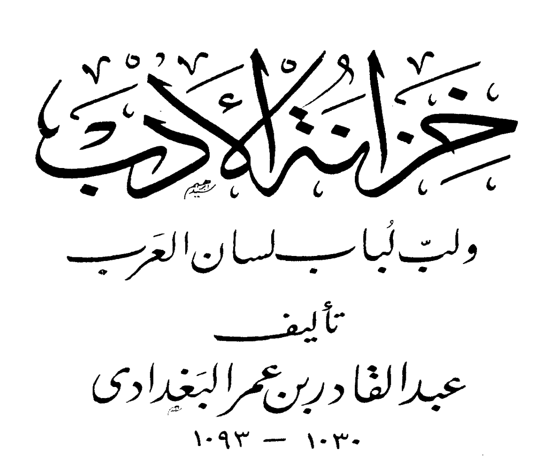
الجزء الرابع

الطبعة الثانية

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة



تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

باب خبر كان وأخواتها

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين :

٢٤٦ (وكان طَوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ)

هذا صدر عجزه : (فلا هو أبداها ولم يتقدَّمِ)

على أن خبر (كان) يجوز أن يجيء ماضياً بدون تقدير قد .

وهذا البيت من معلقة زُهير بن أبي سُلمى ، وقبله :

(لَعَمرى لنِعْمَ الحيُّ جرَّ عليهمُ بما لا يُؤاتيهم حُصَينُ بن ضَمضَمِ)

(وكان طَوى كشحاً . . . . البيت)

جرَّ من الجريرة ، وهي الجناية . ويؤاتيهم : يوافقهم . حُصَينُ بن ضَمْضَم هو ابنُ عم النابغة الذُّبياني ، وجنايته أنَّه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس ، امتنع حُصين بن ضَمضم من الصُّلح واستتر منهما ، ثم عدا على رجل من بني عبس فقتله . وإنَّما مدح حيَّ ذبيان لتحملهم الديات إصلاحاً لذات البين .

وضمير (كان) و (طوى) لحصين بن ضَمْضَم . و (الكشح) الخاصرة ، يقال : طوى كَشحَه عن فَعْلةٍ ، إذا أضمرها في نفسه . و (المستكنَّة) : المستترة ، أي أضمر على غدرة مستترة ؛ لأنه كان قد أضمر قتل وَرْد ابن حابس فإنَّه كان قتل أخاه هَرِمَ بن ضَمْضَم . وقوله (فلا هو أبداها .. الخ) المعنى : فلم يظهرها ولم يتقدّم فيها قبل مكانها . ويروى (ولم يتجمجم)

٧٦ بجيمين أى لم يَتَنهنَهْ عمّا أراد ممَّا كتم . وتكون لا مع الماضى بمنزلة لم مع المضارع فى المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ[١] ﴾ أى لمْ يقتحمها . وقال أميّةُ بن أبى الصَّلْت :

إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمًّا وأىُّ عبدٍ لك لا ألمَّا[٢]

أى لم يلمَّ بالذنب . وقوله (وكان طَوى) هو عند المبرّد بإضمار قد ، أى قد طوى . قال : لأنَّ كان فعل ماض فلا يُخبر [عنه[٣]] إلاَّ باسم أو بما ضارعه . قال : ولا يجوز كان زيد قام ، لأنَّ زيد قام يغنيك عن كان . وخالفه أصحابه فقالوا : الماضى قد ضارع الاسم أيضاً فهو يقع خبراً لكان ، كما يقع الاسم والفعل المستقبل ، وأما قولك كان زيد قام فإنّما جىء بكان لتؤكّد أن الفعل لِما مضى .

وقد تقدّم فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة أول باب الاشتغال[٤] شرح هذين البيتين مع أبياتٍ كثيرة من هذه المعلقة ، وذكرنا سبب نظمها بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى .

وتقدم أيضاً ترجمة زهير بن أبى سُلمى فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[٥] .

* * *

(١) الآية ١١ من سورة البلد .
(٢) الأغانى ٣ : ١٨٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢/١٤٤ : ٩٤ ، ٢٢٨ والانصاف ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢١٣ واللسان (لمم) .
(٣) التكملة من ش . وفى شرح القصائد للتبريزى ١١٦ : «عنها» .
(٤) الخزانة ٣ : ٣ ـ ١٨ .
(٥) الخزانة ٢ : ٣٣٢ ـ ٣٣٦

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين :

٢٤٧ (أضحت خَلاءً وأضحى أهلها احتَمَلوا
أخنىٰ عليها الذى أخنىٰ على لُبَدِ[(١)])

على أن خبر (أضحى) يجوز أن يكون فعلاً ماضياً بدون قد ، فأهلُها اسمُ أضحى ، وجملة احتملوا فى محل نصب على أنها خبر أضحى ، ولا تقدَّر قد كما ذهب إليه ابن مالك ، خلافاً للمبرد كما تقدم بيانه[(٢)] .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدح بها النعمان بن المنذر واعتذر إليه مما بلغه عنه ؛ وهى من الاعتذاريّات ، وقد ألحقوها لجودتها بالمعلّقات السبع . وهذا أولها :

أبيات الشاهد

يا دارَميةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ ... أقوت وطال عليها سالفُ الأبَدِ
وقفتُ فيها أُصيلاً كى أسائلَها ... عَيَّتْ جواباً وما بالرَّبع من أحَد
إلاَّ أوارىَّ لأياً ما أبيِّنُها ... والنؤْىُ كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ
ردَّتْ عليه أقاصيه ولبَّده ... ضَربُ الوليدة بالمسحاة فى الثَّأَدِ
خلَّتْ سبيلَ أتِيٍّ كان يحبسُه ... ورفَّعتْه إلى السَّجْفَين فالنضَدِ
أضحتْ خلاء وأضحى أهلُها احتملوا ... . البيت

قوله : يا دارميَّة الخ قال الأصبهانى فى الأغانى[(٣)] : « قال الأصمعى : يريد يا أهل دار مية[(٤)] . وقال الفرَّاء : نادى الديار[(٥)] لا أهلَها ، أسفاً عليها

(١) همع الهوامع ١ : ١١٤ والأشمونى ١ : ٢٣٠ وديوانه ١٧ .
(٢) فى أواخر الشاهد السابق .
(٣) الأغانى ٩ : ١٧٦ .
(٤) ش : « يادارمية » .
(٥) فى الأغانى : « انما نادى الدار » ، بالافراد . وهو الوجه .

وتشوّقاً إليها[١] . وقال : أقوتْ ولم يقل أقويتِ ، لأنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكنُون عنه[٢] . ا هـ

العَلياء بالفتح والمد : المكانُ المرتفِع من الأرض . قال ابن السكّيت : قال بالعلياء فجاء بالياء لأنّه بناها على عَلِيت بالكسر . والسَّنَد : سند الوادى فى الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسنَد فيه ، أى يصعد . وأقوت : خلَت من أهلها . والسالف : الماضى . والأبد : الدهر . ويأتى الكلام على هذا البيت إن شاء الله تعالى بأكثر من هذا فى الفاء من حروف العطف[٣] .

٧٧

قوله : « وقفت فيها » الخ ، الأصيل ما بعد الظُهر إلى الغُروب ، ورُوى أُصيلاناً مصغّر أُصلان ، وهو جمع أصيل ، كرغيف ورُغفان ، وقيل هو مفرد كغُفران ، وهو الصَّحيح لأن جمع الكثرة إذا صُغِّر رُدَّ إلى مفرده . ورُوى : وقفتُ فيها طويلاً ، أى وقوفا طويلا . وقوله عيَّتْ ، يقال عييتُ بالأمر ، إذا لم تعرف وجهه . وجواباً قيل منصوب على المصدر أى عيَّتْ أن تجيب . والرَّبع : المنزل فى الربيع ، ثم كثر حتّي قيل كل منزل رَبع .

وقوله : إلاَّ أواريَّ ، بالنصب لأنه استثناء منقطع . والنُّؤى معطوف عليه . وروى « إلا أوارِيُّ » ، بالرفع على أنه بدل من موضع قوله : من أحد الواقع فاعلاً للظرف ، والأواريّ هى الأواخيّ جمع آرىّ وآخيَّة بالمد والتشديد فيهما . والآرىُّ : محْبِس الدابة ، والآخيّة قطعة من حبل يُدفن طرَفاه فى الأرض وفيه عُصَيَّة أو حجَر ، فتظهر منه مثلُ عُروة تُشَدُّ إليه الدابّة ، وقد

---

(١) الأغانى : « الى أهلها »
(٢) الأغانى : « ويكفوا عنه » ، وما هنا صوابه .
(٣) فى الشاهد ٨٨٩ .

تسمّى الآخيّة آريًّا ؛ وفعلهما آريت الدابة وأخّيتها بتشديد الثانى . واللأى ، بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء ، يقال فعل كذا بعد لأى ، أى بعد شدّة . ولأى لأياً والتأى ، أى أبطأ إبطاء . والمعنى : بعد بطء تعرّفتها . والنُّؤْى بضم النون وسكون الهمزة : حفيرة حَوْل الخباء والبيت يجعل ترابها حاجزاً حولهما لئلّا يصل إليهما ماء المطر . والمظلومة : الأرض التى قد حُفر فيها فى غير موضع الحفر . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الغليظة الصُّلبة من غير حجارة ، وإنّما قصدَ الجَلَد لأنّ الحفرَ فيها يصعُب فيكون ذلك أشبهَ شىء بالنؤى . قال ابن السكيت : إنّما قال بالمظلومة لأنّهم مرُّوا فى تربةٍ فحفروا فيها ، حوضاً وليست بموضع حوض ، فجعل الشىء فى غير موضعه .

وهذا البيت يأتى الكلام عليه أيضاً إن شاء الله فى خبر ما ولا[١] .

وقوله : « رُدَّت عليه أقاصيه » الخ ، أقاصيه نائب فاعل رُدَّت، والضمير للنؤى . والأقاصى : الأطراف وما بعُد منه ، أى والأقصى على الأدنى ليرتبع . ولبّده : سكّنه ، أى سكّنه حفر الوَليدة وهى الأمَة . والثَّأد ، بفتح المثلثة والهمزة : الموضع الندىّ التراب ، أى فى موضع الثأد .

وقوله : « خلّت سبيلَ أتىّ » الخ ، الأتىّ : السَّيل الذى يأتى ، ويقال للنهر الصغير . يقول : لما انسدّ سبيلُ السَّيل سهّلَتْ له طريقاً حتّى جرى ، أى تركت الأمةُ سبيلَ الماء فى الأتىّ ، ورفّعته أى قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين وأوصلته إليهما . وليس الترفيع هنا من ارتفاع العلوّ ، بل هو من قولهم : ارتفع القوم إلى السلطان . والسَّجفان : سِتران رقيقان يكونان فى مقدَّم البيت : والنَّضَد ، بفتح النون والضاد المعجمة : مانُضِد من متاع البيت .

---

(١) فى الشاهد ٢٧٢ .

وقوله : « أضحت خَلاء » الخ ، أى أضحت الدار . والخَلاء بالفتح والمد : المكان الذى لاشىء به . واحتملوا : حلّوا جمالهم وارتحلوا . قال فى الصحاح : وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة :

* أخنَى عليها الذى أخنَى على لُبَدِ *

لقمان صاحب النسور

ولُبَد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو منصرف لأنّه ليس بمعدول ، وفى المثل « أعْمَرُ من لبَد » . قال الزمخشرىّ : وهو نَسْر لقمان العادىّ ، سمّاه لبداً معتقداً فيه أنه أبدٌ فلا يموت ولا يذهب ، ويزعمون أنه حين كبر قال له : انهض لُبَدُ فأنت نَسْر الأبد . قال فى الصحاح : وتزعم العرب أنّ لقمان هو الذى بعثته عادٌ فى وفدها إلى الحرم يستسقى لها ، فلما أُهلِكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بَعَرات سُمْر[1] ، من أظبٍ عُفْرٍ ، فى جبَل وعرٍ ، لا يمسُّها القَطْر ؛ أو بقاء سبعة أنسرٍ كلما هلك نسر ، خَلف بعده نسر . فاختار النسور ، فكان آخر نسوره يسمّى لبداً ، وقد ذكرته الشعراء ، قال النابغة :

٧٨

أضحت خَلاء وأضحى أهلُها احتملوا . . . البيت

ولقمان هو ممن آمن بهودٍ عليه السلام ، وهلك قومُه لكفرهم به — عليه السلام — فأهلكهم الله تعالى بالرِّيح « سَبْعَ لَيال وثمانيةَ أيّامٍ حُسُوما[2] » فلم تدَعْ منهم أحداً وسَلِم هودٌ ومَن آمن معه . وأرسلت عليهم يومَ الأربعاء فلم تَدُرِ الأربعاء وعلى الأرض منهم حىٌّ .

لقمان المذكور فى القرآن

وأما لقمان المذكور فى القرآن فهو غيره ، قال صاحب الكشّاف : هو

(١) فى النسختين : « بقرات » ، بالقاف ، صوابه بالعين كما فى الصحاح .

(٢) الآية ٧ من سورة الحاقة .

لقمان بن باعوراء ، ابن أخت أيُّوب أو ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داودَ عليه السلام وأخذ منه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بُعث قطع الفتوى فقيل له ، فقال : ألا أكتفى إذا كُفيت ؟ وقيل : كان قاضياً فى بنى إسرائيل . وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبياً . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لقمان لم يكن نبياً ولا ملكا ؛ ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتقَ ورضى قولَه ووصيَّته ، فقصَّ أمره فى القرآن ليتمسَّكوا بوصيته . وقال عكرمة والشَّعبى : كان نبيّاً . وقيل : خُيِّر بين النبوّة والحكمة[1] . وعن ابن المسيّب : كان أسودَ ، من سُودانِ مِصْر ، خيّاطاً . وعن مجاهد : كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين . وقيل : كان نجاراً ؛ وقيل كان راعياً ؛ وقيل : كان يحتطبُ لمولاه كلَّ يوم حُزمة[2] . اهـ

وهو متأخّر عن لقمان العادىّ ؛ لأن هوداً متقدّم على أيوب وداود ، يقال للعادىّ « لقمان صاحب النسور » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

---

(١) بعده فى الكشاف : « فاختار الحكمة » .

(٢) فى الكشــــاف : « كان راعيا وكان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة » .

(٣) فى كتابه ١ : ١٣١ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٣٤١ : ٣٤٧ وابن يعيش ٢ : ٩٦ ، ٨/٩٧ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ٦٨ والعينى ٢ : ٦٦ والهمع ١ : ١٢١ والأشمونى ١ : ٢٤٢

٢٤٨ (قد قِيلَ ذلك إنْ حقًّا وإنْ كَـذِباً
فما اعتذارُك من شىء إذا قِيلا)

على أنّ (كان) تحذف مع اسمها بعد إن الشرطية ، أى إنْ كان ذلك حقاً. جعله صاحب اللباب من قبيل : « الناسُ مَجزِيُّون بأعمالهم : إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرّ » فى الوجوه الأربعة . قال شارحه الفالى[1] : يجوز فيه أربعة أوجه : رفعهما ، ونصبهما ، ورفع الأوّل ونصب الثانى ، وبالعكس . وتقدير الرفع فيهما : إنْ وقع حقّ وإن وقع كذبٌ ، أو إن كان فيه — أى فى المقول — حقّ وإن كان فيه كذب . ونصبهما على أنّهما خبر كان ، والتقدير: إن كان المقول حقًّا وإن كان المقول كذبا . وأمّا رفعُ أحدهما ونصب الآخر فيظهر من بيان نصبهما ورفعهما . وإنما قال : « ومنه[2] » لأن الوجوه الأربعة كانت فى الشرط والجزاء وهو إنخيراً فخير ، وفى البيت الوجوه فى الشرطين ، وهما إنْ حقاً وإن كذبا .

وقوله : (قيل ذلك) المشار إليه البرَص الذى فى استه .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنعمان بن المنذر أوّلها :

(شَرِّدْ برحلكَ عنّى حيثُ شئتَ ولا تُكثرْ علىَّ ودعْ عنك الأقاويلا
فقد رُميتَ بداءٍ لستَ غاسلَه ما جاورَ السَّيلُ أهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما قطَعَتْ هُوجُ المطىّ به أكناف شِمليلا
قد قيل ذلك إنْ حقاً وإنْ كذباً فما اعتذارُك من شىء إذا قيلا
٧٩ فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً وانشُربها الطرفَ إنْ عرضاً وإنطولا)

(١) ش : « القالى » ، صوابه بالفاء .
(٢) منه ، أى من بيان نصبهما ورفعهما . والوجه حذف الواو .

قوله شرّد برحلك أى أبعده وارتحلْ عنى . وقوله فقد رُميت روى بدله :

* فقد ذُكرتَ به والركبُ حامله *

وضمير به وحامله للبرص المذكور . وقوله شمليلا قال البكرى فى (معجم ما استعجم) : هو بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده لام مكسورة على وزن فِعليل بلد ، وأنشد هذا البيت . ومن العجائب تفسير العَينىّ إيّاه بالناقة الخفيفة ؛ وكأنَّه يكتب من غير أن يتصوّر المعنى .

سبب الشاهد

والسبب فى هذه الأبيات هو مارواه أبو الحسن الطوسىّ فى (شرح ديوان لبيد) والمفضّل بن سلمة فى (الفاخر) وابن خلف فى (شرح أبيات سيبويه) — وقد تداخل كلامُ كلٌّ منهم فى الآخَر — أنَّ وفد بنى عامر منهم طُفيل بن مالك ، وعامر بن مالك ، أتَوا النعمانَ بنَ المنذر أولَ ماملك، فى أُسارى من بنى عامر يشترونهم منه ، ومعهم ناس من بنى جعفر ، ومعهم لبيدٌ وهو غلام صغير فخلّفوه فى رحالهم ودخلوا على النُّعمان فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسىّ وكان نديمَ النعمان قد غلَب على حديثه ومجلسه ، فجعل الربيع يهزأ بهم ويسخر منهم لعداوة غَطَفان وهَوازن ، فغاظهم ذلك ، فرجَعوا بحالٍ سيِّئة ، فقال لهم لبيد : إنكم تنطلقون بحال حسنة ، ثم ترجعون وقد ذهب ذاك وتغيّر . قالوا : خالك — وكانت أُمّ لبيد عبسية — كلَّما أقبل علينا بوجهه صَدّه عنَّا بلسانٍ بليغ مطاع . فقال لهم لبيد: فما يمنعكم من معارضته ؟ قالوا : لحسن منزلته عند النعمان. قال : فانطلقوا بى معكم . فأزمعوا أن يذهبوا به ، وحلقوا رأسه وألبسوه حُلَّةً وغدا معهم ، فانتهوا إلى النعمان وربيعٌ معه وهما يأكلان طعاماً ، وقيل تمراً وزُبداً ، فقال لبيد : أبيت اللعنَ ، إنْ رأيت أن تأذنَ لى فى الكلام . فأذن له ، فأنشد :

مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكل معهْ إنَّ استَه من بَرَصٍ ملمَّعهْ
وإنّه يُدخل فيها إصبعه يُدخلها حتَّي يوارى أشجعَهْ
كأنما يطلبُ شيئاً ضيَّعه

وسيأتى شرح هذه الأبيات إن شاء الله تعالى فى رُبَّ من حروف الجرّ[1].

فرفع النعمان يدَه وأفَّفَ وقال : كُفَّ ويلك يا ربيع ، إنى أحسبك كما ذكر . فقال الربيع : إنَّ الغلام لكاذب . فترك النعمان مؤاكلته وقال : عُدْ إلى قومك . فمضى الربيع لوقته وتجرَّد وأحضَر من شاهد بدنَه وأنه ليس فيه سُوء ، ولحق بأهله ، وأرسل إلى النعمان بأبيات ، منها :

لئنْ رَحَلتُ ركابى لا إلى سَعَةٍ ما مثلُها سَعةٌ عرضاً ولا طولا
ولو جَمعتَ بنى لخم بأسرتها لم يَعدِلُوا ريشةً من ريش قتميلا

— وروى : شمويلا[2] — فأجابه النعمان :

شرّدْ برحلك عنّي حيث شئت ولا تُكثر علىَّ ودعْ عنك الأقاويلا

الأبيات :

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة تقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[3] .

الربيع بن زياد

وأما الربيع فهو الربيع بن زياد العبسى ، قال الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) : « أنجب من بنت الخرْشَب » هى فاطمة الأنمارية ، ولَدت لزياد

٨٠

---

(١) فى الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمائة .

(٢) وكذا فى الفاخر ١٧٣ . وفى اللسان (سمل) والأغانى ١٤ : ٩٢ : « سمويلا » بالسين المهملة .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٤٩ — ٤٥١

العبسى الكَمَلَةَ : ربيعاً الكامل ، وعُمارة الوهّاب ، وقيسَ الحِفاظِ ، وأَنَس الفوارس . وقيل لها : أىُّ بنيكِ أفضلُ ؟ فقالت : « ربيع ، بل عُمارة ، بل قيس ، بل أنس ، ثكلتهم إن كنتُ أعلم أيهم أفضل ، والله إنّهم لكالحلْقة المفْرَغة لا يُدرَى أين طرفاها » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٤٩ (أبا خُراشةَ أمَّا أنتَ ذا نَفَرٍ فإنَّ قومىَ لم تأكلهمُ الضبُعُ)

على أن أصل (أما أنت) : لِأَنْ كنتَ . كما شرحه الشارح المحقق وبيَّنَ مختاره ، وسيأتى فى الشاهد الذى يليه ذِكْرُ من وافقه .

وهذا البيت ونحوُه اختلَف فى تخريجه أهل البلدين ، قال أبو علىّ (فى البغداديات) : قال سيبويه : سألته — يعنى الخليلَ — عن قوله أما أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع وهو قول أبى عَمرٍو ، حدّثنا به يونس ، يريد أنه رفع أنطلقُ ولم يجزمه على أنّه جزاء . وحكى أبو عُمر الجَرْمىّ[2] عن الأصمعى

---

(١) فى كتابه ١ : ١٤٨ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٨١ والمنصف ٣ : ١١٦ وابن الشجرى ١ : ٣٤ ، ٢/٣٥٣ : ٣٥٠ والانصاف ٧١ وابن يعيش ٢ : ٨/٩٩ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ٤٣ ، ٦٥ والعينى ٢ : ٥٥ والهمع ١ : ١٢٢

(٢) فى النسختين : « أبو عمرو » ، وصححه الشنقيطى بقلمه فى نسخته على الصواب المعروف . واسمه صالح بن اسحاق ، أخذ النحو عن الأخفش ويونس ، واللغة عن الأصمعى وأبى عبيدة . وتوفى سنة ٢٢٥ . بغية الوعاة .

فيما أُظنّ المجازاة بأمّا المفتوحة الهمزة وزعم أنه لم يَحكِه غيره . وهذا الذى حكاه أبو عُمَر يقوّيه الذى ذكرنا وهو :

* أبا خُراشة أمّا أنتَ ذا نفرٍ *

لأنه ليس فى البيت ما يُحمل عليه أن فيتعلّق به ، كما أنها فى قولهم أما أنت منطلقاً أنطلق معك متعلق بأنطلق معك .

فإنْ قلت : يكون متعلقاً بفعل مضمر يفسّره ما بعده ، فالجواب ما يكون تفسيراً [١] لا يعطف به على المفسَّر ، ألا ترى أنَّك تقول : انْ زيداً ضربته ، ولا يجوز ، إنْ زيداً فضربته ، فإذا لم يجز كانت الفاء فى فانّ قومى جوابَ شرط وأنت مرتفع بفعل مضمر .

فان قلت : قد تزاد الفاء كما حكى أبو الحسن : أخوك فوجد ، فاحملْها فى البيت على هــذا ليصحَّ إضمار الفعل المفسَّر ، وفى حمل البيت عليه تقويةٌ لما ذهب إليه سيبويه من أن أمَّا فى البيت إنما هى أنْ الناصبة ضمَّت إليها ما ، إلا أن القول بزيادتها ليس من مذهبي ا هـ .

وقال ابن الحاجب فى (أماليه) : دخول الفاء هنا فى المعنى كدخولها فى جواب الشرط ، لأنّ قولك لِأنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ ، بمعنى قولك إن كنتَ منطلقا انطلقتُ ، لأن الأول سببٌ للثانى فى المعنى ، فلما كان كذلك دخلت دلالةً على السببية كما تدخل فى جواب الشرط ، فلهذا المعنى جاءت الفاء بعد الشرط المحقّق والتعليل ، وهى لهما جميعاً فى المعنى . اهـ

وقال ابن خلف : قال علىُّ بن عبد الرحمن : عندى فيه وجهٌ آخر ، وهو أن تجعل الفاء جواباً لما دلّ عليه حرف النداء المقدّر ، من التنبيه

(١) ش : « فان جواب مايكون تفسيرا » ، صوابه فى ط

والإيقاظ ، كأنه قال : تنبَّهْ وتيقّظ . فإنَّ قومى لم تأكلهم الضبع . وفيه نظر .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : الفاء لتعليل « لم أذلّ » المقدَّر ، والمعنى : لكونك ذا نفر لم أذلّ ، فإنَّ قومى . كذا فى الإقليد . ويجوز أن تكون الفاء جزاء الشرط فى قوله أمَّا أنت ، بناء على مذهب الكوفيين : من أنَّ أصل أنْ فى هذا إنْ المكسورة التى للجزاء وأنّها إنما تفتح إذا دخلت عليها ما ، ليليها الاسم . ويجيزون أمَّا زيد قائماً أقم معه بفتح الهمزة اهـ .

وقال علىّ بن عبد الرحمن : وفى البيت عندى حذف يقوم من بقيّته الدلالةُ عليه ، وهو بَطِرْتَ أو بغَيتَ أو فخرتَ ، وبه يتعلّق الجارّ ، ثم استأنف فقال : إن قومى الخ .

٨١

وقوله (أبا خُراشة) بضمّ الخاء منادىً بحذف حرف النداء المقدَّر[١] .

وأبو خراشة كنيةُ واسمه خُفاف بن نَدْبة بضمّ الخاء وتخفيف الفاء . ونَدْبة بفتح النون وسكون الدال بعدها موحَّدة ، وهى اسم أمِّه اشتهر بها .

خفاف بن ندبة

وخُفافٌ صحابى شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه لواء بنى سُليم ، وشهد حنيناً والطائف أيضاً ، وهو ممن ثبت على إسلامه فى الرِّدَّة ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها . وكان أسودَ حالكا ، وهو أحد أغربة

---

(١) ط : « بحذف النداء المقدر » ، وكلاهما صحيح . وكلمة «حرف» فى ش كتبت بخط الناسخ تحت كلمة « بحذف » بينها وبين كلمة « النداء » .

العرب الثلاثة[١] ، وهو ابن عم الخنساء الصحابية الشاعرة ، وتأتى له ترجمة أبسطُ مما هنا فى محله إن شاء الله تعالى[٢] .

و (أنت) اسم لكان المحذوفة ، و (ذا نفر) خبرها . وعند ابن جنى هما معمولان لما الواقعة عوضاً من الفعل ، ومُصلحةٌ لأَفظ لتزول مباشرة أنْ الاسم وهذه عبارته (فى الخصائص) : فإن قلت : بم ارتفع وانتصب أنت منطلقاً[٣] ؟ قيل بما ، لأنَّها عاقبت الفعلَ الرافعَ الناصب فعملت عملَه من الرفع والنصب ؛ وهذه طريقة أبى على وجِلَّة أصحابنا ، من قِبَل أنّ الشىء إذا عاقب الشىء ولىَ من الأمر ما كان المحذوف يليه ؛ من ذلك الظرفُ إذا تعلَّق بالمحذوف فإنه يتضمَّن الضمير الذى كان فيه ، ويعمل ما كان يعمله[٤] : من نصبه الحال والظرف . وعلى ذلك صار قوله « فاه إلى فىَّ » من قوله : كلمته فاه إلى فىَّ ، ضامناً الذى[٥] كان فى جاعلا لمَّا عاقبه . اهـ

قال ابن خلف : وعلى هذا يُلغَز فيقال : هل تعرف (ما) فى كلام العرب رافعةً للاسم وناصبة للخبر ، وليست بالنافية التى يُعملها أهل الحجاز بل هى موجبةٌ لا نافية ؟

---

(١) أغربة العرب فى الجاهلية خمسة لا ثلاثة ، وهم : عنترة بن شداد ، والسليك بن السلكة ، وأبو عمرو بن الحباب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى معيط . كما ذكر البغدادى فى الشاهد ٤١١ . ومثله فى اللسان (غرب ١٣٨) . فلعل صواب ما هنا « الثلاثة عشر » ، فقد عد صاحب اللسان ثمانية أغربة آخرين من الاسلاميين . فانظره .

(٢) فى الشاهد ٤١١ وهو قول خفاف بن ندبة :

فقلت له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا اننى أناذلكا

(٣) وكذا فى الخصائص ٢ : ٣٨١ . وفى ش : « أما أنت منطلقا » .

(٤) أى ما كان يعمله المتعلق المحذوف .

(٥) فى الخصائص : « ضامنا للضمير الذى »

وروى أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) وتبعه ابن دُريد (فى الجمهرة) :

* أبا خُراشة أما كنت ذا نفرٍ *

وعليها فلا شاهد فى البيت ، وما زائدة . وهذه الرواية تؤيِّد قول الكوفيين القائلين إنّ أنْ المفتوحة شرطيةٌ يجازَى بها .

ومن الغرائب ما نقله صاحب (نفحات الأرَج ، فى شرح أبيات الحجج) عن الأصمعىّ أنّ العرب تجازى بأنت فتقول: ما أنت منطلق أنطلقْ معك . وهذا نادر ولا يعتبر ، فإن المجازاة لا تقع إلاَّ على الفعل ، وأمَّا الأسماء فإنّها لا يصحّ عليها المجازاة . كذا فى (شرح أبيات الموشح) .

و (النفر) قال الفرّاء : نفرُ الرجل : رهطه ، ويقال لعدّة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وهذا هو المشهور . و (الضَّبُع) قال حمزة الأصبهانى (فى أمثاله التى على وزن أفعَل) عند قوله « أفسد من الضبُع » : إنها إذا وقعت فى الغنم عاثت[1] ولم تكتفِ بما يكتفى به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمَها للسنة المجدبة فقالوا : أكلتنا الضبع . وقال ابن الأعرابى : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أنَّ الناس إذا أجدبوا ضعفُوا عن الانتصار وسقطت قُواهم فعاثَت فيهم الضباع والذئاب فأكلتْهم ، ومنه قوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر . . . . البيت

---

(١) عاثت : أفسدت .

أى إن قومى ليسوا بضعافٍ تَعيث فيهم الضباع والذئاب[١] . وإذا اجتمع الذئب والضبع فى الغنم سلمت الغنم ، ومنه قولهم اللهم ذئباً وضبعاً ،أى أجمعهما فى الغنم ؛ لأن كلا منهما يمنع صاحبه اهـ .

صاحب الشاهد ٨٢

وهذا البيت من أبيات للعباس بن مِرْداس السُّلَمى ، لا للهُذَلى كما زعم بعض شرّاح أبيات المفصل . وبعده :

(السِّلمُ تأخذ منها ما رضِيتَ به والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)

وهذا البيت استشهد به البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ادخلُوا فى السِّلْم كافَّةً[٢] ﴾ على أن السِّلم تؤنث كالحرب . قال صاحب (الصحاح) : السلم الصلح تفتح وتكسر وتذكر وتؤنث . وكذلك استشهد به ابن السكيت (فى إصلاح المنطق[٣]) قال التبريزى (فى إيضاح الإصلاح) : الجُرَع : جمع جُرْعة ، وهى ملء الفم . يخبره أنَّ السلم هو فيها وادع[٤] ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطَعتْه عن لذّاته وشغلته بنفسه اهـ .

---

(١) أما الذئاب فستأكل أحياءهم ، وأما الضباع فتصيب موتاهم . والمراد وقوعهما فى القوم متفرقين . أما اجتماعهما فان معه السلامة للأقوام ، لاشتغال كل واحد منهما بصاحبه ، ومنه قول الشاعر ، كما فى اللسان (ضبع) .

تفرقت غنمى يوما فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا

(٢) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٣) اصلاح المنطق ٣٥ ، ٣٩٩ .

(٤) ط : « رادع » ، صوابه بالواو من الدعة ، كما فى ش .

وهذا تحريضٌ على الصلح وتثبيط عن الحرب . وأراد بأنفاسها أوائلَها ، ومن فى الموضعين[١] ابتدائية .

والعباس بن مرداس صحابىّ أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وهو ممن حرَّم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابعَ عشر من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخمسون بعد المائتين[٣] :

٢٥٠ (إمّا أقمتَ وأمّا أنتَ مرتحلاً فالله يكلأْ ما تأتى وما تَذَرُ)

على أنّه يدل لصحة قول الكوفيين : كونَ أنْ المفتوحة الهمزة أداةَ شرط ، مجىء الفاء فى جوابها مع عطف (أمَّا أنت) على (إمَّا أقمت) بكسر الهمزة .

قد صوَّب ابن هشام أيضاً (فى المغنى) رأى الكوفيين ، كما صوَّب الشارح المحقِّق ، واستدلَّ لهم بعينِ ما استدلَّ به الشارح ، وهذا من توافق الخاطر[٤] كما يقال « قد يقع الحافر موضع الحافر » . وهذه عبارته :

(١) هما « منها » و « من أنفاسها » . ط : « وهى فى الموضعين » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٣) ابن يعيش ٢ : ٩٨ ، ٩٩ وشرح شواهد المغنى ٤٤ .

(٤) كانت حياة ابن هشام ما بين سنتى ٧٠٨ ، ٧٦١ . وقد أكمل الرضى شرحه للكافية سنة ٦٨٦ أى قبل مولد ابن هشام . ويشير البغدادى بقوله « توافق الخاطر » الى أن ابن هشام مع تأخره عن الرضى لم يطلع على كتابه « شرح الكافية » . والعلة فى هذا ان الشرح لم ينقل من بلاد العجم الى مصر الا بعد أبى حيان وابن هشام . انظر مقدمة البغدادى فى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٩ .

ويرجّح مذهب الكوفيين عندى أمور : أحدها توارد إن المفتوحة والمكسورة على المحلّ الواحد والأصل التوافق ، وقرئ بالوجهين فى قوله تعالى : ﴿ أن تَضِلَّ إحداهما[١] ﴾ ، ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُمْ[٢] ﴾ ، ﴿ أفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أن كُنتُمْ قوماً مُسْرِفِين[٣] ﴾ . ورُوى بالوجهين قوله :

* أتغضب أِن أُذنا قُتيبة حُزَّتا[٤] *

الثانى مجىء الفاء بعدها كثيراً كقوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر . . . . البيت

الثالث عطفها على إن المكسورة فى قوله :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

الرواية بكسر إنْ الأولى وفتح الثانية . فلو كانت المفتوحة مصدريَّة لزم عطف المفرد على الجملة . وتعسَّفَ ابنُ الحاجب فى توجيه ذلك فقال : لما كان معنى قولك إن جئتنى أكرمتك ، وقولك أكرمك لاتيانك إيَّاى واحداً ، صح عطف التعليل على الشرط فى البيت . وكذلك تقول : إن جئتنى وأحسنت

---

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة . وقرأ بكسر الهمزة فى « ان » حمزة والأعمش ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٢ : ٣٤٩

(٢) الآية ٢ من سورة المائدة . وقرأ بكسرة همزة « ان » أبو عمرو وابن كثير ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٢٢

(٣) الآية ٥ من سورة الزخرف . وقد قرأ نافع والأخوان بكسر الهمزة وقرأ الجمهور « أن » بفتحها ، وزيد بن على : « اذ كنتم » . تفسير أبى حيان ٨ : ٦ .

(٤) للفرزدق فى ديوانه ٨٥٥ . وعجزه :

* جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم *

إليَّ أكرمتك ، ثم تقول : إن جئتني ولإحسانك إليّ أكرمتك ، وتجعل الجواب لهما اهـ . وما أظنّ أنَّ العرب فاهت بذلك يوماً . انتهى كلام ابن هشام .

وكلامُ ابن الحاجب الذى نقله هو فى (الإيضاح شرح المفصل) ، وقد اختصر كلامَه ، وهذه عبارته : وقد روى قوله :

إما أقمتَ وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

بكسر الأول وفتح الثانى . أمَّا كسر الأوّل فلأنّه شرط فوجب كسره ، ودخول ما عليه كدخولها فى قولك : إمّا تكرمْني أكرمْك . وفتح الثانى واجب لأنه مثل قولك : أما أنت منطلقاً . وقد تقدَّم ذكره .

٨٣ وقوله (فالله يكلأ ما تأتى الخ) فجواب الشرط معلَّل بقوله أمَّا أنت مرتحلا . وصحَّ أن يكون لهما جميعاً من حيث كان الشرط والعلّة فى معنىً واحد ، ألا ترى أن قولك إن أتيتنى أكرمتك بمعنى قولك أكرمتك لأجل إتيانك ؟ فإذا ثبت أنَّ الشرطية والتعليلَ بمعنىً واحدٍ صحّ أن تعطف أحدَهما على الآخر وتجعل الجواب لهما جميعاً فى المعنى ، فصار مثل قولك : إن أكرمتنى وأحسنتَ إليَّ أكرمتك ، إلاّ أنه وضع موضع أحسنت إليَّ لفظَ التعليل ، فصار كأنَّك قلت : إن أكرمتنى فلأجل إتيانك فأنا أكرمك . وذلك سائغ . هذا كلامه .

وقد ناقش الدماميني كلام ابن هشام فى الأدلّة الثلاثة بالتعسّف كما لا يخفى على من تأمله . (والكلاءة) بالفتح والمدّ : الحفظ ، وما موصُولة والعائد محذوف أى ما تأتيه وما تذره . و (تذر) بمعنى تترك ، وقد أماتوا ماضيه ، ومصدرَه ، واسمَ فاعله ، واسمَ مفعوله كيدع .

وهذا البيت مع استفاضته فى كتب النحو لم أظفر بقائله ولا بتتمته. والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٢٥١ (ومِنْ عِضَةٍ ما ينبُتَنَّ شَكيرُها)

على أن زيادة (ما) للتأكيد بمنزلة اللام ، ولأجلها جاز تأكيد الفعل بالنون . وسيأتى نقل كلام سيبويه فى آخر الشاهد السادس والأربعين بعد التسعمائة[٢] فى نون التوكيد .

قال الصاغانى — تبعاً لصاحب الصحاح وغيره — : الشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، قال :

(إذا مات منهم ميت سُرق ابنهُ ومن عِضَة ما ينبتنَّ شكيرُها)

يريد أنَّ الابن يشبه أباه ، فمن رأى هذا ظنَّه هذا فكأن الابن مسروق .

وفى فعله يقال : شكِرت الشجرة تَشكَر شَكَراً ، من باب فرح ، أى خرج منها الشَّكير . وهذا التفسير منقول من (تهذيب الازهرى) .

وأورد الزمخشرى المصراع الثانى (فى أمثاله) وقال : والعِضَة بالهاء والتاء جميعاً . والشكير : الورق . ويروى « فى عِضَةٍ ما ينبت العود » ، يضرب فى مشابهة الرجل أباه اﻫ .

وكذلك اقتصر ابن هشام (فى حواشى التسهيل) عليه ، لكنه قال : هذا

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٩/١٠٣ : ٥ ، ٤٢ وشرح شواهد المغني ٢٥٨ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والأشمونى ٣ : ٢١٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٩٢

(٢) كذا فى النسختين ، والصواب « بعد آخر الشاهد السابع والأربعين بعد التسعمائة » حيث كرر هذا الشاهد لمناسبة تأكيد الفعل المستقبل فى غير الشرط .

مثلٌ لمن أظهر خلاف ما أبطن . والعضة : شجرة ، وشكيرها : شوكها ، وقيل صغار ورقها . يعنى أنَّ كبار الورق إنّما تنبت من صغارها ، أى ما ظهر من الصغار يدلُّ على الكبار . ا هـ .

وهذا التفسير مبنيّ على قطع النظر عن المصراع الأوّل .

وقوله (سُرق ابنه) اختُلف فى ضبطه ، فالجمهور على أنه بالبناء للمفعول بتقدير سُرق منه ، وضبطَه الخطيب التبريزى بالبناء للفاعل على تقدير سَرق ابنه صورتَه وشَمائله . وضبطه بعضهم « شَرُفَ ابنه » بالمعجمة والفاء والبناء للمعلوم ، من الشرف وهو المجد ، ولا يخفى ركاكته . و (العضة) : واحدة العِضاه عِضاهة وعضهة بكسر فسكون ، وعضة بحذف الهاء الأصلية كما حذف من الشَّفة . ا هـ . وعلى هذا فالعضة بالتاء لا بالهاء .

وروى أبو محمد الاعرابى هذا البيت (فى كتاب السَّلة والسَّرِقة) على ما تقدَّم ، وقال : ومَثَلٌ آخر :

ومن عضة ما ينبتنَّ شِكيرُها قديماً ويُقتَطُّ الزِناد من الزَّندِ

ولم يورد شرَّاح أبيات سيبويه هذا المصراع فى شواهده .

٨٤

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

(١) فى كتابه ١ : ١٣٤ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ وابن يعيش ٤ : ١٠١/٨ : ٣٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٣ والعينى ٢ : ٥١ والتصريح ١ : ١٩٤ والهمع ١ : ١٢٢ والأشمونى ١ : ١٩٤

٢٥٢ (مِنْ لَدُ شَولاً فإلى إتلائها)

على أن (كان) قد تحذف بعد (لَدُ) كما هنا ، والتقدير : من لدُ كانت شولاً .

قد ذكر الشارح فى الظروف أنّ لدن بجميع لغاتها معناها أوّل غاية زمانٍ أو مكان ، وقلّما يفارقها مِنْ ، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحّضت للزمان ، لأنّ ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلاّ حيث ، ويجوز تصدير الجملة بحرفٍ مصدرىّ لما لم يتمحّض لدن فى الأصل للزمان ، فنَصب هنا شولاً لأنه أراد بِلَدُ الزمانَ ، ولَدُ إنما يضاف إلى ما بعده من زمان يتّصل به أو مكان إذا اقترنت به إلى ، والشّولُ لا يكون زماناً ولا مكاناً ، فلما لم يجز أن يُضاف لَدُ إليها نَصبَهَا على أنها خبر لكان المقدّرة .

و (الشَّوْل) بفتح الشين المعجمة وسكون الواو : اسم جمع شائلة بالتاء ، وهى الناقة التى ارتفع لبنها وجفّ ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر وثمانية . واسم كان المقدّرة ضمير النوق فى كلامٍ تقدّم قبله ، وأضمرت كان هنا لوقوعها فى مثله كثيراً ، وحُذفت نون لدن لكثرة الاستعمال . وقيل شَولاً هنا مصدر شالت الناقة بذنبها ، أى رفعته للضِّراب ، فهى شائل بغير تاء ، والجمع شُوَّل كراكع ورُكَّع ، فيكون التقدير : من لدن شالت شولا ، فليس فيه حذفُ كان مع اسمها بل هو من باب حذف عامل المصدر المؤكِّد . والمصادر تستعمل فى معنى الأزمنة ، كجئتك صلاةَ العصر . قال أبو على : الأشبه أن يكون المصدر فى نحو هذا على فَعَلان ، فلذلك لم يقوّه سيبويه .

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وقد يرجح كونه من باب حذف

عامل المصدر المؤكّد ، ورُدَّ[١] بأنه روى من لَدُ شولٍ بالخفض ولا يقال من لدُ النُّوق فإلى إتلائها . ويجاب بأن التقدير من لدن شَوَلان شَوْل أو زمان شول أو كون شول ، فحذف المضاف . والتقدير الأخير أولى ليتَّحد المعنى فى الروايتين ولـكن يحتاج على هذا التقدير إلى الخبر ، أى موجودةً . فإنْ قُدّر الـكون مصدرَ كان التامَّة لم يحتج إلى ذلك ، ولـكن لا يقع التوفيق بين الروايتين فى التقدير . وقد يرجّح الثانى برواية الجَرْمى « من لَدُ شوْلاَ » بغير تنوين على أن أصله شولاء بالمد فقصرَه للضرورة ، ولـكن هذه الرواية تقتضى أن المحدَّث عنه ناقة واحدة . ومن الغريب أنّ بعضهم زعم أن انتصاب شولا بعد لدُ على التمييز أو التشبيه بالمفعول به ، كانتصاب غدوة بعدها فى قولهم لدن غدوةً وأنه لا تقدير فى هذا البيت . وهذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا الحـكم بغُدْوَة وأنه لم يسمع غُدْوة مع حذف النون من لدن . اهـ

وتقدير الشارح المحقق كان بدون أن للمصدرية هو الصَّواب خلافاً لسيبويه فإنّه قال : التقدير من لد أنْ كانت شولا . قال ابن الدهَّان : الحامل له على هذا التقدير أنّ لدن لا تضاف عنده إلى الجمل ، ورُدَّ هذا الحامل بلزوم أن يقدّر سيبويه أنْ فى قوله :

* لدُن شبَّ حتى شاب سود الذوائب[٢] *

ونحوه ، وهو كثير ، وذلك بعيد .

واختلف فى تقدير سيبويه : قال الشاطبى (فى شرح الألفيّة) : فقيل هو ٨٥

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ش .

(٢) للقطامى فى ديوانه ، وهو أول من سمى صريع الغوانى لقوله :

صريـــع غـــوان راقهنى ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

تقديرٌ معنوى لا إعرابى ، لأنَّ شولاً يصير على ذلك التقدير من صلة أنْ ، والموصول لا يحذف ويبقى بعض الصلة ، نص عليه سيبويه فى باب الاستثناء فى قوله « الاّ الفرقدان[1] » وإنّما التقدير : من لدُ كانت ، أى من لدكونها شولاً ، لأن الجملة تقدَّربالمصدرإذا أضيف إليها الظرف . هذا مأخذ ابن خروف وابن الضائع وابن عصفور ، وهو رأى الناظم . وظاهر السِّيرافى وجماعةٍ أنه تقديرٌ إعرابىٌ لأنه قدَّرها بأنْ كما قدَّرها سيبويه : من لد أنْ كانت شولاً . قال : والمصادر تستعمل فى معنى الأزمنه نحو مقدمَ الحاج ، وخلافةَ المقتدر ، وصلاةَ العصر . وهذا رأى الشَّلَوبين وابن أبى غالب ، قال ابن مالك : وعندى أن تقدير أنْ مستغنىً عنها كما يستغنىٰ عنها بعد مُذ . ا هـ . وفى القول الثانى نظر ، فإنَّ الإشكال باقٍ بحاله ولم يجيبوا عنه . فتأمل .

وقوله (فالى إتلائها) بكسر الهمزة هو مصدر أتْلَت الناقة إذا تلاها ولدها أى تبعها فهى مُتْلِيَة ، والولد تِلو ، بكسر فسكون ، والأنثى تِلوة ، والجمع أتلاء بالفتح .

وهذا البيت من الرجز المشطَّر[2] ، وهو من الشواهد الخمسين التى لا يعرف قائلها ولا تتمتها . والله أعلم .

---

(١) قطعة من بيت لعمرو بن معد يكرب ، أو حضرمى بن عامر . انظر الكتاب ١ : ٣٧١ وحماسة البحترى ٢٣٤ والكامل ٧٦٠ والمؤتلف ٨٥ وامالى المرتضى ٢ : ٨٨ . والبيت بتمامه :

وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك الا الفرقدان

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته « المشطور »

باب المنصوب بلا التى لنفى الجنس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين[1] :

٢٥٣ * أوْدَى الشبابُ الذى مجدٌ عَواقِبُهُ

فيه نَلَذُّ ولا لَذّاتَ للشَّيبِ *

على أن جمع المؤنث السالم يبنى على الفتح مع لا ، بدون تنوين ، كلذّاتَ فى البيت ، فإنّه مبنىٌّ مع لا على الفتح ، ورواه شرّاح الألفية بالفتح والكسر ، كما يجوز مثله فى الجمع المؤنث السالم المبنىّ مع لا .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لسَلامةَ بن جَندلٍ السعدىّ عدّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، وهى مسطورة فى المفضّليات أوّلها :

أبيات الشاهد

(أودَى الشبابُ حميداً ذو التَعاجيبِ أودَى وذلك شأوٌ غير مطلوبِ
ولىَّ حثيثاً وهذا الشَّيبُ يطلبه لو كان يُدركُه ركضُ اليعاقيب
أودَى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه . . . . . البيت
يومانِ يومُ مَقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيرٍ إلى الأعداء تأويب)

قوله أودى أى ذهب واضمحلّ ، وحميداً حالٌ من الشباب أى محموداً . وكرَّر أودى للتأكيد ، والمراد به التحسّر والتفجّع لا الإخبار المجرَّد . قال ابن الأنبارىّ : التعاجيب العَجَب ، يقال إنّه جمع لا واحدَ له . وروى « ذو الأعاجيب » جمع أعجوبة ، والمعنى : كان الشباب كثير العجَب ، يُعجب الناظرين إليه ويروقهم . واسم الإشارة لمصدر أودى . والشأو مهموز الوسط :

(١) انظر شذور الذهب ٨٥ والعينى ٢ : ٣٢٦ والتصريح ١ : ٣٢٨ والهمع ١ : ١٤٦ والأشمونى ٢ : ٨ والمفضليات ١٢٠ وديوان سلامة بن جندل ٧ .

الطَّلَق . يقال جرى الفرس شأواً أو شأوين أى طَلَقاً أو طَلَقين ، و يأتى بمعنى السَّبْق أيضاً ، يقال شأوْته أى سبقته . يقول : وذلك الإبداء شأوه سابق قد مضى لا يُدرك ولا يُطلب . وروى بدل أودى « ولَّى » .

وقوله : ولَّى حثيثاً الخ ، أى ذهب الشباب وأدبر حثيثاً سريعاً . وجواب لو محذوف ، أى لطلبته ولكنه لا يُدرك . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحَجَل. وخصَّ اليعقوب لسرعته . قال ابن الأنبارى : وقال عُمارة : اليعاقيب يعنى به ذوات العَقْب من الخيل . والعَقْب : أن يجىء جرىٌ بعد جرى . وروى أبو عمرو : « ركضَ اليعاقيب » بالنصب . يقول : لو أدرك طالب الشباب شبابه بركضٍ كركض اليعاقيب لطلبه ، ولكنَّ الشباب إذا ولَّى لم يُدرَك . ويقال : إن معناه ولَّى الشباب حثيثاً ركض اليعاقيب وهذا الشَّيب يتبعه . ويروى « جرىَ اليعاقيب » .

٨٦

وقوله (أودى الشباب . . الخ) قال ابن الأنبارىّ : يقول : ذهب الشباب الذى إذا تُعقِّبت أموره وُجد فى عواقبه الخير إمّا بغزو أو رحلة أو وِفادة إلى ملك . وعواقبه : أوَاخره . وقال أحمد : قوله (يحدُ عواقبه) أى آخر الشباب محمود ممَّجد إذا حلَّ الشيب وذُكر الشباب ، فحمد الشباب لذمّه ، والمجد : كرم الفعل وكثرة العطاء . يقال فى مثل : « فى كلِّ شجرٍ نارٌ ، واستمجد المَرْخُ والعَفار » أى كثُرت ناراهما . وإنّما يمجد الرجل بفعله ، وإنّما يمكنه الفَعال وهو شابٌ قوىٌ نشيط . وقوله (فيه نَلَذُّ) بفتح اللام ، أى إنّما تكون اللذاذة والطِّيب فى الشباب ، والجملة استئنافٌ بيانى . و « الشِّيب » بالكسر : جمع أشيب ، وهو الذى ابيضّت لحيته ، يريد ليس فى الشَّيب ما يُنتفع به ، إنّما فيه الهَرَم والعِلل . وإنّما جمع اللذة

لأنه أراد أنواعَ اللذائذ . وروى أيضاً (ذاك الشباب الذى مجدٌ عواقبه) . ولم يروِ أحدٌ (إنَّ الشباب) بدل (أودى) فيما رأينا . وزعم ابن هشام فى شرح شواهده أن الرواية بإنّ ، وأن ابن الناظم حرّفه فرواه (أودى الشباب) قال : ولولا (أنّ) لبقى قوله (فيه نلذ) غير مرتبط بشىء . وهذا كما ترى عسفٌ فى الرواية وتخطئهٌ للمصيب .

وقوله يومان يوم الخ ، قال ابن الأنبارى عن الرُّستَمىّ : فسّر العواقب بقوله يومان وبما بعده فى البيتين فقال : يومٌ فى المجالس خطيباً ويومُ سير إلى الأعداء ، والكبير يعجز عن هذا . والمقامة بالفتح : المجلس ، وروى أبو عمرو بالضم بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية . والندىّ والنادى : المجلس . قال أحمد : أراد به اللهو والتنعّم . وتأويب : صفة سير ، وهو السُّرعة فى السير والإمعانُ فيه ، يقال أوّب الرجل في سفره تأويباً ، إذا أمعن . وقال أحمد : أوّب : وصل الليل بالنهار مع الإمعان .

وفى هذه القصيدة أبيات من شواهد أدب الكاتب وغيره .

سلامة بن جندل

و (سلامة) هذا قال يعقوب بن السكيت : هو سَلامة بن جندل ابن عبد عمرو بن عبيد بن الحارث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مَناةَ بن تميم ، قال : وكان من فُرسان العرب المعدودين وأشِدّائهم المذكورين اهـ .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] : سلامة بن جندل جاهلى قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، وأخوه أحمر بن جندل من الشعراء والفرسان ،

(١) الشعراء ٢٢٩ — ٢٣٠ .

وكان عمرو بن كلثوم أغار على حيٍّ من بنى سعد[١] فأصابَ فيهم ، وكان فيمن أصاب الأحمر بن جندل . وكان سلامة أحدَ نُعّات الخيل ، وأجود شعره قصيدته التى أولها :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غير مطلوبِ

انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين[٢] :

٨٧ ٢٥٤ *لو لم تكنْ غَطَفانٌ لا ذُنوبَ لها
إذن لَلامَ ذَوُو أحسابِها عمرا*

على أن (لا) هنا زائدة مع أنَّ النكرة بعدها مبنية معها على الفتح .
قال ابن عصفور (فى المقرَّب) : أنشد أبو الحسن الأخفش :

لو لم تكن غَطَفان . . . . البيت

والمعنى لها ذنوب إلىّ . وعمل لا الزائدة شاذّ .

وقد تكلّم أبو علىّ الفارسىّ (فى المسائل المنثورة) على هذا البيت بكلام فيه قلاقة وهو قوله : يعترض فى هذا البيت معترضٌ فيقول : الكلام إيجاب ، ومعناها أنّ لغطفان ذنوبا ، فكان الكلام إيجابا ، ولا لا تدخل على الإيجاب . فوجه ما قاله أنه لم يردْ هذا ، وإنّما أراد بقوله لا ذنوب لها أنَّ

---

(١) فى الشعراء : « من بنى سعد بن زيد مناة » .
(٢) انظر الخصائص ٢ : ٨٧ والهمع ١ : ١٤٧ وديوان الفرزدق ٢٨٣

الكلام الأوّل قد تمّ وتقضّى ، فأتى بالجملة الثانية وهى الجحد ، فجعلها خبراً للنكرة حيث كانت جملة . ومثل ذلك فى الجحد قد قالت العرب : كان زيد يقوم أبوه ، فقد جعل يقوم أبوه جملة فى موضع الخبر وإن كان جحداً، فكذلك جاز له أن يجعل[1] النفى فى موضع خبر الإيجاب وإن كان إيجابا . ولا يلزم تأويل من تأوّل هذا فقال : إن المعنى ذلك لأنّه وجه من القياس ، وهو ما ذكرنا ، فلا يلزمه التأويل لأن التأويل أيضاً ينساغ على ذلك فيجعل إيجاباً ، لأنّ الإيجاب والنفى جميعاً إخبارٌ ، فلك أن تجعل كل واحد خبرا عن الآخر من حيث كان ذلك فى الجحد . هذا كلامه .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق هجا بها عُمر بن هبيرة الفَزارى أوّلها : صاحب الشاهد

(يا أيها النابحُ العاوى لشِقْوته إليك أخبرْك عمّا تجهلُ الخبرا
لو لم تكن غطَفان . . . . البيت)

إلى أن قال :

أبيات الشاهد
(جهّزْ فإنك مُمْتارٌ ومنتجعٌ إلى فَزارةَ عِيراً تحمل الكَمَرا
إنّ الفَزارى ما يَشفيه من قَرَم أطايبُ العَيْر حتّي ينهش الذكرا
إن الفزارىَّ لو يعمى فيُطعمهُ أيرَ الحمار طبيبٌ أبرأ البصرا)

النابح والعاوى ، من نبح الكلب وعوى بمعنى صوّت . وإليك اسم فعل وأصل معناه : ضمّ رحلك وثِقْلك إليك واذهب عنى . وأخبرْك جزم فى جوابه ، ، والخبر مفعول أخبرك ، وعمّا متعلّق بما بعده .

---

(١) ط : « أن يحصل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (لو لم تكن غطفان الخ) لا من حيث المعنى زائدة ، وأصل الكلام لو لم تكن ذنوبٌ لغطفان ، وجملة لا ذنوب لها خبر الكون .

وغطفان أبو قبيلة ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة ، وصرفه هنا للضرورة . وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو الجدّ الأعلى لفَزارة ، لأن فَزارة هو فَزارة بن ذبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطفان . وفزارة اسمه عمرو ، ضربه أخٌ له ففزَره فسمّى فزارة .

وأراد بالذّنب الإساءة ، أى لو كانت غطفان غير مسيئة إلىَّ للَام أشرافُها عمر بن هبيرة فى تعرّضه إلىّ ومنَعوه عنّى . وعمر عامل من عمّال سليمان ابن عبد الملك من بنى أمية وقوله (إذن للَامَ الخ) جواب لو الشرطية ، وكثيرا مّا يُصدَّر جوابها بإذن ، واللام للتأكيد ، واللَّوم : التعنيف ، وروى أيضاً :

* إلىّ لام ذوو أحسابها عمرا *

وذوو فاعل لام ، جمع ذو بمعنى صاحب . والأحساب : جمع حسَب ، وهو ما يُعَدُّ من المآثر ، وهو مصدر حَسُب على وزن كرم . قال ابن السكّيت : الحسب والكرم يكونان فى الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف . ورجل حسيب : كريم بنفسه . قال : وأما المجد والشرف فلا يُوصَفُ بهما الشخص إلاّ إذا كان فيه وفى آبائه . وقال الأزهرىّ : الحسب الشرف الثابت له ولآبائه . و (عمر) مفعول لامَ والألف للاطلاق .

٨٨

وقوله : « جهّز فإنّك الخ » الممتار : اسم فاعل من امتار المِيرة لنفسه بالكسر ، وهى الطعام . ومارهم مَيراً من باب باع ، إذا أتاهم بالميرة . ومنتجِع بمعنى : منتفع ، وأصله من انتجع القومُ إذا ذهبوا لطلب الكلأ فى موضعه ،

وإلى متعلقة بجَهَّزْ ، وعِيراً مفعول جَهَّز ، وهو بكسر المهملة : القافلة ، قالوا : وأصل العِير الإبل التي تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة : والكَمَر بفتح الكاف والميم : جمع كَمَرة ، قال صاحب المصباح : الكمرة الحَشَفة وزناً ومعنى وربّما أُطلقت الكمرة على جملة الذكر مجازا .

والقَرَم بفتحتين مصدر قرِم اللّحمَ[1] من باب فرح ، إذا اشتدّت شهوته له . ومِنْ للتعليل ، وأطايب : فاعل يشفيه ، جمع أطيب . والعَيْر بفتح المهملة : الحمار الوحشى . وحتّى بمعنى إلاّ . والنّهسُ : مصدر نَهَسْت اللحم من بابى ضرب ونفع ، إذا أخذته بمقدّم الأسنان ، والمعروف بالسين المهملة ، وروى بالمعجمة أيضاً . وبنو فزارة يُرمَون بأكل أير الحمار ، وبسرقة الجار ، وبنيك الإبل ، كما قال سالم بن دارة :

إنَّ بنى فَزارة بن ذُبيانْ قد غلبوا النّاس بأكل الجُردانْ
وسَرِقِ الجار ونيكِ البُعْرانْ

والجُردان بضم الجيم : وعاء قضيب الحمار . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا مفصّلاً فى باب المثنى[2] .

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت فى الشاهد الثلاثين[3] .

* * *

(١) فى اللسان : « يقال قرمت الى اللحم ، وحكى بعضهم فيه قرمته » .
(٢) فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة . وقد سبقت ترجمة سالم ابن دارة فى ٢ : ١٣٨ .
(٣) فى الجزء الأول من الخزانة ص ٢١٧ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين وهو من شواهدس[1] :

٢٥٥ (بَكَتْ جزَعاً واسترجعتْ ثم آذنَتْ
رَكائبُها أنْ لا إلينا رجوعُها)

على أن «لا» يجوز عدم تكريرها مع المفصول عند المبرّد وابن كيسان كما في البيت، وعند غيرهما شاذّ .

وقد أنشده سيبويه ومن تبعه على عدم تكرير لا مع المعرفة، وهو الوجه .

قال أبو عليّ (في المسائل المنثورة) : إذا كان بعد لا معرفةٌ ارتفعت المعرفةُ بالابتداء ، وهو قولك : لا أبوك ، فيرتفع بالابتداء ويكون خبره مضمراً وتكون لا جواباً ، كأنه قال : هل أبي ، فقال : لا أبوك . فنفى أن يكون أباه . وأما قول الشاعر : بكت جزَعاً واسترجعت . البيت ، فرفع رجوعُها بالابتداء وأضمر الخبر كأنّه قال : موجود أو واقع ، وجعل إلينا تبييناً مثل قوله سبحانه ﴿ إنّي لَكُمَا لمن الناصحين[2] ﴾ . اهـ

وزعم صدر الأفاضل (في التحبير) ، كما نقله عنه بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصَّل ، وبعضٌ آخر في شرح أبيات الموشح ، أنَّ لا هنا ليست بالنافية للجنس، إنَّما هي التي تدخل على الفعل المضارع . و (رجوعها) مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر ، تقديره ألاّ يقع رجوعها . ألا ترى أنّه لو لم

---

(١) في كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٥٥ وابن يعيش ٢ : ١١٢/٤ : ٦٥ ، ٦٦ والهمع ١ : ١٤٨ والأشموني ٢ : ١٨ .
(٢) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

تضمر فيه الوقوع للزم التناقض ، وهذا لأنَّ الإيذان يقتضى ألاّ يكون الرجوع فى الحال متحققاً كما يقال : هذه العارضة تؤْذن بالاستسقاء ، إذا لم يكن واقعاً ، ولو لم يضمر الفعل فيه لاقتضت لا أن يكون انتفاء الرجوع ٨٩ فى الحال متحققاً . ا ه .

ولا يخفى أن هذا ليس من المواضع التى يُحذف فيها الفعل ويبقى الفاعل . ويندفع ما عدَّه تناقضاً بجعل خبر رجوعها اسم فاعل من الوقوع . فتأمل .

وقوله (بكت جزَعا) هو مفعول مطلق نوعىٌّ أى بكاه جزع ، ويجوز أن يكون مفعولا لأجله . وروى : (قضت وطراً واسترجعت) وفى الاسترجاع هنا قولان : أحدهما أنه من الاسترجاع عند المصيبة[1] وهو قول ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[2] ﴾ ، وثانيهما أنه طلب الرجوع من الرَّحيل لكراهة فراق الأحبَّة .

وقوله[3] : (ثم آذنت الخ) ركائبها فاعل آذنت ، جمع رَكوبة ، وهى الراحلة التى تُركب . وآذنَتْ بمعنى أشعرت وأعلمت . جعل تهيُّؤ الإبل للرّكوبِ عليها كأنه إعلامٌ منها بالفراق . وفى إسناد الإيذان للركائب دون الحبيبة أمرٌ لطيف لا يخفى حسنه . وقال بعضهم : فيه حذف مضاف ، أى أصحاب ركائبها أو حُداتُها . وهذا كالثَّوب المغسول لا طراوة له ولا رونق .

وقوله (أنْ لا إلينا الخ) أن هنا مفسِّرة للإيذان ، وهى الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه . وقال شرَّاح أبيات المفصَّل إنَّما هى المخففة من الثقيلة ، قالوا . والأصل بأنه ، والضمير للشأن .

---

(١) ط : « أنه استرجاع عند المصيبة » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) الآية ١٥٦ من سورة البقرة .
(٣) ط : « وهو قوله » ، صوابه فى ش .

والبيت ظاهره إخبارٌ، ومعناه : تأسُّف وتحسُّر . وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] .

٢٥٦ (وأنتَ امرُؤٌ منّا خُلقتَ لغيرنا
حيـاتُكَ لا نفعٌ وموتكَ فاجعُ)

على أنّ « لا » يجوز عدم تكريرها مع المنكّر غير المفصول مع إلغائها عند المبرّد وابن كيسان ، وعند غيرهما شاذّ .

قال الأعلم : وسوَّغ الإفرادَ هنا أنَّ ما بعده يقوم مقام التكرير فى المعنى ، لأنَّ قوله وموتك فاجع دلَّ على أنَّ حياته لا تضرّ . يقول : هو منّا فى النسب إلاَّ أن نفعه لغيرنا ، فحياته لا تنفعنا لعدم مشاركته لنا ، وموته يفجعنا لأنّه أحدنا اهـ .

وقوله (لا نفعٌ) هو مبتدأ ، وخبره محذوف أى فيها ، والجملة خبر قوله حياتك . وأكثر الرواية على إسقاط الواو أوّله على أنه مخروم[2] وهو الصواب ، لأنَّه لم يتقدَّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة .

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١١٢ والهمع ١ : ١٢٨ والأشمونى ٢ : ١٨ .

(٢) ط : « مخزوم » بالزاى ، وصححها الشنقيطى فى نسخته بالراء . وفرق بين الخرم والخزم . فالخرم : ذهاب أول حرف من وتد الجزء الأول فى البيت ، وأجازوا أن يقع فى مبدأ الجزء الثانى منه ، كما وقع لامرىء القيس فى رواية السكرى :

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه شراح أبيات الكتاب لرجل من بنى سَلُول ، و نسبه العسكرى (فى كتاب التصحيف) والأديب إبراهيم الُحصْرى (فى زهر الآداب) للضحَّاك بن همّام[1] الرقَاشّى . وزاد الحصرى بعده بيتين وهما :

(وأنت على ما كان منكَ ابنُ حرَّةٍ أبِىٌّ لما يرضى به الخصم مانعٌ[2]
وفيك خِصالٌ صالحاتٌ يَشِينُها لديك جَفاءٌ عنده الوُدُّ ضائع)

قوله : وأنت على ما كان الخ أى أنت مع ما كان منك إلينا من سوء المعاملة ، ابنُ حرّة أبِىّ ذوحميَّة ، مانعٌ لما يرضى به الخصم .

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : المقول فيه هذا الشعر هو الحضين[3] بن المنذر ، وقائله الضحاك بن هَنّام . اهـ .

وضبط العسكرى ابن هَنّام بفتح الهاء والنون المشدَّدة ، وقد وقع فى بعض كتب الأدب مصحفا بهمّام بالميم بدل النون ، وشذَّ ياقوت الحموى فنسبه (فى مختصر جمهرة الأنساب) إلى جَنَف بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ، وينتهى نسبه إلى قُضاعة إحدى قبائل اليمن .

٩٠

= لقد أنكرتنى بعلبك وأهلها وابن جريج كان فى حمص أنكرا
وأما الخزم بالمعجمة فهو زيادة فى أول البيت لايعتد بها فى التقطيع ، من حرف الى أربعة ، كقوله (وهو من الهزج) :
(اشدد) حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا

(١) فى زهر الآداب ٦٥٢ : « بن همام » تحريف ، كما سيأتى

(٢) فى زهر الآداب : « وانى لما يرضى به الخصم مانع » وفى نسخة : « طائع » .

(٣) ط : « الحصين » صوابه بالضاد المعجمة كما فى ش .

وضبط العسكرى (فى كتاب التصحيف[1]) المتعلق بعلم الحديث الحضين بن المنذر بقوله : حُضَين الحاء مضمومة غيرُ معجمة والضاد معجمة مفتوحة ونون ، هو حُضَين بن المنذر أبو ساسان الرَّقاشى ، من سادات ربيعة ، وكان صاحب راية أمير المؤمنين علىّ يومَ صِفِّين ، وفيه يقول أمير المؤمنين رضى الله عنه :

لمن رايةٌ سوداء يخفُق ظلُّها إذا قيل قدِّمْها حُضَينُ تقدَّما

ثم ولاّه إصطَخر . وكان يُبخَّل ، وفيه يقول زياد الأعجم :

يسُدُّ حضين بابَه خشيةَ القِرى بإصطخَر والشاةُ السمين بدرهمِ

وفيه يقول الضحَّاك بن هنَّام :

وأنتَ امرؤ منَّا خلقتَ لغيرنا حياتك لا نفعٌ وموتك فاجع

وروى الحديث عن عثمان وعلىّ ، وعن مجاشع بن مسعود ، والمهاجر بن قنفذ .

وروى عنه الحسن ، وعبد الله بن الداناج ، وعبد العزيز بن مَعْمَر ، وعلىّ بن سُويد بن مَنجوف .

ولا أعرف من يُسمَّى حُضيناً بالضاد المعجمة غيرَه ، وغير من ينسب إليه من ولده . ومن أولاده : يحيى بن حضين ، وساسان بن حُضَين ، وعياض بن حضين . وفى يحيى يقول الفرزدق :

واصرفِ الكأس عن الفا تر يحيى بن حضينِ

انتهى ما أورده العسكرىّ .

* * *

(١) ط : « كتابه التصحيف » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده :

(من صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا بَرَاحُ[١])

على أن « لا » هنا بمعنى ليس، ولهذا لم تكرَّر . قال الشارح المحقق : قد تقدَّم أنه لم يثبت عملُ لا عملَ ليس . وهذا مخالف لقول أبي عليّ (في المسائل المنثورة) إنّ لا في هذا البيت أُرِيدَ بها ليس والخبر محذوف ، أى لنا ، وكذلك قوله في الجحيم حين لا مُستصرَخ ، أراد لنا . اهـ

وهذا البيت قد تقدّم الكلام عليه في الشاهد الحادى والثمانين في اسم ما ولا المشبهتين بليس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين وهو من أبيات سيبويه[٢] :

٢٥٧ (تَركتني حينَ لا مالٍ أعيش به وحين جُنَّ زمانُ النَّاسِ أو كَلِبا)

على أنّ عدم تكرّر (لا) في مثل هذا شاذ .

وأنشده س على إضافة حين إلى المال وإلغاء لا وزيادتها في اللفظ[٣] .

وهذه عبارة س : اعلم أنّ لا قد تكون في بعض المواضع هي والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد ، وذلك قولهم : أخذْته بلا ذنب ، وغضبتَ من لا شيء ، وذهبت بلا عَتاد ، والمعنى ذهبت بغير عَتاد . وتقول إذا قلّلت الشيء : ما كان

---

(١) هو الشاهد الحادى والثمانون . وقد سبق في ١ : ٤٦٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ والهمع ١ : ٢١٨ .

(٣) ط : « والفاء لا لازيادتها في اللفظ » ، صوابه في ش .

إلاّ كلاشيء ، وإنّك ولا شيئاً سَوَاء . ومن هذا النحو قول الشاعر :

تركتَنِى حين لا مال أعيشُ به . . . . البيت انتهى

٩١ وجوّز أبو علىّ الفارسى (فى المسائل المنثورة) الحركاتِ الثلاثَ فى مال ، قال : الجرُّ على الإضافة ، والرفع على أن تضيف حين إلى الجمل ولا عاملةٌ عملَ ليس ، والنصب تجعله كما كان مبنيًا ولا تعمل الإضافة ، كما تقول جئت بخمسة عشر فلا تعمل الباء . انتهى

و (جُنَّ) بضمّ الجيم من الجنون يقال أجنّه الله بالألف فجُنّ بالبناء للمفعول فهو مجنون . و (كَلِبا) الكَلَب : مصدر كلِب كَلَباً فهو كَلِبٌ ، من باب تعب ، وهو داء يشبه الجنون يأخذه فيعقِر الناس . ويقال لمن يعقره كَلِب أيضاً . وكَلَبُ الزمانِ : شدّته : وضرَبَ الجنونَ والكَلَب مثلاً لشدّة الزمان .

الشاهد أبيات وهذا البيت [من قصيدةٍ[1]] لأبى الطفيل عامر بن واثلة الصحابىّ ، رثى بها ابنَه طُفيلا . وهذه أبيات منها :

(خلّى طُفَيْلٌ علىّ الهمّ فانشعَبا وهدّ ذلك رُكنى هِدّة عجبا

وابنَىْ سُمَيّةَ لا أنساهما أبداً فيمن نسيتُ ، وكلٌّ كان لى وَصَبا

فاملِكْ عَزاءك إنْ رُزِء نُكِبتَ به فلن يردّ بكاء المرءِ ما ذهبا

وليس يَشفى حزيناً من تذكُّره إلاّ البكاء إذا ما ناح وانتحبا

فإنْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ولا محالةَ أن يأتى الذى كُتِبا

فما لفظُتك من ريّ ولا شِبَعٍ ولا ظَلِلتُ بباقى العيش مرتقباً[2]

---

(١) تكملة ليست فى النسختين

(٢) فى الأغانى ١٣ : ١٦١ ، مع كثير من التحريف :

فما لبطنك من رى ولا شبع ولا ظللت بنا فى العيش مرتعبا

فارقتنى حين لا مال أعيش به . . . . البيت)

روى الأصبهانى بسنده (فى الأغانى) أنّ أبا الطُّفيل دُعى إلى مأدُبة فغنَّت فيها قينة بهذا الشعر ، فبكى أبو الطفيل حتَّى كاد يموت . وفى رواية أخرى : فجعل ينشِج ويقول : هاهْ هاهْ طُفيل — ويبكى — حتَّى سقط على وجهه ميتا .

وأراد بابنَي سُمَيَّة عبّاداً وعُبيد الله ابنى زياد بن سميّة . والوصب : المرض. والعَزاء بالمد : الصبر . وقوله فما لفظْتك من ريّ الخ ، أى ما رميتك فى القبر لأجل أكلك وشربك بخلا .

أبو الطفيل

و (أبو الطُّفيل) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمير[1] بن جابر ابن حميس بن جُدَىّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة ابن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار . وغلبت عليه كنيته . ومولده عامَ أُحد ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانىَ سنين ، ومات سنة مائة وهو آخر من مات ممّن رأى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد رُوى عنه نحو أربعة أحاديث ، وكان محبًّا فى على رضىالله عنهما ، وكان من أصحابه فى مشاهده وكان ثقةً مأموناً يعترف بفضل الشَّيخين ، إلاّ أنه كان يقدِّم عليًّا . توفى سنة مائة من الهجرة . ولما قتل على رضى الله عنه انصرف إلى مكة فأقام بها حتَّى مات ، وقيل أقام بالكوفة ومات بها ؛ والأوّل أصحّ .

وقد ذكره ابن أبى خيثمة فى شعراء الصحابة . وكان فاضلا عاقلا ، حاضر

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٠٩ والاصابة ٦٧٠ من قسم الكنى : « عمرو » ، وما فى النسختين يوافق ما فى جمهرة ابن حزم ١٨٣

الجواب فصيحاً . وكان يتشيّع فى علىّ ويفضله ، وهو شاعر مُحسن ، وهو القائل :

أيدعونَني شيخاً وقدعِشتُ حِقبةً ... وهُنَّ من الأزواج نحوى نوازعُ

وما شابَ رأسى من سِنينَ تَتابعتْ ... علىَّ ولكنْ شيَّبتنى الوقائعُ

هذا ما ذكره صاحب الاستيعاب .

٩٢ وقال صاحب الأغانى : كان أبو الطفيل مع أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، ورَوى عنه . وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌّ خاص يُستغنىٰ بشهرته عن ذكره ، ثم خرج طالباً بدم الحسين — رضى الله عنه — مع المختار ، وكان معه حتىّ قتل المختار . ولمّا استقام لمعاوية أمرُه لم يكن شىء أحبَّ إليه من لقاء أبى الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلطِف له حتّى أتاه ، فلمّا قدِم عليه جعل يكلّمه[1] ، ودخل عليه عمرو بن العاص ومعه نفر ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا فارس صِفِّينَ وشاعرُها ، خليلُ أبى الحسن . ثم أنشد من شعره . قالوا : نَعَمْ هو أفحش شاعر وألأم جليس ! فقال معاوية : يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟ قال : ما أعرفهم بخير ، ولا أُبعِدهم من شرّ ! ثم قال له معاوية : ما بلغ من حبِّك لعلىّ ؟ قال : حبُّ أمِّ موسى لموسى ! قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثَّكلى والشَّيخ الرَّقوب ، وإلى الله أشكو التقصير ! قال معاوية : لكنّ أصحابى هؤلاء لو كانوا سُئلوا عنّى ما قالوا فىّ ما قلتَ فى صاحبك . قالوا : إذاً والله ما نقول الباطل ، فقال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون !

ولمّا رجع محمدً بن الحنفية من الشام حبسه ابنُ الزبير فى سجن عارم ،

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٥٩ : « جعل يسائله عن أمر الجاهلية »

فخرج إليه جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، حتى أتَوُا السجن فكسروه وأخرجوه ؛ وكتب ابنُ الزبير إلى أخيه مصعب أن يسيِّر نساء كلِّ مَن خرج لذلك ، فأخرج مُصعَبٌ مع النساء أمَّ الطفيل امرأةَ أبي الطفيل ، وابناً له صغيرا يقال له يحيى ؛ فقال في ذلك :

إن يكُ سيرها مُصعبٌ ... فانِّي إلى مُصعَب مُذنِبُ
أقود الكتيبةَ مستلئِما ... كأنّي أخو عَرَّة أجربُ
عَليَّ دلاصٌ تخيَّرتُها ... وفي الكفِّ ذو رونق مِقضَبُ[1]
فلو أنَّ يحيى به قوةٌ ... فيغزو مع القوم أو يركبُ !
ولكنَّ يحيى كفرخ العقا ... ب في الوكر، مستضعَفٌ أزغبُ

ولما دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير بمكة . قال : أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصبكَ من الأيَّام جائحةٌ ... لا أبكِ منك على دنيا ولا دين[2]

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقّه الناس ، وعبيدالله أخوه يُطعم الناس فما بَقَّيا لك . فأحفَظَه ذلك فأرسل صاحبَ شرطته عبد الله بن مُطيع ، فقال: انطلقْ إلى ابنَيْ عبَّاسٍ فقل لهما : أعَمَدْتما إلى راية تُرابيّة قد وضَعَها الله فنصبتماها ؟ بدِّدا عنّي جوعكما ومن ضَوَى إليكما من ضُلّال أهل العراقِ ، وإلاَّ فعلتُ وفعلت !! فقال له ابن عبَّاس : قل لابن الزبير :

---

(١) مقضب : قاطع . وفي الأغاني : « يقضب »

(٢) الرواية المشهورة : « لم أبك » . وانظر المصون للعسكري ٢١ . وليس في قصيدة ذي الاصبع المروية في المفضليات ١٦٠ وأمالي القالي ١ : ٢٥٥

يقول لك ابن عباس : ثَكِلتك أمُّك ، والله ما يأتينا من الناس إلاّ رجلان : طالب فِقه ، أو طالبُ فضل ، فأيَّ هذين نمنع ؟ فقال أبو الطفيل عامر ابن واثلة :

لا دَرَّ دَرُّ الليالى كيف تضحكنا ... منها خطوب أعاجيب وتُبكينا
ومثل ما تحدث الأيّام من غِيَر ... يا بنَ الزُّبير عن الدنيا تسلّينا[1]
٩٣ كنّا نجيء ابنَ عباس فيقْبِسنا ... علماً ويُكسبنا أجراً ويَهدينا
ولا يزال عبيدُ الله مترَعةً ... جِفانُهُ ، مطعِماً ضيفاً ومسكينا
فالبرُّ والدينُ والدنيا بدارِهما ... ننال منها الذى نبغى إذا شِينا
إن النبي هو النُور الذى كُشِفَتْ ... به عَماياتُ باقِينا وماضِينا[2]
ورهطه عصمةٌ فى ديننا ، ولهم ... فضلٌ علينا وحقٌّ واجب فينا
ولستَ ــ فاعلَمْه ــ أولانا بهمْ رحما ... يا ابنَ الزُبير ، ولا أولى به دينا[3]
ففيمَ تمنعهمْ منّا وتمنعنا ... منهمْ وتؤذيهمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتى الله من أخزى ببغضهم ... فى الدين عِزًّا ولا فى الأرض تمكينا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[4] :

---

(١) ط : « بابن الزبير » صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ١٦١

(٢) ش : « عماية » .

(٣) الأغانى : « أولى منهم رحما » .

(٤) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ . وليس فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .

٢٥٨ (حنَّتْ قَلوصى حينَ لا حِينَ مَحَنّْ)

على أنّ الشاعر أضاف حين الأول إلى الجملة ، كما تقول : حين لا رجلَ في الدار ، أى حين لا حين حنينٌ حاصل .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب حين بلا التبرئة[١] [وإضافة حين إلى الجملة[٢]] وخبر لا محذوف والتقدير حين لا حين محنٍّ لها ، أى حنّت فى غير وقت الحنين . ولو جررتَ الحين على إلغاء لا جاز . والقَلوص : النّاقة الشابّة بمنزلة الجارية من الأناسىّ . وحنينُها : صوتُها شوقا إلى أصحابها . والمعنى أنّها حنّت إليها على بُعدٍ منها ، ولا سبيل لها إليها . انتهى

وقدّر ابنُ الشجرىّ الخبر لنا ، بالنون[٣] ، والصواب ما قبله .

وجوّز أبو على (فى المسائل المنثورة) الحركات الثلاث فى حين الثانى : النصب على إعمال لا عمل إنّ ، والرفع على إعمالها عمل ليس ، والجرّ على إلغائها وإضافة حين الأوّل إلى الثانى .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) لا يقدّر للا هذه فى رواية النصب خبر ؛ فإنّه قال عند الكلام على قولهم : ألا ماء بارد : قال المازنىّ : يرفع بارد على أنه خبر ويجوز على قياس قوله ، أن يرتفع لأنه صفة ماء ويضمر الخبر . ويجوز نصبه على قوله أيضاً على أنه صفة والخبر مضمر ، ويجوز على قياس سيبويه ومن عدا المازنى ألا ماء بارد بلا تنوين ، إلاّ أنّك لا تضمر لها خبراً

---

(١) ش : « نصب حين بالتبرئة »

(٢) التكملة من الأعلم .

(٣) الذى فى أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ : « لهـــا » بالهاء لا بالنون : والدقة تقتضى عزو هذا الخطأ الى النسخة لا الى المؤلف .

لأنها مع معمولها الآن بمنزلة اللفظة الواحدة ، كقولهم : جئت بلا مال وغضبت من لا شيء ، أي بفتحهما ، فلا يلزمك إضمارُ الخبر في هذه المسألة . ومثله قوله :

* حنّت قلوصي حين لا حين محنّ *

أضاف حين إليها كما تضيفه إلى المفرد . وقد يحتمل هذا عندي أنْ يكون إضافة إلى جملة والخبر محذوف ، كما يضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، وذلك لأنّ حنّت ماض ، فحين بمعنى إذْ ، وهي مما يضاف إلى المبتدأ والخبر . فأما قوله حين لا حين فالثاني غير الأوّل ، لأنّ الحين يقع على الكبير واليسير من الزمان[1] ، قال :

* تطلّقه حيناً وحيناً تراجع[2] *

ولا زائدة ، ولا تكون غير زائدة لما في ذلك من النقض . وقالوا في قوله تعالى ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ[3] ﴾ : ستة أشهر ، فيكون على هذا حين حين من إضافة البعض إلى الكلّ نحو : حَلْقة فضّة ، وعيد السَّنة ، وسبت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق :

ولولا يومُ يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

فيومُ الأوّلُ وضح النهار ، والثاني البرهة كالتي في قوله ﴿ ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ[4] ﴾ ﴿ والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ[5] لِلَّهِ ﴾ . وأنشد أبو عمرو :

(١) ش : « يقع على الجزء اليسير من الزمان » صوابه في ط .
(٢) للنابغة في ديوانه ٥٢ وصدره :
* تناذرها الراقون من سوء سمعها *
(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .
(٤) الآية ١٦ من سورة الأنفال .
(٥) الآية ١٩ من سورة الانفطار .

حبّذا العَرْصات يَوْماً في ليـالٍ مقمِراتِ[1]

فقال يوماً في ليال ، أراد المرّة دون العاقب لليل . انتهى .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف قائلها ولا تتمة لها .

والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين ، وهو من أبيات سيبويه[2] :

٢٥٩ (ما بالُ جَهْلِكَ بعدَ الحِلْمِ والدين وقد عَلاَكَ مَشيبٌ حين لاحين)

على أنّ الأولى أنْ[3] تكون لا فيه زائدة لفظاً ومعنى .

قال سيبويه : إنما أراد حين حين ، ولا بمنزلة ما إذا ألغيت .

قال الأعلم : وإنّما أضاف الحين إلى الحين لأنّه قدر أحدهما[4] بمعنى التوقيت ، فكأنه قال : حين وقت حدوثه ووجوبه ، هذا تفسير سيبويه . ويجوز أن يكون المعنى : ما بالُ جهلك بعد الحلم والدين ، حين لا حين جهلٍ وصِبا ، فتكون لا لغواً في اللفظ دون المعنى . انتهى .

ولم يتنبّه ابن الشجرى (في أماليه) لمراد سيبويه بعد نقل عبارته ، ففهم

---

(١) فتح عين الكلمة في نحو « العرصات » واجب واسكانه ضرورة شعرية كما أسكنت من « زفرات » في قول عروة بن حزام (القالى ٣ : ١٦٠) : وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالى بزفرات العشى يدان

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩/٢ : ٢٣٠ والهمع ١ : ١٩٧ وديوان جرير ٥٨٦

(٣) في النسختين : « قد » ، ولا وجه له .

(٤) في الشنتمرى : « لأنه قد رأى أحدهما » .

أنَّ لا زائدة لفظا فقط فقال : حين الأوَّل مضاف إلى الثانى ، وفصلت لا بين الخافض والمخفوض كفصلهما فى جئت بلا شىء ، كأنه قال : حين لا حينِ لهو فيه ولعب ، أو نحو ذلك من الإضمار ، لأنّ المشيب يمنع من اللهو واللعب . هذا كلامه ، وقد أورده فى معرض الشرح لكلام سيبويه .

وقد طبّق المفصل أبو على الفارسى (فى الحجة) فى الكلام على آخر سورة الفاتحة ، قال : لافيه زائدة ، والتقدير : وقد علاك مشيبٌ حين حين ، وإنّما كانت زائدة لأنّك إن قلت : علاك مشيبٌ حيناً فقد أثبتَّ حيناً علاه فيه المشيب . فلو جعلت لا غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدّها فى قولهم : جئت بلا مال . فنفيت ما أثبت من حيث كان النفى بلا عاماً منتظماً لجميع الجنس ، فلمَّا لم يستقم حمله على النفى للتدافع العارض فى ذلك ، حكمتَ بزيادتها ، فصار التقدير : حين حين . وهذه الإضافة من باب حلقة فضة ؛ لأنَّ الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها ، يدلّ على ذلك قوله :

* تطلِّقه حيناً وحيناً تُراجع[1] *

ويقع على الزمان الطويل كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ من الدَّهر[2] ﴾ ، وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله تعالى : ﴿ تؤتى أُكلها كلَّ حينٍ[3] ﴾ ، فصار حين حين كقول الآخر[4] :

ولولا يوم يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

(١) انظر الحاشية الثانية من ص ٤٦ .
(٢) الآية الأولى من سورة الانسان .
(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .
(٤) هو الفرزدق . ديوانه ٩ وسيبويه ٢ : ٥٣ .

وليس هذا كقوله :

* حنَّت قلوصى حين لاحين مَحَنْ *

لأنَّه فى قوله لاحين محنّ ، نافٍ حيناً مخصوصاً لا ينتفى بنفيه جميعُ الأحيان ، كما كان ينتفى بالنفى العامِّ جميعها ؛ فلم يلزم أن تكون لا زائدة فى هذا البيت كما لزم لزيادتها فى حين لاحين . فهذا الحرف يدخل فى النّكرة على وجهين : أحدهما أن يكون زائداً كما مرّ فى بيت جرير ، والآخر أن يكون غير زائد . ٩٥ فإذا لم يكن زائداً كان على ضربين أحدهما : أن تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر [و] نحو غضبت من لا شىء فلا مع الاسم المنكور فى موضع جرّ بمنزلة خمسة عشر ، ولا ينبغى أن يكون من هذا الباب قوله :

* حنَّتْ قلَوصى حين لا حين محنّْ *

لأن حين هنا منصوب نصباً صحيحاً ، لإضافته ، ولا يجوز بناء المضاف مع لا كما جاز بناء المفرد معها ؛ وإنّما حين فى البيت مضافة إلى جملة كما أنها فى قوله تعالى : ﴿ حينَ لا يَكفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النار[1] ﴾ ، إلاّ أنّ الخبر محذوف وخبر لا يحذف كثيراً . ونظير هذا فى حذف الخبر من الجملة المضافِ إليها ظرفُ الزمان قولهم : كان هذا إذْ ذاك . (والآخر) أن لا تعمل فى اللفظ ويراد بها معنى النفى ، فتكون صورتها صورةَ الزيادة ومعنى النفى فيه مع هذا صحيح ، كقول النابغة :

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الأنبياء .

أمسى ببلدة لاعمٌّ ولا خالِ[١]

وقال الشَّماخ :

إذا ما أدلجت وصفَت يداها لهـا إدلاج ليلة لا هجوعِ[٢]

وقال رؤبة :

وقد عرفت حين لا اعترافِ[٣]

وبيت الكتاب[٤] .

تركتنى حين لا مالٍ أعيش به (البيت)

وهذا الوجه عكسُ ما جاء فيما أنشده أبو الحسن من قول الشاعر[٥] :

لولم تكن غَطَفان لا ذنوبَ لها إلىّ لامتْ ذَوُو أحسابِها عُمرا

ألا ترى أنّ لا فى المعنى زائدة وقد عمِلت ، وفى قوله : ليلة لاهجوع ، وبابه ، معنى النفى فيه صحيحٌ ولم تعمل . انتهى كلام أبى على .

---

(١) عجز بيت للنابغة الذبيانى من أبيات خمسة يرثى بها أخاه صحارا . وهى فى ديوانه ٩١ بيروت ١٣٤٧ وأربعة منها فى معجم البلدان (أبوى) . وصدره :

* بعد ابن عاتكة الثاوى على أبوى *

وعاتكة هى أم النابغة . وأبوى : موضع أو جبل بالشام

(٢) ديوان الشماخ ٥٨ واللسان (وصف)

(٣) ديوان رؤبة ١٠٠ برواية : « قد اعترفت » . وفى ط : « لقد عرفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) هو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين .

(٥) هو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين .

أبيات الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لجرير بن الخَطَفَى هجابها الفرزدق ، وبعده

(للغانيات وصال لستُ قاطعَه على مواعيدَ من خُلفٍ وتلوين[١]
إنّي لأرهبُ تصديقَ الوشاة بنا وأن يقول غَوِىٌّ للنوى بينى[٢]
ماذا يَهيجُكَ من دارٍ تُباكِرُها أرواحُ مُختَرَق هُوجِ الأفانين)

وجرير قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[٣] والخطاب لنفسه . وقد التزمَ الإتيانَ بالحال بعد ما بالُ ، فجملة وقد علاك مشيبٌ حال والظرف الأول متعلق بجهلك والثانى متعلق بقوله علاك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستّون بعد المائتين .

٢٦٠ (فى بئرِ لا حُورٍ سَرى وما شَعَرْ)[٤]

على أنّ (لا) فيه زائدة لفظاً ومعنى ، أوّلُ من قال بزيادتها فى هذا البيت أبو عبيدة ، وتبعه جماعة منهم ابن دريد (فى الجمهرة) قال فيها : ومن أمثالهم « حُورٌ فى مَحارة » يُضرب للرجل الذى لا يعرف وجه أمره ، وأنشد هذا البيت وقال : لا هنا لغو . ومنهم أبو منصور الأزهرىّ (فى التهذيب) إلاّ أنه قال : حُور أصله حُؤور مهموز ، فخفّفه الشاعر بحذفِ الهمزة .

---

(١) ط : « وصيل » ش : « وصل » ، وأثبت ما فى الديوان ٥٨٦ .

(٢) فى الديوان : « أو أن » .

(٣) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٤) ديوان العجاج ١٦ والخصائص ٢ : ٤٧٧ وابن يعيش ٨ : ١٣٦ ومعانى القرآن للفراء ١ : ٨

ومنهم صاحب الصحاح قال فيه : حار يحور حَوراً وحُؤوراً : رجع . يقال حار بعد ما كار ، ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر ، أى من النقصان بعد الزيادة .
٩٦ وكذلك الحُور بالضم ، وفى المثل « حُورٌ فى مَحارة » أى نقصان فى نقصان ، يضرب للرجل إذا كان أمره يُدْبِر . والحُور أيضاً : الاسم من قولك طحنت الطاحنةُ فما أحارَت شيئاً أى ما ردَّت شيئاً من الدقيق . والحُور أيضاً : الهلَكة قال الراجز :

* فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ *

ولا زائدة .

ومنهم صاحب العباب ونقل كلام الصحاح برمّته وزاد فى المثل قولهم : حُور فى مَحارة ، هذا خلاف ما روى ابنُ الأعرابى أنه بفتح الحاء ، قال ابن الأعرابىّ : يقال فلانٌ حَور فى محارة هكذا سمعته بفتح الحاء ؛ يضرب مثلاً للشىء الذى لا يصلح أو كان صالحا ففسد :

ومنهم الزمخشرى (فى تفسيره ، وفى مفصله) قال : لا فى سورة القيامة فى قوله تعالى ﴿ لا أُقْسِمُ ﴾ زائدة كما زيدت فى هذا البيت . ومنهم ابن الشجرىّ (فى أماليه) قال : ومما زيدت فيه قولُ العجّاج :

« فى بئر لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

معناه فى بئر حُورٍ أى فى بئر هلاك .

وذهب جماعةٌ إلى أنّ لا هنا نافية لا زائدة ، أوّلهم الفرّاء قال (فى آخر سورة الفاتحة من تفسيرِه) : إذا كانت غير فى معنى سوى لم يجز أن تكرَّ عليها لا ، ألا ترى أنّه لا يجوز : عندى سوى عبد الله ولا زيد . وقد قال

بعض من لا يعرف العربيّة إنّ معنى غير فى الحمد معنى سوى وإنّ لاصلة فى الكلام ، واحتجّ بقول الشاعر :

* فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شعر *

وهذا غير جائز لأن المعنى وقع على ما لا يتبيَّن فيه عمله فهو جَحدٌ محض ، وإنما يجوز أن تجعل لا صلة إذا اتّصلت بجحد قبلها[1] وأراد فى بئر لاحور ، فلا هى الصحيحة فى الجحد ، لأنه أراد فى بئر ماءٍ لا يُحير عليه شيئاً ، كأنك قلت: إلى غير رشْد توجّه وما درى ، والعرب تقول : طحنت الطاحنةُ فما أحارت شيئاً ، أى لم يتبيَّن لها أثرُ عمل . انتهى

وتبعه ابن الأعرابى فى نوادره .

ومنهم ابن جنّى قال (فى الخصائص) قال ابن الأَعرابى فى قوله :

* فى بئرِ لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

أراد حؤور . أى فى بئر لا حؤور ولا رجوع ، قال : فأسكنت الواو الأولى وحذفت لسكونها وسكون الثانية بعدها .

ورأيت (فى شرح شواهد الموشّح والمفصّل) قال صدر الأفاضل : الُحور هنا : جمع حائر ، من حار إذا هلك . ونظيره — على ماحكاه الغُورِىّ — قُتْل : جمع قاتل ، وبُزْل جمع بازل ، وقُرْح جمع قارح . ويحتمل أن يكون اسم جمع حائر ، أى هُلّك ، وقيل هى بئر سكنها الجنّ . انتهى

وهذا البيت من أرجوزة طويلة للعجّاج ، وهى نحو مائتى بيت مدح بها صاحب الشاهد

(١) بعده فى معانى القرآن : « مثل قوله :

ما كان يرضى رسول الله دينهم والطيبان أبو بكر ولا عمر » .

عُمَرَ بن عبيد الله بن معمَر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجّهه لقتال أبى فُديك الحرَورِىّ فأوقع به وبأصحابه ومطلعُها :

أرجوزة الشاهد

(قدْ جَبَرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَر وعوَّر الرحمن مَن ولَّى العوَر

فالحمد لله الذى أعطى الشَّبَر موالىَ الحقِّ أنِ المولى شَكَرْ)

إلى أن قال :

واختارَ فى الدين الحَرورىُّ البَطَرْ فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ

بإفكه حتّى رأى الصُّبْحَ جَشَرْ

الجَبْر : أن تغنىَ الرجل من فقره ، أو تصلح عَظمه من كسر ، يقال جبر العظمَ جبراً ، وجبر العظمُ بنفسه جُبوراً أى انجبر ، وقد جمعهما العجّاج . وعوَّر بفتح المهملة وتشديد الواو ، أى أفسد الله من ولاّه الفساد . والشَّبَر ، بفتح الشين المعجمة والموحّدة : الخير ، ويُروى « الحَبَر » بفتح المهملة والموحّدة ، وهو السرور . وَمَوالىَ الخير ، بفتح الميم ، يريد العبيد ، وهو مفعول ثان لأعطى ؛ وروى مُوالى بضم الميم ، فيكون من صفة الله ، ونصبه على المدح . والمولى بالفتح : العبد . والحرَورىُّ ، أراد به أبا فُديك ، بالتصغير الخارجىّ . قال فى الصحاح : وحَرَوراء : اسم قرية يمد ويقصر[1] نسبت إليها الحَرورية من الخوارج ، كان أوّل مجتمعهم بها وتحكيمهم منها . وقوله بإفكه الخ الباء سببية متعلقة بقوله سرى ، والإفك : الكذب ، مأخوذ من أفكته إذا صرفتَه . وكلُّ أمرٍ صُرِف عن وجهه فقد أُفِك . وجَشَر الصبح ، بالجيم والشين المعجمة يجشُر جشوراً إذا انفلق وأضاء ، وروى :

٩٧

(١) ضبطه ياقوت بفتح الراء الأولى ، وفى القاموس كجلولاء ، ومثله فى اللسان (حرر) حيث ضبط بالقلم بضم الراء الأولى .

* حتَّى إذا الصبحُ جَشَرْ *

وملخّص هذه القصَّة (كما فى نهاية الأرب فى فنون الأدب ، للنُّويرى) أنَّ أبا فديك وهو من الخوارج ، واسمه عبد الله بن ثَور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، غلب على البحرين فى سنة اثنتين وسبعين من الهجرة ، فبعث خالد ابن عبد الله القَسْرىّ أميرُ البصرة أخاه أميةَ بنَ عبد الله فى جُندٍ كثيف ، فهزمه أبو فُديك وأخذ جاريةً له فاتَّخذها لنفسه ، فكتب خالد إلى عبد الملك بذلك ، فأمر عبد الملك عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر أن ينذُبْ الناسَ مع أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله ، فانتدبَ عشْرةُ آلافٍ وسار بهم ، وجعل أهلَ الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله ، وأهلَ البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر — وهو ابن أخى عُمر — وجعل خيله فى القَلب ، وساروا حتى انتهوا إلى البحرَين فاصطفّوا للقتال . فحمل أبو فديك وأصحابه حملةَ رجل واحدٍ فكشفوا ميسرةَ عمر حتى أبعدوا إلاّ المغيرةَ بن المهلّب وفُرسانَ الناس فانهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة ، ثم رجع أهل الميسرة وقاتلوا واشتدّ قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الميمنة حتَّى استباحوا عسكر الخوارج وقتلوا أبا فُديك وحصروا أصحابه ، حتى نزلوا على الُحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة . ووجدوا جاريةَ أميّة بن عبد الله حُبلى من أبى فُديك وعادوا إلى البصرة ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . اه

وبما ذكرنا يطبَّق المفصِلُ ويُصابُ المحزّ .

ولمّا لم يقف شُرّاح الشواهد على ما مرّ قالوا بالتخمين ورَجموا بالظنون ، منهم بعض فضلاء العجم قال (فى شرح أبيات المفصل) وتبعه فى شرح شواهد

الموشّح : قيل يصف فاسقا أو كافرا . والمعنى على الأوّل أنّ الفاسق سرى بإفكه وأباطيله فى بئر المهلكة من المعاصى وما علم لفرط غفلته إذا صار فيها ، حتّى إذا انفلق الصبح وأضاء الحقّ وانكشف ظلمات الشبه واطلع عِلمَ معايَنَة[1] لكنْ لم ينفعه ذلك العلم . وعلى الثانى : أن الكافر سرى بإفكه وبُطلانِه فى ورطة الهلاك من كفره وما شعَر بذلك لإعراضه عن الآخرة ، حتّى إذا قامت القيامة علم أنه كان خابطاً فى ظلمات الكفر ، ولكنّه لا ينجيه من عذاب الله . هذا محصول ما قيل فيه ، ولا يبعد أن يكون هذا وصفاً لرجل جرىء خَوّاض فى المهالك سالك فى مسالك الجنّ[2] . وهذا مما تتمدَّح به العرب ، وأشعارُهم ناطقة بذلك . ومعنى قوله بإفكه ، أنه يكذِب نفسَه إذا حدَّثَها بشىء ولا يصدُقها فيه ، ويقول لها : إن الشىء الذى تطلبينه بعيد ، لتزداد جِدّاً فى طلبه ، ولا تتوانى فيه ، ولذلك قال لَبيد :

٩٨ اكْذِبِ النفسَ إذا حدّثتَها إنَّ صدقَ النفس يُزرى بالأمَلْ

والمعنى سار ليلاً هذا الرجلُ ، لجرأته وجَلادته ، فى مهاوى الهلاك أو فى المواضع الخالية التى يسكنها الجنّ ، حتَّى أضاء الصبح وما شعَر به ذلك[3] الذى ألقى بيده فى المهالك وهو غافل عن ذلك لعدم مبالاته . وهذا المعنى أشبه بمذهب العرب . هذا كلامه .

وترجمة العجّاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[4] .

(١) ش : « على معانيه » .
(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته « فى مساكن الجن » .
(٣) ط : « وما شعر بذلك » ، وأثبت ما فى ش .
(٤) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٢٦١ (لا هَيْثَمَ الليلةَ للمَطِىّ)

على أن (لا) النافية للجنس لا تدخل على العلَم ، وهذا مؤوّل إمّا بتقدير مضاف وهو مِثل ، وإمّا بتأويل العلم باسم الجنس . وقد بيّنهما الشارح المحقق .

وقد أوردهُ صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً[(٢)]﴾ على أنه على تقدير مثلُ ملءِ الأرض ، فحذف مثل كما حُذفت من لا هيثم الليلة .

قال الفاضل اليمنيّ : وقد اعتُرض هذا بوجهين : أحدهما التزامُ العرب تجرُّدَ الاسم المستعمَل ذلك الاستعمالَ عن الألف واللام ، ولم يجوِّزوا : قضيةٌ ولا أبا الحسن ، كما جوَّزوا ولا أبا حسن ، ولو كانت إضافة مثل منويَّة لم يحتج إلى ذلك . والثانى : إخبار العرب عن المستعمل ذلك الاستعمال بمثل ، كقول الشاعر :

تبكِّى على زيدٍ ولا زيدَ مثلُه برىءٌ من الحمَّى سليمُ الجوانحِ[(٣)]

ولو كانت إضافة مثل منويَّة لكان التقدير : ولا مثل زيد مثله ، وهو فاسد . انتهى

(أقول) : لا يضر هذا الالتزام فإنّه واردٌ على أحد الجائزين ، فإنّ أل

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٤ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ وابن يعيش ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣/٤ : ١٢٣ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٤ .

(٢) الآية ٩١ من سورة آل عمران .

(٣) لم يعرف قائله . وانظر الهمع ١ : ١٤٥ ويس ١ : ٢٣٦ .

للمح الأصل ، والغالب عدم ذكرها ، مع أنها علامة لفظيَّة للتعريف . وتعريف العَلمية وإن كان أقوى منها إلاّ أنه معنوى ، فلو وجدت مع لا لكان القبح ظاهرا .

ثم رأيت (فى تذكرة أبى حيّان) ما نصه : قال الفرّاء من قال قضية ولا أبا حسن لها لا يقول ولا أبا الحسن لها ، بالألف واللام ، لأنها [1] تمحّض التعريف فى ذا المعنى وتبطل مذهب التنكير . وقال : إنما أجزنا لا عبدَ اللهِ لك بالنصب ، لأنّه حرف مستعمل ، يقال لكلّ أحد عبد الله ، ولا نجيز لا عبد الرحمن ولا عبد الرحيم ، لأن الاستعمال لم يلزم هذين كلزومه الأولَ . وكان الكسائىُّ يقيس عبد الرحمن وعبد العزيز على عبد الله ، وما لذلك صحة اهـ .

وأما جعله بتأويل اسم الجنس فقد قال سيبويه : وقالوا قضية ولا أبا حسن لها ، قال الخليل : نجعله نكرة . فقلت : كيف يكون هذا وإنما أرادوا عليًّا عليه السلام ؟ فقال : لأنه لا يجوز لك أن تُعمل لا إلاّ فى نكرة ، فاذا جعلت أبا حسن نكرة حسُن لك أن تعمل لا ، وعلِم المخاطَب أنه قد دخل فى هؤلاء المنكورين .

و (هيثم) اسم رجل كان حسنَ الُحداء للإبل ، وقيل كان جيّد الرّعية ، والسياقُ يدلُّ للأول كما يظهر . وكذلك قال بعض شراح أبيات المفصَّل : المراد هيثم بن الأشتَر ، وكان مشهوراً بين العرب بحسن الصوت فى حدائه الإبلَ وكان أعرفَ أهلِ زمانه بالبَيداء والفلَوات وسَوق الابل . و (للمطىِّ) خبر لا وهو ظرف مستقرّ عامل فى الليلة ، وبعده :

٩٩ (ولا فتًى مثلُ ابنِ خَيْبَرىٍّ)

---

(١) ش : « لازما » ، صوابه فى ط .

قال الصاغانى (فى العباب) : ذِكر مِثل هنا يعيِّن أن يكون ماقبله بتقدير لا مثل هيثم ، وابن خيبرىّ : قال ابن الكلبىّ (فى جمهرة نسب عُذرة) : فمن بنى ضُبيس جَميل بن عبد الله بن معْمَر بن الحارث بن خَيبرىّ ابن ظَبيان اهـ.

وجميل هذا هو صاحب بُثينة المشهور ، وهو المراد بابن خيبرىّ : فيكون نسب إلى أحد أجداده . ومدحه بالفتوَّة لأنه كان شجيعاً يحمى أدبار المطىّ من الأعداءِ .

وقال بعضهم : المراد بابن خَيبرىّ علىّ رضى الله عنه، والإضافة للملابسة. وهذا لا أصل له . وقيل أراد به مَرْحَبا ، وهو الذى بارزه علىّ رضى الله عنه يوم خيبر فقتله .

وهذا الشاهد[1] من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعيَّن قائلها . وقد أورد هذين البيتين أبو عبيد فى الغريب المصنَّف مع أبيات قبلهما ، وهى :

(قد حَشَّها الليلُ بِعَصْلبىٍّ مُهاجرٍ ليس بأعرابىٍّ
أرْوعَ خرّاجٍ من الدوِّىّ عمَرَّسٍ كالمرَس الملوىّ
لا هيثمَ الليلةَ للمطىّ ولافتىً مثلُ ابن خيبرىٍّ)

قال الصاغانى (فى العباب) : العصلبىّ ، بفتح العين وسكون الصاد المهملتين : الشديد الباقى على المشى والعمل . وأنشدَ الأبياتَ عن الفراء (فى نوادره) لبعض بنى دُبير بضم الدال وفتح الموحدة مصغراً ، وهى قبيلة من بنى أسد . وقال شارح (شواهد الغريب) ابنُ السيرافىّ : يقال حشّ النار يحُشُّها حشًّا ، إذا بالغ فى إيقادها وإحمائها . وإنما يريد أنّ الابل قد رُميت برجل

(١) ط : « وهذا الثانى » ، صوابه فى ش .

عَصْلَبِيّ يُسرع سَوقها ولا يدعها تَفْتُر كما تُحَشُّ النار . وحَشّ بحاء مهملة وشين معجمة . ويروى : « قد لفّها الليل » أى الليل جعل هذا الرجل ملتفًّا بها . وإنّما نسب الفعل إلى الليل لأنّ الليل حمله على الجِدّ فى السير . وجعله مهاجراً ، والمهاجر الذى هاجر إلى الأمصار من البادية فأقام بها وصار من أهلها ، ليكون سيره أشدّ . [وخص المهاجر] لأنَّه من أهل المصر الذى يقصده ، فله بالمصر مايدعوه إلى إسراع السير ؛ ويجوز أن يكون خصّ المهاجر لأنه أعلم بالأمور من الأعرابىّ وأبصر بما يُحتاج إليه . والأروع : الحديد الفؤاد . والدّوىّ : جمع دوّيّة ، يريد أنه ذو هِداية وبَصر بقطع الفلوات والخروج منها . والعمرَّس : الشديد ، بفتح العين والميم وتشديد الراء وبالسين المهملات . والمَرَس : الحبل ، واحد الأمراس . والملوىّ: المفتول انتهى كلامه .

والدّوىّ بتشديد الواو والياء قال (فى الصحاح) : الدوّ والدوّىّ : المفازة وكذلك الدوّيّة ، لأنَّها مفازة مثلها ، فنسبت إليها ، كقولهم دهرٌ دوّار ودوّارىّ . وعُرف بهذا السياق أنّه مدحٌ لهيثم فى جَودة حُدائه المنشط للإبل فى سيرها ، وأنّه لايقوم أحدٌ مقامه ، ولا يسدّ مسدّه فى حُدائها . وظهر منه أيضاً أن المراد لا مثل هيثم ، لا تأويله باسم الجنس لشهرته فى صفة الحداء . فتأمل .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أنّ هذا الكلام تأسُّف وتحسُّر عليهما . وكأنّه فَهِم أنهما ماتا والشعر مرثِيَة فيهما . أو هما غائبان عن المطىّ فى تلك الليلة .

تتمة

قال أبو حيّان (فى تذكرته) : قال الكسائىّ فى قول العرب لا أبا حمزةَ لك : أبا حمزة نكرة ؛ ولم ينصب حمزة لأنه معرفة . لكنهم قدّروا أنه آخر الاسم المنصوب بلا فنصب الآخر ، كما تفتح اللام فى لا رجل . وقال : سمعت العرب تقول : لا أبا زيدَ لك ، ولا أبا محمدَ عندك ، فعلّة نصبهم محمداً وزيداً أنّهم جعلوا أبا محمد وأبا زيد اسماً واحداً ، وألزموا آخرَه نصبَ النكرة . انتهى . ١٠٠

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س [1] :

٢٦٢ (أرى الحاجاتِ عندَ أبى خُبيبٍ
نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ فى البلادِ)

على أن التقدير إمّا : ولا أمثال أمية فى البلاد ، وإمّا : ولا أجواد فى البلاد ، لأنّ بنى أُميَّة قد اشتهروا بالجود . فأوّلَ العلَمَ باسم الجنس لشهرته بصفة الجود .

وهذا البيت من أبيات لعبد الله بن الزّبير الأسدىّ ، قالها فى عبد الله ابن الزّبير بن العوّام وكان شديد البخل، قال الحصرىّ فى (زهر الآداب) قال صاحب الشاهد

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ وابن يعيش ٢ : ١٠٢ وشذوز الذهب ٢١٠ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٤ والأغانى ١ : ٨/١٠ : ١٦٣ وزهر الآداب ٤٧٤ .

أبو عبيدة : وفد عبد الله بن الزَّبير الأسدى على عبد الله بن الزُّبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، انَّ بينى وبينك رَحِماً من قبل فلانة الكاهلية وهى عمَّتنا وقد ولدتكم[١]. فقال ابن الزُّبير : هذا كما وصفت ، وإن فكرت[٢] فى هذا وجدت الناس كلهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أمّ واحدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ نفقتى قد ذهبت . قال : ما كنتُ ضمنتُ لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم. قال: يا أمير المؤمنين إنّ ناقتى قد نقِبت ودَبِرت . قال: أنجِدْ بها يَبرُدْ خفُّها ، وارقَعها بسِبتٍ واخصفها بِهُلْب ، وسِرْ عليها البَرْدَين تصحَّ. قال : إنما جئتك مستحملا ولم آتك مستوصفاً ، فلعن الله ناقة حملتنى إليك ! قال ابن الزُّبير : إنَّ وراكبها . فخرج وهو يقول :

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبيب ... نَكِدن ولا أمية فى البلاد

من الأعياص أو من آل حرب ... أغرُّ كغُرَّة الفرس الجواد

ومالى حين أقطع ذاتَ عِرق ... إلى ابن الكاهلية من معاد[٣]

وقلتُ لصحبتى : أدنُوا ركابى ... أُفارقْ بطن مكَّة فى سواد[٤]

فبلغ شعرهُ هذا عبدَ الله بن الزُّبير فقال : لو علم أنَّ لى أمًّا أخسَّ[٥]

---

(١) فى زهر الآداب : « هى أختنا وقد ولدتكم ، وأنا ابن فلانة ففلانة عمتى » .

(٢) ط : « نكرت » ، صوابه فى ش وزهر الآداب وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٨٣ .

(٣) زهر الآداب : « من مفاد » ، تحريف .

(٤) فى النسختين : « عن سواد » صوابه فى زهر الآداب وتاريخ الخلفاء وما يقتضيه الشرح التالى .

(٥) زهر الآداب : « أحسن » وما هنا صوابه . وفى الأغانى ١ : ٨ : « علم أنها شر أمهاتى فعيرنى بها وهى خير عماته » .

من عمته الكاهلية لنسبنى إليها . وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب .

قال الصُّولى[١] : أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب[٢] كان عنده مكيناً ، وبه ضَنِيناً ، فقال:

قالوا جزعت فقلت إنَّ مصيبة [جلَّت] رزيَّتُها وضاق المذهب[٣]

قال أبو بكر الصولى : هكذا[٤] أنشدنيه ابن المعتز على أنَّ إنّ بمعنى نعم؛ وأنشد النحويون :

قالوا كبرتَ فقلتُ إنّ ، وربما ذَكر الكبيرُ شبابَه فتطرَّبا

انتهى كلام الحُصْرى .

وكذا نقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء . وهذه الحكاية عن تاريخ ابن عساكر من طريق أبى عبيدة .

وقوله : إنّ ناقتى قد نقبت ، فى الصحاح : ونقِب البعير بالكسر : إذا رقَّت أخفافه . ودِبر البعير بالكسر وأدبره القَتَبُ ، إذا جرحه ، وهى الدَّبَرَة بفتحات . وأنجدَ ، إذا أخذ فى بلاد نجد . وهو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَوْر وتِهامة.وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . ونجد موصوف بالبرد . والسِّبت بكسر السين وسكون الموحدة : جلود البقر المدبوغة بالقرَظ تُحذى منه النعال السِّبْتِيَّة . والهُلب ، بضم الهاء : شَعر الخنزير الذى يُخرز به ، الواحد هُلْبة ، وكذلك ماغلظ مِن شعر الذنب وغيره . والبَرْدان :

١٠١

(١) عن زهر الآداب أيضا ٤٧٥ .

(٢) فى زهر الآداب : « أشهب أحم » .

(٣) جلت ، ساقطة من النسختين . واثباتها من زهر الآداب .

(٤) فى النسختين : « هذا » ، وأثبت ما فى زهر الآداب .

العصران ، وكذلك الأبردان وهما الغداة والعشى ؛ ويقال ظلاّهما . ومستحمِلا أى طالباً أن تحملنى على دابة .

وأبو خبيب ، بضم الخاء المعجمة وفتح الموحّدة الأولى كنية عبد الله ابن الزُبير كنى بأكبر أولاده ؛ قال الثعالبي (فى لطائف المعارف) كان له ثلاث كُنَى : أبو خبيب ، وأبو بكر ، وأبو عبد الرحمن ، وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب .

ونكِدن من نكِد نكَداً من باب تعب ، فهو نكِد ، إذا تعسّر . ونكِد العيشُ نكَداً ، إذا اشتدّ . وأميّة : أبو قبيلة من قريش ، وهما أميَّتان : الأكبر والأصغر ، ابنا عبد شمس بن عبد مناف أولاد عَلّة ؛ فمن أميّة الكبرى أبو سفيان بن حرب ، والعنابسُ ، والأعياص . وأميّة الصغرى هم ثلاثة إخوةٍ لأمٍّ اسمها عَبلة يقال لهم العَبَلات بالتحريك . والأعياص بإهمال الأوّل والآخر ، هم من قريش أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر ؛ وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعِيص ، وأبو العيص . وذات عرق ، بالكسر : ميقات أهل العراق ، وهو من مكة نحو مرحلتين ؛ ويقال هو من نجد الحجاز . والصُّحبة أراد به الأصحاب ، وهو فى الأصل مصدر . وأدنُوا بفتح الهمزة : أمر مسند لجماعة الذكور ، من الإدناء . وركابى : إبلى . وأفارقْ مجزوم فى جواب الأمر .

وعبد الله بن الزَّبير بفتح الزاى وكسر الموحدة ، قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

---

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه الرابع والعشرين بعد المائة . انظر الخزانة ٢ : ٢٦٤ .

وروى الأصبهانى فى الأغانى[١] هذه الأبياتَ لعبد الله بن فَضالة بن شريك بن سليمان بن خُوَيلِد ، وأنهى نسبه إلى أسد بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر . قال : وعبد الله بن فَضالة هو الوافد على ابن الزُّبير ، والقائل له : إنّ ناقتى قد نَقِبت . وذكر القصة بعينها ، إلى قوله فقال له ابن الزُّبير : إنَّ وراكبَها . فانصرف وهو يقول :

أقول لِغلمتى شُدُّوا ركابى ... أجاوزْ بطن مَرٍّ فى سواد

فمالى حين أقطعُ ذاتَ عِرق ... إلى ابن الكاهلية من مَعاد

سيُبعِد بيننا نصُّ المطايا ... وتعليقُ الأداوى والمزادِ

وكلُّ معبَّد قد أعلمته ... مناسمُهُنَّ ، طلّاعَ النِّجاد

أرى الحاجات عند أبى خبيب ... . (البيتين)

ثم قال الأصبهانى : وذكر ابن حبيب أنَّ هذا الشعر لأبيه فَضالة مع ابن الزُّبير ، وزاد فيها :

شكوت إليه أنْ نقِبت قَلوصى ... فردَّ جوابَ مشدودِ الصِّفادِ

يضنُّ[٢] بناقة ويروم مُلكا ... محالٌ ذاكمُ غيرُ السداد

وَليتَ إمارةً وبخلت لمّا ... وليتَهم بملك مستفاد

فإن وَليتْ أميّةُ أبدلوكم ... بكلِّ سَمَيدَعٍ وارى الزناد

من الأعياص أو من آل حرب ... أغرَّ كغرّة الفرس الجواد

إذا لم ألقهم بمِنًى فإنى ... بجوٍّ لا يهَشّ له فؤادى[٣]

١٠٢

(١) الأغانى ١٠ : ١٦٢ .

(٢) ش : « فضن » . وما فى ط يطابق الأغانى ١٠ : ١٦٥ .

(٣) فى النسختين : « اذا لم ألقهم عنى » ، والتصحيح للشنقيطى مطابق لما فى الأغانى ١٠ : ١٦٥ .

سيدنيني لهم نصُّ المطايا وتعليقُ الأداوَى والمزادِ
وظهرُ معبَّد قد أعلمته مناسمُهُنّ طُلّاعَ النجادِ

مع أبيات ثلاثة أخر . قال ابن حبيب : فلما ولىَ عبدُ الملك بعث إلى فضالة يطلُبه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمِّل أوقارها بُرًّا وتمراً. قال : والكاهلية التى ذكرها هى بنت جبيرة من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزىّ . هذا ما أورده الأصبهانى .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أنّ الكاهليّة هى أم عبد الله بن الزُّبير ، وهذا لا أصل له . وزعم أيضاً أن ابن الزَّبِير صاحب هذه الأبيات اسمه عبد الله بن فضالة ، ونقله عن صدر الأفاضل .

وقوله : أقول لِغلمتى ، هو بكسر المعجمة : جمع غُلام . وبطن مَرّ ، بفتح الميم : موضع بقرب مكة شرَّفها الله . وقوله : فى سواد ، أى فى ظلام الليل . ونصُّ المطايا : مصدر مضاف إلى مفعوله ، من نَصصت الدابّةَ : استحثثتها واستخرجتُ ما عندها من السَّير . والأداوَى بفتح الواو : جمع إداوة بالكسر ، وهى المِطْهرة . والمزاد ، بالفتح : جمع مزادة ، وهى شَطر الراوية ، والقياس كسر الميم لأنَّها آلة يستقى فيها ، وهى مَفْعَلة من الزاد لأنّه يتزوَّد فيها الماء . والطريق المعبَّد ، من التعبيد ، وهو التذليل . والمناسم : جمع مَنسِم كمجلس : طرَف خفّ الإبل . وطُلّاع حال من ضمير المطايا جمع طالعة . والنِّجاد ، بكسر النون بعدها جيم : جمع نَجد ، ككاب وكلاب ، وهو ما ارتفع من الأرض . والصِّفاد بكسر الصاد : ما يوثَق به الأسير من قِدّ وقَيد وغُلّ ، أى أجابنى بجوابِ عاجز مقيَّد لا يقدر على شىء . والسَّميدع ، بفتح السين : السيّد الذى يَسهُل الوصول إليه . وجوّ ، بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم موضع .

الأسفل ، والرداء : ما يستر النصف الأعلى . قال الأعلم : مدح مرْوانَ ابنَ الحكَمِ وابنَه عبدَ الملك بن مروان ، وجعلهما لشهرة مجدهما كاللابسين له المرتدَيين به ، وجعل الخبر عن أحدهما وهو يعنيهما اختصاراً ، لعلم السامع اهـ .

ولقد كذب الشاعر في هذا المدح فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق مروان : « الوزَغ بن الوزَغ[1] » .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . وقال ابن هشام (فى شواهده) : إنّه لرجل من عبد مَناة بن كنانة ، والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٦٤ (ألاَ طعانَ إلا فرسانَ عادِيةٍ إلاّ تجشّؤَكم حولَ التنانيرِ)

على أن (لا) إذا تقدّمها همزة الاستفهام تعمل كعملها مجردةً منها .

قال سيبويه : واعلم أنّ لا فى الاستفهام تعمل فيما بعدها كما تعمل فيه إذا كانت فى الخبر ، فمن ذلك قوله : ألا طعان . . . البيت .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ألا تأتى للتوبيخ والإنكار كقوله :

ألا طعانَ ألا فرسان . . . . البيت

---

(١) ش : « بن الوزغة » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٢ والهمع ١ : ١٤٧ ١ : ٢/١٣٩ : ٤٠٩ والعينى ٢ : ٣٦٢ والاشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان حسان ٢١٥ .

وللتمني كقوله :

ألا عُمْرَ وَلَّى مُسْتَطَاعٌ رجوعُه فيرأَبَ ما أَثْأَتْ يَدُ الغفلاتِ

ولهذا نصب يرأب لأنّه جواب تمنٍّ مقرون بالفاء . وللاستفهام عن النفي كقوله :

* ألا اصطبارَ لسلمى أم لها جَلدُ[1] *

وفي هذا البيت ردٌّ على من أنكر وجودَ هذا القسم وهو الشلَوبين . وهذه الأقسام الثلاثة مختصَّة بالدخول على الجملة الاسميَّة وتعمل عمل لا التبرئة ، ولكن تختصّ التي للتمنّي بأنّها لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، وبأنّها لا يجوز مراعاة محلّها مع اسمها ، وبأنّها لا يجوز إلغاؤها ولو تكررت . أمّا الأوّل فلأنّها بمعنى أتمنّى ، وأتمنّى لا خبر له ، وأمّا الأخيران فلأنهما بمنزلة ليت . وهذا كلّه قول سيبويه ومن وافقه . ا هـ باختصار .

١٠٤

وزعم الزجاجيّ (في الجُمَل) أنّ ألاَ في هذا البيت للتمنّي . وليس كذلك ، لأنّ البيت من الهجو ، ولو كان تمنّياً لما كان ذمّاً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لحسّان بن ثابت الصحابي رضي الله عنه ، هجا بها بني الحارث بن كعب المذحجيّ ، جعلهم أهلَ أكل وشرب ، لا أهل غارة وحرب ، يقول : لا خيلَ تعدُون بها على الأقران ، ولا طعانَ لكم في نحور الشجعان ، إلاّ الأكل والجُشاء عند التنانير ، فليس لكم رغبةٌ في طلب المعالي ، وإنما فعلُكم فعلُ البهائم . كما قال الآخر[2] :

---

(١) للمجنون ، كما في شرح شواهد المغني للسيوطي ١٥/والعيني ٣٥٨ وديوانه ٢٢٨ . وعجزه : اذا ألاقي الذى لاقاه أمثالي

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان. سيبويه ١ : ٤٧٥ والهمع ٢ : ٣ .

إنّي رأيت من المكارم حسبُكم أن تلبسوا خُزَّ الثياب وتشبعوا
فإذا تُذوكرت المكارم مَرَّة في مجلس أنتم به فتقنّعوا

وزعم اللخميّ (في [شرح[1]] أبيات الجمل) أنّ الاستفهام هنا للتقرير، قال: قرَّرَهم على ما علم من أمرهم. فيكون المقرر النفي وما بعده.

و (طِعان): مصدر طاعن بالرُّمح. و (الفُرسان): جمع فارس. و (عادية) بالمهملة والنصب: صفة لفرسان، وقيل حال منه، والخبر محذوف أي لكم، وهو مِن عدا عليه بمعنى اعتدى، والمصدر العُدوان. والعرب تتمدَّح به باعتبار ما يلزمه من الشجاعة. وقيل: هو من العَدْو أي الجرى، وقيل هو بالمعجمة من الغدوّ، وهو التبكير، لأنّ العرب تبكر للغارة والحرب. قال النحاس: وعند أبي الحسن الأوّل هو الأحسن، لأنَّ العادية تكون بالغداة وغيرها. وروى بالرفع على الروايتين على أنّه صفة لفرسان على الموضع، وقيل خبر. وقوله: إلا تجشؤكم بالنصب على الاستثناء المنقطع، قيل: ويجوز رفعه على البدل من موضع ألا طعان على لغة تميم. قال النحاس: هذا غلط والصواب عند أبي الحسن النصب. والتجشؤ: خروج نَفَسٍ من الفم ينشأ من امتلاء المعدة، يقال تجشّأ تجشُّؤاً وتَجشئَةً مهموز. والاسم الُجشَاء بضم الجيم وفتح الشين. قال الأصمعيّ: ويقال الُجشاء على فُعال، كأنّه من باب العطاس والسعال. قال اللخميّ: وروى «إلا تَحَشّؤُكم» بالحاء المهملة، مأخوذ من الُحْشَأ، وهو الكساء الغليظ الذى يُشتَمَل به، فمعناه على هذا: إنكم تشبعون وتلتفُّون في الأكسية، وتنامون عند التنانير. انتهى. والِحشأ على

(١) التكملة للشنقيطى في نسخته.

وزن مِفْعَل[1] والجمع المحاشىء بالهمز على وزن مفاعل . و (التنانير) : جمع تَنُّور وهو ما يُخبز فيه .

والأبيات هذه برُمّتها[2] :

أبيات الشاهد (حارِ بن كعب ألا أحلامَ تَزْجُرُكم عنّا ، وأنتم من الجُوف الجماخيرِ
لا عيبَ بالقوم من طول ولا عظمٍ جسمُ البغال وأحلامُ العصافيرِ
كأنّهم قَصب جُوفٌ مكاسره مثقَّب فيه أرواح الأعاصير
دَعُوا التخاجؤ وامشُوا مِشيةً سُجُحا إنّ الرجال أولو عَصْبٍ وتذكيرِ
لاينفعُ الطُّول من نُوك القلوب ، ولا يَهدى الإلهُ سبيلَ المعشر البُور
إنّى سأنصر عِرضى من سَراتكم إنَّ الحماسَ نَسِيٌّ غيرُ مذكور
ألفى أباه وألفى جدَّه حُبِسا بمعزِلٍ عن معالى المجد والخيرِ
١٠٥ ألا طِعانَ ألا فرسان عادية . . . . البيت)

كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد وغيره ، من رواية محمد بن حبيب لديوان حسان .

وقوله : حار بن كعب ، هو مرخّم حارث ، وبه استشهد الزجاجى (فى جُمَله) . والأحلام : العقول ، جمع حِلم بالكسر . والجُوف ، بضم الجيم : جمع أجوف ، وهو الخالى الجوف . والجماخير : جمع جُمخُور ، بضم الجيم والخاء المعجمة بينهما ميم ساكنة ، وهو العظيم الجسم الخوّار . وقوله : لا عيب

(١) ش : « مفعال » وهى صحيحة أيضا فى اللغة ، ولكنها لا تستقيم مع جمعها مفاعل التالى .

(٢) كتب الميمنى : الأبيات مع خبرها فى تهاجى النجاشى وعبد الرحمن فى الموفقيات Z. D. M. G. V 54 P. 427-428 ، والديوان ليدن ص ٤٨ ، والحواشى (٧٧) . وفيها : « ألا الأحلام » .

بالقوم، روى أيضاً : « لا بأس بالقوم » . يريد أنّ أجسامهم لا تُعاب ، هى طويلة عظيمة ولكنّها كأجسام البغال لا عقولَ لها . هكذا رواه الناس ؛ ورواه الزمخشرىّ : « جسم الجمال وأحلام الخ » عند قوله تعالى : ﴿ حتّى يَلِجَ الجمل فى سَمِّ الخياط[١] ﴾ على أنّ الجمل مَثَلٌ فى عظم الجرم ، وهذا مثلُ قول بعضهم[٢] :

وقد عظُم البعير بغير لُبٍّ فلم يستغن بالعظم البعيرُ

وقال آخر :

فأحلامُهم حِلْم العصافير دِقَّةً وأجسامهم جسمُ الجمائل أو أجفى

وهذان البيتان أوردها سيبويه على رفع الجسم والأحلام على إضمار مبتدإ لِما أراد من تفسير أحوالهم، دون القصد إلى الذم . والتقدير أجسامهم أجسام البغال ، وأحلامهم أحلام العصافير : عِظماً وحقارة . ويجوز أن يريد لا أحلام لهم ، كما أنَّ العصفور لا حِلم له ؛ ولو قصد به الذمّ فنصبه بإضمار فعل لجاز .

قال ابن خلف : ذكر سيبويه هذا الشعر بعد أبياتٍ أنشدها وذكر فيها أسماء قد نصبت على طريق الشتم والتحقير ، ورفَع قوله جسم البغال وأحلام العصافير . وقوله : ولم يرد أن يجعله شتما ، يريد أنّه لم يجعله شتماً من طريق اللفظ ، إنّما هو شتمٌ من طريق المعنى ، وهو أغلظ من كثير من الشتم . وأفرد الجسم وهو يريد الجمع ضرورة ، كقوله[٣] :

* فى حَلْقكم عظمٌ وقد شَجِينا *

---

(١) الاية ٤٠ من سورة الأعراف .
(٢) هو العباس بن مرداس . الحماسة ١١٥٥ بشرح المرزوقى .
(٣) هو المسيب بن زيدمناة الغنوى ، كما ذكره الأعلم ١ : ١٠٧ .

وقوله : كأنهم قصب الخ ، هو جمع قصبة ، والجوف جمعٌ كما مرّ . ومكاسره مبتدأ جمع مَكسِر أى محلّ الكسر ، ومثقّب خبره ، والأرواح : جمع ريح . والتخاجُؤ ، بعد المثناة الفوقية خاء معجمة وبعدها جيم بعدها همزة ، هو مشى فيه تبختر . والمِشيَةُ السُجُح ، بضمّ السين المهملة والجيم بعدها حاء مهملة : السَّهلة الحسنة . وأولو عَصْب : أصحاب شِدَّة خَلق ، يقال رجل معصوب الخلق . والنُّوك ، بضم النون : الحماقة . والبُور : جمع بائر ، وهو الهالك . والحِماس بكسر الحاء المهملة ، من بنى الحارث بن كعب . والنِسىُّ : المنسىّ الخامل الذكر . وقوله . حُبِسا بالبناء للمفعول ، من الحبس . والمجد : الشرف . والخِير بكسر المعجمة : الكرم .

وسبب هجو حسّان بنى الحارث أنَّ النّجاشى هجا بنى النَّجّار من الأنصار بشعرٍ يقول فيه :

لستم بنى النجار أكْفاء مثلنا فأبعد بكم عَمًّا هنالك أبعد[1]
فإن شئتمُ نافرتُكم عن أبيكمُ إلى من أردتم من تِهامٍ ومُنجِدِ

قال السكرىّ (فى ديوان حسّان) : ذكروا أنّ الأنصار اجتمعوا فى مجلسٍ فتذاكروا هجاء النجاشىّ إيّاهم فقالوا : مَنْ له ؟ فقال الحارث بن مُعاذ بن عفراء : حسّانُ له . فأعظم ذلك القومُ فتوجّهَ نحوه — والقوم كلُّهم مُعْظِمٌ لذلك — فلما دخل عليه كلّمه فقال : أين أنتم عن ابنى عبد الرحمن ! قال : إيّاك أردنا ، قد قاوله عبدُ الرحمن فلم يصنع شيئا . فوثب وقال : كنْ وراء ١٠٦

(١) الميمنى : الأبيات ستة فى الموفقيات ، وفيه : « فلستم » من غير خرم و « فأبعدكم عما هنالك » . وأقول : فى ش : « فأبعد بكم هنالك » ، وفى ط : « فأبعدكم هنالك » ، فلعل الوجه ما أثبت .

الباب واحفظْ ما أُلقِي . فضربتْه [زافرة[1]] البابِ فشجَّته على حاجبه ، فقال : بسم الله ؛ ثم قال : اللهم اخلُف فيَّ رسولَك اليوم صلى الله عليه وسلم ! قال الحارث : فعرَفت حين قالها ليَغلبنَّه . فدخل وهو يقول :

أبنى الحِماس أليس منكم ماجدٌ إن المروءة فى الحِماس قليلُ
يا ويلَ أُمِّكُمُ وويلَ أبيكمُ ويلاً تردَّدَ فيكمُ وعويلُ

إلى أن قال :

فاللؤم حلَّ على الحِماس فما لهمْ كهلٌ يسودُ ولا فتًى بُهْلولُ

ثم مكثَ طويلا فى الباب يقول : والله ما بلغتُ ما أريد . ثم ألقَى علىَّ :

حارِ بنَ كعبٍ ألا أحلام تزجركم . . . الأبيات التى تقدمت .

ثم قال للحارث : اكتبْها صُكوكا فألقِها إلى غِلمان الكُتَّاب ، قال الحارث : ففعلت ، فما مرَّ بنا بضع وخمسون [ليلةً[2]] حتى طرقت بنو عبد المدان حسان بالنجاشىِّ موثَقا ، فقال حسّان لبنته : نادِى بأبياتِ أُطُمِ حسَّان ليأتيَك قومُك فيحضروا . فلم يبق أحدٌ إلاَّ جاء ومعه السلاح . فلما اجتمع الناسُ وُضِع له منبر ونزل وفى يده مِخصرة ، فقام عبد الله بن [عبد[3]] المدان فقال : يا ابن الفُرَيعة ، جئناك بابن أخيك فاحكمْ فيه برأيك ، فأُتى بالنجاشى فأُجلسَ بين يديه واعتذر القومُ ، فقال حسَّان لابنته : هاتى البقيَّة

(١) التكملة من ديوان حسان طبع ليدن ١٩١٠ ص ٧٦ من الشرح . وزافرة الباب : مقدمه وأنفه . وانظر شرح البرقوقى لديوان حسان ٣٥٧ .

(٢) التكملة من شرح الديوان ص ٧٧ .

(٣) التكملة من شرح الديوان ٧٧ . والمدان ، كسحاب : صنم لهم .

التى بقيت من جائزة معاوية . فأتته بمائة دينار إلاَّ دينارين ، فقال : دونكَ هذه يا ابن أخى . وحمله على بغلةٍ لعبد الرحمن ، فقال له ابن الديَّان[1] : كنّا نفتخر على الناس بالعظم والطُّول فأفسدته علينا . قال : كلاّ ، أليس أنا الذى أقول :

وقد كنّا نقول إذا رأينا لذى جِسمٍ يُعدُّ وذى بيان
كأنَّك أيُّها المعطَى بياناً وجسماً من بنى عبد المَدان

انتهى ما أورده السكّرىّ .

وعبد المَدان هو ابن الديّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة ابن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة (بضم المهملة وخفة اللام) ابن جَلْد (بفتح الجيم وسكون اللام) ابن مالك بن أُدد .

وبنو الديّان ساداتُ بنى الحارث بن كعب . وكان بنو الحارث إحدى جَمَرات العرب .

وترجمة حسان بن ثابت تقدمت فى الشاهد الحادى والثلاثين[2] .

النجاشى الشاعر

والنجاشى اسمه قيس بن عمرو ، من رهط الحارث بن كعب ، وكان فيما رُوى ضعيفَ الدين : ذُكر أنه شرب الخمر فى رمضان ، وثبتَ عند علىٍّ عليه السلام فجلده مائةَ سوط ، فلما رآه قد زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ! فقال علىٌّ رضى الله عنه : لجراءتك على الله فى رمضان .

قال ابن هشام اللخمىّ (فى شرح أبيات الجمل) : روى أنه لما هاجى

---

(١) هو عبد الله بن عبد المدان بن الديان ، كما سيأتى .
(٢) الخزانة ١ : ٢٢٧ .

ناقص من الأصل

المصدر



عمّة بنتها فرساً صعبة ، فلما لحق بالقوم قال عمرو بن مالك : أعلِمونا مَن أنتم ؟ قالوا : قريش . قالوا : وأيُّهم ؟ قالوا : بنو العَرِقة . قالوا : فهل كان منّا حدث[1] ؟ قالوا : لا . إلاّ يوم البرق . فقال لهم : احبسوا العِنَب ، احبسوا العنب ، احبسوا اللِّقْحة : لِقْحة من لا يغدر[2] ! فقال لهم عمرو : لا واللهِ لا ترضع منها قادماً ولا آخراً ! قال : إنّا لا نرضع الإبل ولكن نحتلبُها . وحمل عليه فقتله ، وحمل أُسيدُ بن مالك على أُسيد بن العَرِقة فقتله ، فقال فى ذلك :

إنى كذاك أضرب الكَمِىّْ ولم يكن يشقى بِىَ السمِىّْ

فذلك يوم العنب . وقال خداش بن زهير فى ذلك :

١٠٨

نكُبُّ الكُماة لأذقانها إذا كان يومٌ طويلُ الذنَبْ
كذاك الزمانُ وتصريفُه وتلك فوارسُ يومِ العِنَبْ

ثم وقع بينهم بعد ذلك التغاور والقتال ، فقال فى ذلك خداش بن زهير القصيدةَ التى منها :

ألا طعان ألا فرسان عادية (البيت)

وخداش بن زهير شاعر جاهلىّ ، وقيل مخضرم كما يأتى فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة .

* * *

(١) فى الفرحة : « منا من حدث » .

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته : « يعذر » .

وأنشده بعده، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائتين[1] :

٢٦٥ (ألاَ سبيلَ إلى خَمرٍ فأشْربَهَا
أمْ لا سبيلَ إلى نَصرِ بنِ حَجَّاجِ)

على أنّ (ألا) فيه للتمني . ولهذا سمِّيت قائلة هـذا البيت المتمنّية ، وضُرب بها المثل فقيل : « أصبُّ من المتمنّية » ، وضُرِب به المثل أيضاً فقيل « أدنَفُ من المتمنَّى » كما يجيء شرحه .

قال ابن برّى (فى شرح أبيات الإيضاح ، للفارسى) : قبله :

(ياليتَ شِعرىَ عن نفسى أزاهقةٌ مِنّى ولم أقض ما فيها من الحاج)

وأنشده الفارسىّ على أن خبر ليت محذوف . قال ابن برّى : والبيت لفُريعة بنت همّام ، وتعرف بالذلفاء وهى أمُّ الحجاج . انتهى .

وقال حمزة الأصبهانى (فى الدرّة الفاخرة) : وأما قولهم أصبُّ من المتمنّية فإنَّ هذا المثل من أمثال أهل المدينة سار فى صدر الإسلام . والمتمنّية : امرأة مدنية عشقت فتًى من بنى سُليم يقال له نصر بن الحجاج بن عِلاط ، وكان أحسن أهلِ زمانه صورةً ، فضنِيت من أجله ودنِفت من الوجد به ، ثم لِهجت بذكره حتّى صار ذكره هِجّيراها ، فقال أحمد بن أعثم (فى الفتوح) : كان السبب فى ذلك : أنَّ امرأة من أهل المدينة يقال لها الذَّلفاء هويتْ نصر بن الحجَّاج ، فأرسلت إليه ودعتْه إلى نفسها ، فزجرَها ولم يوافقها ، فبينا عمر

(١) انظر أيضا ابن يعيش ٧ : ٢٧ وطبقات الشافعية ١ : ٢٨ .

ذات ليلة يَعُسُّ[١] فى بعض سكك المدينة إذْ سمع نشيدَ شعرٍ من دار ، فوقف يسمع فإذا الذلفاء تقول[٢] :

ألا سبيلَ إلى خمر فأشربَها (البيت)

فلما سمع عمر الشعر أمرَ بالذلفاء فأُخرجت من منزلها فحبَسَها ، فعلمت الذلفاء أنّه قد سمعها وهى تُنشد الشعر ، فكأنها أنفت على نفسها أن يعاقبها ، فكتبت إليه :

قل للإمام الذى تُخشَى بوادرُه (الأبيات الآتية)

فلما نظر عمر فى الأبيات أطلقها من الحبس ، وأرسل إلى نصر فحلق جُمّتَه ونفاه إلى البصرة .

قال حمزة الأصبهانى : قال النسابون : هذه المتمنّية هى الفُريعة بنت همّام ، أم الحجّاج بن يوسف الثقفى ، وكانت حين عشقت نصراً تحت المغيرة بن شُعبة ، واحتجُّوا فى ذلك بحديث رووْه ، وهو أنَّ الحجاج حضر مجلس عبدالملك يوماً ، وعروةُ بن الزبير يحدِّثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعت أبا بكر يقول كذا — يعنى أخاه عبدَ الله بن الزبير — فقال له الحجاج : عند أمير المؤمنين تُكنّى أخاك المنافقَ ، لا أُمَّ لك ! فقال له عُروة : يا ابن المتمنِّية ، أَلِىَ تقول لا أُمّ لك ، وأنا ابن إحدى عجائز الجنة : صفية ، وخديجة وأسماء ، وعائشة !

---

(١) بدلها فى ش : « مطل » .
(٢) الميمنى : « الخبر فى المصارع ٤٠٥ ومحاسن الجاحظ ٢٢٠ والبلوى ٢ : ٥١٣ » .

كذا قال ابن الأثير (فى المرصّع) : ابن المتمنّية هو الحجّاج بن يوسف الثقفى ، من قول أمّه :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فاشربها . . . . البيت

وقد ذكر خبرَها مع نصرٍ جماعة منهم الجاحظ (فى كتاب المحاسن والمساوى[1] ، وأبو القاسم الزجّاجى (فى أماليه الوسطى) ، وأبو الحسن على ابن محمد المدائنى (فى كتاب المغرّبين) ، وحمزة الأصبهانى (فى أمثاله) ، والسُّهيلى (فى الروض الأنف) ، وإسماعيل بن هبة الله الموصلى (فى كتاب غاية السائل[2] ، إلى معرفة الأوائل) وقد جمعت بين ما اتّفقوا عليه وبين ما انفردوا به . قالوا :

أوّل من عَسَّ بالليل فى الإسلام عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، فبينا يعسُّ ليلةً سمع امرأةً تقول :

ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشربَها أم لا سبيل إلى نصر بن حجّاجِ
إلى فتىً ماجدِ الأخلاق ذى كرم سهلِ المحيّا كريمٍ غير لجماج[3]

كذا رواها الجاحظ . وروى المدائنى البيت الثانى مع بيتين آخرين لرجل من ولد الحجّاج بن علاط وهما :

تَنْميه أعراقُ صدقٍ حين تنسُبُه ذى نَجَدات عن المكروب فرّاجِ

---

(١) هو المعروف بكتاب « المحاسن والأضداد » . وهو غير المحاسن والمساوى للبيهقى .

(٢) فى ش : « الوسائل » . ولم يذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) طبقات الشافعية : «غير ملجاج » . وقد روى هذين البيتين وما بعدهما منسوبين الى تلك المرأة .

سامى النواظر مِنْ بَهزٍ له كَرَمٌ   تُضىء سُنَّتُهُ فى الحالك الداجى[1]

وروى صاحبُ الأوائل البيتَ الأوَّل :

إلى فتى ماجدِ الأعراق مُقتبَل   تضىء صورتُه فى الحالك الداجى
نعمَ الفتى فى سواد الليل نُصرته   ليائسٍ أو لملهوفٍ ومُحْتاجِ

وزاد المدائنى :

يا مُنيةً لم أُرَبْ فيها بضائرةٍ   والناسُ من صادق فيها ومن داجى[2]

ثم قال : وقال قومٌ : هذا الشعر مصنوع إلاّ البيت الأول .

فقال عمر : من هذه المتمنّية ؟ فلزمها هذا الاسم ، واستلبتْه نساء المدينة فضربنَ به المثل[3] وقلن : « أصَبُّ من المتمنِّية » .

وقال الزجّاجى : لما أنشدَت :

ألاَ سبيل إلى خمر فأشربها   . . . . البيت

قالت لها امرأةٌ معها : مَنْ نصرُ بن حجّاج ؟ قالت : رجلٌ وددتُ أنّه معى فى ليلةٍ من ليالى الخريف فى أطول ليلةٍ من ليالى الشتاء وليس معنا أحد ! فدعا بها عمرُ فضربها بالدِّرَّة ضرَبَاتٍ ، ثم سأل عنها فلم يُخبَر عنها إلاّ بخير ؛

---

(١) بهز : حى من بنى سليم بن منصور بن عكرمة ، منهم الحجاج بن علاط الصحابى . جمهرة ابن حزم ٢٦٢ .

(٢) فى النسختين : « من راج » ، صوابه بالدال ، كما فى الطبقات . والداجى ، من المداجاة . وهى المداراة والمساترة .

(٣) ش : « بها المثل » .

فلما كان من الغد أرسل إلى نصر بن حجّاج فأحضره ، وله شَعَرة[١] فقال : إنّه ليُتَمثّل بكَ ويُغَنّى بك ! وأمر بشَعْرته فحُلقت ، ثم راح إليه بالعشيّ فرآه في الحلاق أحسنَ منه في الشَّعر ، فقال : لا تُسا كِنِّي في بلدة ، فاختر أيَّ البُلدان شئت ! فكتبت المرأة إلى عمر :

قل للإمام الذي تُخشى بوادرُه ... مالي وللخمر أو نصر بن حجّاج
إنّي عنيت أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف قاصر ساجي[٢]
لا تجعلِ الظنَّ حقًّا أو تَبَيَّنَهُ ... إنّ السبيل سبيل الخائف الراجي
إنّ الهوى زَمَّهُ التقوى فخيَّسه ... حتّى أقرّ بإلجام وإسراجِ

فبعث إليها عمر : لم يبلغنا عنكِ إلاّ خير !

وقال حمزة : فلما أصبح عمر أحضر المتمنَّى فلما رآه بهره جمالُه فقال له : أنت تتمنّاك الغانيات في خدورهن[٣] ، لا أمَّ لك ، أما والله لأزيلنّ عنك الجمال ! ثم دعا بحجّام فحلق جُمّته ، ثم تأمّله فقال : أنت محلوقاً أحسنُ ؛ فقال : وأيُّ ذنب لي في ذلك ؟ فقال : صدقتَ ، الذنبُ لي إذا تركتك في دار الهجرة[٤] . ثم أركبه جملاً وسيّره إلى البصرة وكتب به إلى مجاشع بن مسعود السُّلَميّ : بأنّي قد سيّرت المتمنَّى نصرَ بن حجّاج السُّلَميَّ إلى البصرة .

١١٠

وكما قالوا بالمدينة : أصبُّ من المتمنّية قالوا بالبصرة : « أدنَف من المتمنَّى »

---

(١) في اللسان : « والشعرة : الواحدة من الشعر . وقد يكنى بالشعرة عن الجميع كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) في النسختين : « بعدهما » . وأثبت ما في الطبقات .

(٣) في أمثال الميدان ١ : ٣٧٩ : « أأنت الذي تتمناك الغانيات في خدورهن » .

(٤) كذا . وفي أمثال الميداني : « ان تركتك في دار الهجرة » .

وذلك أن نصر بن حجّاج لما ورد البَصرة أخـذ الناسُ يسألون عنه ويقولون : أين المتمنَّى الذى سيّره عمر ؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبصرة ، كما غلب ذلك الاسمُ على عاشقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل الثانى : أنّ نصراً لما نزل البصرةَ أنزله مُجاشِع ابن مسعود منزلَه، من أجل قرابته ، وأخدمه امرأته شُميلة[1] — وكانت أجمل امرأةٍ بالبصرة — فَعلِقته وعَلِقها ، وخفىَ على كلٍّ واحد منهما خبر الآخر ، لملازمة مجاشعٍ لضيفه ، وكان مجاشعٌ أمّيًّا ونصرٌ وشميلةُ كاتبَين ، فعِيلَ صبرُ نصر فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إنى أحببتُكِ حبًّا لو كان فوقَك لأظلّك ، أو تحتَكِ لأقلّك . فوقّعت تحته غير محتشمةٍ : وأنا كذلك . فقال مجاشع لها : ما الذى كَتَبَ ؟ فقالت : كتب كم تَحلُب ناقتكم . فقال : وما الذى كتبتِ ؟ قالت : كتبتُ وأنا . فقال مجاشع : ما هذا لهذا بِطبْق ! فقالت : أصدُقك ، إنه كتب كم تُغِلُّ أرضُكم ؟ فقال مجاشع ما بين كلامه وجوابكِ هـذا أيضاً قرابة ! ثم كفأ على الكتابة جَفنةً ودعا بغلام من الكتّاب فقرأه عليه ، فالتفت إلى نصر فقال : يا ابن عمّ ما سيّرك عمر إلى خير[2] ، قمْ فإنّ وراءك أوسعُ لك . فنهض مستحيياً وعدل إلى منزل بعض السُّلَميِّين[3] ، ووقع لجنبه وضَنِي من حُبِّ شُميلة ودنِف حتّى صار رِمّة[4] ، وانتشر خبره فضربَ نساء البصرة به المثل فقلن : « أدنف من

---

(١) وكذا عند الميدانى . وفى الطبقات أنها كانت تسمى الخضراء .

(٢) فى الميدانى : « من خير » .

(٣) فى النسختين : « المسلمين » ، صوابه من الميدانى .

(٤) الميدانى : « حممة » . والحممة : واحدة الحمم ، وهو الفحم البارد .

المتمنَّى » . ثم إنَّ مجاشعاً وقف على خبر علّة نصر فدخل عليه عائداً ، فلحقته رِقَّة لِمـَا رأى به من الدَّنَف فرجع إلى بيته وقال لشُميلة : عزمتُ عليك لمـَّا أخذتِ خُبزاً فلبَكتِه بسمن ثم بادرتِ به إلى نصر . فبادرتْ به إليه فلم يكن به نهوض ، فضمّته إلى صدرها وجعلت تُلْقِمه بيدها فعادت قواه وبرأ كأن لم تكن به قَلَبة[١] ، فقال بعض عُوّاده : قاتل الله الأعشى[٢] حيث قال :

لو أسنَدَت ميْتاً إلى نحرها عاشَ ولم يُنقَل إلى قابر !

فلما فارقته عاوده النُّكس ، ولم يزلْ يتردَّد فى علته حتىَّ مات منها . كذا قال حمزة وصاحب الأوائل .

وقال المدائنى : إن عمرَ لما أخرج نصراً من المدينة إلى البصرة قال نصر : يا أمير المؤمنين أعلَمْهم أنّك إنما أخرجتنى لهذا الشعْر لا لغيره . وروى عن قَتادة أن نصراً لما أتى البصرةَ دخل مجاشعُ بن مسعود عائداً له ، وعنده شُميلة بنت جُنادة بن أبى أُزَيهر[٣] فجرى بينهما كلامٌ ولم يفهمْ منه مجاشعُ إلاّ كلمةً واحدة من نصر : قال : وأنا . فلما خرج نصرٌ قال لها : ما قال لك ؟ قالت : قال لى : كم لبن ناقتكم هذه فأخبرته ؛ قال : ما هذا جوابُ كلامه ! وأرسل إلى نصر فسأله وأعظم عليه ، فقال : قالت لى إنِّى أحبُّك حباً شديداً لو كان فوقَكَ لأظلّك ، ولو كان تحتكَ لأقلّك ، فقلتُ : وأنا . قال : فأنزل لك عنها ؟ قال : أذكرُك اللهَ أن يبلغ هذا عُمَر مع مافعل بى ! وأمّا حديث العامة فيقولون : كتَبَتْ له فى الأرض هذا الكلام ، فقال : وأنا ، فسمعها مجاشع

(١) يقال ما بالعليل قلبة ، أى ما به شىء . لايستعمل الا فى النفى . اللسان (قلب) .

(٢) بعده فى الميدانى : « فكأنه شهد منهما النجوى حيث قال » .

(٣) ط : « أبى أزهر » .

فلما خرج أكبَّ قَعباً على الكتاب ودعا من قرأه له[1] . انتهى .

وأمّا الزَّجاج فإنه قال بعد ما قرأ خطَّهما : ثم التفت إليه فقال : ١١١
يا ابن أخى ، إنْ يكن الطلاق ثلاثاً فهى طالقٌ ألفاً ! فقال : وهى طالقٌ إنْ جمعنى وإياها بيتٌ أبداً ! ثم ارتحل إلى فارس . وقال فى امرأة مجاشع : كانت امرأته يقال لها خضراء بنى سليم ، وكانت من أجمل النساء ، وهى أوَّل من لبس الشُّفوف .

وحكى السُّهيلى (فى الروض الأُنُف) هذه الحكايةَ على خلاف ما تقدّم قال : الحجاج بن عِلاط وهو والد نصر الذى حلق عمرُ رأسه ونفاه من المدينة ، فأتى الشامَ فنزل على أبى الأعور السُّلميّ ، فهوِيَته امرأته وهويَها ، وفطن أبو الأعور لذلك بسببٍ يطول ذكره ، فابتنى له قُبّة فى أقصى الحيِّ فكان بها ، فاشتدّ ضَناه بالمرأة حتى مات كَلَفاً بها ، وسُمِّى المضنَى ، وضُربت به الأمثال . وذكر الأصبهانى (فى كتاب الأمثال له) خبرَه بطوله . انتهى .

قال المدائنىُّ وصاحب الأوائل : وبعد أن أقام نصرٌ بالبصرة حولا كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لعمرى لئن سَيّرتَنى أو حرمتَنى ... وما نلتُ ذنباً إنَّ ذا لحرامُ
ومالىَ ذنبٌ غير ظنٍّ ظننتَه ... وفى بعض تصديق الظنون أثامُ
أأن غنّت الحوراء ليلا بمُنيةٍ ... وبعضُ أمانىِّ النساء غَرام
ظننتَ بىَ الظنَّ الذى ليس بعده ... بقاء ومالى فى النَّدىّ كلام
وأصبحتُ منفيًّا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكّتين مقام
ويمنعنى مما تظنُّ تكرُّمى ... وآباء صدقٍ سالفون كرام

(١) ش : « على الكتابة ودعا من قرأها له » .

ويمنعها مما تمنّت صلاحُها وطولُ قيامٍ ليلَها وصيامِ
فهاتان حالانا ، فهل أنت راجعى وقد جُبَّ منى كاهلٌ وسنام

قال الجاحظ : ردّه عمر بعد هذه الأبيات لمّا وصف له من عفته .

وقال صاحب الأوائل : فلما وصلت الأبيات إلى عمر ونظر فيها كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ وأمره بالوَصاة به إنْ أحبّ أنْ[1] يقيم بالبصرة ، وإن أحبّ الرجوع إلى المدينة فذاك اليه . قال : فاختار الفتى المقام بالبصرة ، فلم يزل مقيماً بها إلى أن خرج أبو موسى إلى محاربة أهل الأهواز ، فخرج معه نصر بن حجاج فى الجيش ، وحضر معه فتح تُستَر . انتهى .

وروى الزجاجى (فى أماليه) أن نصراً أرسلَ هذه الأبياتَ إلى عمر حين نفاه إلى البصرة ، فبعث إليه عمر : أن لا رَجْعة . فارتحل إلى البصرة فنزل على مجاشع إلى آخر الحكاية .

هذا ما اطّلعت عليه ، ولا يخفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى فى البيت الشاهد ، فالرواية المتقدمة هى رواية الجاحظ وحمزةَ الأصبهانى والسُّهيلى . وروى المدائنى :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها أم من سبيلٍ إلى نَصر بن حَجّاجِ

وروى صاحب الأوائل :

هل من سبيل إلى خمر فاشربَها أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجّاج

(١) كلمة « أن » ساقطة من ط ، واثباتها من ش .

وهاتان الروايتان لا يناسبان تسمية المرأة بالمتمنّية ، وتسميه نصر بالمتمنّى[١] . وروى الزجّاجى المصراع هكذا :

(أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج)

١١٢

ورواه أبو على الفارسى (فى إيضاح الشعر) عن أبى عبيدة :

(أوْلا سبيل إلى نصر بن حجاج)

على أنّ أو بمعنى الواو . قال : تمنّتهما جميعاً ، وجعله مثل أو فى قوله[٢] :

وكان سيّانِ ألا يُسرحوا غنماً أو يُسرحوه بها واغبّرت السُّوحُ[٣]

وأشربَها منصوب بأن مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى .

* * *

وأنشد بعده :

ألاَ رُجلاً جَزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلة تَبيتُ

على أن يونس قال : أصله ألا رجلَ ، فنوّن للضرورة ، وألا عنده فيه للتمنى . وعنـد الخليل ليست للتمنّي وإنمـا هى للتحضيض ، ورجلا منصوبٌ بفعل محذوف تقديره : أُلا تُرونى رجلا ، بضم تاء تُرُونى .

وقد تقـدم شرح هذا البيت مفصّـلا فى الشاهد الثالث والستين بعد

(١) هذا عجب من البغدادى . فان التمنى واضح فى الشعر بأسلوب الاستفهام

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٠٧ . وسيأتى الشاهد فى ٢ : ٣٤٢ وهو الشاهد ٣٥٥ .

(٣) غنما : جعلها الشنقيطى فى نسخته : « نعما » .

المائة[١] . وفى هذا البيت تضمين [٢] لأن خبر تَبيت فى بيت بعده وهو :

تُرجِّــل لِمّتي وتقُمّ بيتى وأُعطيها الاتَاوة إن رَضيتُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٦٦ (وَيلُمِّها فى هَوَاءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرضِ مَطْلُوبُ)

على أنّ قوله مطلوبُ ، عطف بيان لاسم لا المضاف : فإن الـكاف اسمٌ مضاف لاسم الإشارة فى محل نصب بلا على أنه اسمها ، وقد تبعه البيان بالرفع باعتبار أنّ لامع اسمها فى محلّ رفع على الابتداء والخبر محذوف أى موجود ونحوه . ويجوز أن يكون مطلوب صفة اسم لا ، ولا يضرّ إضافة الـكاف إلى اسم الإشارة ، فإنها بمعنى مثل ، وهى لاتتعرّف بالإضافة إلى المعرفة . هذا محصَّل ما قاله الشارح المحقق .

وفيه أنّهم قالوا : إن البيان يكون فى الجوامد ، والصفةُ تـكون فى المشتقّات ، فـكيف لا يكون فرق بين البيان والوصف .

وقد أورد سيبويه هذا البيت من باب الوصف لا غير . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مطلوب حملا على موضع الـكاف ، لأنها فى تأويل مثل

---

(١) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٢) وخرجه بعضهم على أن « تبيت » مضارع أبات ، أى تجعل لى بيتا أى زوجة . وعلى هذا التأويل ينتفى التضمين ، وهو توقف البيت على بيت آخر .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٥٣/٢ : ١٧٢ . وانظر العمدة ١ : ٦٠ وديوان امرىء القيس ٢٢٧ .

وموضعها موضع رفع ، وهو بمنزلة لا كزيد رجل . ولو نُصب حملاً على اللفظ أو على التمييز لجاز . انتهى

ونقل ابن السرّاج فى الأصول عن سيبويه أنّ اسم لا فى مثل هذا محذوف والكاف حرف ، وهذا كلامه : وتقول لا كزيدٍ رجلٌ ، لأنّ الآخِر هو الأوّل ولأنّ زيداً رجل ، وصار لا كزيد كأنك قلت : لاأحدُ كزيد ثم قلت رجل ، كما تقول لا مال له قليل ولا كثير على الموضع . وقال امرؤ القيس :

ويلمّها فى هواء الجو طالبة . . . . : . . . . . البيت

كأنه قال : ولا شيء كهذا ، ورفع على الموضع ، وإن شئت نصبت على التفسير كأنه قال : لا أحد كزيد رجلا . قال سيبويه : ونظير لا كزيد فى حذفهم الاسم قولهم : لا عليك ، وإنما يريدون لا بأس عليك ولا شيء عليك ، ولكنه حُذف لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

واعلم أنه يجوز أن يكون مطلوب مبتدأ مؤخرا واسم لا بمعنى ليس والظرف قبله الخبر . قال النحاس : فى شرح أبيات الكتاب ناقلاً عن أبى الحسن الأخفش : هذا هو الجيد .

وقوله: (ويلمّها) . الخ ، هذا فى صورة الدعاء على الشيء ، والمرادُ به التعجب ، والضمير المؤنث مفسّر بالتمييز ، أعنى طالبةً المراد بها العقاب ، وهو تمييز عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، وقد أوضحها الشارح المحقق فى باب التمييز . ١١٣
ومعنى الكلام : ما أشدَّ طيرانَ هذه العقاب فى هواء الجوّ . وويل إذا أضيفت فالوجه النصب ، كقولك ويلَ زيد ، لكنها هنا مضمومة اللام أو مكسورة والأصل ويلُ لأمّها . قد تقدّم شرح جميع هذا مفصّلا فى الشاهد الثامن والتاسع

بعد المائتين[١] .

وهذه رواية النحاة ، وأما الثابت فى ديوان امرىء القيس فهو :

لا كالتى فى هواء الجوّ طالبة (البيت)

و (الهواء) : الشىء الخالى ، و (الجوّ) : ما بين السماء والأرض ، فهو من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها . وأراد بالمطلوب الذئب ، فإنه وصف عقاباً تبعت ذئباً لتصيدَه ، فتعجَّب منها فى شدّة طلبها ، وتعجَّب من الذئب أيضاً فى سرعته وشدة هَربه منها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لامرئ القيس وهى[٢] :

أبيات الشاهد

(الخيرُ ما طلعتْ شمسٌ وما غَرَبت ، مُطلَّبٌ بنواصى الخيل معصوبُ

قد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملنى جَرْداءُ معروقةُ اللَّحيَين سُرحُوبُ[٣]

كأنها ، حينَ فاض الماء واختلفت ، صقعاءُ لاح لها بالسَّرحة الذيب

فأبصَرَت شخصَه من دون مَرْقَبةٍ ودونَ موقِعها منه شنَاخيب

فأقبلت نحوَه فى الريح كاسرة يحثُّها من هواء الجوّ تصويب

صَبَّت عليه ولم تنصبَّ من أمَمٍ إنَّ الشَّقاء على الأشقَينَ مصبوب

كالدَّلو بُتَّتْ عُراها وهى مُثقَلَة إذ خانَها وَذَمٌ منها وتكريب

لا كالتى فى هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

---

(١) صوابه الحادى عشر والثانى عشر بعد المائتين . الخزانة ٣ : ٢٧٣ – ٢٨٤

(٢) نسبه الأعلم فى شرح شواهد الجزء الثانى من الكتاب الى النعمان ابن بشير ، بعد ما نسبه فى الجزء الأول منه ... امرىء القيس . وفى ديوان امرىء القيس ٢٢٥ أن القصيدة يقال أنها لابراهيم ... بن بشير الأنصارى .

(٣) هذا البيت من شواهد العروض . وصحح ... يسعون أنه لعمران بن ابراهيم الأنصارى . السيوطى ١٦٩ . وفى الارشاد ... الشافى للدمنهورى أنه عمر بن ابراهيم الأنصارى .

ناقص من الأصل

المصدر

وتشديد الفاء : الجنب ، يعنى أفلت الذئبُ من العقاب ونجا ، لكن ثقبت جنبهَ .

وترجمة امرئ القيس قد تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٦٧ (لا كالعَشِيَّةِ زائراً ومَزُورا)

على أن (زائراً) قيل منصوب على تقدير فعل ، أى لا أرى كعشية اليوم زائراً . وإنما لم يجعل الكاف اسماً للا مضافا إلى العشية ويكون زائراً عطفَ بيان للكاف تَبِعَهُ على اللفظ أو صفةً على طِرْز البيت الذى قبله ، لأنّ الزائر غير العشية ، فلما كان الثانى غير الأوّل لعدم صحة الحمل جعلت لا نافية للفعل المقدّر دون كونها نافية للجنس .

وصاحب هذا القيل هو سيبويه ، وهذا نصُّه : وأما قول جرير :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزورا *

فلا يكون إلاّ نصباً ، من قِبَل[٣] أنّ العشية ليست بالزائر ، وإنّما أراد لا أرى كالعشية زائرا ، كما تقول ما رأيت كاليوم رجلا ، فكاليوم مثل قولك فى اليوم لأن الكاف ليست باسم . وفيه معنى التعجب كما قال تالله رجلا ،

---

(١) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٢) سيبويه ١ : ٣٥٣ . وانظر مجالس ثعلب ٣٢١ وابن يعيش ٢ : ١٤٤ وديوان جرير ٢٩٠ .

(٣) فى النسختين : « من قبيل » ، صوابه من سيبويه .

وسبحان الله رجلا ، إنّما أراد تالله مارأيت رجلا وسبحان الله مارأيت رجلا ؛ ولكنّه يترك إظهار الفعل استغناء ، لأنّ المخاطَب يعلم أن هذا الموضع إنما يضمر فيه هذا الفعلُ لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

قال الأعلم : أصله لا أرى زائراً ومزوراً كزائر العشية ومزُورها ، فحذف اختصاراً للعلم ، كما قالوا : ما رأيت كاليوم رجلا أى كرجل أراه اليوم . ولا تجيزنّ[1] فى هذا رفع الزائر ، لأنّه غير العشية ، وليس بمنزلة لا كزيد برجل ، لأنّ زيداً من الرجال . انتهى ١١٥

وقد نقل أبو العباس ثعلب (فى أماليه) قاعدةً لحذف الفعل مع الظرف الزمانى ، قال : حكى الكسائىّ نزلنا المنزلَ الذى البارحةَ ، والمنزل الذى آنفا ، والمنزل الذى أمس . فيقولون فى كلّ وقت شاهدوه من قرب ، ويحذفون الفعلَ وحده كأنّهم يقولون : نزلنا المنزل الذى نزلنا أمس ، والذى نزلناه اليوم ؛ اكتفوا بالوقت من الفعل ، إذْ[2] كان الوقت يدلّ على الفعل وهو قريب . ولا يقولون الذى يومَ الخميس ، ولا الذى يومَ الجمعة . وكذا يقولون : لا كاليوم رجلا ، ولا كالعشيّة رجلا ، ولا كالسّاعة رجلا ، فيحذفون مع الأوقات التى هم فيها . وأباه الفرّاء مع العَلَم . وهو جائز وأنشد :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزُورا[3] *

وكلّ ما كان فيه الوقت فجائز أن يكون يحذَف الفعل معه ، لأن الوقت القريب يدلّ على فعلٍ لقربه . انتهى

(١) الذى فى الأعلم : « ولا يحسن » .

(٢) فى النسختين : « اذا » صوابه من مجالس ثعلب .

(٣) بعده فى المجالس : « لأنى أقول لقيتك العام ولا أقول لقيتك السنة » .

وقد قدَّر أبو عليّ الفارسيّ (في المسائل المنثورة) فعلين ، قال : نصب زائراً لأنَّ الفعل مقدّر ، فكأنّ تقديره : لا أرى زائراً ومزُوراً له كرجل أراه العشيّة . فنصبه على الفعل وحذف ذلك لما في الكلام من الدَّلالة عليه . ويجوز الرفع ههنا ، وهو قبيح لأنَّ الزائر ليس هو العشيّة ، ويجوز رفعه كأنّك أردت كصاحب العشيّة ، فحذفت صاحباً وجعلت العشية إذَا رفعتهما دلالة على ما حذفت .

هذا وقد اعترض عليهم الشارح المحقِّق في إخراجهم لا هذه عن الباب مع قولهم إنَّ الأصل كزائرِ العشية بتقدير المضاف ، قال : مع تقديرهم هذا صار الآخرهو [الأصل[1]] الأوّل ، كما في قولك : لا كالعشيّة عشيةٌ ، [وعَشيّةٌ[2]] ، فيجوز أن يكون زائراً تابعاً على اللفظ . وهذا حقٌ لا ينبغي العدول عنه . وأل في العشيّة للعهد الحضوريّ ، كقوله تعالى : ﴿اليومَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ[3]﴾ .

و (العشيّة) قال ابن الأنباريّ : مؤنّثة ، وربّما ذكّرتها العرب على معنى العشيّ . وقال بعضهم : العشيّة واحدة جَمْعُها[4] عشيّ ، والعشيّ قيل : ما بين الزوال إلى الغروب ، ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشيّ ؛ وقيل هو آخر النهار[5] ؛ وقيل من الزّوال إلى الصباح ؛ وقيل العشيُّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العَتَمة . كذا في المصباح . وأراد بالزائر نفسه ، وبالمزور من يهواه .

(١) التكملة من شرح الرضى ١ : ٢٤٣ .
(٢) التكملة من شرح الرضى .
(٣) الآية ٣ من سورة المائدة .
(٤) ط : « جمعهما » . صوابه في ش .
(٥) ط : « الليل » . صوابه في ش .

وهذا المصراع عجز وصدره :

(يا صاحبيَّ دنا الصباحُ فِسيرَا[١])

صاحب الشاهد — والبيتُ من قصيدةٍ لجرير بن الخطَفى يهجو بها الأخطل النصرانىّ مطلعها :

(صَرَمَ الخليطُ تبايُنا وبُكوراً وحسِبتَ بينَهُمُ عليك يسيرا)

وفيها بيتان من شواهد الكشّاف (أحدهما) فى سورة مريم وهو :

(إنّى إذا مضرٌ علىَّ تحدَّبتْ لاقيتَ مطَّلَعَ الجبال وُعورا[٢])

على أن اطّلع فى قوله تعالى : ﴿ اطّلَعَ الغَيْبَ[٣] ﴾ بمعنى ارتقى ، من قولهم اطّلع الجبل . ومُطَّلَع الجبَل مَصعده ومُرتقاه . ووعور : جمع وعر وهو المكان الخشن الصعب ، ونصبه إما على أنه مفعول لاقيتَ ومطّلع الجبال ظرف ، وإما حال من الجبال على أن المطّلع مصدر ، أو حال من المطّلع بتقدير تعدّده لإضافته إلى متعدد . ورُوى (وَعُورا) بفتح الواو : بمعنى أنه من الفخر بمكان لا يُنال . و (الثانى) فى الملائكة وهو :

١١٦ (مَشقَ الهواجرُ فى القِلاص مع السُّرى حتّى ذَهبن كلاكلاً وصُدورا)

أورده عند قوله تعالى ﴿ فَلاتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ[٤] ﴾ .
والرواية المعروفة :

(١) اشترك معه الراعى فى هذا الصدر فقال (الأغانى ٧ : ٤٢) :
يا صاحبى دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

(٢) تحدبت عليه : تعطفت وحنت حنوا عليه . ووقعت فى طبعة السلفية « تحدثت » خطأ .

(٣) الآية ٧٨ من سورة مريم .

(٤) الآية ٨ من سورة فاطر .

مَشْقَ الهواجرُ لحمهن من السُّرى حتَّى ذهبن الخ

وكذا أنشده سيبويه ، قال الأعلم : الشاهد فى نصب كلا كِلاً بقوله ذهبن نصبَ التمييز ، لا نصبَ التشبيه بالظرف . وعبر [سيبويه[1]] عما أراد من نصب هذا ونحوه على التمييز ، بذكره الحال ، لما بين التمييز والحال من المناسبة بوقوعهما نكرتين بعد تمام الكلام ، وتبيينهما للشىء المقصود من النوع ، تقول ذهب زيد ظَهْراً وصَدْراً ، وتغيَّر وجهاً وجسماً ؛ تريد ذهب ظهره وصدره ، وتغيّر وجهه وجسمه . فعبّر سيبويه عن التمييز بالحال . وعلى هذا يُجرَى سائرُ الأبيات . انتهى

والمشق : الترقيق والإهزال . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى نِصف النهار وقتَ اشتداد الحرّ . والسُّرى : سير الليل . ومن فى الرواية الثانية بمعنى مع . والكلاكل : جمع كلكل كجعفر ، وهو الصَّدر ، وعطف عليه الصدور للتفسير ، أو أنّه أراد بالكلكل أعلى الصدر . وصف رواحلَ أنضاها دُءوب السير فى الهواجر والليل حتّى ذهب لحوم صدرها .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع فى أول الكتاب[2].

* * *

وأنشد بعده : (ياتيم تيم عدِىٍّ)

وهو قطعةٌ من بيت هو :

يا تَيم تيم عَدىٍّ لا أبا لكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْءةٍ عُمَرُ

---

(١) التكملة من الأعلم ١ : ٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ .

وقد تقدَّم شرحه مفصّلا فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد المائة[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد المائتين[٢] :

٢٦٨ (وقد ماتَ شمَّاخٌ وماتَ مُزرِّدٌ ... وأىُّ كَريمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ)

على أن إضافة أبا إلى الضمير بدون اللام شاذّة لا يقاس عليها . قال ابن السرّاج (فى الأصول) : والشاعر قد يُضطرُّ فيحذف اللام ويضيف ، قال الشاعر[٣] :

أبالموتِ الذى لابدّ أنى ... مُلاقٍ لا أباكِ تخوّفينى

وقال الآخر :

وقد مات شَمَّاخٌ ومات مزردٌ ... وأىُّ كريمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ

وكذا أنشدهما المبرد (فى الكامل[٤]) .

قال أبو على (فى التذكرة) قال أبو عثمان : لم يجىء فى باب النفى مثل لا أباك مضافا بغير لام إلاّ هذا وحده . وأنشد البيتين .

ولا يخفى أن هذا البيت من قصيدةٍ عينيّة لمسكين الدارمى ، وليس فيها الضرورة . والمصراع هكذا :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٩٨ .

(٢) شذور الذهب ٤١٣ والهمع ٢ : ٩٥ وديوان حسان ١٥٠ من قصيدة مكسورة الروى مطلعها :

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم ... دعى بنى شجع لحرب محمد

(٣) هو أبو حية النميرى ، كما سيأتى .

(٤) الكامل ٣١٣ ، ٥٦٣ برواية « يخلد » .

* وأيّ كريم لا أبا لكَ يُمنَع *

وهي قصيدة أورد فيها شعراء كلٌّ منهم نَسب قبره إلى بلده ومسقط رأسه وذكر حالَ الشعراء المتقدّمين وأنّهم ذهبوا ولم يبق منهم أحدٌ ، يصغّر أمر الدنيا ويحقّره . وهذه أبيات منها :

ولست بأحيا من رجالٍ رأيتهم ... لكلِّ امرئٍ يوما حِمَامٌ ومَصرعُ

دعا ضابئاً داعي المنايا فجـــاءه ... ولما دعوا باسم ابن دارة أسمعوا[1] ١١٧

وحصنٌ بصحـــراء الثويّة بيتُه ... ألاَ إنّمـــا الدنيا متَـــاع يُمتّع[2]

وأوسُ بن مَغْراء القُرَيعيُّ قد ثَوى ... له فوق أبيات الرِّياحيِّ مَنجعُ[3]

ونابغةُ الجعْدِيُّ بالرَّمل بيتُـــه ... عليه صفيحٌ من رُخام مُوَضَّع[4]

وما رَجَعت من حِميريٍّ عصابةٌ ... إلى ابن وَثيل نفسَه حين تُنزَع

أرى ابن جُعيل بالجزيرة بيتَه ... وقد ترك الدُّنيا وما كان يَجمع

بنجرانَ أوصالُ النَجاشيِّ أصبحت ... تلوذ به طـــيرٌ عُـــكوفٌ ووُقّع

وقـــد مات شمّاخ ومات مزرّدٌ ... وأيُّ عـــزيز لا أبا لكَ يُمنَع

أولئك قومٌ قد مضوا لسبيلهم ... كما مات لُقمانُ بن عادٍ وتُبَّع

قوله : ونابغة الجعديّ الخ،هذا البيت من شواهد سيبويه ، وأراد بالرمل رمل بني جَعْدة ، وهي رمالٌ وراء الفَلْج من طريق البصرة إلى مكة . وابن

---

(١) في النسختين : « ضابيا » وصححها الشنقيطي في نسخته « ضابئا » . وهو ضابىء بن الحارث البرجمي الذي هم بقتل عثمان . وابن دارة هو سالم بن دارة ، وقد سبقت ترجمته في ٢ : ١٤٤ .

(٢) هو حصن بن حذيفة بن بدر .

(٣) الرياحي ، هو سحيم بن وثيل ، من شعراء الأصمعيات .

(٤) ط : « مرصع » . صوابه في ش وسيبويه ٢ : ٣٤ واللسان (نبغ) .

وَثِيل هو سُحيم بن وَثيل بن حِميَرِيّ . وكعب بن جُعيل دفن بجزيرة ابن عُمر لأنّها بلاد بنى تغلب ، ودفن النجاشى بنجرانَ لأنه من اليمن بلاد بنى الحارث ابن كعب .

وقوله : وقد مات شمّاخ ومات مزرِّد ، هما أخوان لأبٍ وأمّ ، وصحابيان، وشاعران .

وقد تقدَّمت ترجمة الشمَّاخ فى الشاهد التسعين بعد المائة [١] ، واسمه مَعقِل بن ضرار ، والمزرِّد اسمه يزيد بن ضِرَار ، وإنَّما سمى مزرِّداً بقوله [٢] :

فقلت تزرَّدْها عُبيد فإننى لدُرْدِ الموالى فى السنين مزرِّدُ [٣]

ولهما أخ آخر شقيقهما وهو جَزْء بن ضِرار ، بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة . ومات الشمّاخ وجَزْءٌ متهاجِرَين .

وسبب ذلك على ماروى الكلبىّ أنَّ الشمَّاخ كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبَة بنت جَوَّال ، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر ، فخطبها فأجابته وهمَّت أن تتزَوّجه ، ثم خرج إلى سفرٍ له فتزوَّجها أخوه جَزء ، فآلى الشمّاخ أن لايكلّمُه أبداً ، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

(١) كذا ، وصوابه الحادى والتسعين بعد المائة . الخزانة ٣ : ١٩٦ .

(٢) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ : « وهو يزيد ، وانما زوده قول الحادرة له » . وأنشد البيت التالى .

(٣) فى النسختين : « لزرد » وصححها الشنقيطى بما أثبت . انظر الاشتقاق ١٧٤ والمؤتلف ١٩٠ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٢٧ . وفى الشعراء فى ٢٧٤ : « لدرد الشيوخ » . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ليس فى فمه سن .

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ سقيمُ فؤادٍ حبُّ كَلْبَةَ شاغلُه

فماتا متهاجرين .

وقوله : لا أبا لك ، جملة اعتراضية بين أيٌّ عزيز وهو موصوف وبين يُمنَع وهو صفة لأيّ . وكذلك يخلَّد ومخلَّد على تلك الرواية . قال المبرد (فى الكامل) : لا أبا لك هى كلمة فيها جفاء وغِلظة ، والعرب تستعملها عند الحثّ على أخذ الحقّ والإغراء ، وربَّما استعملتها الجفاةُ من الأعراب[1] عند المسألة والطلب فيقول القائل للأمير والخليفة : انظر فى أمر رعيّتك لا أبا لك .

وسمع سليمانُ بن عبد الملك رجلاً من الأعراب فى سنة مجدبة يقول :

ربَّ العبادِ مالنا وما لكا قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا

أنزلْ علينا الغيثَ لا أبا لكا

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مُخرج فقال : أشهد أنَّه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة، وهو الأحد الصمد .

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صعصعة أبْعَدَ من هذه الكلمة لبعض قومه :

أبنى عُقيل لا أبا لأبيكم أبِّى وأىُّ بنى كلاب أكرمُ اه ١١٨

وقال ابن هشام (فى شرح بانتْ سعاد) عند قوله :

فقلتُ خلُّوا سَبيلى لا أبا لَكُمُ فكلُّ ماقدَّر الرحمنُ مفعولُ :

اعلم أن قولهم : لا أبا له ، كلامٌ يستعمل كناية عن المدح والذمّ ، ووجه

(١) ط : « استعملتها من الجفاة الأعراب » . وفى ش : « استعملتها من الجفاء الاعراب » ، صوابه من الكامل .

الأوَّلِ أن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه ، ووجه الثاني أن يراد أنه مجهول النسب . والمعنيان مُحتملاَن هنا ؛ أمَّا الثاني فواضح لأنَّهم لما لم يُغنُوا عنه شيئا أمَرَهم بتخلْيَة سبيله ذامًّا لهم ؛ وأمَّا الأوّل فعلى وجه الاستهزاء . انتهى .

وزاد عليه شارحها البغدادى قال : تقول العرب لا أبا لك ولا أبَ لك ، يستعمل فى التفجُّع والتعجّب ، ويقال فى المدح والذم ؛ وربَّما قالوا لا أباك وهو نادر . وأمَّا لا أمَّ لك فلا يقال إلاَّ فى الذمِّ وحده ، دلَّ على ذلك استقراء كلام العرب

وقال ابن جنِّي (فى الخصائص[1]) : إن قلتَ إنَّ الألف فى لا أبا لك تُؤذِن بالإضافة والتعريف ، واللام تؤذن بالفصل والتنكير . فقد جمعت على الشيء الواحد فى الوقت الواحد معنيين ضدَّين[2] قلتُ : الفرق واضح ؛ فإنه كلام جرى مجرى المثل ، فإنَّك لا تنفي فى الحقيقة أباه وإنما تخرجه مُخرَجَ الدعاء عليه ، أى أنت عندى ممن يستحق أن يُدْعَى عليه بفقد أبيه . كذا فسره أبو على ، وكذلك هو لمتأمِّلِه ؛ ألا ترى أنه قد أنشد توكيداً لما رآه من هذا المعنى فيه قولَه :

* وتترك أخرى فردةً لا أخا لها *

ولم يقل لا أخت لها ؛ ولكنْ لمَّا جرى هذا الكلام على أفواههم لا أبا لك ولا أخا لك ، قيل مع المؤنَّث على حدِّ ما يكون عليه مع المذكَّر ،

---

(١) الخصائص ١ : ٣٤٣ .

(٢) بعده فى الخصائص : « وهما التعريف والتنكير . وهذان كما ترى متدافعان » .

فجرى نحواً من قولهم لكلّ أحدٍ : مِنْ ذكَر وأنثى ، واثنين واثنتين وجماعة : الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللبن — على التأنيث ، لأنَّه كذا جرى أوّله [١]

وأما قوله :

أبالموت الذى لابدَّ أنّى ملاقٍ لا أباكِ تخوِّفينى

فقد قال شارح أبى علىّ الفارسى [٢] : هو لأبى حية النُّميرى قاله أبو عمرو ، قال : جلبه أبو علىّ شاهداً على حذف هذه اللام ضرورة ، فثبوت الألف فى أبا دليلُ الإضافة والتعريف ، ووجود اللام دليل الفصل والتنكير . حذف لامَ الجرّ وهو يريدها ، ولولا أنّها فى حكم الثابت فى اللفظ لما عملت لا ، لأنّها لا تعمل إلاّ فى نكرة . فأما دلالة الألف فيه وحذفِ النون من نحو لا يدَىْ بها لكَ على إرادة الإضافة ، فلأنّ وجود العمل مانعٌ فيها من اللفظ ، فضعف اقتضاء المعنى مع وجود المانع اللفظى . فإنَّ هذا مثلٌ لم يُقْصَد به نفى الأب وإنّما قُصِدَ به الذمّ . وكذلك لا يدى لك ، إنّما المراد لا طاقة لك بها . وهو قياس من النحويين على قولهم لا أبا لك . وفى الكتاب : لا أبا فاعلم لك ، وفيه دليل على أنّه ليس بمضاف . ويجوز أن تكون الألف لام الكلمة كما قال :

* إنّ أباها وأبا أباها *

فأمّا قوله تخوّفينى ، فإنّه أراد تخوِّفينَنى فحذف إحدى النونين : فقيل حذف الأولى كما حُذف الاعراب ، فى قول امرىء القيس :

---

(١) الى هنا ينتهى كلام الخصائص بدون تنبيه من البغدادى . وسيستأنف النص بعد قليل .

(٢) الميمنى : « الظاهر شرح شواهد ايضاح أبى على الفارسى . وشراحها عدة تراهم فى اقليد الخزانة » .

* فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقِبٍ[١] *

وقال المبرِّد : حذف الثانية ، وهو أولى لأنَّها إنما زيدت مع الياء لتَقِيَ الفعل من الكسرة ، والأولى علامة الرفع . انتهى كلامه[٢] .

١١٩ «وإذا كان الأمر كذلك علم أنَّ قولهم لا أبالك إنما فيه تعادِي ظاهرِهِ ، واجتماعُ صورتي الفصل والوصل والتعريف والتنكير لفظاً لا معنى . . . . ونحن إنّما عقدنا فساد الأمر وصلاَحه على المعنى كأن يكون الشيء الواحد في الوقت الواحد قليلاً كثيرا . هذا مالا يدّعيه مدّع .

ويؤكّد عندك خروجَه مَخرج المثل كثرته في الشعر ، وأنّه يقال لمن له أب ولمن ليس له أب . وهو دعاء في المعنى لا محالة ، وإن كان في اللفظ خبراً ؛ ولو[٣] كان دعاء مصرَّحا وأمراً مَعْنيًّا لما جاز أن يقال لمن لا أب له ؛ لأنه إذا كان لا أب له لم يجز أن يدّعى عليه بما هو فيه لا محالة ؛ فيُعلَم أنه لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظِهِ ، وإنّما هى خارجة مخرج المثل ، قال عنترة :

فاقْنَيْ حيَاءكِ لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموتُ إن لم أُقتَلِ

---

(١) عجزه كما فى ديوان امرىء القيس ١٢٢ :
* اثما من الله ولا واغل *

(٢) بعده فى ش : « واثنى واثنين وجماعة ضـيعت اللبن على التأنيث لأنه كذا جرى أوله » ، وصواب « واثنى » و « أنثى » ، وهو تكرار لما سبق فى نهاية النص السابق المقتبس من الخصائص . والنص التالى ، هو تكملة من البغدادى للاقتباس السالف من الخصائص ، وموضعه فيها ص ٣٤٣ .

(٣) كلمة « ولو » ساقطة من ش ثابتة فى ط والخصائص ١ : ٣٤٤ .

وقال :

ألقِ الصحيفةَ لا أبا لك انّه يُخْشى عليك من الحِباء النقرس[١]

وقال .

أبا لموت الذى لابُدّ أنى مُلاقٍ لا أباكِ تخـوّفينى

أراد : لا أبا لك فحذف اللام . وقال جرير :

* ياتيم تيم عدىٍّ لا أبا لـكم[٢] *

وهذا أقوى دليل على كونه مثلاً لا حقيقة . ألا ترى أنه لايجوز أن يكون لتيم كلِّها أبٌ واحد ، ولـكن معناه كلُّـكم أهل للدعاء عليه والإغلاظِ له .

وقال الحطيئة :

أقِلّوا عليهم لا أبا لأبيـكم من اللوم أوسُدُّوا المـكانَ الذى سَدُّوا

فإن قلت : فقد أثبتَ الحطيئة فى هذا البيت ما نفيتَه فى البيت قبله ، فجعل للجماعة أبا واحداً ، وأنت قلتَ إنه لا يكون لجماعةِ تيم أبٌ واحد . قيل : الجواب عنه من وجهين : أحدهما أنه مثلٌ لا يريد حقيقة الأب ، وإنّما غرضه الدعاء مُرسلا ، ففحّش بذكر الأب . والآخر : يجوز أن يريد بأبيكم الجمع ، أى لا أبا لآبائكم ، يريد الدعاء على آبائهم من حيث ذكرها ، فجاء به جمعا مصححاً على قولك أب وأبون ، قال :

---

(١) البيت للمتلمس ، كما فى ديوانه المخطوط ٨ واللسان (نقرس) .

(٢) عجزه ، كما فى الخصائص وديوان جرير ٢٨٥ . وما سبق فى ٢ : ٢٩٨ :

* لا يلقينكم فى سوءة عمر *

فلما تبيَّنَّ أصواتَنا بكَين وفدَّينَنا بالأبينا[١]

انتهى كلامه باختصار .

* * *

وأنشد بعده :

* يا بُؤسَ للجَهْلِ ضَرَّاراً لأقوامِ *

هذا عجز وصدره :

(قالتْ بنو عامر خالُوا بَنى أسدٍ)

وقد تقدَّم شرحه مفصّلا فى الشاهد الرابع بعد المائة[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٦٩ (كأنَّ أصواتَ ، مِنْ إيغالِهنَّ بنا ،
أواخِرِ المَيْسِ إنقاضُ الفَراريجِ)

على أنّه قد فصل ، لضرورة الشعر ، بالظرف بين المتضايفين . والأصل : كأنّ أصواتَ أواخِرِ المَيْسِ من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج .

---

(١) البيت لزياد بن واصل ، كما سيأتى فى الكلام على الشاهد ٣٢٨ ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٠١ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٠ .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٠٤ والانصاف ٤٣٣ وابن يعيش ١ : ٢/٣٠١ : ٣/١٠٨ : ٤/٧٧ : ١٧٢ وديوان ذى الرمة ٧٦٦ .

فى الأصول لابن السرّاج : وقبيح أن تفصل بين الجارّ والمجرور فتقول لا أخا هذين اليومين لك[1] قال سيبويه : هذا[2] يجوز فى ضرورة الشعر لأن الشاعر إذا اضطر فَصل بين المضاف والمضاف إليه . وأنشد هذا البيت . ١٢٠

و (من) للتعليل و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل فى الأرض ، إذا أبعَدَ فيها ، حكاه ابن دريد قال : وكلّ داخلٍ فى شىء دخول مستعجل فقد أوغلَ فيه . وقال الأصمعى فى شرح هذا البيت : الإيغال : سرعة الدخول فى الشىء ، يقال أوغل فى الأمر : إذا دخل فيه بسرعة . والضمير للإبل فى بيت قبله . و (الأواخر) : جمع آخِرة ، بوزن فاعلة ، وهى آخرة الرحل ، وهو العُود الذى فى آخر الرحل الذى يَستند إليه الراكب ، ويقال فيه مُؤْخر الرحل . قال ابن حجر (فى فتح البارى) : هو بضم أوله ثم همزة ساكنة ، وأما الخاء فجزَم أبو عبيد بكسرها وجوّز الفتح ، وأنكر ابن قتيبة الفتح ، وعكس ذلك ابن مكّىّ فقال : لا يقال مُقدِم ومُؤخر بالكسر إلاّ فى العين خاصة ، وأمّا فى غيرها فيقال بالفتح فقط . ورواه بعضهم بفتح الهمزة وتشديد الخاء . انتهى . وقال صاحب الصحاح : ومُؤْخِر العين ، مثل مؤمن : الذى يلى الصُدغ ، ومُقْدِمُها : الذى يلى الأنف ، ومُؤْخرة الرحل أيضاً لغة قليلة فى آخرة الرحل ، وهى التى يستند الراكب إليها . قال يعقوب : ولا تقل مُؤَخّرة انتهى . و (المَيْس) بفتح الميم : شجر يُتَّخذ منه الرحال

---

(١) قد يقال لاجار ولا مجرور هنا . فالجواب أن اللام فى « لك » لتوكيد اضافة الأخ الى ضمير المخاطب ، فهى زائدة لذلك . فهذا قول . ويصح فى مثل هذا التركيب أن تكون اللام أصلية ويكون الظرف فى موضع النعت أو الخبر .

(٢) ط : « وهل » ش : « وهو » ، صوابهما فى سيبويه ١ : ٣٤٧ .

والأقتاب ، وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتَم فضةً . و (الإنقاض) : مصدرُ أنقَضَت الدجاجة : إذا صوّتت — وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة — ورُوى بدله : « أصوات الفراريج » جمع فَرُّوجة ، وهى صغار الدَّجاج . يريد أنَّ رحالهم جُدُد وقد طال سيرهم فبعض الرحل يحكّ بعضاً فتصوّت مثلَ أصوات الفراريج ، من شدّة السير واضطراب الرحل .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لذى الرُّمّة . ومن أبيات هذه القصيدة قوله :

أبيات الشاهد

(وراكدِ الشَّمسِ أجَّاجٍ نَصبتُ له حواجبَ القوم بالمَهْرِيَّة العُوج
إذا تنازع جالا مَجْهَلٍ قَذَفٍ أطرافَ مُطَّرِدٍ بالحرِّ منسوجِ
تَلوِى الثنايا بأحقِيها حواشِيَه لَىَّ المُلاءِ بأبواب التَّفاريج)

أى ربَّ يوم راكدِ الشمس ، أى لا تكاد شمسه تزول من طوله . وأراد بالأجّاج أنّ ذلك اليوم له توهّج واشتعال كالأُجاج بالضم ، وهو اللهب . وقوله : نصبت له الخ ، أى استقبلته بحواجب القوم . والمَهْرِيّة : الإبل المنسوبة إلى مَهْرة . والعُوج : التى ضَمَرت فاعوجّت .

وقوله : إذا تنازع الخ ، إذا ظرف لقوله نصبت ، أى رب يوم نصبت له حواجبَ القوم إذا تنازع الخ . وأخطأ مَن جعلها شرطيَّة وجعل جوابها البيت الذى بعدها .

والجالان ، بالجيم : جانباً بلدٍ مَجْهَل . وقَذَف — بفتح القاف والذال — : البعيد . أراد أن الجالين تنازعا أطراف طريق مطّرد بالحرّ ، أى كأنّه ماء يجىء ويذهب يتبع بعضه بعضا ، يعنى السَّرابَ ، فإنه يطّرد كالماء ونسجُه من الحر .

وقوله : تلوى الثنايا فعل وفاعل ، وحواشيَه مفعول . والثَّنايا : الطُرُق في الجبال . والأحقِي جمع حَقْو ، بفتح فسكون : الوسط ، وأصل الحقو الخصر وموضع شدّ الإزار ، والباء بمعنى على . والحواشي : الأطراف والنواحي . والضمير راجع إلى المطّرد المراد به السَّراب . ولَيَّ المُلاء : كطَيّها ، وهو مصدر تشبيهى لقوله تلوى . والمُلاء بالضم والمدّ : المِلْحفة إذا كانت من لِفْقة واحدة . والأبواب : جمع باب . والتفاريج (كما في العباب عن ابن الأعرابي) : فتحات الأصابع ، واحدها تِفراج بالكسر وخرُوق الدّرابزِين أيضا . وأنشد هذا البيت وقال : الثنايا الطرق في الجبال . يقول : الثنايا تلوى حواشي السراب أى بلغ السرابُ أوساطَ الثنايا . وحواشيه : أطرافه ، قال شارح الديوان : الثنايا تَلوِى أى تلُفّ حواشيَ السَّراب بأوساطها كما يُلوى المُلاء بالمصاريع ، وقيل الدرابزين : وما سمعت أنَّ المُلاء يلوى بمصاريع الأبواب . انتهى .

١٢١

وجوابه أنَّ مراد الشاعر أنَّ الستائر تُوضع وتُربط على الدرابزين وأبوابها للتجمُّل كما يفعله الأغنياء .

وهذا البيت أورده صاحب (الكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ الليلَ عَلى النَّهَارِ ويكَوِّرُ النَّهَارَ عَلىَ الَّيل[1] ﴾ على تشبيه كل منهما باللباس الذى يُكوّر ويُلَفّ على اللابس ؛ فإنَّ أحدَهما لمّا كان غاشياً للآخر أشبه اللباسَ الملفوف على لابسه في ستره إيّاه واشتماله عليه وتغطّيه به ، كما شبّه ذو الرمة طيّ الهضاب حواشيَ السراب بطيِّ الستائر بالأبواب[2] .

---

(١) الآية ٥ من الزمر .

(٢) فى النسختين : « الساتر بالأبواب » ، وصوابه من مقتضى التفسير السابق .

وقد أخطأ شارح شواهد التفسيرين فى قوله : تلوى الثنايا ، جواب فى البيت الذى قبله . فتأمَّلْ .

وترجمة ذى الرمة قد تقدمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب[١]

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد السبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢]

٢٧٠ (وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا ودَوْلةُ آخَرِينَا

على أن (ما الحجازيّة) إذا زيد بعدها (إن) لا تعمل عمل ليس ، كما هذا البيت .

قال الأعلم : إنْ كافّة لما عن العمل ، كما كَفَّت ما إنّ عن العمل . والطِب بالكسر ههنا بمعنى العلّة والسَّبب ، أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنّما كان ما جرى به القدر من حُضور المنية ، وانتقال الحال عنّا والدُّولة .

وقال فى الصحاح : تقول ما ذلك بطِبّي أى دَهرى وعادتى . وأنشد ها البيت للكميت[٣] . وهذه النسبة غير صحيحة كما يأتى بيانه قريبا .

و (الجبن) : ضدُّ الشجاعة . وهو مصدر جبُن جَبناً كقرب قرباً ، فهو جَبانٌ أى ضعيف القلب . والجُبْن المأكول فيه ثلاث لغات ، أجودها سكو

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٥/٢ : ٣٠٥ . وانظر السيرة ٩٥٠ والخصائص ٣ : ١٠٨ والمنصف ٣ : ١٢٨ وشرح شواهد المغنى ٣٠ والهمع ١ : ١٢٣

(٣) الذى فى الصحاح (طبب) : « قال الشاعر » ، بدون تعيين فلعل النسبة من نسخة خاصة للبغدادى .

الباء والثانية ضمّ الباء للإتباع ، والثالثة وهي أقلّها التشديد[١] كذا في المصباح و (المنايا) : جمع منيّة ، وهي الموت ، لأنّها مقدَّرة ، مأخوذة من المَنـا بوزن العصا وهو القدَر ، يقال مُنِي له أي قُدِّر بالبناء للمفعول فيهما .

روى السيِّد علم الهدىٰ المرتضى (في أماليـه) أنّ مُسلماً الخُزاعيَّ ثمّ المصطلِقيَّ قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قولَ سُوَيد بن عامر المصطلِقي[٢] :

لا تأمَنَنَّ وإنْ أمسيتَ في حَرَمٍ ... إنَّ المنايا بكفَّيْ كلِّ إنسانِ[٣]

واسلُكْ طريقَكَ تَمشي غيرَ مختشِعٍ ... حتّي يُبَيِّنَ ما يمنى لك المانى[٤]

فكلُّ ذي صاحب يوماً يفارقُه ... وكلُّ زادٍ وإن أبقيته فانِ

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ في قَرَنٍ ... بكلِّ ذلكَ يأتيك الجديدانِ[٥]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدركته لأسلم . انتهى .

وأنشد في الصحاح لهذا المعنى قوله :

١٢٢ * حتّى تلاقىَ ما يَمنى لك المانى *

(١) أي تشديد النون .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ٣٦٨ وكذا في العقد ٥ : ٢٧٥ ونسبت في ديوان الهذليين ٣ : ٣٦ ـ ٣٩ وشرح السكري ٧٠٩ لأبي قلابة الهذلي . وكذلك حماسة البحتري ١٣٢ قال : « ورويت لغيره » .

(٣) وكذا في أمالي المرتضى . وفي الهذليين والسكري : « بجنبى كل انسان » .

(٤) المرتضى والهذليين والسكري : « حتى تبيَّن » .

(٥) في الهذليين وشرح السكري : « ان الرشاد وان الغى في قرن » .

وفى حواشيه : أوّله :

ولا تقولنْ لشىء سوف أفعلُه حتّى تَبيّنَ ما يَمنى لك الخ

قال : والبيت لأبى قِلابة الهُذَلى . والله أعلم .

والدّولة بالفتح : الغلَبة فى الحرْب ، وبالضمّ تسكون فى المال ، وقيل هما بمعنًى اسمٌ لقولك تداول القومُ الشىء ، وهو حصولُه فى يد هذا تارةً وفى يد هذا أخرى . ودالت الأيام تَدُول ، كدارت تدور وزنًا ومعنى .

وروى ابن هشام (فى السيرة) بدله : (وطُعْمة آخرينا) .

وفيه مع ذكر الُجبن مالا يخفى .

وأورد ابن قتيبة (فى ترجمة خُفاف بن نَدبة من كتاب الشعراء[1]) قوله :

فلم يكُ طِبّهم جُبنٌ ولكنْ رَميناهم بثالثة الاثافى

قال : وهذا مما يُسأل عنه[2] .

أقول : ثالثة الأثافى هى الجبل ، لأنه يجعل حجَران إلى جنبه فيكون الثالثَ ؛ فيقول : كانوا شجعانا ليس فيهم جُبْن ولكن رميناهم بداهية عظيمة مثلِ الجبل . وقد روى أبو عبيدة البيتَ هكذا :

فلما أنْ أبوا إلاّ علينا رميناهم بثالثة الأثافِى

---

(١) الشعراء ٣٠١ .

(٢) الميمنى : « هذه الأبيات يسميها قدامى العلماء أبيات المعانى . وقول ابن قتيبة مما يسأل عنه ، لم تكرر فى كتابه الا مرة أخرى واحدة قبل بيت قاله يحيى بن نوفل فى سالم بن المسيب :

فتى قد كان يعمل اصبعيه بنافذة من البيض القصار

يعنى الابرة ، يريد أنه كان خياطا » . انظر الشعراء ٧٢٠ .

وهذا البيت من أبياتٍ لفروة بن مُسَيكٍ المُرَادىّ ، رواها أهل السير صاحب الشاهد كابن هشام(١) والـكَلاعىّ وغيرهما ، وهى :

(فإن نَغْلِب فغَلاّبُون قِدْماً وإن نُغلَبْ فغيرُ مغَلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْنٌ ولـكن منايانا وطُعْمَةُ آخرينا
كذاك الدهر دُولته سِجالٌ تَـكُرُّ صروفُه حيناً فحينا
فبينا ما نُسَرُّ به ونرضى ولو لُبِست غَضارته سنينا
إذَا انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ فألفيتَ الأُلى غُبِطوا طَحينا
فمن يَغبِط بريب الدهر منهم يجدْ ريبَ الزمان له خؤونا
فلو خَلَد الملوكُ إذن خَلَدنا ولو بقِىَ الـكرامُ إذن بقِينا
فأفنى ذلـكم سَرَواتِ قومى كما أفنى القرون الأوّلينا)

قوله : فغير مغلَّبينا ، المغلَّب المغلوب مراراً . والسِجال بالـكسر : مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب ، قال الميدانى (فى أمثاله) : المساجلة أن تصنع مثلَ صنيع صاحبك مِن جَرْى أو سَقى ، وأصله من السَّجل وهى الدلو فيها ماء قلَّ أو كثر . وحقيقة السجال المغالبة بالسَّقى بالسجل ، ومنه معنى المباراة والمفاخرة والمعارضة . وتَـكُر : ترجع . والصُّروف : الحوادث . والغَضارة بالفتح : الخير والخِصب . وألفَيت : وجدت . وغُبِطوا بالبناء للمفعول من الغبطة اسم من غَبَطْته غَبَطا من باب ضرب ، إذا تمنّيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه ، لِمَا أعجبك منه وعظُم عندك . ورَيب الدهر : ما يحدث منه . والخؤون بفتح المعجمة : مبالغة الخائن . وقوله : فأفنى ذلـكم . الإشارة لـكَرّات الدهر وحوادثه . والسَّرَوات : جمع سَرَاة بفتح السين ، وهو مفرد

(١) السيرة ٩٥٠ والروض الأنف ٢ : ٣٤٤ .

بمعنى الرئيس والشريف ، وليس جمعَ سريّ كما يأتى بيانه فى موضع آخر .

١٢٣ وفَروةُ بن مُسَيك صحابىٌّ أسلم عامَ الفتح ، وذلك [أنه] لما افتتح رسول

فروة بن مسيك الله صلى الله عليه وسلم مكّة ودانت له قريش عرفت العرب أنّهم لا طاقة لهم بحَربه فدخلوا فى دين الله أفواجاً ، فقدمت عليه وفود العرب . وممن قَدِم فروةُ بن مُسَيك المرادى ، قدم إلى المدينة وكان رجلا له شرف ، فأنزله سعد ابن عبادة عليه ، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ فى المجلس ، فسلَّم عليه ثم قال : يا رسول الله ، أنا لِمَنْ ورائى من قومى . قال : أين نزلت يافروة ؟ قال : على سعد بن عبادة . قال: بارك الله على سعد بنُعبادة. وكان يحضر مجلسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلَّم القرآن وفرائضَ الإسلام . وكان بين مُراد وهَمْدان قُبيلَ الإسلام وقعةٌ أصابت فيها هَمْدان من مراد — وكان يقال لذلك اليوم يوم الرَّدْم[1] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فروة ، هل ساءك ما أصابَ قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يا رسول الله من ذا يصيب قومَه مثلُ ما أصاب قومى لا يسوؤه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَا إنَّ ذلك لم يزدْ قومَك فى الإسلام إلاّ خيراً . وفى ذلك اليوم قال فَروة هذه الأبيات . واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُراد وزُبيد ومذْحِج ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاصى على الصدقة ، وكتب فيها كتاباً لا يعدُوه إلى غيره ، وكان خالدُ معه فى بلاده حتى توفّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا فى سيرة ابن هشام والكلاعى .

وذكر الواقدى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمله أيضاً على

(١) الميمنى : « تبع البغدادى فى هذا التصحيف عامة نسخ السيرة والاصابة ، والصواب أنه يوم الرزم ، كما هو عند البكرى وياقوت والبلجرامى . وعند السيوطى ٣١ : يوم الرذم مصحفا » .

صدقات مَذحِج . وذكر غيره أنه انتقل إلى الكوفة فسكنها . وأخرج ابن سعد أنّ رسول الله أجاز فروة باثنتى عشرة أوقيّة ، وحمله على بعير نجيب ، وأعطاه حلّة من نسج عُمان .

وفروة بفتح الفاء وسكون الراء بعدها واو ، ومُسيك بضم الميم وفتح السين . ومُراد : قبيلة باليمن .

فإن قلت : كيف اعترف بالانهزام مع ما فيه من العار ؟ قلت : هذا موقوف على سماع قصّته فإن أصحاب المعانى لا يقدرون على فهم مثل هذا إلا بقصّته[1] .

وهى كما رواها أبو محمد الأعرابى (فى فرحة الأديب) : أنه كان صنم مرادٍ فى أعلى وأنعَم ، وهما بطنان من مُراد ، فقالت أشرافُ [من] مُراد : [مابالُ] آلهتِنا لاتكون فى عَرانيننا[2] ! فأرادوا انتزاع الآلهة منهم، فخرجوا منهم فأتوا بنى الحارث فاستجاروا بهم ، وأرسلت مراد إلى بنى الحارث أن أخرجوا إخوتَنا من داركم وابعثوا إلينا برجلين منكم لنقتلهما بصاحبنا — وكانت مراد تطلب بنى الحارث بدم ، فلما رأى الحصين بن يزيد بن قَنان أنّ مراداً قد ألحت فى طلب أصحابهم هابَهُم وعلم أنه لاطاقة له بهم . وكانت مراد إذا قُتل منهم رجلٌ قَتَلوا به رجلين ، وكانوا لايأخذون الدية إلاّ مضاعفَةً — فسار حصين بن يزيد ، وهو رئيس بنى الحارث ، إلى عُمير ذى

(١) مثل هذا الكلام لأبى محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ٥٤ بخط البغدادى ، فما وضعته من النص الآتى بين معكفين فهو من هذا الكتاب .

(٢) ط : « فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون فى عرانينا » ش : « فقالت أشراف مراد الهنا لايكون فى عرانيننا » ، صوابه من فرحة الأديب .

مُرَّان ، فسأله أن يركب معه إلى أرحبَ فيصلح بينه وبينهم ، ويسألهم الحلفَ على مراد ، لأنه كان بينه وبين أرحب دماء ، فركب معه إليهم فأصلح بينهم وسألهم أن ينصروه ويحالفوه على مراد ، فقال الحصين : يامعشر أرحب ، إنّى لست بأسعد بهلاكِ مرادٍ منكم — وكانت أرحبُ تغاور مراداً قبل ذلك — فخالفته أرحب ، فسار حصين بن يزيد ببنى الحارث ، وسارت البادية

١٢٤ من همدان وعليهم يزيد بن ثُمامة الأرحبي الأصمّ ، وأقبلت مراد [كأنّهم حَرَّة سوداء يدِفّون دفيفاً] ، وعليهم الحارث بن ظَبيان المثلّم ، وكان يكنى أباقيس الأنعَمى ، فاقتتلوا بموضع يقال له الردم[1] إلى جنب أباء قتالا شديداً ، فتضعضعت بنو الحارث وأقبل عليهم الحصين فقال : يابنى الحارث ، والله لئن لم تضربوا وجوهَ مرادٍ بالسّيوف حتى تخلوَ لكم العَرْصة لأتركنّكم تُنفَّلون فى العرب ! ثم أقبل على بادية همدان فقال : يامعشر همدان الصَّبرَ الصبرَ ، لاتقول مراد إنّا لجأنا إلى عدَد همدان وعِزّها فلم يغنوا عنّا ! فاقتتل القوم قتالا شديداً فقُتل الحصين وصبر الفريقان جميعاً ، فتهيّأت بنو الحارث للفِرار وتضعضعت أرحب ، وقد كانوا أحضروا النّساء معهم فجعلوهنّ خلف ظهورهم ، فلمّا رأت أرحب النساء قد بدت خلاخيلُها للفِرار عادوا للقتال وقالوا : لا نفرّ [حتى يَفِرّ] يغوث ! وصبروا للقوم ، وصبرت بنو الحارث معهم ، فانهزمت مراد واستذرع القتلُ فيهم ، وسبَوْا نساء من نسائهم ، فأدرك الإسلامُ وهُنّ فى دُور همدان ، وقُتل المثلّم رئيس مراد ، وعزيز ، وقيس ، ونِمْران ، وسُمَىّ ، المراديّون . وقتل فى ذلك اليوم الحصين بن يزيد الحارثى . وقال فى ذلك يزيد ابن ثمامة الأرحَبى :

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ١١٦ .

لقد علم الحىُّ المصبَّح أنَّني بجنب أباء غيرُ نِكس مُواكِل
تركت عزيزاً تحجل الطيرُ حوله وغشّيت قيساً حدَّ أبيضَ فاصلِ[١]
ونمْرانَ قد قضّيت منه حَزازةً على حَنَق يوم التفاف القبائل[٢]
عكبٌّ شفيتُ النفسَ منه وحارثٌ بنافذةٍ فى صدره ذى عوامل
وأردَتْ سُحيًّا فى المَكرِّ رماحُنا وصادف موتاً عاجلاً غير آجل

وبهذه القصيدة[٣] يعرف معنى قوله :

* فإنْ تَهزِمْ فهزّامون قِدما * (البيت)

وذلك أن مراداً لم تدر عليهم دائرة قبل يوم الردم[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائتين[٥] :

٢٧١ (بَنى غُدانةَ ماإنْ أنتمُ ذَهباً ولا صريفاً ولكنْ أنتمُ الخزَفُ)

على أنه قد جاءت (إن) بعد (ما) غير كافّة . وقد بينه الشارح المحقق.

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : النصب رواية يعقوب بن السكيت، والرفع رواية الجمهور على أنَّ إن كافّة لما عن العمل . قال : وزعم الكوفيون

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « قاصل » بالقاف ، وفى اللسان : « وسيف قاصل ، ومقصل ، وقصال : قطاع » .

(٢) ط : « منهم » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٣) كذا فى النسختين ، وهى صحيحة ، وقد تكون « القصة » .

(٤) انظر ما سبق من تحقيق الكلمة فى حواشى ص ١١٦ .

(٥) شرح شواهد المغنى ٣١ وشذور الذهب ١٩٤ والتصريح ١ : ١٩٦ والعينى ٢ : ٩١ والهمع ١ : ٢٣

على رواية النصب أنّ إنْ نافية لا كافة .ويلزمهم أن لا يبطل عملها كما لا يبطل عملُها إذا تكرّرت على الصحيح ، بدليل قوله :

لا يُنسِكَ الأسَى تأسِّياً فما ما من حِمامٍ أحدٌ معتصما[1]

ومعنى : هذا البيت : لا يُنسِك ما أصابك من الحزن على من فقدته أن تتأسّى بمن سبقك ممّن فَقَدَ أحبابه ، فليس أحدٌ ممنوعا من الموت . ومن زعم أنّ ما إذا تكرّرت يبطل عملها جعل منفيّ ما الأولى محذوفا ، أى فما ينفعك الحزن ، وهو تكلّف .

واستشهد شراح الألفية بهذا البيت — على رواية رفعه — على أنّ إن فيه كافّة . و (بنى غُدانة) منادى بتقدير يا ، وغدانة بضم الغين المعجمة : حىٌّ من يربوعٍ من بنى تميم . و (الصَّريف) بفتح الصاد والراء المهملتين ، قال ابن السكّيت : هو الفضَّة . وأنشد هذا البيت . و (الخَزَف) بفتح المعجمتين ١٢٥ قال ثعلب (فى أماليه) : هو ما عُمِل من طين وشُوِى بالنار حتى يكون فخّاراً . وأنشد هذا البيت : ولم أر مَنْ نسب هذا البيتَ لقائله مع كثرة الاستشهاد به فى كتب النحو واللغة . والله أعلم

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

---

(١) العينى ٤ : ١١٠ والهمع ١ : ١٢٥ : ٢/١٢٤ والأشمونى ٣ : ٨٣ ويس ٢ : ١٣٠

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر الانصاف ٢٦٩ والعينى ٤ : ٨/٤٩٦ : ١٢٩ والهمع ١ : ٢٢٣ ، ٢/٢٢٥ : ١٥٨ وديوان النابغة ١٦ .

٢٧٢ (إلاَّ أَوَارِيَّ ماإنْ لا أبينُها)

على أنَّ الفرَّاء أنشده بالجمع بين ثلاثة أحرف نافية ، والرواية : (لأياً ماأبينها) . هذه الرواية أنشدها الفراء (فى تفسيره المسمَّى بمعانى القرآن فى أواخر سورة يونس) عند قوله تعالى ﴿ فَلولاَ كانتْ قَرْيةٌ آمَنَتْ فَنفَعَها إيمانُها إلاَّ قومَ يُونُس[1] ﴾ . وهذا نص كلامه : فى قراءة أُبَيٍّ (فَهَلاَّ) لأنَّ معناها أنَّهم لم يؤمنوا ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أنَّ مابعد إلاَّ فى الجحد يتبع ماقبلها فتقول : ماقام أحـدٌ إلاَّ أبوك ، وهل قام أحدٌ إلاَّ أبوك ، لأنَّ الأب من الأحد : فإذا قلت : مافيها أحد إلا كلباً وحمارا ، نصبت لأنها منقطعةٌ مما قبلَ إلاَّ[2] ، إذ لم يَكنْ[3] من شكله ولا جنسه : كذلك كان قوم يونس منقطعين من قوم غيره من الأنبياء . ولو كان الاستثناء هاهنا وقع على طائفةٍ منهم لـكان رفعًا . وقد يجوز الرفع فيها كما أن المختلف فى الجنس قد يتبع فيه مابعد إلاَّ ماقبل إلا كما قال الشاعر[4] :

وبلدةٍ ليس بهـا أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ

والنصبُ فى قوله تعالى : ﴿ مالهُمْ بهِ مِنْ عِلْمٍ إلااتباعَ[5] الظَّن ﴾ لأنَّ تتبُّع[6] الظنّ لا ينسب إلى العلم . وأنشدونا بيت النابغة بالنصب :

---

(١) الآية ٩٨ من سورة يونس . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٧٩

(٢) فى النسختين : « لأنهم منقطعون مما قبل الا » ، صوابه من معانى الفراء .

(٣) فى النسختين : « لم يكونوا » صوابه من معانى الفراء .

(٤) هو جران العود . ديوانه ٥٢ . وسيأتى الكلام عليه فى الشاهد ٨٠٤ .

(٥) الآية ١٥٧ من النساء .

(٦) فى المعانى : « لأن اتباع » .

. . . . وما بالربع مِنْ أحَدِ
إلا أواريَّ ماإن لا أبيِّنها[١] . . . .

قال الفرّاء : جمع فى هذا البيت بين ثلاثة أحرفٍ من حروف الجحد : لا ، وإن ، وما . والنصب فى هذا النوع المختلفِ من كلام أهل الحجاز ، والإتباعُ من كلام تميم . انتهى كلام الفرّاء .

وأراد اجتماعها على سبيل التوكيد ، لا أنّ الثانى نافٍ للنفى فيُثبِت ، والثالثَ نافٍ للثانى فينْفى .

وقد أورد الفرّاء (فى تفسيره) الرواية التى ذكرها الشارح فى أواخر سورة النساء عند قوله تعالى ﴿ لا خَيْرَ فى كثيرٍ مِنْ نجْواهُم إلا مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ[٢] ﴾ قال : مَنْ فى موضع خفضٍ ونصبٍ[٣] : الخفضُ إلا فيمن أمَرَ بصدقة . والنَّجوى ههنا رجال كما قال تعالى : ﴿ وإذْ هُم نجْوَى[٤] ﴾ ومن جعل النَّجوى فِعلاً كما قال تعالى : ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نجْوى ثَلاثةٍ[٥] ﴾ فَمَنْ حينئذ فى موضع رفع . وأما النَّصب فأن تجعل النجوى فعلًا فإذا استثنيت الشىء من خلافه كان الوجه النصبَ ، كما قال الشاعر :

. . . . وما بالربع مِنْ أحد
إلا أواريَّ لا يًا ما أبينها والنؤْى كالحوض بالمظلومة الجَلَد

(١) فى النسختين : « لا ان ما » ، صوابه من معانى الفراء ومما سبق .
(٢) الآية ١١٤ من سورة النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٨٧ .
(٣) وكذا فى معانى الفراء ، مع أنه تعرض للرفع فيما بعد
(٤) الآية ٤٧ من الاسراء .
(٥) الآية ٧ من المجادلة .

وقد تكون في موضع رفع وإن رُدَّت على خلافها ، قال الشاعر :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيس[١] انتهى

وإنّما سقنا كلاَمه في الموضعين بُرمّته للتبرك ، وليُعلَم طرز تفسيره ، فإنه لقدمه قلّما يطلع عليه أحد[٢] .

وقد أورده الزجاجي[٣] بهذه الرواية أيضاً (في تفسيره المعروف بمعاني القرآن) في سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ إنّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتخاذِكُمُ العِجْلَ[٤] ﴾ قال : الظُّلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه ، العرب تقول : « مَنْ أشبَهَ أباه فما ظَلَمَ » معناه لم يقع الشبهُ غيرَ موقعِهِ ؛ ويقال ظلم فلان سِقاءه إذا شرب وسَقى منه قبل إدراكه ، وأرض مظلومة ، إذا حُفر فيها ولم يكن حُفِر فيها قبلُ ، وإذا جاء المطر يقربها ويتخطّاها . قال النابغة : ١٢٦

إلا الأواريَّ لأياً ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

وأورده الزجّاج أيضا عند قوله تعالى : ﴿ ولَوْ أنّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أنِ اقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُم[٥] ﴾ . قال : وأمّا رفع (إلاّ قليلٌ منهم) فعلى البدل من الواو ، والمعنى ما فعله إلا قليل . والنصب جائز في غير القرآن على معنى ما فعلوه ، أستَثْني قليلا منهم . وعلى ما فسّرناه في نصب

(١) سبق الكلام عليه قريبا .

(٢) طبع معاني القرآن للفراء بدار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ بتحقيق الاستاذين أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار .

(٣) الميمني : « الصواب الزجاج ، والتفسير المذكور له للزجاجي . وهو على الصواب في سائر المظان . انظر اقليد الخزانة »

(٤) الآية ٥٤ من البقرة .

(٥) الآية ٦٦ من النساء .

الاستثناء فإن كان فى النفى نوعان مختلفان فالاختيار النصب ، والبدل جائز ، تقول : ما بالدار أحدٌ إلا حِماراً . قال النابغة الذبيانى :

وَقَفْتُ فيهـا أُصَيـلالا أسائِلُهـا عَيَّتْ جَوَابًا وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إلا أواريَّ لأيًا ما أبيِّنها . . . . الخ

فقال : ما بالربع من أحد ، أى ما بالربع أحدٌ إلاّ أوارىَّ . لأنَّ الأوارىَّ ليست من الناس . وقد يجوز الرفع على البدل وإن كان من غير جنس الأوّل كما قال الشاعر :

وبلدةٍ ليسَ بهـا أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيسُ

فجعل اليعافير والعيس بدلاً من الأنيس . وجائز أن يكون جعل أنيسَ ذلك البلد اليعافير والعيس . انتهى كلامه .

وقد رويا كلاهما إلاّ الأوارىَّ معرّفا ومنكّرا . قال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح) حكى عبدُ القاهر عن شيخه عبد الوارث ابن أخت أبى علىّ أنّه قال : الجيّد أن يروى « إلاّ الأوارىّ » بالألف واللام ، ليكون الفتح خالصاً . وإذا نُكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد ، ولكن لم يُكسر لأنه غير منصرف . انتهى .

وقوله : « وإذا نكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد » هذا الجواز ممنوع عند البصريين . وقد بينه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) قال : ويروى عن الكسائى أنّه أجاز خفض الأوارىّ على البدل من لفظ أحد . وهذا عند البصريِّين خطأ ؛ لأنه يصير التقدير : وما بالربع إلاّ من أوارى ؛ فتكون من زائدة فى الواجب . ومِنْ لا تزاد إلاّ فى النفى . ولو أنها مِن التى تدخل على الموجب والمنفىّ لجاز ذلك كقولك : ما أخذت من أحد إلا زيدٍ درهماً .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدح بها النعمانَ بنَ المنذر ، صاحب الشاهد واعتذر إليه مما بلغه عنه . وهذا مطلع القصيدة :

(يا دارَمَيَّـةَ بالعَلْيَـاء فالسَّـندِ أقْوَتْ وَطالَ عليها سَالِف الأبَدِ

وقفتُ فيهـا أُصيـلانًا أسائلُهـا عيَّتْ جوابًا ومابالرَّبع مِنْ أحَدِ[1]

إلا الأوارىّ لأيا . . . . البيت)

وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها فى عدّة مواضع[2] .

وقد أورد سيبويه هذه الأبيات الثلاثة ، قال الأعلم : الشاهد فى قوله : إلا الأوارىَّ بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنها من غير جنس الأحَدِينَ . والرفع جائز على البدل من الموضع . والتقدير : وما بالربع أحد إلا الأوارىُّ . على أن يُجعل من جنس الأحدِينَ اتِّساعا ومجازاً . انتهى . ١٢٧

قال ابن السِّيد : الرفع على البدل من موضع من أحد . لأنَّ مِن زائدة وأحد مرفوعٌ فى المعنى وإن كان مخفوضًا فى اللفظ ؛ وليست ببدل من موضع الجارّ وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولـكنها بدل من موضعهما معًا .

والبيت الأول يأتى شرحه إن شاء الله فى الفاء من حروف العطف[3] .

وقوله : وقفت فيها[4] البيتين ، وصف أن دارميَّة خلت من أهلها ، فسألها توجُّعًا وتذكّراً لمن حلّ بها فلم تجبه ؛ إذْ لا مجيب بها ولا أحدَ فيها إلا الأوارىّ ؛ وهى محابس الخيل ، واحدها آرىّ ؛ وهو من تأرّيت

(١) ش : « أصيلالا » ، وهى رواية ولغة فى « أصيلان » بالنون .

(٢) الصواب فى موضعين . انظر الشاهد ٢٣٦ وقد سبق فى ٣ : ٤٠٣ والشاهد ٢٤٧ وسيأتى فى ٤ : ٣ بولاق .

(٣) وهو الشاهد ٨٨٩ .

(٤) ط : « وقفت بها » ، صوابه فى ش .

بالمكان : إذا تحبستَ به . واللأى : البُطء . والمعنى : تبيّنتها بعد بُطءٍ لتغيُّرها . والنؤىُ : حاجز حولَ الخباء يَدفع عنه الماء ويُبعِده ؛ وهو من نأيت إذا بعدت . وشبَّهه فى استدارته بالحوض . والمظلومة : أرض حُفر فيها الحوض لغير إقامة لأنَّها فى فَلاة فظُلمت بذلك ، وإنما أراد أنَّ حفر الحوض لم يُعمّق فذلك أشبه للنؤى ، ولذلك جعلها جَلَدا ، وهى الصُّلبة .

هذا ما قاله الأعلم إجمالا ، وأما تفصيلا ، فقوله : « أصيلانا » منصوب على الظرف وفيه ثلاثة أقوال : الأوّل أنه مصغر أَصِيل على غير قياس كأنه تصغير أُصلان ، قاله ابن السيد . الثانى : أنه تصغير أُصلان وهو جمع أصيل كرغفان جمع رغيف . وردَّه أن جمع الكثرة لا يصغَّر إلاّ بردِّه إلى المفرد . الثالث : أنه مصغَّر أُصلان أيضًا ، لكن أُصلانا اسمٌ مفرد بمعنى الأصيل مثل التُّكْلان والغفْران . حكى هذين القولين شارحُ الديوان واللخمىّ . وروى أيضًا : « أصيلالا » بإبدال النون لامًا . والأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب . وروى أيضًا :

* وقفت فيها أُصيلاً كى أسائلَها *

وروى أيضا :

* وقفت فيها طويلاً كى أسائلها *

وهو إمَّا بتقدير وقوفا طويلا وإمّا بتقدير وقتًا طويلا . وقوله : أسائلها ، الجملة حال : إمّا من تاء وقفتُ فهى جارية على من هى له ، وإمّا من ضمير فيها فتكون لغير من هى له . وإنما جاز الوجهان لأنّ فى أسائلها ضميراً راجعًا إلى السائل وضميراً راجعًا للمسئول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير من هى له لأنّ الفعل يستتر فيه ضمير الأجنبى وغيره ، لقوّته فى الإضمار . فعلى

الأوّل تقديره مُسائلَها ، وعلى الثانى مُسائلَها أنا ، باظهار الضمير . ولا يجوز أن تكون الجملة حالاً من الضميرين على حدّ لقيته راكبين ، لاختلاف العاملين ، ولِماَ فى ذلك من التناقض . كذا قال ابن السيد .

وقوله : عيَّت ، استئناف بيانىٌ ؛ وقيل حال ، بتقدير قد ، من ضمير الدار فى أسائلها . يقال عَيِيت بالأمر بالكسر : إذا لم تعرف وجهه ، وروى أيضًا : « أعيت » بالألف ، أى عَجَزت . وجوابًا : إمّا تمييز محوّل عن الفاعل أى عىّ[١] جوابُها ، ثم أسند الفعل إلى ضمير الدار . وهذا كقوله[٢] :

* وقفت برسّمها فعىَّ جوابها[٣] *

وإمّا منصوب بنزع الخافض أى عيَّت بجواب ، ذكرهما ابن السيد .

وقال اللخمىّ : جوابًا منصوب على المصدر ، أى عيَّت أن تجيب جوابا . وفيه نظر ظاهر .

وقوله : وما بالربع الخ ، قال ابن السِّيد . إن شئت جعلتَها لا محلّ لها من الإعراب ، وإن شئتَ كانت حالاً من ضمير عيّت المستتر أو من ضمير أسائلها ، ويلزم على هذا تقدير ضمير صاحب الحال ، أى وما بالربع منها . وعند الكوفيّين أل فى الربع مُعاقبة للضمير ، أى وما بربعها . انتهى .

١٢٨

والرَّبع ، بالفتح : مَحَلّة القوم ومنزِلهم أينما كان . والمربع ، كجعفر : منزِلهم فى الرَّبيع خاصّة . ولم يصب اللخمىّ فى قوله : الربع المنزلُ فى الربيع

---

(١) ط : « عن » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) هو أبو صخر الهذلى . أمالى القالى ١ : ١٤٨ .

(٣) عجزه :

* فقلت وعينى دمعها سرب همر *

خاصَّة ، ثم كثر في كلامهم حتى قيل لكل منزل ربع ، وقوله : مِن أحد ، من زائدة ، وأحد فاعل الظرف . وقوله :

* إلاّ الأوارى لأيًا ما أبيِّنها *

الأوارى يقال لها الأواخىُّ أيضًا ، وهما جمع آريّة وآخيّة بمد الهمزة وتشديد الياء فيهما ، وهى التى تُحبَس بها الخيل من وتِد وحَبْل . واللأْى ، قال ابن السيد : هو مصدر لم يُستعمل منه فعل إلاَّ بالزيادة ، يقال التأى ولا يقال لأى . والمظلومة فيها أقوال : قيل هى الأرض حُفر فيها ولم يكن بها حفرٌ قبل ذلك ، وقيل هى التى أتاها سيلٌ من أرض أخرى ، وقيل هى أرض مُطرت فى غير وقتها . وشِعْر النابغة يقتضى الأوّل . وقال ابن السكيت : إنما قيل بالمظلومة ، لأنّهم مرّوا فى بريّة فحفروا فيها حوضًا وليس بموضع حفر ، فجعلوا الشىء فى غير موضعه . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الصُّلبة من غير حجارة ، قال ابن السيد : وخصّها بذلك لأنّها إذا كانت صُلبة تعذّر الحفرُ فيها فلم يعمق الحفر فيها ، فهو أولى لتشبيه النؤى به . وفى رواية : الأوارىُّ والنؤىُ ، بالرفع على لغة تميم ، بالإبدال من موضع [من[1]] أحد ، وذلك على ثلاثة أوجه :

الأوّل أنّه أراد ما[2] بالربع إلاّ الأوارىّ ، فذكر مِن أحدٍ تأكيداً ، وكأنه فى التقدير : ما بالربع شىء أحدٌ ولا غيرُه إلاّ الأوارىّ .

والوجه الثانى : أنه جعل الأوارىَّ من جنس أحد على المجاز ، كما تقول

(١) التكملة من ش .
(٢) سقطت « ما » من المطبوعة .

تَحِيَّته السَّيف ، وما أنت إلا أكلٌ وشرب ؛ فجعل التحيةَ السيفَ ، وجعله الأكل والشرب مجازا .

والوجه الثالث : أنّه خلط من يَعقل بما لا يعقل ، ثم غلَّب من يعقل فقال : وما بالربع من أحد ، وهو يريد من يعقل ومالا يعقل ، ثم أبدل الأواريّ من لفظٍ اشتمل عليه وعلى غيره .

والقولان الأوّلان لسيبويه ، والثالث للمازنى .

وقوله : كالحوض ، قال ابن السيد : يحتمل وجهين : إنْ جعلت النؤى مرفوعاً بالابتداء فالظرف خبره ، وإنْ جعلته مرفوعاً بالعطف على الأواريّ فالظرف حال من النؤى — كمن نصب النؤى بالعطف على الأواريّ — وعامل الحال إذا نُصب النؤى معنى الاستثناء ، وإذا رفع فمعنى الاستقرار فى قوله بالربع . وقوله : بالمظلومة ، حال من الحوض والعامل مافى الكاف من معنى التشبيه[1] . فإن قلتَ : أىّ (مَا) هى فى قوله لأيا ّما أبينها ؟ قلتُ : هى كالتى فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضرِبَ مَثلاً ّما بَعُوضَةً[2] ﴾ قال صاحب الكشّاف : وما هذه إبهاميّة ، وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته شياعاً وعُموما ، كقولك : أعطنى كتاباً ّما — تريد أىَّ كتاب كان — أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثاَقَهُم[3] ﴾ انتهى . فالمعنى أنّ هذا الربع لخلوّه من الأهل

(١) ط : « فى معنى التشبيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٦ من البقرة .

(٣) من الآية ١٥٥ من النساء « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » ، والآية ١٣ من المائدة « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

قد سَفت الريح عليه التراب حتّى خفيت الأوارىُّ فيه ، فلا تظهر للناظر بادىَ بدء ، وإنّما يستبينها ببطء بعد التأمّل .

فإنْ قلت : رواية الفَراء[1] تناقض روايةَ الجمهور ؛ فإنّ روايته صريحة فى نفى استبانة الأوارىّ ، وحينئذ لا معنى لاستثناء الأوارى . قلتُ : هى بتقدير ما أبينها بسرعةٍ بل ببطء ، فتطابق رواية الجمهور ويصحّ الاستثناء .

١٢٩ فإن قلتَ : هل يصحُّ أن تكون «ما» فى رواية الجمهور نافية ؟ قلتُ : لا ، لأنّ المعنى حينئذ أنّ الأوارىَّ لم أتبيّنْها ببطء بل بسرعة . وهذا خلاف مراد الشاعر ، فتأمّل . وفى ذكر الأوارىّ دلالة على أنّ أهل الرَبع ذَوُو عزّ وشجاعة لاقتنائهم الخيل . والله أعلم .

وترجمة النابغة الذُّبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين[3] :

٢٧٣ (وما الدَّهرُ إلاّ مَنجنُوناً بأهلِهِ وَماصاحِبُ الحاجاتِ إلاّ مُعذَّباَ)

على أن يونس استدلَّ به على إعمال ما مع انتقاض نفيها بإلاّ .

وأجيب بأن المضاف محذوف من الأوّل ، أى [يَدور[4]] دورانَ منجنون ، ويدور خبر المبتدأ ، فحذف هو والمصدر وأقيم منجنون مقام المصدر .

---

(١) للفراء روايتان ، وانما يريد البغدادى رواية « الا أوارى لا ان ما أبينها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) انظر المقرب لابن عصفور والتصريح ١ : ١٩٧ والأشمونى ١ : ٢٤٨

(٤) التكملة من ش .

وأنَّ الثانى أصله وما صاحب الحاجاتِ إلاّ يعذَّب معذَّبا أى تعذيباً ، فيعذّب خبر المبتدإ ، فحذف وبقى مصدره . فلا عمل لما فى الوضعين .

وخرَّجه صاحب اللب على أنه بتقدير : وما الدهر إلاّ يُشبه منجنونا ، وما صاحب الحاجات إلاّ يشبه معذَّبا ، فهما منصوبان بالفعل الواقع خبرا ؛ ومعذَّب على هذا اسم مفعول ، وهذا أقل كُلْفة .

وقال شارح اللب السيدُ عبد الله : ويجوز أن يكون — أى منجنونا — منصوباً على الحال والخبر محذوف ، أى وما الدَّهر موجوداً إلاّ مثلَ المنجنون ، لا يستقرُّ فى حالة . وعلى هذا تكون عاملة قبلى انتقاض نفيها . وكذا يكون التقدير فى الثانى : أى وما صاحب الحاجات موجوداً إلاّ معذَّباً . ولا تقدّر هنا مِثْل ، لأنّ الثانى هو الأوّل .

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وجوّز ابن بابْشاذَ أن يكون الأصل إلاّ كمنجنون ، ثم حذف الجارّ فانتصب المجرور . ومن زعم أن كاف التشبيه لا يتعلق بشىء فهذا التخريج عنده باطل ، إذْ كان حقُّه أن يرفع المجرور بعد حذفها ، لأنّه كان فى محلِّ رفعٍ على الخبريَّة ، لا فى موضع رفع باستقرارٍ مقدَّر ؛ فإذا ذهب الجارُّ ظهر ما كان للمحلّ . انتهى .

وعندى أن يكون من قبيل تأويل من قرأ : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةً[1] ﴾ بالنصب ، أى نُرَى عصبة . والظاهر أن هذا أسهل .

ورواية البيت كذا هى الرواية المشهورة ، ورواه ابن جنّي (فى المحتسب) عند قراءة ابن مسعود : ﴿ إنْ كلٌّ إلاّ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ[2] ﴾ من سورة هود :

---

(١) الآية ٨ ، ١٤ من يوسف .

(٢) الآية ١١١ من هود . وانظر المحتسب ١ : ٣٢٨ طبع لجنة احياء التراث .

أرى الدهر إلاّ مَنْجَنُوناً بأهله   وما طالبُ الحاجات إلاّ معلَّلا

قال : معنى هذه القراءة مَا كُلٌّ إلاَّ واللهِ ليوفينَّهم ، كقولك : ما زيدٌ إلاّ لأضربنَّه ، أى ما زيد إلاّ مستحق لأن يقال فيه هذا . ويجوز فيه وجه ثانٍ : وهو أن تكون إنْ مخفَّفة من الثقيلة وتجعل إلاّ زائدة . وقد جاء عنهم ذلك ، قال :

أرى الدَّهر إلاَّ منجنونا   (البيت)

أى أرى الدهر منجنوناً بأهله يتقلَّب بهم ، فتارة يرفعهم وتارة يخفضهم . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : إنّما المحفوظ : وما الدهر . ثم إن ثبتت روايته فيتخرّج على أنّ أرى جوابٌ لقسم مقدَّر وحذفت لا ، كحذفها فى : ﴿ تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ[1] ﴾ ، ودلّ على ذلك الاستثناء المفرغ . انتهى .

١٣٠ وهذا البيت نسبه ابن جنى (فى كتاب ذا القد[2]) لبعض العرب . و (المنجنون) : الدولاب الذى يستقى عليه ؛ وهو مؤنث . قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنيّ المسمى بالمنصف) : ليس منجنون من ذوات الخمسة ، هذا محال ، لأجل تكرير النون ، وإنما هو مثل حنْدَقُوق ملحق بعَضْرفوط . ولا يجوز أن تكون الميم زائدة : لأنّا لا نعلم فى الكلام مَفْعَلولا . ولا يجوز أن تكون الميم والنون جميعاً زائدتين ، على أن تكون الكلمة ثلاثيّة من

---

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) فى هامش ش والمطبوعة : « ذا القد كتاب جمعه ابن جنى من كلام شيخه أبى على رحمهما الله تعالى » . قال الميمني : « وكذا فى نسخة من الأدباء ، وفى أخرى : ذى القد » . وانظر معجم الأدباء ١٦ : ١١٣ حيث

لفظ الجن ، من جهتين : إحداهما أنك كنت تجمع فى أول الـكلمة زيادتين وليست الـكلمة جارية على فعل مثل منطلق ومستخرج . والأخرى : أنّا لا نعلم فى الـكلام مَنْفعولا فيُحمل هذا عليه . ولا يجوز أيضاً أن تـكون النون وحدَها زائدة: لأنها قد ثبتت فى الجمع فى قولهم مناجين ، ولو كانت زائدة لقيل مجاجين ، فإذا لم يجز أن تـكون الميم وحدها زائدة ، ولا النون وحدها زائدة ، ولا أن يكونا كلتاهما زائدتين ؛ لم يجز إلاّ أن يكونا أصلين وتجعلَ النون لاماً مكرَّرة ، وتـكون الـكلمة مثل حَنْدَقوق ملحقة بعَضْرفُوط .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المـائتين وهو من شواهد س[(١)] :

٢٧٤ * فأصبَحوا قد أعادَ اللهُ دُولتَهُمْ
إذْ هُمْ قُريشٌ وإذْ ما مِثْلَهُمْ بَشَرُ *

بأنّ سيبويه حكى أن بعض الناس ينصب (مثْلَهُم) . وهذا لا يكاد يعرف . وقيل : إن خبر ما محذوف ، أى إذْ ما فى الدنيا بشر ، ومثلَهم حال من بشر ، وانتصابه عند الـكوفيين على الظرف أى فى مثل حالهم وفى مثل مكانهم من الرفعة .

قول سيبويه مبنى على إعمال ما ، والقولان بعده مبنيان على إهمالها . قال

(١) فى كتابه ١ : ٢٩ . وانظر مجالس العلماء للزجاجى ١١٣ وشرح شواهد المغنى ٨٤ ، ٢٦٥ والعينى ٢ : ٩٦ والتصريح ١ : ١٩٨ والهمع ١ : ١٢٤ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ والأشمونى ١ : ٢٣٠ ، ٢٤٨ وديوان الفرزدق ٢٢٣ .

سيبويه : وهذا لا يكاد يعرف ، كما أنّ ﴿ لاتَ حِينُ مَناص[١] ﴾ كذلك . وربَّ شيء هكذا . قال السيرافيّ : يعنى أنّ نصب مثلَهم بشر على تقديم الخبر قليل ، كما أنّ (لاتَ حينُ مَنَاص) بالرفع قليل لا يكاد يعرف . انتهى .

وقال أبو جعفر النحّاس : يذهب سيبويه إلى أنه نصب مثلهم على أنه خبر وإنْ كان مقدماً ، فكأنه يجيز ما قائماً زيد . (أقول) : كيف ينصبونه مقدماً ؟ قال النحاس : سألت أبا إسحاق عما قاله المبرد فقال : إنّه لعمرى من بنى تميم . ولكنه مسلم قدقرأ القرآن وقرأ فيه : ﴿ ما هذا بشرا[٢] ﴾ وقرأ : ﴿ ما هنّ أمّهاتِهم[٣] ﴾ فرجع إلى لغة من ينصب ، فلا معنى للتشنيع بأنه من بنى تميم . انتهى .

أقول : من نصب لا ينصب مع تقدُّم الخبر ، فلا يصحُّ هذا جواباً . وقيل : أراد الفرزدق أن يتكلَّم بلغة الحجاز فغلِط . وهذا باطل ؛ فإن العربىَّ لا يمكن أن يغلَط لسانه ، وإنما الجائز غلطه فى المعانى .

وقال الأعلم : والذى حمله عليه سيبويه أصحُّ عندى وإنْ كان الفرزدق تميمياً : لأنَّه أراد أن يخلِّص المعنى من الاشتراك : وذلك أنه لو قال فيه إذ ما مثلهم بشر بالرفع ، لجاز أن يُتوهَّم أنه من باب ما مثلُك أحداً ، إذا نفيت عنه الإنسانية والمروءة ، فإذا قال : ما مثلَهم بشر بالنصب لم يتوهَّم ذلك وخلص المعنى للمدح دون توهُّم الذم. فتأمَّله تجده صحيحاً . والشعر موضع ضرورة؛

(١) الآية ٣ من سورة ص . وقراءة رفع الحين هى لأبى السمال ، مع ضم تاء « لات » وقرأها عيسى « ولاتَ حينُ مناصَ » . تفسير أبى حيان ٧ : ٣٨٣ — ٣٨٤ .

(٢) الآية ٣١ من يوسف .

(٣) الآية ٢ من المجادلة . ويبدو أن فى هذا النص سقطا .

ويحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحرازِ فائدة ، فكيف مع وجود ذلك . وسيبويه ممن يأخذ بتصحيح المعانى وإن اختلفت الألفاظ ، فكذلك[١] وجَّهه على هذا وإنْ كان غيره أقرب إلى القياس . انتهى .

يريد بتخليص المدح أنك إذا قلت مامثلك أحداً فنفيت الأحديّة احتمل المدح والذم ، فإن نصبت المِثْل ورفعت أحداً تعين للمدح . انتهى[٢] . ١٣١

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وفيه نظر ؛ فإنّ السياق يعيِّن الكلام للمدح .

وقال فى الرد على المبرد أحمدُ بنُ محمد بن ولّاد : إنَّ الرواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تُغَيِّر البيتَ على لغتها وتَرويه على مذاهبها ، مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها ، ولذلك كثرت الروايات فى البيت الواحد . ألا ترى أنَّ سيبويه قد يستشهد ببيتٍ واحد لوجوهٍ شتَّى ! وإنّما ذلك على حسب ماغيّرته الرواة بلغاتها ، لأنَّ لغة الراوى من العرب شاهدٌ ، كما أنَّ قول الشاعر شاهد ، إذا كانا فصيحين . فمن ذلك ما أنشده سيبويه :

بدا لىَ أنى لستُ مدركَ ما مضى ولاسابقٍ شيئاً إذا كان جائيَا[٣]

---

(١) فى الأعلم : « فلذلك » ، وبذلك غيرها الشنقيطى فى نسخته فيما غيره بقلمه ، وكلاهما صحيح فى العربية .

(٢) يبدو أن هذه الكلمة مقحمة ، فان الكلام رأى خاص للبغدادى لا اقتباس له من غيره .

(٣) البيت لزهير نسبه سيبويه اليه فى ١ : ٨٣ ، ٤١٨ ، ٢/٤٥٢ : ٢٧٨ . ورواية « سابقا » فى أول موضع فقط . لكنه نسبه فى ١ : ١٥٤ الى صرمة الأنصارى مع رواية الجر . ورواه بدون نسبة ومع الجر فى ١ : ٢٩٠ .

ورواه أيضاً : (ولا سابقاً) فى موضع آخر . وكذلك قول الأعور الشَّنِّىّ :

فليس بآتيك مَنْهِيُّها ولا قاصر عنك مأمورُها[1]

بالرفع والجر . وهذا كثير جداً . انتهى .

وفيه أن بيت[2] الفرزدق ليس على لغة الحجاز ولا على لغة تميم وغيرها فكيف يكون من قبيل لغة الراوى ! فتأمَّلْ .

والقول الأوّل من القولين هو للمازنى ، وتبعه المبرد وقال : كأنَّ مثلَهم صفةٌ لبشر فلما قدّم عليه صار حالا .

قال السيد عبد الله (فى شرح اللب) : وفيه نظر لأنّ الحال فضلة يتم الكلام بدونها ، وههنا لا يتمّ الكلام بدون مثلهم ، فلا يكون حالاً .

وردّه ابن هشام أيضاً (فى شرح شواهده) بأن معانىَ الأفعال لا تعمل مضمرة . والكوفيُّون القائلون بنصب مثل على الظرف يقولون : أصله ما بشر فى مكانٍ مثل مكانهم ، ثم أنيبت الصفة عن الموصوف ، والمضافُ إليه عن المضاف . قال ابن هشام : ورُدّ بأنَّ الصفة إنّما تخلُف الموصوف إذا اختُصَّت بجنسه ؛ ولهذا جاز رأيت كاتباً ، وامتنع رأيت طويلا .

وبقى تخريج آخر لم يذكره الشارح المحقِّق ، وهو أنّ مثلهم خبر ما التميميَّة ؛ لكن بنى مثلَ على الفتح لإضافته إلى مبنىّ ، ؛ فإنَّ المضاف إذا كان مُبهَماً كغير ومثل ودون وأضيف إلى مبنىّ بُنِىَ كقوله تعالى : ﴿ إنَّهُ لحَقٌّ

(١) سيبويه ١ : ٣١ . ونسبه فى العمدة ١ : ١٣ الى عمر بن الخطاب، أو الأعور الشنى وفى العقد ٣ : ٢٠٧ لمحمد بن حازم .

(٢) فى النسختين : « باب » وحورها الشنقيطى فى نسخته الى « بيت » .

مثْلَ ما أنَّكُمْ تَنْطِقونَ(١) ﴾ فيمن فتح مثل ، أو كقراءة بعضهم : ﴿ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ ما أصابَ (٢) ﴾ بالفتح . وهذا أقرب الأقوال .

وزعم ابن مالك أنّ ذلك لا يكون فى مِثْل ، لمخالفتها للمبهمات بأن تثنّى وتجمع .

وقوله : (إذ هُمْ قريش الخ) إذْ فى الموضعين للتعليل . وبه استشهد ابن هشام فى هذا البيت (فى المغنى) .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها عمرَ بن عبد العزيز الأموى . وهذه أبيات منها(٣) :

أبيات الشاهد

(تقولُ لمَّا رأتنى وهى طيِّبة ... على الفراش ومنها الدَّلُّ والخَفَرُ
أصْدِرْ هُمُومَكَ لا يقتُلْكَ واردُها ... فكلُّ واردةٍ يوماً لها صَدَرُ)

إلى أن قال :

فعُجْتُها قِبَلَ الأخيارِ مَنْزلةً ... والطيِّبِي كلّ ما التاثت بها الأُزُر (٤)
إذا رجا الركب تعريساً ذَكَرت لهم ... عيشاً يكون على الأيدى له دِرَرُ (٥)
وكيف ترجون تغميضاً وأهلُكُمُ ... بحيث تلحَس عن أولادها البقرُ

---

(١) الآية ٢٣ من الذاريات .

(٢) الآية ٨٩ من هود . وقراءة النصب هى قراءة مجاهد والجحدرى وابن أبى اسحاق ، ورويت عن نافع أيضا . تفسير أبى حيان ٥ : ٢٥٥ .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٢٠ ـ ٢٢٤ .

(٤) فى الديوان : « به الأزر » :

(٥) فى الديوان : « غيثا يكون » .

١٣٢ سيرُوا فإنّ ابنَ ليلى عن أمامكم وبادروه فإن العُرفَ يُبتَدَر[١])
إلى أن قال :

(وما أُعيدَ لهم حتّى أتيتَهم أزمانُ مروان إذْ فى وحشها غِرَرُ
فأصبحوا قد أعاد الله دَولتهم إذْ هم قريشٌ وإذ ما مثلَهمْ بشَرُ
ولن يزال إمامٌ منهم ملكٌ إليه يَشخَص فوق المِنبر البَصَرُ
إن عاقبوا فالمنايا من عُقوبتهم وإنْ عفَوْا فذَوو الأحلام إن قدَروا)

قوله : ومنها الدلّ والخفر ، الدلّ بفتح الدال : مصدر دلّت المرأة من بابى ضرب وتعب . وتدللّت تدلّلا ، والاسم الدَّلال وهو جُرءَتها فى تكسُّر وتغنُّج ، كأنّها مخالِفَة وليس بها خلاف . كذا فى المصباح . والخفَر ، بفتح المعجمة ، وهو شدّة الحياء . وقوله : أصدِرْ همومَك ، أى اصرفْها عنك ، يقال صدر القومَ وأصدرناهم إذا صرفتَهم . وقوله : فكل واردة ، تعليل لقوله أصدِرْ .

وقوله : فعُجْتها قِبلَ الأخيار الخ ، يقال عجت الناقة أعُوجها : إذا عطفتَ رأسها بالزمام ، والضمير للناقة . والقِبَل ، بكسر القاف وفتح الموحّدة : الجهة . ومنزلةً تمييز . والطيِّبي معطوف على الاخيار وهو جمع مذكَّر سالم حذفت نونه للإضافة ، والمفرد طيِّب . والتاثت : التفّت ، يقال لاث عمامتة يَلُوثها ، إذا لفَّها على رأسه . وضمير بها لما الموصولة . والأُزُرُ : جمع إزار ، وهو ما يستر من

---

(١) فى الديوان : « من أمامكم » . وفى العينى ٣ : ٦٢٦ : « فان أبا ليلى أمامكم » . ولاتصح ، فان الممدوح بالقصيدة عمر بن عبد العزيز ، وأمه هى ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، كما أن أم أبيه هى ليلى بنت الأصبغ بن زيادة الكلبى .

السرّة إلى أسفل . والرِّداء : ما يستر من المَنْكِب إلى أسفل . وهذا كناية عن وصفهم بالعفّة ؛ والعرب تكنى بالشىء عمّا يحويه ويشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، أى الفؤاد . أراد أنّهم أخيار ذوو عفة .

وهذا البيت أورده ابن قاسم (فى شرح الألفيّة) على أنّ الطيّبي صفة مشبهة مضافة إلى مضاف إلى الموصول .

وقوله : إذا رجا الركبُ الخ ، التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم .

وقوله : بحيث تلحس الخ ، أى فى موضع قفر لا نباتَ به ولا ماء .

وابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وليلى هى أمّه ، وهى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والعُرف ، بالضم : المعروف .

وقوله : إذ فى وحشها غِرَرٌ ، الغرر بالكسر : جمع غِرّة ، وهى الغفلة . يريد أن وحشَها لا يَذعرها أحد ، فهى فى غِرّة من عيشها ، يقال هو فى غرّة من العيش ، إذا كان فى عيش ليس فيه كدر ولا خوف . وأزمانُ : نائب فاعل أُعيد . وأتيتَهم : خطابٌ لعمر بن عبد العزيز . وضمير وحشها للمدينة المنوّرة .

قال ابن خلف : مدح الفرزدق بهذا الشعر عمرَ بن عبدالعزيز . وكان قد ولى المدينة . يقول : وما أُعيدَ لأهل المدينة ولمن بها من قريش أزمانٌ مثلُ أزمانِ مرْوانَ فى الخِصب والسَّعَة ، حتّى وَلِيت أنتَ عليهم فعاد لهم مثلُ ما كانوا فيه من الخير حين كان مروانُ والياً عليهم ، فأصبحوا بولايتك عليهم قد أعاد الله نعمتهم عليهم .

وقال الأعلم : مدح بالشعر بنى أميّة فقال : كان مُلكُ العرب فى الجاهلية

لغير قريشٍ وسائر مضر ، وكانوا أحقّ به لفضلهم على البشر ، فقد أصبحوا والإسلام فيهم ، فعاد إليهم ما رجع عن غيرهم بما كان واجباً لهم بفضلهم . انتهى .

والمعنى هو الأول ويدلّ له قوله : قد أعاد الله نعمتهم ، فإنّ نعمتهم كانت منقطعةً بعزل مرْوان وأعيدت إليهم بتولية عمر بن عبد العزيز عليهم ، فإنّ العَود رُجوع الشيء إلى الشيء بعد انفصاله عنه . وأما قوله : فعاد إليهم بعد ما خرج عن غيرهم ، فهذا انتقال لا عود . ١٣٣

وقوله : قد أعاد الله نعمتهم ، هذه الجملة خبر صار . والعجب من العيني فى قوله صار من الأفعال النّاقصة[1] ، وجعله هذه الجملة حالاً مع أنه لم يعيّن الخبر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين :

٢٧٥ (لوَ انّكَ ياحُسينُ خُلِقْتَ حُرًّا
وما بالحرِّ أنتَ ولا الخليقِ[2])

على أن فيه دليلاً على جواز تقديم الخبر المنصوب ، إذ الباء لا تدخل إلاّ على الخبر المنصوب .

وعلى هذا بنى أبو عليّ والزمخشرى امتناعَ دخولها على ما التميمية ،

(١) كذا ، وفى هامش ش : « صوابه أصبح » .

(٢) فى الانصاف ٢٠٠ والمقرب ٣٥ وشرح شواهد المغنى ٤١ والتصريح ٢ : ٣٢٣ : « ولا العتيق » ، وفى يس ٢ : ٢٣٣ : « ولا الخليق» كما هنا .

وأجازه الأخفش . قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : أمّا ما أنشده بعض البغداديين :

أما واللهِ عالِمِ كلِّ غيبٍ ... وربِّ الحِجْرِ والبيتِ العَتيقِ
لوَ انّك ياحُسَين خُلِقْتَ حرًّا ... وما بالحرِّ أنت ولا الخليقِ

فإنّه يكون شاهداً على ما حكاه أبو عَمرٍو فى نصب خبر ما مقدّما . ومن دفع[1] ذلك أمكن أن يقول إن الباء دخلت على المبتدأ ، وحمل ما على أنها ما التميمية . ويقوى أن ما الحجازيّةُ أنّ أنت أخصُّ من الحُرّ ، فهو أولى بأن يكون الاسمَ ويكون الحرّ الخبر . انتهى

أقول : من يدفع ذلك يقول إنّ البـاء زيدت فى خبر ما التميمية ، ولا يذهبُ أن مدخولهـا مبتدأ . والصحيح أنّها تزاد فى خبر ما على اللغتين ، وهو ظاهر كلام سيبويه فى باب الاستثناء فى مسألة مازيد بشىءٌ إلاّ شىء لا يعبأ به .

قال الشاطبيُّ (فى شرح الألفيَّة) : والأصحُّ ما ذهب إليه سيبويه من أوجه :

أحدها : أنّ بنى تميم يدخلونها فى الخبر ، فيقولون : ما زيد بقائم ، فإذا لم يدخلوها رفعوا . قال ابن خروف : إنّ بنى تميم يرفعون ما بعدها بالابتداء والخبر ، ويدخلون الباء فى الخبر لتأكيد النفى . ثم حكى عن الفرّاء أنّه قال : أنشدتنى امرأةٌ :

أما والله أنْ لو كنتَ حُرًّا ... وما بالحرِّ أنتَ ولا العتيقِ

(١) فى النسختين : « رفع » وحورها الشنقيطى الى « دفع » بالدال .

قال : فأدخلت الباء فيما يلى ما . فإن ألغيتها رفعت . انتهى

وقد أنشد سيبويه للفرزدق وهو تميمى :

لَعَمْرُكَ ما معنٌ بتـاركِ حقِّهِ ولا مُنسِىءٌ مَعْنٌ ولا مُتَيَسِّرُ

وهو كثير فى أشعارهم لمن بحثَ عنه .

والثانى : أن الباء إنما دخلت على الخبر بعد ما لكونه منفيًّا ، لا لكونه خبراً منصوبا ؛ ولذلك دخلت فى خبر لم يكن ولم تدخل فى خبر كنت . وإذا ثبت أن المسوّغ لدخولها إنّما هو النفى فلا فرق بين منفىٍّ منصوب المحل ومنفىٍّ مرفوع المحل .

والثالث : أنه قد ثبت دخول الباء مع إبطال العمل ومع أداةٍ لا عملَ لها البتة ، نحو قوله(١) :

لعمرُكَ ما إن أبو مالك بواهٍ ولا بضعيفٍ قُواه

وأنشد الفارسى (فى التذكرة) للفرزدق :

١٣٤ يقول إذا اقْلَوْلَى عليها وأقْرَدَتْ ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم(٢)

وإنّما دخلت بعد هل لشبهها بحرف النفى ؛ فدخولها بعد النفى المحض وهو ما التميميّة أحقّ . قال ابن مالك : لأن شبه ما بها أكمل منشبه هل بها . ثم ذكر ماحكى الفرّاء عن كثيرٍ من أهل نجد : أنّهم يجرّون الخبر بعدما بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا . قال ابن مالك : وهذا دليل واضحٌ على أن دخول

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، كما سيأتى فى الشاهد التالى .
(٢) انظر شواهد المغنى للسيوطى ٢٦٢ والعينى ٢ : ١٣٥ ، ١٤٩ والهمع ١ : ١٢٧/٢ : ٧٧ وديوان الفرزدق ٨٦٣ .

الباء جارّة للخبر بعدما [لا[1]] يلزم منه كون الخبر منصوبَ المحل ، بل جاز أن يقال هو منصوب المحلّ وأن يقال هو مرفوع المحلّ ، وإنْ كان المتكلم به حجازياً ، فإنَّ الحجازيَّ قد يتكلم بغير لغته وغيره يتكلّم بلغته . إلاّ أنّ الظاهر أنّ محلّ المجرور نصبٌ إن كان المتكلّم حجازياً ، ورفعٌ إن كان تميميًّا أو نجدياً . قال : فمن دخول اللغة التميميّة فى الحجازيّة كسرُ هاء الغائب بعد كسرة أو ياء ساكنة ، وإدغامُ نحو : ﴿ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولاَ شَهِيدٌ[2]﴾ ورفع الله من قوله تعالى : ﴿ قلْ لا يعْلم مَنْ فى السَّمَوَاتِ والأرْضِ الغَيْبَ إلا اللهُ[3] ﴾ لأنَّ اللغة الحجازية بهُ وفيهُ بالضمّ ، ولايضارَرْ بالفكّ ، وإلاّ اللهَ بالنصب لأنَّ الاستثناء منقطع . قال : وإذا جاز للحجازيِّ أن يتكلّم باللغة التميميّة جاز للتميمى أن يتكلّم باللغة الحجازية ، بل التميمىُّ بذلك أولى لوجهين : أحدهما أنّ الحجازية أفصح ، وانقياد غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعا من العكس . والثانى أنَّ معظم القرآن حجازىٌّ والتميميون متعبَّدون بتلاوته كما أُنزل ، ولذلك لا يقرأ أحد منهم ما هذا بَشَرٌ[4] إلا مَن جهل كونه منزلا . هذا ما قاله ، وفيه نظر لا يليق بهذا الموضع . انتهى ما أورده الشاطبي .

وروى الفرّاء هذا البيت (فى تفسيره) كذا :

أما واللهِ أن لو كنت حرًّا ... وما بالحرِ أنت ولا العَتيقِ[4]

أنشده فى سورة الجنّ عند قوله تعالى : ﴿وإنْ لَوِاسْتَقَامُوا عَلى الطَّرِيقَة[5]﴾

---

(١) تكملة تقتضيها صحة الكلام .

(٢) الآية ٢٨٢ من البقرة .

(٣) الآية ٦٥ من النمل .

(٤) ط : « بشرا » ، صوابه فى ش بالرفع .

(٥) الآية ١٦ من الجن .

قال : قد اجتمع القراء على كسر إنّا فى قوله تعالى : ﴿ فقالوا إنّا سَمِعْنَا قُرآناً عجباً[١] ﴾ واختلفوا فيما بعدذلك فقرءوا : وأنا ، وإنّا إلى آخر السورة ، فكسروا بعضاً وفتحوا بعضاً . فأمّا الذين فتحوا كلّها فإنّهم ردّوا أنّ على قوله ﴿ فآمَنّا به ﴾ وآمنّا بكلّ ذلك ، ففُتحت أنَّ لوقوع الإيمان عليها . ويقوِّى النصب قوله تعالى : ﴿ وأن لَو استَقَاموا ﴾ فينبغى لمن كسر أنْ يحذفَ أنْ من لو ، لأنّ إنّ إذا خفّفت لم تكن فى حكاية ؛ ألا ترى أنّك تقول : أقول لو فعلتَ لفعلتُ ، ولا تدخل أن . وأما الذين كسروا كلّها فهم فى ذلك يقولون : وأنْ لو استقاموا ؛ فكأنّهم أضمروا يميناً مع لو وقطعوها عن النّسَق ، فقالوا : واللهِ أنْ لو استقاموا . والعرب تدخل أن فى هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر[٢] :

* فأُقْسِمُ لو شىء أتانا رسوله[٣] *

وأنشدنى آخر :

أما واللهِ أنْ لو كنتَ حُرّاً . . . . . . البيت

ومن كسر كلّها ونصب ﴿ وأنَّ المساَجِدَ للهِ ﴾ خصّه بالوحى ، وجعل وأن لو مضمرة فيها اليمينُ على ما وصفت لك . انتهى .

وكذا أورده ابن هشام (فى المغنى) فى بحث أنْ وجعلها زائدة ، قال :

ومن مواضع زيادتها أن تقع بين لو وفعل القسم ، مذكوراً كقوله[٤] :

---

(١) الآية الأولى من الجن .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٢٤٢ . وهو الشاهد ٨١٧ .

(٣) عجزه :

* سواك ولكن لم نجد لك مدفعا *

(٤) هو المسيب بن علس ، من أبيات فى شرح شواهد المغنى ٤١ والخزانة ٤ : ٢٢٦ بولاق . وعجزه :

* لكان لكم يوم من الشر مظلم *

فاقسم أنْ لو التقينا وأنتم . . . .

أو متروكا كقوله :

أما والله أنْ لو كنتَ حُرًّا . . . . . البيت

١٣٥ وهذا قول سيبويه[1] وغيره . وفى مقرب ابن عصفور : أنها فى ذلك حرف جيء به لربط الجواب بالقسم . ويُبعده أنَّ الأكثر تركها ، والحروف الرابطة ليست كذلك . انتهى .

ونقضه الدماميني باللام الداخلة على جواب لو المنفى[2] كقولك :

* ولو نُعطَى الخيارَ لما افترقنا[3] *

فإنَّها حرف رابط، والأكثر تركها نحو: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ[4]﴾ انتهى

وأنشده المرادى أيضاً كذا (فى شرح الألفية) شاهداً على أنَّ أنْ رابط لجواب القسم .

وقوله :

أما والله عالمِ كلِّ غيب . . . الخ

---

(١) الحق أن سيبويه لايرى زيادتها ، بل يعدها موطئة للقسم . سيبويه ١ : ٤٥٥ والرضى ٢ : ٣١٦ والخزانة ٤ : ٢٢٥ بولاق فى الشاهد ٨١٦ .

(٢) هذا ما فى ش . وفى ط : « على الجواب المنفى » .

(٣) ط : « تعطى » ، صوابه فى ش والسيوطى ٢٢٨ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٣ .

(٤) الآية ١١٢ من الأنعام . وفى الأنعام غيرها ١٣٧ : « ولو شاء الله مافعلوه » .

أمَا بالتخفيف حرف تنبيه يستفتح به الكلام ، وجواب القسم محذوف أى لقاومتك ، أو في بيتٍ آخر .

وقوله : لوَ انَّك ، يقرأ بنقل فتحة الألف من أنَّك إلى واو لو . والحرُّ من الرجال : الكريم الأصل الذى خلص من الرقّ مطلقاً ، سواء كان رقَّ العبودية أو رقّ النفس ، بأن تستخدمه فى الرذائل . والخليق : الجدير واللائق . أي ولا أنت جدير بأنْ تكون حرًّا . والعتيق ، على رواية الفرّاء وغيره ، هو الكريم والأصيل . والذى خلص من الرق عتيق أيضاً . ولذِكرِهِ بجنب الحرّ حُسْنُ مَوقع .

وهذان البيتان لم أعرف قائلهما . وقال العينى ، فى البيت الشاهد : أنشده سيبويه ، ولم يعزه إلى أحد . أقول : لم ينشده سيبويه ولا وقع فى كتابه . وصوابه أنشده الفراء فإنَّه أوّل من استشهد به . والله أعلم

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين(١) :

٢٧٦ (لَعَمْرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ بِوَانٍ ولا بِضَعيفٍ قُواه)

على أنَّ الباء تزاد بعد ما النافية المكفوفة بإنْ اتفاقاً . وهذا يدلُّ على أنه لا اختصاصَ لزيادة الباء فى خبر ما الحجازيّة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبياتٍ للمتنخِّل الهُذَلىّ يرثى بها أباه ، وبعده :

---

(١) الهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ والهذليين ٢ : ٢٩ والشعراء ٦٤٣ وأمالى المرتضى ١ : ٣٠٦ .

(ولا بألدَّ له نازِعٌ يُغارِى أخاه إذا ما نَهاه[1]
ولكنَّه هيِّنٌ لينٌ كعالية الرُّمْح عَرْدٌ نَساه
إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطواعةً ومَهْماً وَكلْتَ إليه كَفاه
ألا مَنْ ينادى أبا مالكٍ أفى أمرنا هُوَ أَمْ فى سِواه
أبو مالكٍ قاصرٌ فَقْرَه على نَفْسِه ومُشِيعٌ غِناه)

وقوله : (لعمرك ما إنْ الخ) اللام لام الابتداء ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة . وعَمْرك ، بالفتح ، بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمى . وجملة ما إن أبو مالك الخ جواب القسم . وأبو مالك هو أبو الشاعر . واسمه عُويمر ، لأنّ المتنخِّل اسمه مالك بن عويمر كما يأتى قريباً . ولم يصب ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فى زعمه أنه يرثى أخاه أبا مالك عويمراً . (وَانٍ) : اسم فاعل من ونى فى الأمر وَنًى ووَنْياً من بابى تعب ووعد ، بمعنى ضعف وفتر . وروى بدله (واهٍ) وهو أيضاً اسم فاعل من وهَى من باب وعد ، بمعنى ضعف وسقط . والقُوَى : جمع قُوَّة خلاف الضعف ، قال فى الصحاح : ورجل شديد القُوى ، أى شديد أسر الخَلْق . يريد أن أباه كان جلداً شهماً لا يَكِلُ أمره إلى أحد ، ولا يؤخّره لعجزه إلى وقت آخر .

١٣٦ وقوله : ولا بألدّ الخ ، الألدّ : الشديد الخصومة ، من اللَّدَد بفتحتين وهو شدّة الخصومة . قال السكرى (فى شرح أشعار هذيل) هنا ، وتبعه السيِّد المرتضَى (فى أماليه) : ومعنى له نازع أى خُلُق سَوء ينزِعه من نفسه ــ يريد أنه من نَزَعت الشىء من مكانه من باب ضرب بمعنى قلعته ــ ويجوز أن يكون من قولهم لعلّ له عرقاً نزع أى مال بالشَّبه . ويقولون أيضاً : العرق نزّاع .

(١) ط : « بغارى » ، صوابه فى ش والشرح التالى .

ونزع إلى أبيه ونحوه فى الشبه أى ذهب . وهذا عندى أولى . وقوله : يغارى أخاه ، قال السكّرى ، وتبعه السيد المرتضى : أى يُلاحى ويشارُّ ، من غاريت بين الشيئين ، إذا واليت بينهما . قال أبو عبيدة : وهو من غُرى بالشىء يُغْرى به . أقول : كونه من غَرِى فلان إذا تمادى فى غضبه أولى . وروى بدله : (يعادى) من العداوة ضدّ الصداقة . وهذا وما قبله كلاهما داخلان تحت النفى .

وقوله : كعالية الرمح الخ ، عالية الرمح : ما دخل فى السنان إلى ثلثه . ومعنى كونه ليّنا كعالية الرمح أنّه إذا دعى أجاب بسرعةٍ كعالية الرمح ، فإنه إذا هُزَّ الرمح اضطرب وانهزّ للينه ، بخلاف غيره من الأخشاب فإنه لا يتحرَّك طرفها إذا هُزّت لصلابتها ويبسها . وقوله : عرد نساه ، العَرْد ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشديد . والضمير لأبى مالك . والنَّسا ، قال الأصمعىّ : بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجَرَى النَّسا بينهما واستبان . وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الرَّبلتان وخفىَ النَّسا . وإذا قالوا : إنه لشديدُ النَّسا فإنما يريدون به النَّسا نفسه ، كذا فى الصحاح . قال السكرىّ : أراد غليظ موضع النسا .

وقوله : إذا سُدته سدت الخ قال السيد المرتضى: ومعنى سُدْتَه من المساوَدَة التى هى المسارَرَة ، والسّواد هو السِّرار ، كأنه قال : إذا ساررتَه طاوعك وساعدك . وقال قوم : هو من السيادةِ فكأنّه قال : إذا كنتَ فوقه سيِّدا له طاوعك ولم يحسدُك ، وإن وكلت إليه شيئا كفاك . وقوم ينشدونه :

* إذا سُستَه سُسْت مِطواعةً *

ولم أجد ذلك فى رواية . انتهى . وهذه الرواية أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة (فى مختار أشعار القبائل) . وسسته ، من سست الرعيّة سياسة . والمِطواع : الكثير الطّوع أى الانقياد ، والتاء لتأكيد المبالغة . واقتصر السكّرىّ على المعنى الثانى فقال : يقول إذا كان لك السؤدد عليه أطاعك ولم يحسدك . ومهما وكلت إليه أى مهما تركته وإيّاه كفاه . انتهى

والسِّواد بالكسر كالسِّرار وزناً ومعنى .

وهذا البيت يأتى شرحه إن شاء الله فى الجوازم[1] وقوله : أفى أمرنا هو الخ ، يعنى غَيبته عنّا ألِنفعنا كما كان تعوّد[2] ، أم لشىء آخر كالموت . وهذا كلام المتولّه الذى حصل له ذهول لعظم ما أصابه . وقال السكرىّ : هذا منه توجُّع ؛ أراد من ينادى أبا مالك فيسأله أمضَى أم قد ذهب ، وأمره يصير إلينا أم يذهب ؟ وقال الباهلى : أمرُنا أمْرُه .

وقوله : قاصر فقره على نفسه ، هو من القَصْر وهو الحبس . والمُشيع : من الإشاعة ، وهى الإذاعة . يريد أنه إذا افتقر أخفى فقره ، وإذا أثرى أذاع غناه ليُقصَد من كلِّ جهة ، وهذا من شرف النفس .

وهذه الأبيات على هذا الترتيب للمتنخِّل الهُذَلىِّ رواها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، والسكرىُّ (فى أشعار هذيل) ، والسيد المرتضَى (فى أماليه) والأصبهانى (فى أغانيه) . وروى أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) البيت الشاهد مع بيتين آخرين لذى الإصبع العَدْوانىّ هكذا :

---

(١) وهو الشاهد ٦٨٥ .

(٢) ش : « يغزو » .

١٣٧ وما إن أُسيدٌ أبو مالك بوانٍ ولا بضعيفٍ قواه

ولكنّه هيِّنٌ ليِّنٌ كعالية الرمح عَرْدٌ نَساه

فإن سُسته سُستَ مِطواعةً ومهما وَكَلتَ إليه كفاه

وأُسيد ، بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

المتنخل الهذلى

والمتنخِّل ، بكسر الخاء المشددة اسم فاعل من تنخَّل ؛ يقال تنخلته : أى تخيَّرته كأنك صفَّيته من نُخالته . والمتنخِّل لقبٌ ، واسمه مالك وهو جاهلى . ونسبته : مالك بن عُويمر[1] بن عثمان[2] بن خُنيس[3] بن عادِيَة ابن صعصعة بن كعب بن طابخة ، أخو بنى لِحيان بن هذيل بن مُدرِكة . شاعرٌ محسّن من شعراء هذيل .

قال الآمدى[4] : والمتنخِّل السعدىّ شاعر أيضاً ، لم يقع إلىّ من شعره . واستشهد الكسائىّ والفرّاء بقوله[5] :

يا زبرقانُ أخا بنى خَلَفٍ ما أنت وَيبَ أبيكِ والفَخرُ

ومن شعر المتنخل الهذَلِىّ ، أنشده أبو عبيد البكرىّ (فى شرح نوادر القالى) وليس موجودا فى رواية السكرىّ :

لا يُنسىءِ الله مِنّا معشراً شَهِدوا يومَ الأُميلِح لا عاشُوا ولا مَرِحوا

---

(١) وقيل « عمرو » .

(٢) وقيل « عثم » .

(٣) وقيل « حبيش » . وانظر الأغانى ٢٠ : ١٤٥ والمؤتلف ١٧٨ واللآلى ٧٢٤ والعينى ٣ : ٥١٧ .

(٤) فى المؤتلف والمختلف ١٧٨ .

(٥) هو المخبل السعدى . سيبويه ١ : ١٥١ والهمع ٢ : ٤٢ والخزانة ٢ : ٥٣٥ بولاق .

عَقُّوا بسهم فلم يَشْعُرْ لَه أحدٌ ثم استفاءوا وقالوا حبَّذا الوَضَحُ

قال البكريّ[١] : هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حُجّاجا يومَ قُتل . وقوله : لا ينسئُ الله ، أى لا يؤخّر الله موتهم ؛ من الإنساء وهو التأخير . قال أبو العبَّاس ثعلب : التَّعقِيَة : سهم الاعتذار . قال ابن الأعرابيّ : أصل هذا أن يَقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيُطلب القاتل بدمه ، فتجتمع جماعةٌ من الرؤساء إلى أولياء المقتول بديةٍ مُكْمَلَة ويسألونهم العفو وقَبولَ الدية ؛ فإن كان أولياؤه ذوى قوَّة أبَوا ذلك ، وإلاّ قالوا لهم : بيننا وبين خالِقنا علامةٌ للأمر والنَّهْى ؛ فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن نأخذ سهماً فنرمىَ به نحو السماء ، فإنْ رجع إلينا مضرَّجاً بالدم فقد نُهينا عن أخذ الديَة ، وإن رجع كما صعد فقد أُمِرْنا بأخذها . وحينئذ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية . وكان مسح اللحية علامةً للصُّلح ، قال الأسعر[٢] الجُعْفى :

عقّوْا بسهم ثم قالوا سالِمُوا ياليتنى فى القوم إذْ مسَحُوا اللحى[٣]

قال ابن الأعرابيّ: مارجع ذلك السهمُ قطُّ إلاّ نقياً ، ولكنهم يعتذرون به عند الجهّال . انتهى .

وعقّوا ، بضمّ القاف وفتحها ، لأنهُ جاء من بابين فإنه يقال : عقَّ بالسهم إذا رمىَ به نحو السماء وذلك السهم يسمَّى عقيقة بقافين ، ويقال له أيضاً : سهم

---

(١) ش : « السكرى » ، صوابه فى ط .

(٢) فى النسختين : « الأشعر » وحور الشنقيطى نقط الشين الى سكون فوق السين ، وهو الصواب . والأسعر الجعفى من شعراء الأصمعيات ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

(٣) انظر الأصمعيات ١٥٩ برواية « مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا» .

الاعتذار . فعقُّوا بضم القاف . ويقال عقَّ بسهمه تعقية : إذا رماه فى الهواء . فعقَّوا بفتح القاف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين[١] :

٢٧٧ (نَدِمتُ على لسانٍ كانَ مني فليتَ بأنَّه فى جَوْفِ عِكْمِ)

على أنَّ الباء قد تزاد بعد ليت كما هنا .

قال أبو زيد (فى نوادره) : الباء زائدة ، والوجه فليت أنّه[٢] .

قال أبو على (فى التذكرة القصريّة) : وجه زيادة الباء فى اسم ليت شبهُ ليت لنصبها ورفعها بالفعل ، والفعل يصل تارةً بنفسه وأخرى بالباء ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى[٣]﴾ ، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ المبين[٤]﴾ .

ومثله فى أنه لما أشبه الفعل عُدِّى تعديته تارةً بنفسه وأخرى بحرف الجر يا زيدُ ويالزيد .

فإن قلتَ : فهل يكون على إضمار اسم ليت كقوله :

ألا ليت أنِّى يوم تدنُو منيَّتي شمِمْتُ الذى ما بين عَينيك والفمِ ؟

فإنّ ذلك لا يستقيم ، لئلا يبتدأ بأنّ مفتوحة .

وسدَّ الظرف فى خبر أنَّ مسدَّ خبر ليت كما سدّ فى قولك علمت أن زيداً فى الدار مسدَّ المفعول الثانى . وجوازُ حذف الخبر فى ليت وأنّ وبابه ، بوقوع الجمل أخباراً لها . انتهى .

١٣٨

(١) نوادر أبى زيد ٣٣ وديوان الحطيئة ٦١ واللسان (عكم ، لسن) .

(٢) فى النوادر : « والوجه فليته » .

(٣) الآية ١٤ من سورة العلق .

(٤) الآية ٢٥ من سورة النور .

وقال (فى الحجة) عند قوله تعالى : ﴿ ولكنَّ الشَّياطينَ كَفَروا[١] ﴾ من سورة البقرة : فأما ما أنشده أبو زيد :

ندمت على لسانٍ فات منّي (البيت)

فيحتمل أمرين : أحدهما أن تكون الباء زائدة وتكون أنّ مع الجار فى موضع نصب ، ويكون ما جرى فى صلة أنَّ قد سدّ مسد خبر ليت ، كما أنها فى ظننت أنّ زيداً منطلق كذلك . ويحتمل أن الهاء مرادة ودخلت الباء على المبتدإ كما دخلت فى بحسبك أن تفعل ذلك . ولا يمتنع هذا من حيث امتنع الابتداء بأنّ ، لمكان الباء ، ألا ترى أنّ أنّ قد وقعت بعد لولا فى نحو قولك : لولا أنك منطلق ، ولم يجر ذلك الامتناع مجرى أنَّك منطلق بلغنى ، لأنّ المعنى الذى له لم يبتدأ بالمفتوحة — مع لولا — معدوم . انتهى كلامه .

وروى شارح ديوان الحطيئة : (فليت بَيَانَه) ، فلا شاهد فيه .

وهذا البيت من أبيات للحطيئةِ قالها لأبى سهم عوذ بن مالك بن غالب[٢] . وهى أربعة أبيات فى ديوانه . وكذلك قال أبو زيد (فى نوادره) : قال المفضَّل لم أسمع غير هذه الأربعة الأبيات ، وهى :

أبيات الشاهد

(فيا نَدَمى على سَهْم بن عَوذٍ[٣] نَدامةَ ما سَفِهتُ وضلَّ حلمى
ندِمتُ نَدامة الكُسَعىِّ لمَّا شَرَيتُ رضا بنى سَهْمٍ برَغمى

---

(١) الآية ١٠٢ .

(٢) ش : « عود بن غالب » باسقاط « مالك » ، وفى النسختين : « عود » بالدال ، صوابه « عوذ » بالذال المعجمة كما فى شرح السكرى لديوان الحطيئة ٦٠ .

(٣) فى النوادر : « سهم بن عوف » .

ندمتُ على لسانٍ فاتَ منى فليت بأنَّه فى جوف عِكْمِ
هُنالِكمُو تهدَّمت الرَّكايا وضُمِّنَت الرَّجا فهوَتْ بذمِّ)

قوله : فيا ندمى ، قال أبو عُمَر[1] الجَرْمى : أراد فيا ندامتاه ، فحذف الهاء لما وصل الكلام . ويروى : (يا ندمى) بإسقاط الفاء . (وندامةَ) بالنصب ، وما مصدريّة أى ندامةَ سفَهى ، ويشهد له الرواية الأخرى وهى (نَدامة أنْ سفِهت) ، وقد رواها شارح ديوانه . والسفَه : طيشٌ وخفّة عقل . والحِلم ، بالكسر : العقل .

والكسَعىُّ : رجل جاهلىٌّ كانت له قوس رمى عليها باللَّيل حميراً من الوحش ، فظن أنه أخطأ — وكان قد أصاب — فغضب فكسرها ، فلما أصبح رأى الحمير مجدَّلةً فندم على كَسْر قوسه . فضُرب به المثل فقيل : « أنْدَم من الكُسَعىِّ » ، و : « نَدِمت ندامةَ الكُسَعىِّ » .

وشرح هذا المثل مفصَّل فى أمثال حمزة والمَيدانىّ والزمخْشرىّ .

وشرَيت هنا بمعنى بعت . يقول : بِعْتُ رضاهم برغمٍ منّي .

وقوله : (ندمت على لسانٍ الخ) قال شارح الديوان : اللسان ها هنا الكلام فيكون مجازاً أطلق عليه اسم آلته . وقال أبو زيد : اللسان ها هنا المنطق . وقال ابن الأنبارىّ (فى شرح المفضّليات) : اللسان ها هنا الرسالة ، أورَده نظيراً لمطلع قصيدة مرقش الأكبر :

أتتنى لسانُ بنى عامرٍ فجلَّت أحاديثُها عن بَصَرْ

(١) فى النسختين : « أبو عمرو الجرمى » وهو خطأ يتكرر كثيرا .

وقد تكلّم أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) على اللسان بكلام مبسوط على قول يزيد بن الحكم :

لسانُك لى أرىٌ وعينك عَلْقَمٌ   وشَرُّكَ مبسوطٌ وخَيرك مُلتوِى

وقد تقدم هذا البيت فى قصيدته مشروحةً فى الشاهد الثمانين بعد المائة[1] فأحببت أن أورده هنا لحسنه ، قال : ليس يخلو اللسان من أحد المعنيين ، إمّا أن يكون الجارحةَ ، أو التى بمعنى الكلام كقوله عز وجل : ﴿وما أرسلنا مِن رَسُولٍ إلاّ بلِسانِ قَوْمِه[2]﴾ كأنّ المعنى : بلغتهم . ومما يقوِّى ذلك إفرادُ اللسان حيث أريد به الجارحة ، قال عز وجل : ﴿ واختِلافُ ألسِنَتِكُمْ وألْوَانِكُمْ[3]﴾ . وأنشد أبو زيد :

ندمت على لسانٍ كانَ منّى   . . . . البيت

فبهذا يُعلم أنه لا يريد به الجارحة ، لأنَّ الندم لا يقع على الأعيان ، إنما يقع على معانٍ فيها . فإن قلت : فقد قال :

* فليت بأنه فى جوف عِكم *

إنما يكون العين. قيل : هذا اتساع ، وإنما أراد فليتَه كان مطويًّا لم ينشر ؛ كما قال أوس :

ليس الحديثُ بِنُهبَى بينهنّ ولا   سرٌّ يحدّثْنَه فى الحىّ منشورُ

فليس المنشور هنا كقولك نشرت الثوب الذى هو خلاف طويته ، وإنّما يريد أنه لا يذاع ولا يشاع ، فاتّسع . وكذلك قوله :

---

(١) الخزانة ٣ : ١٣٤ .

(٢) الآية ٤ من ابراهيم .

(٣) الآية ٢٢ من الروم .

* إنِّى أتانى لسانٌ لا أُسرُّ به[1] *

انتهى المراد منه

وتقدّم بقيّة هذا على بيت ابن الحكم هناك . ومراد أبى علىّ بالاتساع الاستخدام ، فانَّ اللسان أريد بظاهره معنى وبضميره معنىً آخر ، كقوله[2] :

إذا نزَل السماء بأرض قوم رَعيناه وإنْ كانوا غِضابا

وكانَ هنا تامة بمعنى حدث وجرى ، ويروى بدله (فات منى) . و (العِكْم) بكسر المهملة : العِدْل ، وقال شارح الديوان : هو مثل الُجوالِق .

وقوله: هنالكم الخ أى عند ذلك القول الذى صدر منّى فى حقهم. والركايا : الآبار ، جمع رَكىّ ، ونائب فاعل ضُمِّنت ضمير الركايا ، والرجا مفعوله الثانى . قال فى الصحاح : وكلُّ شىء جعلته فى وعاءٍ فقد ضمنّته إياه . والرجا بالجيم قال شارح الديوان : هو جانب البئر من داخل ، وجُولها بالضمّ : جوانبها من خارج . والرَّجا : الناحية من كلّ شىء ، قال أبو زيد : الرجا هنا بمعنى الأرجاء . يريد أنه مفرد معرَّف باللام وقع موقعَ الجمع ، لأن البئر لها نَواح . يقول : عندما صدر منى قولٌ فى حقّهم كأنّ الآبار تهدّمت وسقطت علىَّ بجميع نواحيها بسبب ذمّى . وروى (بذمٍّ) بالتنكير . قال شارح ديوانه : أى بذمِّ الركايا . وقال أبو على فى (التذكرة) : يقول، كالذى حفر بئراً وهو حين حَفَرها لم يقدِّر أنها تقع على فساد ، فلما أنْ حفرها وقع على فساد ، فبناها

(١) لأعشى باهلة يرثى المنتشر . انظر الأصمعيات ٨٩ وحواشيها . وعجزه :

* من علو لاعجب منه ولا سخر *

(٢) هو معود الحكماء معاوية بن مالك بن جعفر ، أو جرير . معاهد التنصيص ١ : ٢/٢٢٨ . ١٣٩ وديوان جرير ١٧ .

على ذلك وتهدّم ما بنى ؛ وكان قبل ذلك يأمُل التمام لِما يريد . فمثل هذا لمّا أن مدح على رجاءِ تمام للمدح فأخلف فهوى بذمّ . انتهى

ثم رأيت ديوانَ الحطيئة جمع أبي سعيد السكّرىّ من رواية محمد بن حبيب وقبل هذه الأبيات قصيدةٌ فى ذمِّ بنى سَهم بن عوذ[1] بن مالك بن غالب ابن قُطيعة بن عَبْس — وهم بنو عمِّه — منها :

ولو وجدت سَهمٌ على الغىِّ ناصراً　　لقد حَلَبت فيه زماناً وصَرَّتِ[2]

ولكنَّ سهماً أفسدت دارَ غالبٍ　　كما أعدَتِ الُجربُ الصِحاحَ فعَرَّتِ　١٤٠

قال السكّرىّ : كان من حديث هذه القصيدة أنّ بنى مالك بن غالب — وهم رهط الحطيئة — وبنى سهم بن عَوذ بن مالك بن غالب أغاروا — وفيهم سُمَير المخزومىّ ، ورئيسهم قدامة بن علقمة ، ومعهم المسيّب — على هوازنَ فأصابوا سبياً وإبلا ؛ فتنازع المسيب وسمير فى الإبل ، فغلب عليها المسيّب . ثم إن سميراً خرج بِنَفَرٍ من قومه حتى أتوا الابل فأطردوها ؛ فلما أتى المسيبَ الخبر ركب بأصحابه [فالتقَوا[3]] فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل منهم أربعة نفر ، وذهب بها سمير . وكان قال هذه الأبيات قبل أن يذهب بها سميرٌ ، فلما ذهب بها سمير ندم الحطيئة مما قال فقال :

فياندمى على سَهْم بن عوذٍ　　(الأبيات الأربعة)

---

(١) فى النسختين : « عود ، فى جميع المواضع ، صوابه بالذال المعجمة كما سبق .

(٢) فى الديوان : « لقد حلبت فيها نساء وصرت » ، وقال فى شرحه : « يقول : سبين فصرن رواعى » .

(٣) [illegible] الديوان .

قال السكّرى : أراد باللسان الشعر ، يريد : وددت أنّ الشعر الذى قلتُ فيهم كان مخبوءا فى جُوالق . والرجا : ما بين رأس البئر إلى أسفلها ، فجعله ها هنا أسفلهـا . وقوله : وضمّنت الرجا ، يريد أنها تهدّمت فصـار أعلاها فى أسفلها . فلذلك جعل أسفلَها تضمَّن أعلاها . وهذا مثل . وهوت بذمٍّ : سقطت مذمومة[1] إنتهى كلامه .

وترجمة الحطيئة قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المـائتين ، وهو من شواهد س[3] :

٢٧٨ (مشائيم ليسوا مُصلِحينَ عَشيرةً
ولا ناعِبٍ إلا ببِينٍ غُرابُهـا)

على أن (ناعبٍ) عطف بالجرّ على (مصلحين) المنصوب على كونه خبر ليس لتوهّم الباء ، فانهـا تجوز زيادتها فى خبر ليس ، ويسمّى هذا فى غير القرآن العطف على التوهّم ، وفى القرآن العطف على المعنى

وأنشده سيبويه فى موضعين بروايتين ، الأول أنشده (ولا ناعبـاً) بالنصب للعطف على مصلحين ؛ استشهد به على نصب عشيرة بمصلحين لأنّ

(١) الذى عند السكرى : « وبذم ، هذا مثل . يريد سقطت مذمومة» .
(٢) الخزانة ٢ : ٤٠٦ .
(٣) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٤١٨ والخصائص ٢ : ٣٥٤ والانصاف ١٩٣ ، ٣٩٥ ، ٥٩٥ وابن يعيش ٢ : ٥/٥٢ : ٧/٦٨ : ٨ /٥٧ : ٦٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩٥ والأشمونى ٢ : ٢٣٥ وديوان الفرزدق ٢٣ .

النون فيه بمنزلة التنوين في واحده ، وكلاهما يمنع من الإضافة ويوجب نصب ما بعده ، والثانى بجرّ (ناعب) على توهّم الباء فى خبر ليس .

ولم يجز المبّرد إلاّ نصب ناعب ، قال : لأنّ حرف الجر لا يضمر .

وقد بيَّن سيبويه ضعفَه وبُعدَه مع أخذه لذلك عن العرب سماعاً ، فلا معنى للرد عليه .

وأورده صاحب الكشّاف نظيراً لقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرسولَ حَقٌّ[١] ﴾ قال : شهدوا معطوف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل ، فهو من قبيل عطف الفعل على المصدر بتقدير أن ، إذ المعنى بعد أن آمنوا وشهدوا ، كما جرّ الشاعر ناعباً بتوهم الباء فى خبر ليس .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ستة وعشرون بيتاً ، للأَخْوَص اليرْبوعى . وهذه أبيات منها أنشدها الجاحظ (فى كتاب البيان[٢]) :

أبيات الشاهد

(وليس بِيَرْبوع إلى العقل حاجةٌ سِوى دنَسٍ يسودُّ منه ثيابُها[٣]

فـكيف بنوكى مالكٍ ان غَفَرتم لهم هذه أم كيف بعدُ خِطابها[٤]

(١) الآية ٨٦ من آل عمران . وكذا استشهد به صاحب الكشاف فى سورة هود : « ومن وراء اسحاق يعقوب » بنصب يعقوب . وكذا عند قوله تعالى فى سورة المؤمن : « اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل » بجر السلاسل .

(٢) البيان ٢ : ٢٦١ .

(٣) فى النسختين : « يسود منها » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٤) البيان : « ان كفرتم » والكفر والغفر بمعنى .

مَشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً . . . . البيت
فإن أنتمُ لم تَقتُلوا بأخيكم فكونوا بَغايا بالأكُفّ عيابُها[1]
سيُخبِرُ ما أحدَثتُمو فى أخيكم رِفاقٌ من الآفاق شتَّى إيابُها)

قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ (فى فرحة الأديب) : هذا الشعر لقتال
١٤١ كان بين بنى يربوع وبين بنى دارِم . فأراد بقوله مشائيم بنى دارم بن مالك
لا بنى يربوع . وكان من قصة هذا الشعر أنَّ ناساً من بنى يربوع وبنى دارم
اجتمعوا على القَرعاء ، فقُتل بينهم رجلٌ من بنى غُدانة يكنى أبا بدر ؛ فقالت
بنو يربوع : والله لا نبرح حتَّى ندرك ثأرنا ! فقالت بنو دارم : إنّا لا نعرف
قاتله فأقيموا قَسامةً نعطيكم حقّكم . فقالت بنو غُدانة : نحن نفعل . فأخرجوا
خمسين فحلفوا كلّهم إلاّ رجلاً — أنَّ الذى قتل أبا بدرٍ عُبيدُ بن زُرعة ؛
فقال الباقى من الخمسين أليس تدفعون إلينا عبيداً[2] إذا أنا أكملت الخمسين ؟
قالوا : لا ، ولكنّا نَدِيه لأنّا لا ندرى من قتله . فقال الباقى عند ذلك
— وهو أبو بَيْض الغُدانى — والله لا أكملهم أبداً ، ولا يفارقنا عُبيد حتّى
نقتله ! فقام ضِرار بن القعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وشَيبان بن حنظلة بن بشر
ابن عمرو فكفلا بعُبيد ؛ فدفعته بنو غُدانة إليهما ، فلما جنَّهم الليل قال
ضرار وشيبان لعُبيد : انطلقْ حيث شئت . وغدت بنو غُدانة على بنى دارم ؛
فقالوا لهم : إنَّ صاحبكم قد هرب ولكن هذه الدّيةُ ، فاقبلوها من إخوتكم ،
ولا تطلبوا غير ذلك فتكونوا كجادِعِ أنفه ، ولو علمنا مكان صاحبكم

(١) كذا فى ش مع الوضوح . وفى ط : « لم تعقلوا » .
(٢) كذا فى فرحة الأديب ، وسقطت من النسختين كلمة « عبيدا » ،
وفى ط : « تدفعونه » .

قصَدْنا إليه . فلمّا سمعهم الأخوص يذكرون الدية قال : دعونى أتكلّم . قالوا : تكلّمْ يا أبا خولة . فقال هذه الأبيات من قصيدة .

قوله : وليس بيربوع إلى العقل الخ ، يقول : إنّ العقل لا ينفعهم بل يضرّهم ويكسبهم عاراً . ونَوكى ، بالفتح جمع أنوك كأحمق وحمقى ، وزناً ومعنى ، أى كيف العِشرة معهم . ويروى بدل خِطابها (سبابها) بالكسر : مصدر سابَّه أى شاتمه .

و (مشائيم) : جمع مشئوم كمقصور ، قال (فى الصحاح) وقد شأم فلان قومَه يشأمهم فهو شائم : إذا جرَّ عليهم الشؤم ؛ وقد شُئِم عليهم فهو مشئوم : إذا صار شؤما عليهم ، وقوم مشائيم . وأنشد هذا البيت .

وقال السيد المرتضى[1] رحمه الله تعالى : « إنّ العربَ لا تعرف هذا ، وإنما هو من كلام أهل الأمصار . وإنما تسمّى العربُ مَن لحقه الشؤمُ مشئوما ، كما فى قول علقمةَ بن عَبَدة :

ومَن تَعَرَّضَ للغِرْبانِ يَزجُرُها على سلامته لا بدَّ مَشئومُ »

و (عشيرة) الرجل : بنو أبيه الأدنون . قال الأعلم : نسبهم إلى الشؤم وقلّة الصلاح والخير فيقول : لا يصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأتمرون بخير ، فغرابهم لا ينعِبُ إلاّ بالتشتيت والفراق . وهذا مثل للتعصّم[2] منهم والتشؤّم . و (النعيب) بالعين المهملة : صوت الغراب ومدّه عنقه عند ذلك ؛ ومنه يقال ناقة نعوب : إذا مدّت عنقَها فى السير . وقال ابن

(١) أمالى المرتضى ١ : ٥٧٨

(٢) فى الأعلم ١ : ٨٣ : « للتطير » . وفى ش : « للتعظيم » ، وأثبت ما فى ط .

السيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقال نعَبَ الغراب : إذا صاح . وهم يتشاءمون بصوت الغراب . وإنما ذكر هذا على طريق المثل وإن لم يكن غراب ، كما يقال فلان مشئوم الطائر ، ويقال طائر الله لا طائرك . انتهى .

وقال ابن خلف : وقولهم « أشأم من غراب البين » فانّما لزمه هذا الاسم لأنّ الغراب إذا بان أهلُ الدار لنُجعةٍ وقَع فى مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله ؛ فتشاءموا به وتطيّروا منه ، إذ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمّوه غرابَ البين . ثم كرهوا اطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، فعلموا أنه نافذ البصر صافى العين ، حتى قالوا : « أصفى من عين الغراب » كما قالوا : « أصفى من عين الديك » ، فسمّوه الأعورَ كنايةً ، كما كنَوا عن الأعمى فسمّوه أبا بَصير ، وكما سمّوا الملدوغ سليما ، والفيافىَ مَفاوز . وهذا كثير . ومن أجل تشاؤمهم بالغُراب اشتقّوا من اسمه الغُربة ، والاغتراب ، والغَريب . وليس فى الأرض شىء ممّا يتشاءمون به إلاّ والغراب عندهم أنكد منه . وذكر بعض أصحاب المعانى أن نعيب الغراب يُتطيَّر منه ونَغيقه يُتفاءل به ، وأنشد قولَ جرير :

١٤٢

إنّ الغُراب بما كرِهتُ مُوَلَّع بنَوى الأحبَّة دائمُ التَّشحاجِ
ليتَ الغُرابَ غَداة يَنعِب دائباً كان الغرابُ مقطَّع الأوداج

ثم أنشد فى النغيق :

تركتُ الطير عاكفةً عليه وللغربان من شِبَعٍ نغيقُ

قال : ويقال نَغَق الغراب إذا قال : غِيقْ غِيقْ . فيقال عندها نَغَق بخير . ونعب نعيباً : إذا قال غاقٍ غاقٍ . فيقال عندها نعَب ببين . قال : ومنهم من يقول نَغَق ببين . وأنشد فى ذلك :

أبقَى فِراقهمُ فى المقلتين قَذًى   أمسى بذاك غراب البين قد نَعَقا

قال : وبعض العرب قد يتيمَّن بالغراب فيقال : « هم فى خَيرٍ لا يُطار غرابه » أى يقع الغراب فلا ينفَّر ، لكثرة ما عندهم . فلولا تيمُّنهم به لكانوا ينفّرونه .

وقال الدافعون لهذا القول : الغراب فى هذا المثل السواد ، واحتجوا بقول النابغة :

ولرهطِ حرّاب وزيد سورةٌ   فى المجد ليس غُرابُها بمطارِ [1]

أى من عرض لهم لم يمكنه أن ينفّر سوادهم لعزّهم وكثرتهم .

وقوله : فكونوا بَغايا الخ ، البغايا جمع بَغىّ ، يقال بغتِ المرأة بِغاء بالكسر والمد أى زنت فهى بغىٌّ . والعِياب ، بكسر المهملة : جمع عَيبة بفتحها وهى مايجعل فيه الثياب .

وقوله : سيُخبر ما أحدثتمو الخ ، المآب : المرجع ، أى إذا رجعت الرفاق تفرَّقت فى كل وجه وانتشر فيهم قبيح صنيعكم ، ونقله مَن سَمِعه إلى من لم يسمعه .

والأخوص ، بالخاء المعجمة ، يقال رجل أخوص بيِّن الخوَص : أى غائر العينين وقد خَوِص بالكسر وأما الأَحوص بالحاء المهملة فليس هذا ، وكثيراً مايصحف به . والحَوَص : ضِيق فى مؤخرِ العين .

(١) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والذى فى ديوانه ٣٥ واللسان (قدد ، سور) : « حراب وقد » بفتح قاف « قد » . وقالوا : حراب وقد : رجلان من بنى أسد .

الأخوص الرياحى اليربوعى

قال الآمِدىّ (فى المؤتلف والمختلف) : الأخوص ، بالخاء المعجمة ، اسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتّاب بن هَرْمِيٍّ بن رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، شاعر فارس . وهو القائل :

وكنتُ إذا ما بابُ مَلْكٍ قرعتُه قرعتُ بآباءٍ ذَوى شرف ضَخْمِ[1]
بأبناءِ عَتّاب وكان أبوهم إلى الشرف الأعلى بآبائه يَنمى
وهمْ مَلَكوا الأملاكَ آلَ محرِّق وزادوا أبا قابوسَ رُغماً على رغم
وقادوا بِكَرْهٍ من شِهابٍ وحاجب رءوسَ مَعَدٍّ فى الأَزِمَّة والخُطُمِ
أنا ابن الذى سادَ الملوكَ حياتَه وساس الأمورَ بالمروءة والحِلم
١٤٣ وكنّا إذا قوم رَمَينا صفاتَهمْ تركنا صُدوعاً بالصفاة التى نَرمى
حَمِيناَ حِمَى الأسْدِ التى لشبولها تجرُّ من الأقران لحماً على لحم
ونَرعَى حِمى الأقوام غير مُحرَّم علينا ولا يُرعَى حمانا الذى نحمِي

وله (فى كتاب بنى يربوع) أشعارٌ جياد مما تنخلته من قبائلهم[2]. انتهى

وكتب أبو محمد بن عبد الله ابن بَرّىّ النحوى (فى هامشه) أنّ صاحب المؤتلف والمختلف لم يذكر الأخوص الرياحى ، وهو قيس بن زيد بن عمرو بن عتاب بن رياح . قال : ومن شعره :

مشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً . . . . البيت

---

(١) الميمنى : « الأبيات فى النقائض ٦٨ لشريح بن الحارث اليربوعى ، وهى تسعة . وفى ص ٣٠٠ للأخوص بزيادة : وفى نسخة وهو الصحيح : وقال شريح بن الحارث اليربوعى ، وهى عشرة . وفى البلدان (طخفة) خمسة للأخوص مصحفا » .

(٢) الميمنى : « وفى النقائض ٩١٩ أيضا أبيات له . وهى بعينها فى الاصابة ٢٩٩٨ » .

وفيه انَّ الأخوص الرياحى نُسب تارة إلى جدِّه الأدنى وهو رياح ، وتارة إلى جدِّه الأعلى وهو يربوع :

وقدَّم ابن بَرِّىّ بعض الأسماء على بعضها والصواب ما أثبته الآمدىّ .

ويؤيده ماقاله ياقوت (فى مختصر جمهرة الأنساب) ، فانه لما ذكر أولاد هَرْمىّ بن رياح قال : ومنهم عتَّاب بن هَرْمىّ بن رياح ، وهو رِدْف النعمان والمنذرِ أبيه . ومن ولده الأخوص بنُ عمرِو بن قيس بن عتَّاب ، والحرُّ ابنُ يزيدَ بن ناجية بن قعنَبِ بن عَتَّاب المقتولُ مع الحسين بن على عليهما السلام . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ الأخوص الرِّياحى إسلامى[1] . والله أعلم .

ثم رأيت (فى ضالة الأديب لأبى محمد الأعرابى) شعراً له يتعلق بإبل الصدقة . فعلم أنّه إسلامىٌّ . وهو معاصر لسُحَيم بن وَثِيل .

* * *

وأنشد بعده :

(مُعاوىَ إنَّنا بَشرٌ فأسْجِحْ فَلَسنا بالجبال ولا الحديدَا)

على أنَّ قوله (الحديدا) معطوف على محل قوله (بالجبال) ، فإنَّه فى محل نصبٍ ، لأنه خبر ليس ، والباء زائدة .

و (مُعاوى) منادَى مرخّم معاوية بن أبى سفيان . و (أسجِحْ) بفتح الهمزة وكسر الجيم : فعل أمر بمعنى ارفُق وسَهِّل .

---

(١) الميمنى : « كان فى خلافة عثمان . وانظر النقائض ٩١٨ والاصابة ٢٩٩٨ » .

وقد تقدَّم شرحه مفصلًا فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة[1] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين :

٢٧٩ * إنْ هُو مُسْتَوْلِياً على أحَدٍ إلاّ على أضْعَفِ المَجانينِ[2] *

على أن المبرد أجاز إعمال (إن) النافية عمل ليس ، واستشهَد بهذا البيت : فهو اسمها ومستولياً خبرها .

(وإنْ) كما النافية الحجازية فى الحكم ، لا تختص فى العمل بنكرةٍ دون معرفة ، بل تعمل فيهما . قال ابن هشام (فى المغنى) : أجاز الكسائىّ والمبرِّد إعمال إن عمل ليس ، وقرأ سعيد بن جُبير : * إنِ الذينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ عِباداً أمْثالَكم[3] * بنون خفيفة مكسورة لالتقاء الساكنين ، ونصب عباداً وأمثالكم .وسُمِع من أهل العالية : إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية. وإنْ ذلكَ نافعَكَ ولا ضارَّكَ . انتهى .

وقال (فى شرح شواهده) : كذا خرَّج ابن جنِّي قراءة سعيد بن جبير ، فظنَّ أبو حيان أن تخريجها على ذلك يوقع فى تناقض القراءتين ، فإنَّ الجماعة يقرءون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم ، وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفيٌ . فخرَّجها على أنَّها المؤكدة خفِّفت ونَصبت الجزأين كقوله :

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٠ .

(٢) شذور الذهب ٢٧٨ والعينى ٢ : ١١٣ والتصريح ١ : ٢٠١ والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٣) الآية ١٩٤ من الأعراف .

١٤٤

* إنّ حرَّاسَنا أُسْدَا[١] *

ولم يُثبت الأكثرون إعمالَها النصب فى الجزأين وتأوّلوا ما أوهم ذلك . ثم إن القائلين به لم يذكروه إلاّ مع التشديد ، لا مع التخفيف . ثم إنّ التناقض الذى توهَّمه مدفوع ، لأنّهم أمثالهم فى أنَّهم مخلوقون وليسوا أمثالَهم فى الحياة والنطق . وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى فى التشنيع عليهم من قراءة الجماعة ، ويؤيدها ما بعدها من قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا[٢] ﴾ . . . . الآيات . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه[٣]) : إذا كانت إنْ نافية فسيبويه لا يرى فيها إلاَّ رفع الخبر . وإنَّما حكم بالرفع لأنَّها حرف جحد يُحدث معنى فى الاسم والفعل كألف الاستفهام ، وكما لم تعمل ما التميميَّة ، وهو وفاقٌ للقياس . ولما خالف بعضُ العرب القياسَ فأعملوا ما ، لم يكن لنا أن نتعدَّى القياسَ فى غير ما . وغيرُ سيبويه أعمل إنْ على تشبيهها بليس كما استحسن ذلك فى ما ، واحتجَّ بأنه لافرق بين إنْ وما فى المعنى ، إذ هما لنفى ما فى الحال ، وتقع بعدها جملة الابتداء كما تقع بَعد ليس . وأنشد :

إنْ هو مستوليًا على أحدٍ   إلاّ على حزبه المَلاعين

وهو قول الكسائىّ والمبرد . ووافق الفرَّاء فى قوله سيبويه . انتهى .

وروىَ العجز أيضًا :   (إلاَّ على حزبه المناحيسِ)

---

(١) لعمر بن أبى ربيعة . شرح شواهد المغنى ٤٥ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ١ : ٢٦٩ . وليس فى ديوانه .

(٢) الآية ١٩٥ من الأعراف .

(٣) لم أجد هذا النص فى نسخة أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، ومن المعروف أنها ناقصة الآخر فى أصلها .

قال ابن هشام : وفى البيت شاهد على مسألة أخرى ، وهى أنّ انتقاض النفى بعد الخبر لا يقدح فى العمل ، ومثله فى ذلك قول الآخر :

إنِ المرء مَيْتاً بانقضاء حياته ولـكن بأن يُبغى عليه فيُخذلاَ[1]

وهذا الشاهد مع كثرة دورانه فى كتب النحو لم يعلم له قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد المائتين :

٢٨٠ ﴿ ولاَتَ سَاعةَ مَنْدَمِ[2] ﴾

على أن الفراء قال : لا يختصُّ عمل لات بلفظ الحين ، بل تكون مع الأوقات كلِّها . وأنشد هذا الشعر .

أقول : لعلَّ الفرَّاء قال مانقله الشارح المحقق عنه فى غير تفسيره ، وأما فى تفسيره فإنّه لم يتعرَّض لهذا ولا لغيره أيضًا . وروى هذا الشعر على أنّ لات فيه حرف جرّ ؛ وهذه عبارته فى سورة ص ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَنَادَوْا وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ[3] ﴾ : يقول ليس حين فرار . والنَّوْص : التأخُّر . ومن العرب من يضيف لات فيخفض ، أنشدونى :

* ولاتَ ساعةَ مَنْدمٍ *

ولا أحفظ صدره . والـكلام أن يُنْصب بها فى معنى ليس ، أنشدنى المفضّل :

---

(١) ط : « ان المرء منا » ، صوابه ما اثبت من تصحيح الشنقيطى والعينى ٢ : ١٤٥ والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٢) شذور الذهب ٢٠٠ والعينى ٢ : ١٤٦ والهمع ١ : ١٢٦ والأشمونى ١ : ٢٥٦ .

(٣) الآية ٣ من ص .

تذكّر حبَّ ليلى لاتَ حينًا وأضحى الشيبُ قد قطع القَرينا

فهذا نصب . وأنشد بعضهم :

طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنا أنْ ليس حينَ بقاءِ[1]

فخفَضَ أوانٍ . فهذا خفض . انتهى كلام الفرّاء .

فظهر من كلامه أنّه ليس فيه تقييد معمول لات بزمان ولا غيره .

وقد نقل عنه ابن هشام (فى المغنى) تبعاً لأبى حيّان (فى الارتشاف) خلافَ ما نقله الشارح المحقق ، قال : اختُلفَ فى معمولها : فنصَّ الفرّاء على أنّها لا تعمل إلاّ فى لفظ الحين — وهو ظاهر قول سيبويه — وذهب الفارسىّ وجماعة إلى أنها تعمل فى الحين وفيما رادفه . ثم قال بعد هذا : زعم الفرّاء أنّ لاتَ تستعمل حرفاً جارّاً لأسماء الزمان خاصّة .

قال الدمامينى : بين نقلِ ابن هشام ونقل الرضىّ عن الفرّاء تخالُف . فإنْ قلتَ : هلاَّ حملتَ نقل الرضىّ عن الفرّاء : أنها تكون مع الأوقات ، على ما إذا كانت عاملة للجر كما نقله المصنف هنا ، وحملت حكاية كلام المصنف أوّلاً أنها لا تعمل إلا فى لفظ الحين على ما إذا كانت عاملة عمل ليس ، فلا يكون بين النقلين تعارض . قلتُ : لاَ ، لأنّ الرضىّ لما ذكَر عنه أنها تعمل فى الأوقات[2] أنشد : ١٤٥

* ولاتَ ساعةَ مندم *

والرواية فيه بنصب الساعة . فلم يبق إذا للتوفيق مجال . انتهى .

---

(١) لأبى زبيد الطائى . انظر الشاهد ٢٨٢ .

(٢) ش : « أنها لا تعمل فى الأوقات » ، وهو خلاف ما تقدم .

أقول . قد وقع هذا الشعر فى كلام الشارح المحقق مجملا ، لايعلم هل هو منصوب أو مجرور ، وبان لك من نقلنا لكلام الفرّاء أنّ الرواية عنه عن العرب الجرّ ، فكيف تكون الرواية فيه النصب ؟ نعم رُوى النصب عن غير الفرّاء ، وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) فتكون ساعةَ خبر لات واسمها محذوف . ويجوز الرفع بقلة على أنها اسم لات والخبر محذوف فيقدَّر فى الأوّل : ولات ساعةٌ لك ساعةَ مندم ، أو ولات الساعةُ ساعةَ مندم . وقدّر الشارح المحقِّق فى الآية أى لات الحينُ حينَ مناص .

فإن قلت : إنهم قالوا لات لاتعمل إلا فى اسم زمان منكَّر ، فكان الظاهر فى البيت التقدير الأوّل ، وفى الآية نحو ما قدّره الشاطبي ، وهو ولاتَ حينُ يُنادَونَ فيه حينَ مناص .

قلتُ : إنّهم قالوا (منهم ابن هشام ، فى المغنى) : إن لات لاتعمل فى معرفة ظاهرة ، فمفهومه أنها تعمل فى معرفة مقدَّرة . ونقل ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) عن شرح الكافية لابن مالك : لابدّ من تقدير المحذوف معرفةً لأنّ المراد نفى كون الحين الحاضر حيناً يَنُوصون فيه أى يهربون أويتأخّرونَ ، وليس المراد نفى جنس حين المناص ، ولذلك كان رفع الحين الموجود شاذًّا لأنه محوج إلى تكلّفِ مقدرٍ يستقيم به المعنى ، مثل أن يقال معناه ليس حين مناص موجوداً لهم عند تناديهم ونزول مابهم ، إذْ قد كان لهم قبل ذلك حينُ مناص ؛ فلا يصحّ نفى جنسه مطلقاً بل مقيّدا .

وقول الشارح المحقق « وتعمل عملَ ليس بكَسع التاء » أى بلحاقها للات وتبعها إيّاها . قال الصاغانىّ (فى العباب) فى فصل الكاف من باب الهمزة : كسأ القوم وكسَعهم : إذا تبعهم . وهذه عبارة مألوفة للنحاة قديماً وحديثاً . قال

ابن مالك (فى التسهيل) هنا : وتُكسَع بالتاء فتختصّ بالحين أو مرادفه .
وقول الشاطبىّ : كُسعت بالتاء أى ضُرِب فى عجُزها بها[1] فيه تكلّف
للمناسبة . وكذلك قول شارح اللباب : يقال كسعت فلانا : إذا ضربتَ دبره
بيدك أو بصدر قدمك . أو من كسَعتُ الناقة ، إذا ضربت خِلفَها بالماء البارد
ليترادّ اللبن فى ضرعها[2] . انتهى

ويقدَّر فى الساعة[3] نحو لات ساعةُ مندم ساعةً لك . وقدَّر الشارح المحقق
فى الآية تبعًا لأبى علىّ (فى المسائل المنثورة) أى لات حينُ مناص حاصلاً .
وفيه أنهم قالوا : إنَّ عمل لات مختصٌّ بالحين اسمًا وخبراً . قال ابن مالك :

وما للاتَ فى سِوى حين عملْ وحذفُ ذى الرفع فَشا والعكس قَلّْ

فالظاهر نحو ما قدَّره الشاطبى أى ولات حينُ مناص حينًا يُنادون فيه .
وقد جاء عمل لات فى غير الحين شذوذاً فى قول الحماسىّ[4] :

لهفى عليك لِلهفةٍ من خائفٍ يبغى جِوارَكَ حين لات مجيرُ ١٤٦

ولا ينبغى حمل الآية على هذا .

فإن قلتَ : اجعلْ حاصلاً صفةَ زمان محذوفٍ أى حينًا حاصلا ونحوه .
قلتُ : شرط هذا اختصاص الصفة بالموصوف ، وما هنا ليس كذلك .

ثم قال الشارح المحقق : « ولا يجوز أن يقال بإضمار اسمها ؛ لأنّ الحروف
لا يُضمَر فيها » .

(١) هذا الصواب فى ش . وفى ط : « أى ضرب عجزها فى عجزها » .
(٢) ط : « فى ظهرها » .
(٣) ش : « فى الثانى » .
(٤) هو عبد الله بن أيوب التيمى يرثى منصور بن زياد . الحماسة ٩٥٠ بشرح المرزوقى وشرح شواهد المغنى ٣١٣ .

أقول : يريد الردَّ على المصنف (فى الإيضاح) فإنَّه عبّر هناك بالإضمار دون الحذف . وهذا شيء قد سبقه سيبويه فيه ، فإنه كثيراً ما يطلق لفظ الإضمار على الحذف . وكذلك فعل صاحب اللبّ ، قال : واسم لات حينَ محذوف أو مضمر ، لجريها مجرى الفعل فى إلحاق التاء عند الخليل وسيبويه . وقال السيد شارحه : فإنَّه لما ألحقت التاء صارت شبيهة بليسَ صورة ومعنى ، فحسن إضمار الإسم فيها كما فى ليس . وحمل ابن خروفٍ كلامَ سيبويه على التجوّز لا على حقيقة الإضمار ، بناء على أنَّها عنده حرف لا فعل ، فإنَّهم قد اختلفوا فى حقيقتها على ثلاثة مذاهب[1] ، كما اختلفوا فى عملها .

فالأول فيه أربعة مذاهب :

(أحدها) أنها كلمة واحدة فعل ماض ، وفيه قولان : أحدهما أنها فى الأصل بمعنى نقص ، من قوله تعالى : ﴿ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً[2] ﴾ فإنه يقال لاتَ يَليت كما يقال أَلت يألِت — وقد قرئ بهما — ثم استعملت للنفى كما أنَّ قلّ كذلك ، قاله أبو ذرٍّ الخُشَنى فى شرح كتاب سيبويه ، نقله عنه أبو حيان (فى الارتشاف) وابن هشام (فى المغنى) . والقول الثانى : أنَّ أصلها ليس أبدلت سينها تاء ، كما قالوا سِتّ والأصل سِدْس بدليل التصغير على سُدَيْس والتكسير على أسداس ، فصارت ليت ، ثم انقلبت الياء ألفاً لتحركها فى الأصل وانفتاح ما قبلها ، إذ أصلها عندهم لَيِس بكسر الياء فصارت لات ، فلمَّا تغيرت اختصت بالحين .

---

(١) فى حواشى الطبعة الأولى : « قوله على ثلاثة مذاهب ، هكذا بالأصل ، والصواب : أربعة ، بدليل ما بعده . نعم ان ابن هشام فى المغنى اقتصر على ثلاثة مذاهب ، وهى ما عدا الأخير هنا » .

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

والمذهب (الثانى) أنّها كلمتان : لا النافية ، والتاء لتأنيث اللفظ ، كما شرحه الشارح المحقق — وهذا مذهب الجمهور .

و (الثالث) أنّها حرف مستقلّ ليس أصلُها ليس ولا لا ، نقله الشاطبىّ — فى شرح الألفية .

(الرابع) أنها كلمة وبعض كلمة ، وذلك أنها لا النافية والتاء زائدة فى أوّل الحين . ونسب هذا إلى أبى عبيد[1] وابن الطَّرَاوة . قال ابن هشام (فى المغنى) : واستدلَّ أبو عُبيد بأنه وجدها فى الإمام — وهو مصحف عثمان ابن عفان — مختلطة بحين فى الخطّ . ولا دليل فيه ، فكم فى الخطّ من أشياء خارجةٍ عن القياس ويشهد للجمهور أنه يُوقف عليها بالتاء والهاء ، ورُسمت منفصلة من الحين ، وأن التاء قد تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين . وهو معنى قول الزمخشرىّ : وقرئ بالكسر على البناء كجَيْرِ . انتهى . ولو كان فعلاً ماضياً لم يكن للكسر وجه .

وأما الاختلاف فى عملها ففيه أربعة مذاهب أيضاً :

(أحدها) أنها لا تعمل شيئاً ، فإنْ وليها مرفوع فمبتدأ حذف خبره ، أو منصوب فمفعول بفعل محذوف وهو قول الأخفش ، والتقدير عنده فى الآية : لا أرى حينَ مَناص ، وعلى قراءة الرفع ولا حينُ مناص كائن لهم .

(الثانى) : أنها تعمل عمل لا التبرئة وهو عمل إنّ . وهذا قولٌ آخرُ للأخفش والكوفيين .

(الثالث) : أنها حرف جرّ عند الفرّاء على ما نقل عنه .

---

(١) انظر تحقيق البغدادى لنسبة هذا القول الى أبى عبيد فى أول الشاهد التالى .

(الرابع) : أنها تعمل عمل ليس ، وهو قول الجمهور . قال أبو حيان (فى الارتشاف) : والعطف على خبر لات عند من أعملها إعمال ليس كالعطف على خبر ما الحجازية ، لات حين جزع ولات حين طيش ولات حين قلق بل حين صبر ، تنصب فى الأولى وترفع فى الثانية كما كان فى ما ولا النافية . ثم قال : وقد جاءت لات غير مضاف إليها حين ولا مذكور بعدها حين ولا ما رادفه ، فى قول الأفوه الأودىّ :

١٤٧ ترك النّاسُ لنا أكنافَهُمْ ... وتولّوا لاتَ لم يُغنِ الفِرار

قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : وهذا يدلّ على أن لات لا تعمل وإنّما هى فى هذا البيت حرف نفى مؤكّد بحرف النفى الذى هو لم . ولو كانت عاملةً لم يجز حذف الجزأين بعدها ، كما لا يحذفان بعد ما ولا العاملتين عمل ليس .

والبيت الشاهد الذى قال الفرّاء لا أحفظ صدره ، رواه مع صدره ابن السكيت (فى كتاب الأضداد) ، وهو[1] :

(ولَتعرفنَّ خلائقاً مشمولةً ... ولتندمنَّ ولاتَ ساعةَ مَندَم)

قال فيه قال ابن الأعرابىّ ، يقال أخلاق مشمولة أى مشئومة ؛ وأخلاق سَوء . وأنشد :

ولتعرفن خلائقاً مشمولة . . . . . البيت

ويقال أيضاً رجل مشمول الخلائق : أى كريم الأخلاق . قال : وأنشد أبو عمرو لرجل من بنى سعد :

(١) الميمنى : « ابن السكيت رقم ٢٩٠ والأصمعى ١٨ وابن الأنبارى ١٠٩ فى كتب الأضداد » .

كأن لم أعش يوماً بصهباء لَذَّةٍ ولم اندُ مشمولاً خلائقُه مِثْلى ...انتهى

وأند ، بالنون قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ناديت الرجل مثل نادمت وهو المجالسة ، ولم أندُ : لم أجالس . والنادى منه ، هو المجلس . وأنشد هذا البيت .

وزعم الشاطبى أنَّ هذا البيت برمَّته رواه الفراء عن المفضّل . وهذا لا أصل له ؛ وإنما الذى رواه عن المفضّل البيت الذى بعده كما هو ظاهر من نقل عبارة الفرّاء .

ورأيت ابن عقيل وغيره ذكر للبيت الشاهد روايةً غير ما نقلناه ، جعله صدراً وتمَّمه بعجزٍ كذا :

ندم البغاةُ ولات ساعةَ مندمٍ والبغى مرتعُ مُبتغِيه وخيمُ

وقال : هو لرجل من طيء . أى ولات الساعة ساعة مندم . وهذا هو المشهور المتداول فى كتب النحو .

وقال العينى : قائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى ؛ ويقال مهلهل بن مالك الكنانى . والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائتين :

٢٨١ (العَاطِفُونَ تَحِينَ ما مِنْ عاطفٍ والمطعمون زمانَ أينَ المطْعِمُ[(١)])

على أن أبا عبيد زعم أنَّ التاء فى قولهم لات حين مناص من تمام حين

(١) مجالس ثعلب ٤٤٢ والانصاف ١٠٨ والأشمونى ٤ : ٣٣٩ واللسان (ليت ٢٩٢ حين ٢٩١) .

كما فى هذا البيت . ومثله لصاحب اللب وغيره قال : وعن أبى عبيد : تحين لغة فى حين ، ولا لنفى الجنس .

أقول : إنَّ أبا عبيد لم يذهب إلى هذا ، وإنما هو قول للأموى[١] نقله عنه (فى كتابه فى اللغة ، المشهور بالغريب المصنف) وهذه عبارته فيه : وقال الأحمرَ : تالآن فى معنى الآن ، و أنشدنا :

نَوِّلى قبلَ نأى دارى جُمَانا وصِلِينا كما زعمتِ تالآنا[٢]

١٤٧ وكذلك قال الأموىّ ، وأنشد لأبى وَجْزة[٣] :

العاطفون تحينَ ما من عاطفٍ والمُفضلونَ يداً إذا ما أنعَمُوا[٤]

قال : وإنما هو حين[٥] ، قال : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ معناه لا حينَ مناص . انتهى كلامه .

فعُلِم به أنَّ القول بكون لات حين هو لا تحين والتاء زائدة إنما هو قول

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص .. ذكره الزبيدى فى الطبقة الثالثة من اللغويين الكوفيين وقال : وروى عنه أبو عبيد وغيره . بغية الوعاء ٢٨٢ وقال ابن النديم فى الفهرست ٧٢ : « وليس من الأعراب . لقى العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الأعراب . وله من الكتب : كتاب النوادر ، كتاب رحل البيت » . وهو شارح قصائد أبى حزام العكلى فى مجموع أشعار ٨٥ ــ ١٠٧ الملحقة بالجزء الأول من مجموع أشعار العرب نشر وليم بن الورد البروسى فى ليبسك سنة ١٩٠٢ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٤٠٤ والانصاف ١١٠ واللسان (حين) .

(٣) ط : « لأبى وجرة » صوابه فى ش .

(٤) ش : « أسغبوا » .

(٥) ش : « تحين » .

الأمويّ لا أبى عبيد ، وإن اشتهر النقل عنه . وقد ردَّه الشارح المحقّق ولم يبين موقع التاء فى هذا البيت . وقد رأيت فى تخريجه وجهين :

(أحدهما) ذكره ابن جنّي (فى سر الصناعة) وسبقه ابن السيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) وأبو على (فى المسائل المنثورة) : وهو أنها فى الأصل هاء السكت لاحقة لقوله العاطفون ، اضطُرَّ الشاعر إلى تحريكها فأبدلها تاء وفتحها . قال ابن جِنِّي : أراد أن يجريه فى الوصل على حدٍّ ما يكون عليه فى الوقف ، وذلك أنه يقال فى الوقف هؤلاء مسلمونه وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون ، كما أنشدوا :

أهكذا يا طيب تفعلونه   أعَلَلاً ونحن منهلُونَه

فصار التقدير العاطفونه ، ثم إنَّه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها بتاء ، كما تقول فى الوقف : هذا طلحهْ ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت هذا طلحتنا . وعلى هذا قال العاطفونه . ويؤنس بصحّة هذا قول الراجز :

من بعدِ ما وبعدِ ما وبعدِ مَتْ   صارت نفوسُ القوم عند الغَلْصمَتْ[1]

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف فى التقدير هاء ، فصارت بَعْدَمه ، ثم إنّه أبدل الهاء تاء لتوافق بقية القوافى التى تليها ، وشجّعه شبه الهاء المقدرة فى قوله وبعدمه بهاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ولما كان يراهم قد يقولون فى الوقف : هذا

---

(١) لأبى النجم العجلى فى مجالس ثعلب ٣٢٧ والخصائص ١ : ٣٠٤ وشرح شواهد الشافية ٢١٨ والعينى ٤ : ٥٥٩ والتصريح ٢ : ٣٤٤ والهمع ٢ : ٢٠٩ والأشمونى ٤ : ٢١٢ .

طَلْحتْ وحمزتْ قال هو أيضاً وبعدمت ، فأبدل الهاء المبدلة من الألف تاء . وليس شىء مما يُضطَرُّون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجهاً . فإذا جاز أن تشبّه هاء وَبَعْدَمَهْ بتاء التأنيث حتى يقال فيها وبعدمتْ جاز أيضاً أن تشبه هاء العاطفونه بهاء التأنيث فيقال العاطفونت ، وفتحت التاء كما فتحت فى آخر رُبَّتَ وثُمَّتَ . انتهى مختصراً .

قال ابن السِيرافى : ويجوز أن ينشد (العاطفونهْ) بإسكان الهاء ، فيكون قد أضمر وجعل مستفعلن فى موضع متفاعلن . وأظنّ أنّ الرواة غيّروه وحرّكوه طلباً لأن يكون الجزء تاماً على الأصل . انتهى

والوجه (الثانى) ذكره ابن مالك (فى التسهيل) وتبعه شارح اللبّ : وهو أن التاء بقيّة لات ، فحذفت لا وبقيت التاء . قال : وقد يضاف إلى لات حين لفظاً أو تقديراً ، وربما استغنى مع التقدير عن لا بالتاء . ومثّل ابن عقيل للأوّل بقوله :

وذلك حين لاتَ أوانَ حلم ولكنْ قبلَها اجتنبوا أَذاتِى

– أى أذيّتى – ومثَّل للثانى بقوله :

تذكَّر حُبَّ ليلى لات حيناَ وأمسى الشيبُ قد قَطع القَرينا

أى حين لات حين تذكر . ومثل للثالث بقوله :

العاطفونت حينَ ما مِنْ عاطفٍ . . . . البيت

أى حين لات حين ما من عاطف ، فحذف حين ولا . ١٤٩

هذا كلامهما ولا يخفى تعسّفه . وتخريج هذا البيت على زيادة التاء أسهل وأقل كلفة من هذين التخريجين وإن كان لا يطّرد زيادة التاء فى كل موضع فيه لا . وهذه التاء زيادتها غير مطّردة وغير لازمة . وقد سمع زيادتها مع لفظ

الآن أيضاً ، قال أبو زيد (فى نوادره) : سمعت من يقول حسبك تالآن ، يريد الآن . وقال ابن أحمر :

نَوِّلِى قبل نأى دارى جُمانا وصِلِينا كما زعمتِ تالآنا

أى كما زعمت الآن . ونوِّلى أمر من النوال وهو القُبْلة . وجُمانا : منادى مرخّم جُمانة بضمّ الجيم وهو امرأة ، والألف للاطلاق .

صاحب الشاهد

وهذا البيت الشاهد من قصيدةٍ لأبى وَجْزَة السعْدِىّ مدح بها آل الزبير ابن العوام ؛ لكنّه مركّب من مصراعى بيتين وقع فى صحاح الجوهرى هكذا فتبعه الشارح المحقّق وغيره . والذى فى ديوانه كذا :

أبيات الشاهد

(وإلى ذَرا آلِ الزُّبير بفضْلهم نِعْم الذَّرا فى النائبات لَنا هُمُ
العاطفون تَحِينَ ما مِنْ عاطفٍ والمسبغون يداً إذا ما أنعموا
واللاحقون جِفانَهمْ قَمَعَ الذُّرا والمطعِمون زمانَ أينَ المطْعِمُ
والمانعون من المضيمة جارَهم والحاملون إذا العشيرة تَغْرَم)

والذَّرا بالفتح : كلّ ما استترت به ، يقال أنا فى ظلّ فلان وفى ذَراه أى فى كنفه وسِتره . والنائبات : شدائد الدهر وحوادثه . وفى واللام متعلّقان بالذَّرا ، لأنه بمعنى الملتجأ . وهم هو المخصوص بالمدح .

و (العطفُ) : الشفقة والتحنّن . و (تَحِينَ) ظرف للعاطفون ، والتاء زائدة أو أنّها متصلة بما قبلها على أنها هاء السكت كما بيّنّاه ؛ وعلى هذين القولين ما نافية وحين مضافة إلى الجملة المنفيّة ، فإنّ مِن زائدة وعاطف مبتدأ خبره محذوف أى يوجد ونحوه ؛ أو أنه بقية لات وحين خبرها واسمها محذوف كما قال ابن مالك . وفيه غرابةٌ ، حيث يحذف العامل ويبقى منه حرف واحد وهو مع ذلك عامل ، وهذا لا نظير له . وينظر على هذا فى حين ، هل

هى مضافة إلى الجملة المنفية، أو أنّ ما ليست نافية؟ فإن كانت نافية انتقض النفى الأوّل بها. وهذا غير مراد الشاعر. وإن كانت غير نافية فينظر من أى أنواع ما هى. وبالجملة: كون التاء بقيّة لات يشكلُ عليه معنى البيت وإعرابه ولا داعىَ إلى هذا كلّه. وقال ناظر الجيش: وتخريج البيت على ما ذكره المصنّف لا يتعقّل، لأنّه يكون المعنى هم العاطفون وقت ليس الحين حين ليس ثَمَّ عاطف. و (المسبغون): من أسبغ الله النعمة: أفاضها وأتمّها. وسَبَغت النعمة: اتَّسعت. وروى صاحب الغريب المصنَّف: (المُفْضِلون) بدل المسبغون من الإفضال وهو الإنعام؛ والجيّد هو الأول. و (اليد): النعمة. يقول: هم يعطفون على من سألهم واحتاج إليهم، إذا اشتدت الأحوال وأجدب الزمان، ولم يجد المسترفِد رافداً؛ وإذا أنعموا أوسعوا على المنعَم عليه إفضالا ونائلا.

وقوله: واللاحقون الخ، أى والمُتْبِعون؛ يقال لحِقته ولحِقت به من باب تعب لحَاقا بالفتح: إذا تبعته وأدركته؛ وألحقته بالألف مثله؛ ولحقه الثمن لحُوقا: لزمه؛ فاللحُوق: اللزوم، واللحَاق: الإدراك. كذا فى المصباح. والجِفان، بالكسر: جمع جَفنة بالفتح، وهى القَصْعة الكبيرة للطعام. والقَمَع بفتح القاف والميم: جمع قَمَعَة بالتحريك، وهى رأس السَّنام؛ والذُّرا بالضمّ: جمع ذِرُوة بضم الذال وكسرها: أعلى السَنام؛ وإنّما خصَّه لأنّه أطيبَ لحم الإبل عندهم. وزمانَ ظرف للمطعمون، وهو مضاف للجملة بعده لكن بتقدير مضاف أى زمان سؤال أين المطعم. ورواه الأمويّ على ما نقله أبو عبيد فى الغريب المصنّف:

١٥٠

* والمطعمونَ زمانَ ما من مطعمٍ *

فيكون فى البيت على هذه الرواية إقواء . مَدَحهم بأنّهم يطعمون الفقراء أطيبَ اللحم فى أيام القحط والجدب ، وفى الزمان الذى يتساءل الناس عن الكرماء المطعِمين للطعام .

وقوله : والمانعون الخ ، المضيمة : المظلمة ، فعيلة بمعنى فاعلة ، من هضمت الشىء إذا كسرته . والحاملون : من حمل الديَة . يقول : إنْ وُزِّعت دية قتيلٍ على عشيرته حملها عنهم ودفعها من ماله .

وتركيب بيت من بيتين ونحوه فى الاستشهاد شائع عند المصنّفين يفعلونه قصداً ، إما لأنّ المعنى متفرّقا يكون فى أبيات ، وإمّا لأنّ فى أحد المصراعين قلاقةً معنى أو لغة ، فيختصرونه بأخذ مصراعين منه ، كما فعل ابن الشجرى وابن هشام (فى المغنى) فى قوله :

وناهدةِ الثّديين قلت لها اتّكى فقالت على اسم الله أمرُك طاعة(١)

وهو من شعرٍ لعمر بن أبى ربيعة . وله حكاية ذكرها الجاحظ (فى المحاسن والمساوى) . والأصل هكذا :

وناهدةِ الثديين قلتُ لها اتّكى على الرمل من جَنْباته لم توسَّدِ(٢)
فقالت على اسم الله أمرك طاعته وإن كنت قد كلّفت ما لم أعوّدِ

فأخذ منهما مصراعين ، ولم يتنبه لهذا أحد من شرّاح المغنى . وكما فعل الزمخشرى (فى المفصَّل) وغيره كابن هشام (فى المغنى) فى قوله :

---

(١) انظر الخصائص ٢ : ٣٦٢ وابن الشجرى ١ : ٣٢٠ والأغانى ١ : ٧٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ .

(٢) فى المحاسن والأضداد ٢٦١ : « فى ديمومة لم توسد » وفى الأغانى ١ : ٧٥ : « من جبانة لم توسد » .

حاشيا أبا ثوبان انَّ له ضَنًّا على المَلْحاةِ والشَّتمِ

وهو من قصيدة مسطورة فى المفضليات(١) ، والأصل :

حاشا أبا ثوبان انَّ أبا ثوبان ليس بِبُسكْمةٍ فَدْمِ
عمرو بن عبد الله إنّ به ضنًّا على الملحاةِ والشتمِ

أبو وجزة

و (أبو وجزة) هو بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاى معجمة ، يقال رجل وَجْز أى سريع الحركة ، وامرأة وَجْزة .

وأبو وجزة اسمه يزيد بن عبيد ، وقيل ابن أبى عبيد . وهو شاعر ومحدث ومقرئ ، كذا قال الصاغانى (فى العباب) . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من بنى سعد بن بكر بن هوازن أظآرِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعراً مُجيداً ، وهو الذى روى الخبر فى استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وتوفّى بالمدينة سنة ثلاثين ومائة ، وهو أوّل من شبَّب بعجوز(٢) .

أقول : أبو وجزة إنما هو من بنى سُلَيم بالتصغير ، وإنّما نشأ فى بنى سعد فغلب عليه نسبهم . وقال صاحب التقريب والتهذيب : أبو وجزة السعدى المدنىّ الشاعر ثقة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين ، ثم ذكر مشايخه وتلاميذه .

١٥١

* * *

(١) المفضليات ٣٦٧ وبشرح ابن الأنبارى ٧١٨ من قصيدة للجميح الأسدى .

(٢) الذى فى الشعراء ٦٨٤ والأغانى ١ : ٧٧ عن ابن قتيبة : « وهو أحد من شبب بعجوز » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائتين :

٢٨٢ * طلبوا صُلْحَنَا ولاتَ أوانٍ   فأجَبْنَا أنْ لَيْسَ حين بَقَاءِ[1] *

على أن أصله عند المبرد والسيرافى : ولات أوانَ طَلَبوا ، فحذفت الجملة وبنى أوان على السكون أو على الـكسر ، ثم أبدل التنوين من المضاف إليه كما فى يومئذ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : قرئ *ولاتَ حين مناصٍ[2]* ، بخفض الحين، فزعم الفرّاء أن لات تستعمل حرفاً جارًّا لأسماء الزمان خاصة ، وأنشد :

* طلبوا صُلحَنا ولات أوانٍ *

وأجيب عن البيت بجوابين :

أحدهما : على إضمار مِن الاستغراقية . ونظيره فى بقاء عمل الجارّ مع حذفه وزيادته قوله :

* ألا رجلٍ جزّاه الله خيرا[3] *

---

(١) ديوان أبى زبيد الطائى ٣٠ والخصائص ٢ : ٣٧٧ والانصاف ١٠٩ والمخصص ١٦ : ١١٩ وابن يعيش ٩ : ٣٢ وشرح شواهد المغنى ٢١٩ ، ٣٢٤ وشذور الذهب : ٢٠١ والعينى ٢ : ١٥٧ والهمع ١ : ١٢٦ والأشمونى ١ : ٢٥٦ . ونحوه قول ابن حلزة اليشكرى فى العقد ٢ : ٣١٩ :

طلبوا صلحنا ولات أوان   ان ما يطلبون فوق النجوم

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

(٣) لعمرو بن قعاس ، كما فى الخزانة ٣ : ٥١ . وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

فيمن رواه بجرّ رجل .

والثانى : أن الأصل : ولات أوانَ صلح ، ثم بنى المضاف لقطعه عن الإضافة ، وكان بناؤه على الكسر لشبهه بنزالِ وزناً ، ولأنه قدّر بناءه على السكون ثم كسر على أصل التقاء الساكنين كأمس ، ونوّن للضرورة ، وقال الزمخشرى للتعويض كيومئذ . ولو كان كما زعم لأُعرب لأن العوض ينزّل منزلة المعوّض منه .

وعن القراءة بالجواب الأوّل ـ وهو واضح ـ وبالثانى وتوجيهه : أنَّ الأصل حين مناصهم ثم نزّل قطع المضاف إليه من مناص منزلة قَطعِهِ من حين ، لاتّحاد المضاف والمضاف إليه ؛ قاله الزمخشرى . وجعل التنوين عوضاً من المضاف إليه ثم بنى الحين لإضافته إلى غير متمكن . انتهى .

والأولى أن يقال : إنَّ التنزيل المذكور اقتضى بناء الحين ابتداء ، وإنَّ المناص مُعْرب وإن كان قد قطع عن الإضافة بالحقيقة ، لكنه ليس بزمان ، فهو ككل وبعض . انتهى كلام ابن هشام .

(أقول) : تقدير المضاف إليه جملة هو المناسب لتشبيه أوان بيومئذ فى البناء وفى كون التنوين بدلاً من المضاف إليه ، وأما تقديره مفرداً ثم تعليل بنائه بقطعه عن الإضافة كما صنع ابن هشام تبعاً لغيره ففيه أنّ ما ذكره مختص بالظروف النِّسْبية ، ويكون بناؤها حينئذ على الضمّ ، وأما أوان فإنّه ظرف متصرف كما يأتى قريباً وليس مضموما ، كقبل وبعد . ويجوز أن يقدّر المضاف إليه ولات أوان نصطلح ، فإن المنفىّ فى الحقيقة هو أوان الصلح ، أو يقدَّر جملة اسمية أى ولات أوانَ صُلحُنا ممكن ، فأوان خبر لات وهو منصوب لفظاً أو مبنى على الفتحة لإضافته إلى مبنىّ ، واسمها محذوف أى ولات الأوان .

قال أبو على (فى المسائل المنثورة) : قال أبو العباس المبرد : أوان هنا مبنيّة ، لأنّ أوان تضاف إلى المبتدأ والخبر ، فكأنك حذفت منه المبتدأ والخبر ، فنوّنت ليعلم أنك قد اقتطعت الإضافة منه .

ولم يرتض ابن جنى (فى الخصائص) كون التنوين عوضا عن الجملة كيومئذ وفرّق بينهما بأن إذْ ظرف ناقص ، وأوان ظرف متصرّف . قال : وتأوّل أبو العباس المبرد قول الشاعر :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ . . . . . البيت

على أنّه حذف المضاف إليه أوان فعوض التنوين عنه ، على حدّ قول الجماعة فى تنوين إذ . وهذا ليس بالسهل ، وذلك أنَّ التنوين فى نحو هذا إنما دخل فيما لا يضاف إلى الواحد أى المفرد ، وأما أوان فمعرب ويضاف إلى الواحد كقوله[1] :

١٥٢

فهذا أوان العِرْض حَيَّ ذبابُه زنابيره والأزرقُ المتلَمِّسُ

وقد كسّروه على آونة وتكسيرهم إيّاه يبعده عن البناء ، لأنّه أخذٌ به فى شقّ التصريف والتصرّف .

وكذا قال (فى سرّ الصناعة) : ذهب أبو العباس إلى أن كسرة أوان ليست إعراباً ولا هى علَماً للجر ، ولا أنَّ التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ، وإنما تقديره عنده أنَّ أوان بمنزلة إذْ ، فى أنَّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو قولك: جئتك أوانَ قام زيد ، وأَوانَ الحجاجُ أمير ،

(١) هو المتلمس . ديوانه ٦ والحماسة ٦٦٢ بشرح المرزوقى . وبهذا البيت سمى المتلمس ، واسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى .

أى إذ ذاكِ كذلك ، فلمّا حذف المضاف إليه أوَان ، عوّض من المضاف إليه تنويناً . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة كسكون ذال إذْ ، فلما لقيَها التنوينُ ساكناً كسِرت النون لالتقاء الساكنين . فهذا شرح هذه الكلمة وقوله هذا غير مَرضيّ ، لأن أوانًا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله[١] :

* هــذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ *

وقوله :

* فهذا أوان العِرْض[٢] *

وغير ذلك . فإن قيــل : فإذا كان الأمر كذلك فهلاّ حركوا النون فى يومئذ وأوان لسكونها وسكون الذال والنون قبله ، ولم يحرّكوها لذلك دونه ؟ فالجواب : أنَّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذْنٍ ، فيشبه التنوين الزائدُ النونَ الأصلية . وأيضا فلو فعلوا ذلك فى إذْ لما أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنهم لو آثروا إسكان النون لما قدَروا على ذلك ، لأنَّ الألف ساكنة قبلها ، وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى التنوين بعدها ، فكان لا بد أيضاً من أن يقولوا أوان . فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دونَ أن يكون كسرهم إياها ، لسكونها وسكون التنوين بعدها ، [فالجواب ما تقدم ذكره من أنّ كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها[٣]].

فعلى هذا ينبغى أن يحمل كسر النون من أوان ؛ لئلا يختلف الباب ،

---

(١) هو رشيد بن رميض ، كما فى البيان ٢ : ٣٠٨ والكامل ٢١٥ والعقد ٤ : ١٢٠/٥ : ١٧ وابن يعيش ٩ : ٣٢ .

(٢) البيت للمتلمس ، وقد سبق قريبا .

(٣) التكملة من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لغة .

ولأنَّ أوان أيضاً لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه فيُقَدَّرَ مكسورَ النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، وإنما حذف منه المضاف إليــه وعوِّض منه التنوين عقيب ذلك ، فلم يوجد له زمن يلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنّما كسرت لـكون الألف قبلها ، فاعرف ذلك من مذهب أبي العباس . وأمّا الجماعة غيرَه وغيرَ أبي الحسن فعندهم أنّ أوان مجرورة بلات ، وأن ذلك لغة شاذَّة . ورَوينا عن قطرب قال : قراءة عِيسى : ﴿ ولات حينِ مناصٍ ﴾ بالجرّ . انتهى كلامه .

وهذا حقٌّ لا شبهة فيه ، فالوجه كون لات فيه حرف جرّ كما نقله الفرّاء في قوله :

* ولاتَ ساعةِ مندم *

بجرّ ساعة . وفي هذا البيت أيضاً .

وكذلك نقله أبو علي (في المسـائل المنثورة) عن أبي عُمَر الجَرْمي . واستشكله أبو عليّ بأنّ حروف الجرّ لا بدّ أن تتعلّق بشيء ، ولات هنـا لا تتعلق بشيء — كما بيَّنه الشارح — وجوابه : أنَّ لنا حروفَ جرّ لاتتعلّق بشيء ، منها لولا في نحو قوله : لولاى ولولاه ، فليـكن هذا منها .

وقول ابن هشام : « وزعم الفرّاء أن لاتَ تجرّ أسمـاء الزمان خاصّة » تقدم النقل عنه قبل هذا بشاهدين ، أنّه لم يقيِّد معمول لات بشيء ، سواء كانت جارّة أو عاملةً عمل ليس .

١٥٣ وقوله : « وأجيب عن البيت بجوابين : أحدهما على إضمار من الخ » ، هذا الجواب فاسد ، لأنّ تقدير مِنْ يقتضي أن لا يكون لهـا معمول ، وإذا لم يكن لهـا معمول اقتضى كونها غير عاملة . والجواب إنّما هو لبيان عملها .

ومِن الغريب قول أبى حيّان على ما نقله السَّمين (فى إعرابه) : إن مِن المقدَّرةَ ومجرورَها موضعُهما رفع على أنّهما اسم لات . قال : كما تقول ليس من رجل قائما ، والخبر محذوف . هذا كلامه .

وقوله : « وعن القراءة بالجواب الأوّل » . وهذا الجواب لا يصحُّ هنا أيضاً لما بيّنّاه .

وقوله : « وتوجيهه أنّ الأصل حين مناصِهم الخ » وهذا الأصل لا يصحّ ، لأنّ معمول لات لايجوز إضافته إلاّ إلى نكرة .

ودعوى أنّ المضاف وهو حين اكتسب البناء من المضاف إليه ، ففيها أنّ شرط اكتساب البناء بالإضافة فى مثله أن يكون المضاف زماناً مبهما ، والمضاف إليه إما إذْ ، أو فعل ، أوجملة اسمية ؛ ومناص ليس واحداً منها . ثم إنّ البناء إنما سمع فيما ذكرنا على الفتح لا على الكسر .

ونقل السمين (فى إعرابه) عن الأخفش أنّه خرّج البيت على حذف مضاف ، أى ولات حين أوان ، فبقى المضاف إليه مجروراً بعد حذف المضاف . وردّ عليه مكّى بأنّه كان ينبغى أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف . وأجاب عنه السَّمين بأنّ بقاء مثله على الجرّ قليل ، ومنه قراءة من قرأ : ﴿ والله يُرِيدُ الآخِرةِ[1] ﴾ بجرّ الآخرة .

أقول : تقدير هذا المضاف لا قرينة تدلُّ عليه ، وإنْ صحّ إضافة حين إلى أوان بجعل الحين عامّا والأوان خاصّا بحمله على أوان الصلح .

ثم قال السمين : وقال الزجّاج : الأصل ولات أواننا ، فحذف المضاف إليه

---

(١) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جماز المدنى . تفسير أبى حيان ٤ : ٥١٨ ـ ٥١٩ .

فوجب ألاّ يعرب ، وكسره لا لتقاء الساكنين . قال أبو حيان : ومنه أخذ الزمخشرىّ قوله أصله ولا أوان صلح .

أقول : عبارة الزجاج (فى تفسيره) : ومن خفض جعلها مبنيّة مكسورة لالتقاء الساكنين ، كما قالوا فداءٍ لك فبنوه على الكسر . ولما قال ولات أوان جعله على معنى ليس حين أواننا ، فلما حذف المضاف إليه بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء الساكنين . والكسر شاذّ شبيه بالخطأ عند البصريِّين . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لأبى زُبيدٍ الطائىّ النَّصرانىّ . سببها ما حكاه أبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى قالا : نزل رجلٌ من بنى شَيبان اسمه المُكَّاء برجل من طيّء ، فأضافه وسقاه ، فلمّا سكر وثب إليه الشيبانىُّ بالسيف فقتله وخرج هاربا . وافتخر بنو شيبانَ بذلك ، فقال أبو زُبيد هذه القصيدة . وهذه أبيات منها :

قصيدة الشاهد

(خبَّرتنا الركبانُ أنْ قد فرحتم وفَخرتم بضَربةِ المُكَّاء
ولعمرى لَعارُها كان أدنى لكُمُ من تُقًى وحسن وفاء
ظلَّ ضيفا أخوكُمُ لأخينا فى صَبوحٍ ونَعمة وشِواء
لم يَهَبْ حُرمةَ النديم ــ وحقَّتْ ــ يالقَومى لِلسَّوءة السَوْآء
فاصدُقونى وقد خَبَرتم وقد ثا بَتْ إليكم جوائِبُ الأنباء
هل علمتم من معشرٍ سافهونا ثم عاشوا صفحاً ذوى غُلَواء
كم أزالت رماحُنا من قَتيلٍ قاتلونا بنكبة وشَقاء
بعثوا حربَنا إليهم وكانوا فى مقامٍ لو أبصروا ورَخاء
ثم لمَّا تشذَّرتْ وأنافت وتصلَّوْا منها كريهَ الصِّلاء

طلبوا صلحنا ، ولات أوانٍ ، فأجبنا أنْ ليس حينَ بقاء
ولعمرى لقد لَقُوا أهلَ بأس يصدُقون الطِّعانَ عند اللقاء
ولقد قاتلوا فما جبُن القو مُ عن الأمَّهاتِ والأبناء)

١٥٤ إلى أن قال :

(فاصدُقونى أسُوقة أم ملوك أنتمُ ، والملوكُ أهلُ علاء
أبدِىءٌ أن تقتلوا إذْ قتلتم أم لكم بَسطةٌ على الأكفاء
أم طمعتم بأن تُريقوا دِمانا ثم أنتم بنجوةٍ فى السماء
فلحا الله طالبَ الصلح منَّا ما أطاف المُبِسُّ بالدَّهناء
إنَّنا معشرٌ شمائلنا الصبْـ ـرُ ودفعُ الأسى بحسن العزاء
ولنا فوق كلِّ مجدٍ لواءٌ فاضلٌ فى التمام كلَّ لواء
فإذا ما استطعتمُ فاقتلونا من يُصَبْ يُرْتَهَنْ بغير فِداء)

المُكَّاء ، بضم الميم وتشديد الكاف : اسم الشيبانى القاتل . وعارها : عار الضَربة .

وقوله : لم يهب حرمة النديم إلخ ، أورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ[1] ﴾ على أنَّ السوءة مايقبح كشفه . والسَّوءة السَّوْآء ، على وزن الليلة الليلاء : الخصلة القبيحة . ويَهبْ : من الهَيبة والخوف . والمعنى أنه لم يُعْظِمْ حرمة الصاحب ، وحقَّت تلك الحرمة بأن تهاب . ثم نادى قومة ليعجبهم من النظر إلى هذه الفضيحة التى هى هتك حرمة النديم . وروى : (ولكن) بدل قوله : (وحقَّت) .

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة .

وقد وقع العجز شاهداً فى الكشّاف ، قال الطيْبيّ : إنّى لم أظفر بصدره ولا بقائله .

وجوائب الأنباء : جمع جائبة ، من الجَوْب وهو القطع . قال فى الصحاح : يقال هل جاءكم جائبةُ خبر : أى خبر يجوب الأرضَ من بلد إلى بلد . وقوله : سافهونا ، من السَّفَه وهو ضدُّ الحلم . وصفحاً : إعراضا عنهم . وذوى : حال من الواو فى عاشُوا . والغُلَواء بضم المعجمة : النشاط ومرح الشباب .

وقوله : لو أبصروا ، لو للتمنّي . ورخاء : معطوف على مقام .

وتشذَّرت ، بالشين والذال المعجمتين ، قال فى الصحاح : يقال تشذَّر فلان : إذا تهيأ للقتال ؛ وتشذَّر القوم فى الحرب : أى تطاولوا . وأنافت : زادت . وتَصَلَّوا : من صلِيَ بالنار صَلًى ، من باب تعب : وجَدَ حرَّها . والصِّلاء ككتاب : حرّ النار .

وقوله : (طلبوا اصلحنا الخ) هو جواب لمَّا . ومن العجائب قول العيني : طلبوا فعل وفاعله مستتر فيه ، ولات أوان فى محل الحال من الصلح وقوله : (فأجبنا) معطوف على طلبوا ؛ وأن مصدرية يقال أجابه بكذا . وقال السيوطي : هى تفسيرية . و (حين) خبر ليس أى ليس الحين حين بقاء . و (البقاء) : اسم من قولهم أبقيت على فلان إبقاء : إذا رحمته وتلطّفت به . والمشهور أنَّ الاسم منه البُقيا بالضم ، والبَقْوى بالفتح . وقال العيني وتبعه السيوطي : المعنى بقاء الصلح .

١٥٥ وقوله : أبديءٌ ، الهمزة للاستفهام الإنكاريّ ؛ وبديء بالهمز كبديع وزنا ومعنى . وتُقتَلوا بالبناء للمفعول ، وقَتَلتم بالبناء للفاعل .

وقوله : ثمَّ أنتم بنجوة الخ ، النَّجوة بفتح النون وسكون الجيم : المكان المرتفع .

وقوله : فلحا الله ، أى قَبحَ الله .

وقوله : ما أطاف إلخ ، ما مصدريَّة ظرفيَّة . وأطاف وطاف بمعنى دار حول الشيء . والمُبِسّ : حادى الإبل ، وهو فى الأصل اسم فاعل من أبسَسْت الإبل : إذا زجرتَها . والدَّهناء : موضع فى بلاد بنى تميم .

ويُصَبْ ويُرْتَهَنْ كلاهما بالبناء للمفعول .

أبو زبيد

وأبو زُبيد اسمه المنذر بن حرملة[1] من طيء . قال أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين) وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) وغيرهما : عاش أبو زُبيد مائة وخمسين سنة ، وكان نصرانيًّا ومات على نصرانيته .

وألحقه الجمحىُّ بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام[2] . وكان أعورَ آدمَ طُوَالاً : طولُه ثلاثةَ عشر شِبراً . وكان من زُوَّار الملوك وخاصَّةً ملوكَ العَجم . واستعمله عمرُ بن الخطاب على صدَقات قومِه ولم يَستعمل نَصرَانيًّا غيرَه . وكان عثمان بن عفَّان يقرِّبُه ويُدْنى مجلِسَه . وكان مُغرًى بوصف الأسد بعبارات

(١) الميمني : « تبع البغدادى فى هذا ابن قتيبة فى الشعراء والمعمرين والعينى ٢ : ١٥٦ والمعروف بالعكس ، أى حرملة بن المنذر . راجع الاشتقاق ٢٣١ واللآلى وابن عساكر ٤ : ١٠٨ والجمحى ، والأدباء والاقتضاب ٢٩٩ والسيوطى ٢١٩ والاصابة رقم ٤٨٠ من الكنى ، الى غيرهم . ولو جسرت على ضعف منتى وقلة حيلتى لقلت ان أبا حاتم أول من صحف على جلالته ، فتبعه من عثر على كتابه . وقال الأصبهانى ١١ : ٢٣ انه هو الصحيح ، بعد أن ذكر القولين » .

(٢) انظر ابن سلام ٥٠٥ والأغانى ١١ : ٢٣ .

مهولة تُزعج السامع ، حتى كأنّه يُشاهد الأسد فى حضوره ؛ فقال له عثمان رضى الله عنه ، يوماً : إنى لأحسَبُكَ جَبَاناً . فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، ولكن رأيتُ منه منظراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يَبرَحُ ذِكره يتردَّد ويتجدَّد فى قلبى !

ثُم وصَفَ ما شاهد منه — ونَقَل كلامَه برمَّته صاحبُ الأغانى — إلى أن قال له عثمان رضى الله عنه : اسكتْ قَطَعَ الله لسانك ، قد أرعبتَ قلوب المؤمنين !

وقال الطبرىُّ[1] : كان أبو زيد فى الجاهلية مقيمًا فى أخواله بنى تغلب بالجزيرة ، وفى الإسلام منقطعاً إلى الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط فى ولاية الجزيرة وولاية الكوفة ، ولم يزل به الوليد حتَّى أسلم وحسُن إسلامه .

هذا كلامه ، وهو خلاف ما قال العلماء : أنَّه مات على نصرانيّته .

قال صاحب الأغانى : ولمّا وفد أبو زبيد إلى الوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة أنزله دار عقيل بن أبى طالب ، على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ؛ فكان ذلك أوَّل ما طُعن به على الوليد ، لأنّ أبا زبيد كان يخرج منها إلى الوليد فيسمرُ عنده ويشرب معه ، ويشقّ الجامع وهو سكران ؛ فلمّا شُهِد على الوليد بشرب الخمر عزله عثمانُ عن الكوفة وحدَّه فى الخمر .

وقال ابن قتيبة : ولما اعتزل الوليدُ بن عقبة عليًّا[2] ومعاوية صار إلى الرَّقّة ، وكان أبو زبيد ينادمه .

وقال صاحب الأغانى : ومات الوليد قبل أبى زبيد ، فمرَّ أبو زبيد بقبره فوقف ثم قال :

---

(١) الطبرى ٣ : ٦٠ فى حوادث سنة ٣٠ .

(٢) فى النسختين : « على » . وانظر الشعراء ٢٦١ .

يا هاجرى إذْ جئت زائرَه　ما كاَن من عاداتك الهجرُ
يا صاحبَ القبرِ السَّلامُ على　من حالَ دون لقائه القبرُ

ثم انصرف . وكان يجىء إلى قبره فيشرب عنده ويصبُّ الشراب على قبره ويبكى . وبقى أبو زُبيد إلى أيام معاوية .

قال أبو حاتم وغيره : كان يجعل له فى كل يوم أحد طعامٌ كثير ، ويهيَّأ له شرابٌ كثير ، ويذهب أصحابه يتفرَّقون فى البِيعة ويحملنَه النساء فيضعنه فى ذلك المجلس ، فيشرب وَالنّصارى حوله ؛ فجاءه الموت فقال :

إذا جعل المرء الذى كان حازماً　يُحَلُّ به حَلَّ الحوارِ ويُحملُ[1]
فليس له فى العيش خير يريده　وتكفينُه مَيتاً أعفُّ وأجملُ
أتانى رسولُ الموت يامرحبًا به　لآتيَه وسَوف واللهِ أفعلُ　١٥٦

ثم مات فجاءه أصحابه فوجدوه ميتا ، فدفن على البُلَيخ ، وهو موضع إلى جانب قبر الوليد بن عقبة . وفى ذلك يقول أشجعُ السُّلَمىُّ وقد مرَّ بقبرها :

مررت على عظام أبى زُبيدِ　وقد لاحت ببلقعةٍ صَلودِ[2]

---

(١) ط : « حال الحوار » ، وأثبت ما فى ش والشعراء والأغانى . وانظر سائر الروايات فى ديوان أبى زبيد ١٣٢ .

(٢) فى أدب النديم لكشاجم ٣٥ :

مررت على عظام أبى زبيد　رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فأضحى　مجاور قبره قبر الوليد
وما أدرى بمن قصر المنايا　بأشجع أو بحمزة أو سعيد

وحمزة وسعيد : صديقان له وقفا معه على قبرهما ، قال كشاجم : « فيقال انهم ماتوا على هذا النسق أولا أولا » .

وكان له الوَليدُ نَديمَ صدقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليدِ[١]

* * *

وأنشد بعده : ﴿ ألاَ رجلٍ ﴾

على أنّ رجلاً مجرور بمن المقدرة . وهو قطعة من بيت ، وهو :

(ألا رجلٍ جزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلة تَبيت)

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث والستين بعد المائة[٢] . وذكر الشارح المحقّق هناك أن (رجل) يروى (ألا رجلا) وبالرفع وبالجرّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين[٣] :

٢٨٣ ﴿حنَّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنَّا حَنَّتِ
وبدا الذى كانت نَوارُ أَجَنَّتِ ﴾

على أنَّ هنَّا فى الأصل للمكان ، استعير للزمان ، وهو مضاف إلى الجملة الفعلية ، وهو حنت .

يريد أن لات مع هنا عاملة عمل ليس أيضاً لا مهملة ، وإلاّ لما احتاج إلى هذا التأويل فى هَنّا . واعلم أن هَنَّا بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون ، حكاها السيرافى وقال : الكسر ردىء . ووهم العينى هنا فضبط الهاء بالضمّ ، وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) . وهى عند أهل اللغة قاطبة اسم إشارة

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) الخزانة ٣ : ٥١ .
(٣) ابن يعيش ٣ : ١٥ ، ١٧ وشرح شواهد المغنى ٣١١ والعينى ١ : ٤١٨ والهمع ١ : ٧٨ ، ١٢٦ والأشمونى ١ : ١٤٥ ، ٢٥٦ .

للقريب ، وعند ابن مالك للبعيد . قال صاحب الصحاح : هَنَّا بالفتح والتشديد معناه ههنا ، وهَنَّاك أى : هُنَاك . قال :

لما رأيت مِحْمَلَيْها هَنَّا مخدَّرين كدتُ أن أُجَنَّا(١)

ومنه قولهم : تجمَّعوا من هَنَّا ومن هَنَّا ، أى من ههنا ومن ههنا . انتهى .

ومِن لازم اسم الإشارة التعريف ، وعدم إضافته إلى شىء ، وقد ورد فى الشعر كثيراً لات هَنَّا ، فالتزم أبو على الفارسى وتبعه ابن مالك إهمال لات ، لأنَّها لا يصح إعمالها فى معرفة ومكان ، وقالا : إذا دخلت لات على هنّا كانت مهملة وكانت هَنّا منصوبة على الظرف فى موضع رفع على الخبر لمبتدإ بعدها ، سواء كان اسماً نحو :

« لات هنّا ذكرى جُبيرة(٢) »

وأورد عليه ابن هشام (فى المغنى ، وفى شرح شواهده) أنّ فيه الجمع بين معموليها ، وإخراج هنَّا عن الظرفية ، وإعمال لات فى معرفة ظاهرة ، وفى غير الزمان — وهو الجملة النائبة عن المضاف وحذف المضاف إلى جملة . انتهى .

وذهب بعض شُرّاح المفصَّل إلى أن هنّا خبر لات واسمها محذوف ، وأنّ هنّا بمعنى الحين ، والتقدير ليس الحين حين حنينها .

وهذا مراد الشارح المحقق ؛ فقوله : « إنّ هَنّا فى الأصل للمكان استعير للزمان » قصد به الردَّ على أبى علىّ ومن تبعه ، بأنّ هنّا ليست على أصلها

(١) ليزيد بن الأعور الشنى من أرجوزة طويلة فى الخصائص ١ : ٢٤٧ . وانظر اللسان (هنن ٣٢٨) .

(٢) قطعة من بيت للأعشى ، سيرد بتمامه قريبا .

حتّى يلزم المحذور ، بل قد استعيرت للزمان فهى ظرف بمعنى حين ، وكان أصلها الإشارة للمكان ، فتُوسِّع فيها فجعلت مجرَّدة للزمان . والمعنى[1] فى جميع ماورد شاهد له ، فتبقى لات على ما عهد لها من العمل عند سيبويه ومن تبعه ، والاستعارة هنا بمعنى التوسُّع . ١٥٧

وقوله : « وهو مضاف إلى الجملة » أراد به الردَّ على ابن عصفور : بأنّ هَنَّا خبر لات لا اسمها ، وأنّها مضافة إلى الجملة بعدها ، لا أنّ الجملة خبر لات بتقدير مضاف .

والشارح المحقِّق قد أخذ كلامه هذا من الإيضاح لابن الحاجب ، فإنه قال فى فصل إضافة أسماء الزمان إلى الجمل : هَنّا فى قوله ولات هنا حنّت ، البيت ، محمول على الزمان لأمور :

أحدها : أنّ لا التى لنفى الجنس المكسوعة بالتّاء لا تدخل إلاّ على الأحيان .

والثانى : أنَّ المعنى إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنما يتحقَّق بالزمان لا بالمكان .

والثالث : أنهَّ لو جُعل للمكان لم يصحّ إضافته إلى الفعل ، إذ لم يُضَفْ من أسماء المكان إلى الأفعال إلاّ الظروفُ غير المتمكّنة كحيث . انتهى .

وقد ذهب ابن الخبّاز أيضاً (فى النهاية) إلى أنّ هَنَّا مضافةٌ إلى الجملة بعدها . نقله عنه ابن هشام (فى شرح شواهده) ، وردّه بأن اسم الاشارة لا يضاف . وهذا الردُّ غير متّجه ؛ فإنّ من يجعلها مضافة إلى الجملة كالزمخشرىّ

(١) ش : « والعينى » ، تحريف .

(فى المفصَّل) لم يقل إنّها اسم إشارة مضافة إلى الجملة ، إذ [١] من القواعد أنّ أسماء الإشارة لا تصحّ إضافتها إلى شىء ، وإنما هى عنده مجرّدة لمعنى الحين .

وبما ذكرنا يسقُط أيضاً توقُّف الدمامينى (فى شرح التسهيل) عندما نقل كلامَ الشارح هناك وقال : قوله : « وهو مضاف إلى الجملة » إن كان مع التزام أنّه اسم اشارة فمشكل ، لأنّه لا يضاف ، وإن كان مع ادّعاء التجرّد عنها فيحتاج إلى نقل ا هـ .

ومنه تعلم فساد كلام الشاطبيِّ أيضاً وجعلِهِ هَنّا اسمَ إشارة للزمان مع إعمال لات ، فإنّه قال : فإن قيل من شرط لات عملُها فى زمان منكَّر ، وقولهُم ولات هَنّا حنّتِ ونحوُه ، هَنّا فيه معرفة وهى إشارة للمكان . . فالجواب أنّ هَنّا لا تختصُّ بالإشارة إلى المكان ، بل قد يراد بها الزمان ؛ ومن ذلك هذه المواضع ، فإنّ معناها الإشارة إلى الزمان ، أى ذكرى جُبَيرة ليس فى هذا الزمان ، وحنينُها ليس فى هذا الوقت . وأمّا عملها فى المعرفة فإنّها عند ابن مالك غير عاملة فى هذه المواضع ا هـ .

فإن قلت : كيف التزم الشارح المحقِّق أن تضاف هَنَّا إلى الجملة وقد وقع بعدها المفرد فى قول الأعشى :

لاتَ هَنّا ذِكْرَى جُبَيرةَ أم مَنْ   جاء منها بطائفِ الأَهوالِ [٢]

وفى قول الطِرمّاح :

لاتَ هَنّا ذكرَى بُلَهنيةِ الدهـرِ   وأنَّى لذِى السِّنينَ المَواضِى [٣]

---

(١) بدله فى ش : « للعلم » .

(٢) ديوان الأعشى ٣ .

(٣) فى جمهرة القرشى ١٩٠ والديوان ٨٠ : « وأنى ذكرى السنين المواضى » .

(قلتُ) : ذكرى مفعول مطلق عامله محذوف ، أى لات هنّا أذكر ذِكرَى جُبَيرة ، فالجملة محذوفة مع بقاء أثرها .

و (الحنين) : الشوق ونزاع النفس إلى شيء . والتاء من حنّت وأجنّت مكسورة للوزن . و (نوَار) : فاعل حنّت مبنيٌّ على الكسر فى لغة الجمهور وعند تميم مُعْرب لا ينصرف ، وهو من أسماء النساء مأخوذ من نارت المرأة تنُور : إذا نفَرت من الريبة ؛ وجمع نَوَار نُور بالضمّ . وجملة (ولات هنّا حنّت) حال من نوار . قال ابن هشام : وتكون حالا إذا وقعت بعد الواو . و (بَدَا) بمعنى ظهر . و (نَوار) الثانى قد وضع موضع الضمير . و (أجنّت) بالجيم : أخفت وسترت . وبعد هذا البيت بيت ثانٍ لا ثالث له ، وهو : ١٥٨

لما رأت ماء السَّلَى مشروباً والفرثُ يُعصَر فى الاناء أرنَّتِ

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هى الجلدة الرقيقة التى يكون الولدُ فيها من المواشى ، وهى المَشيمة له . والفَرْث ، بالفتح : السّرجين ما دام فى الكَرِش . وأرنّت من الرَّنّة وهو الصوت ؛ يقال رنّت تَرِنّ رنينا وأرنّت إرنانا : إذا صاحت . وإنما صاحت نَوارِ وبكت لأنّها تيقّنت فى تلك المفازة الهلاكَ حيث لا ماء إلاّ ما يُعصَر من فَرث الإبل وما خرج من المَشيمة من بطونها .

وهذان البيتان اختُلف فى قائلهما : صاحب الشاهد

فقيل : شَبيب بن جُعيل التغْلَبيّ ، وهو جاهليّ . وإليه ذهب الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) قال[1] : وشبيب هذا كان بنو قُتَيبَة[2] الباهليُّون شبيب بن جعيل

(١) المؤتلف والمختلف ٨٤

(٢) كذا فى النسختين : « قنيبة » بنونين ، وقد ضبطه البغدادى =

أسروه فى حرب كانت بينهم وبين بنى تغلِب ، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمَّه نوار أرنّت ، وهى بنت عمرو بن كلثوم .

حجل بن نضلة

وقيل : هو حَجْل بن نَضْلة ، وهو جاهلى أيضاً . وهو قول أبى عُبيد ، وتبعه ابن قُتَيبة (فى كتاب الشعراء) وأبو علىّ (فى المسائل البصرية) قالوا : قالها فى نوار بنت عمرو بن كُلثُوم لمّا أسرها يوم طَلْح ، فركب بها الفلاةَ خوفاً من أن يُلحَق . والله أعلم .

ومنه تعرف أنّه لا وجه لقول ابن الحاجب المتقدِّم هُنا : إنّ معنى البيت إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنَّما يتحقق بالزمان لا بالمكان .

قال ابن قتيبة والآمدىّ : قد نقص حرف من فاصلة البيت الثانى ، وبعض الناس[1] يسمّون هذا إقواء ، لأنه نقص من عروضه قُوّة ، وكان يستوى البيتُ بأن يقول متشرِّباً . يقال أقوى فلان الحبلَ : إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى . والمشهور أنّ الإقواء — كما قال أبو عمرو بن العلاء — هو اختلاف الإعراب فى القوافى : وذلك أن تكون قافية مرفوعة ، وأخرى مجرورة . وبعض الناس يسمّى هذا الاختلاف الإكفاء . اهـ

= بذلك كما سيأتى. والصواب « قتيبة » كما فى المؤتلف وجمهرة ابن حزم ٢٤٥ والاشتقاق ٢٧١ بتحقيق كاتبه . قال ابن دريد : « وقتيبة تصغير قتب البطن . والأقتاب : الأمعاء » . وهم بنو قتيبة بن معن بن مالك ابن أعصر ، وهم باهلة . ولكنى أبقيت النص على خطئه لأن البغدادى قيده به .

(١) بعض الناس هو أبو عبيد ، ولكن الخليل كان يسميه المقعد ، وقد تكلم على هذا العيب بما لا مزيد فيه أبو العلاء فى شرح قول الربيع بن زياد العبسى :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

وانظر العمدة ١ : ٩٤ .

و (جُعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة . و (التغلبيّ) بالمثنّاة من فوق بعدها غين معجمة . و (قُنَينة) بضم القاف ونونين[١].

و (عمرو بن كلثوم) هو صاحب المعلقة إحدى المعلقات السبع ، وقد تقدَّمت ترجمته[٢] .

و (حَجْل) بفتح المهملة وسكون الجيم . و (نَضْلة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

تتمة

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح شواهد المفصَّل) عند شرح هذا البيت : نَوار اسم لابنة عبد شمس ، وكانت قد عشقت مِلكاً ، فهمَّ الملك بأن يُوقع بعبد شمس ، فشَعرت نوار بذلك وآذنت أباها ، فقال رجل من أقربائها : حنَّت نوار ، أى اشتاقت إلى من تحبه وليس الوقت وقتَ الحنين والاشتياق إليه ، لظهور العداوةِ بيننا ؛ وظهر الذى كانت هذه المرأة أجنَّته وسترته من الاشتياق .

هذا كلامه ، وهو خطأ فاحش، وما قاله شرحُ لمثل وهو :حَنَّت ولات هنّت وأنّى لكِ مقروع[٣] » .

(١) لا أدرى من أين أخذ البغدادى هذا الضبط . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٨٣ .

(٣) الميمنى : « المثل عند الميدانى ١ : ١٧٠ ، ١٣٠ ، ١٧٦ والفاخر رقم ٤٤٩ والعينى طبعتاه ٤ : ٢٩ ، والعسكرى بومباى ٧٤ ، ١٠٠ و ١ : ١٩٣ ، ٢٥٦ مصر والمستقصى » .

وقد خبط خبط عشواء أيضاً فى بيانه كما يعلم وجهه مما سيأتى .

وهذا المثل أورده الجوهرى (فى مادة ليت ، وفى مادة هنت[١]) وزعم أنه شعر ، وليس كذلك وإنما هو نثر . قال : يقال هَنَّ يَهِنّ هنيناً أى حنَّ . وذكره أبو عبيد (فى أمثاله) ، والرواية عنده حنّت ولات هنّت إلى آخره ، قال : يضرب مثلاً لمن يتّهم فى حديثه ولا يصدق ، وأوّل من قاله مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، لابنة أخيه الهَيجُمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم حين أخبرت أباها أنَّ عبد شمس بن سعد بن زيد مَناة يريد أن يُغير عليهم ، فاتّهمها مازنٌ ، لأنَّ عبد شمس كان يهواها وكانت تهواه ، فقال مازن هذه المقالة . انتهى كلامه .

١٥٩

وأورده صاحب اللباب للردِّ على أبى عُبيد فى زعمه أن تاء لا تحين من الحين . قال شارحه الفَالى : وجه الاستدلال أنّ التاء دخلت مع لا على هنَّت ، فليس جزءاً من الحين ؛ وهنَّت بمعنى حنَّت ؛ ومقروع : لقب عبد شمس ابن سعد ، وفيه يقول مازن بن مالك فى الهَيجُمانة بنت العنبر بن تميم :

حنَّت ولات هنَّت | وأنَّى لكِ مقروعُ[٢]] ، وهو مثل ؛ وأصله أنَّ الهيجمانة بنت العنبر كانت تعشق عبد شمس — وكان يلقَّب بمقروع — فأراد أن يغير على قبيلة الهيجمانة ، وعلمت بذلك فأخبرت أباها ، فقال مازن : « حنَّت ولات هنَّت » ، أى اشتاقت وليس وقتَ اشتياقها . ثمّ رجع من من الغيبة إلى الخطاب فقال : « وأنَّى لكِ مقروع » أى من أين تظفَرين به . يضرب لمن يحنّ إلى مطلوبه قبل أوانه . انتهى

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه (هنن) .

(٢) التكملة من ش . وقد أورده فى اللسان (هنن ٣٢٨) مسبوقا بقوله « قال الشاعر » . جعله شعرا ، خلافا لقول البغدادى فيما سبق .

وفى هذا المثل شىء لم يُتنبَّه له ، وهو أنّ لات فيه لا اسم لها ولا خبر ، لأنّها دخلت على فعل ماض فتكون مهملة كما تقدّم .

وقول صاحب القاموس تبعاً لصاحب العباب : لا تكون لات إلاّ مع حين ، وقد تحذف وهى مرادة كقوله : « حنت ولات هنت وأنى لك مقروع » فإن أراد أنّ الزمان المحذوف معمولها — فهذا غير صحيح ، لأنّه لا يجوز حذف معمولى لات كما لا يجوز جمعهما . وإنْ أراد أنّها مهملة وأنّ الزمان لابدّ منه لتصحيح استعمالها فغير صحيح أيضاً ، لأنها إذا أهملت دخلت على غير الزمان أيضاً ، كما تقدّم بيت الأفوه الأوْدىّ عن أبى حيان . والله تعالى أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين(١) :

٢٨٤ (أفى أثَرِ الأظعَانِ عَينُكَ تَلْمَحُ نَعَمْ لاتَ هَنَّا، إنَّ قَلْبَكَ مِتْيَحُ)

على أنَّ (هَنَّا) فيه ظرف زمان مقطوع عن الإضافة ، والأصل لات هَنَّا تلمح ، فحذف تلمح لدلالة ما قبله عليه ؛ فهنَّا فى موضع نصب على أنَّه خبر لات ، واسمها محذوف ، والتقدير ولات الحين حين لمح عينك ، كما حذفت الجملة فى قوله :

* لاتَ هَنَّا ذِكَرَى جُبَيرةَ(٢) *

والفرق بينهما : أنَّ الجملة حذفت هنا ولم يبق لها أثر ، وفى لات هَنَّا ذكرى جبيرة حذفت الجملة وبقى أثرها ، كما تقدم بيانه فى البيت الذى قبل هذا .

(١) اللسان (تيح ٢٤١ عن ٣٢٩) ومعجم البلدان (شرف) .
(٢) قطعة من بيت الأعشى الذى مضى قريبا ص ١٩٨ فى الشاهد ٢٨٣ .

فإن قلتَ : لو كان هَنَّا مقطوعةعن الإضافة ـ كما زعم الشارح المحقِّق ـ لوجب أن يلحقها التنوين عوضاً من المضاف إليه الجُمْلِيّ كما قال هو فى باب الإضافة : إنَّ الظروف التى فيها معنى النسبة كقبل وبعد إنْ قطعت عن الإضافة بنيت على الضمّ ، وإن كانت غير ذلك وجب إبدال التنوين عوضاً من المضاف إليه كإذ وأوانَ . وقال فى شرح بيت لاتَ أوانٍ قبل هذا : ولا يعوَّض التنوين فى المبنيات من المضاف إليه إلاّ إذا كان جملة .

قلت : لم يلحق التنوين لأنَّ ألف هنا للتأنيث ، فهو مقدّر فيها .

فإن قلتَ : أىُّ ضرورة إلى ادّعاء حذف الجملة المضاف إليها هَنَّا ، مع أنَّه لم يقل به أحد ، ولا ابن الحاجب ؟

قلتُ : لمَّا حقق أن هَنَّا قد تجردت لظرف الزمان ، كان الظرف لابدَّ له من مظروف ، والنفى فى الحقيقة متوجهٌ إليه ، ولولا اعتباره لَمَا كان معنًى لقولنا لات هَنَّا ، إذْ لا فائدة فى نفى الظرف . وهذا المحذوف ملحوظ أيضاً عند من جعل هَنَّا إشارة للمكان ، فإنَّه لا يتم المعنى بدونه ، إذْ لا بدَّ للإشارة من مُشارٍ إليه ؛ فيكون المنفىُّ فى الحقيقة هو المشار إليه .

١٦٠

هذا ما أمكننى أن أفهم [فى] كلامه فى لات هَنَّا ، ولله درُّه ! ما أدقَّ نظره ، وألطف فكره (وفوقَ كلٍّ ذى علم عليم) . والله أعلم

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ للراعى ، عدتُّها سبعة وخمسون بيتاً ، مدح بها بشرَ بنَ مرْوان المرْوانىّ ، وبعده :

(ظَعائنَ مِينافٍ إذا مَلَّ بلدةً أقام الركابَ باكرٌ متروِّحُ)

فقوله : (أفى أثَرِ الأظعان) الهمزة للاستفهام ، وفى متعلّق بقوله تلمح ، وقدِّم لأنَّه هو المستفهَم عنه . و (عينكُ) مبتدأ وتلمح خبره . و (الأظعان) :

جمع ظَعينة ، قال ابن الأثير (في النهاية) : الظعينة المرأة ؛ وأصل الظعينة الراحلةُ التي ترحل ويُظعَن عليها أي يُسار ؛ وقيل للمرأة ظعينة لأنّها تظعَن مع الزوج حيثُما ظعن ؛ أو لأنّها تحمل على الراحلة إذا ظعنت ؛ وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثمّ قيل للهودج بلا امرأة ظعينة ؛ وجمعها ظُعُن ، وظعائن ، وأظعان ؛ وظعَن يظعَن ظَعناً بالتحريك : إذا سار . انتهى . و (اللَّمح) : الإبصار الخفيف ، قال صاحب الصحاح : لمحه وألمحَه ، إذا أبصره بنظر خفيف. و (نَعَمْ) : إعلام للمستفهِم السائل . و (المِتْيَح) بكسر الميم وسكون المثنّاة الفوقيّة وفتح المثنّاة التحتيّة ؛ قال ابن حبيب (في شرح ديوان جِران العَود) : المِتيح الذي يأخذ في كلّ جهة ، وهو مِفْعل ، كأنّه أتيح له إتاحة أي قُدِّر . وقال ابن دريد (في الجمهرة) رجل مِتيح : إذا كان قلبه يميل إلى كلِّ شيء . وكلاهما أنشد هذا البيت .

والميناف ، بكسر الميم بعدها ياء ، أصلها الهمز ؛ قال (في العباب) رجل مئناف أي سائر في أول النهار ، وقال الأصمعيّ : رجل مئناف : يُرعى مالَه أُنُفَ الكلأْ ، يقال أَنفَت الإبلُ أَنْفا : إذا وطئت كلأً أُنُفا ، بضمِّ الألف والنون ، أي عُشباً لم يُرعَ ولم يُدَسْ بالأرجل . والبلدة : الأرض . وأقامه مِن موضعه : خلافُ أقعده . والركاب : الإبل التي يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، لا واحد لها من لفظها .

ومعنى البيت أن الشاعر خاطب نفسَه لما رآها ملتفتة إلى حبائبها ، ناظرةً إلى آثارها بعد الرحيل ؛ فاستفهمها بهذا الكلام ، ثم أجاب جازماً بأنَّ عينها ناظرة إلى أثرهنّ . وسفَّهها في هذا الفعل بأن اللمح ليس صادراً في وقته ، لأن صاحبهن ملتزم أسفار ، ومقتحم أخطار ؛ شأنه الذَّهاب ، وعدم الإياب ؛ فلا ينبغي لها أن تكتسب من النظرة ، شدائد الحسرة .

وقوله : إنَّ قلبك مِتْيَح ، استئناف بيانىٌّ وقع جواباً لسؤال عن سببٍ خاص نشأ من الجملة المنفية ، كأنَّ نفسه قالت له : هل أنا فى هذا الفعل مِتيح ؟ فأجابها بالجملة المؤكدة . وقوله : ظعائن ميناف ، أى هنَّ ظعائن ؛ والجملة الشرطية صفة لميناف . وجملة : أقام الخ ، جواب إذا . وباكرٌ فاعل أقام أى سائق باكر ؛ متروِّح : أى شأنه سوق الإبل بالغداة والرواح .

فإن قلتَ : كيف يرتبط الجواب بالشرط مع خلوِّه عن ضمير الميناف ؟

قلتُ : هو بتقدير أقام الركاب بأمره . ثمَّ وصف رحيل الميناف ونزولَه ومنازلَه فى أبيات كثيرة .

وترجمة الراعى قد تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة[1] .

* * *

١٦١

باب المجرورات

الإضـــــافة

أنشد فيها :

(ولَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِى)

على أنَّ ذا اللام فى أصل الوضع لواحدٍ معين ، وقد يستعمل بلا إشارة إلى معيَّن ، كاللئيم ، فإنَّ المراد منه لئيمٌ من اللؤماء ، أىَّ لئيمٍ كان .

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

وتمامه : (فَقَضيتُ نُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِينى)

وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(عَلاَ زَيْدُنا يَوْمَ النَّقا رَأْسَ زَيدِكُمْ   بِأبيَضَ ماضِى الشَّفْرَتين يَمانِى)

على أن العَلَمَ إذا أضيف نكِّر بجعله واحداً مِن جملةِ مَن سُمِّى بذلك اللفظ ، كزيد ، فإنّه معرفة بالعلميّة ولمّا أضيف نكِّر واكتسب التعريفَ من الإضافة.

وقد تقدّم الكلام عليه أيضاً فى الشاهد الثامن عشر بعد المائة(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين :

٢٨٥ (إن قُلتَ خَيراً قال شَرًّا غيرَهُ)

على أن ابن السَّرّاج نقض به ما قاله ابن السَّرِىّ — وهو أبو اسحق إبراهيم ابن السَرِىِّ الشَّهير بالزجاج — من أن (غير) إذا أضيفت إلى معرَّف له ضدٌّ واحد تعرَّفت ، كقولك : عليك بالحركةِ غيرِ السكون . ووجه النَّقض : أن غيراً فى البيت قد أضيفت إلى ضمير الخيْر — وهو ضد الشر — ولم تتعرَّف ، بدليل وقوعها صفة لقوله شرًّا .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٢٤ .

ونقض عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿نَعْمَلْ صالحاً غيرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ[1]﴾

وأجاب الشارح المحقِّق بأنّ غيراً فيهما بدَل لا صفة ، ويجوز أن تكون صفةً على الأكثر الأغلب ، وهو عدم تعرّفها بالمضاف إليه . هذا كلامه ؛ وما نسبه إليهما لم أره فى كلامهما .

أما ابن السَّرِىّ فهذه عبارته فى تفسير الفاتحة : وقوله تعالى : ﴿غيرِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فيُخفَض على ضربين : على البدل من الذين ، كأنَّه قال : صراطَ غيرِ المغضوب عليهم ؛ ويستقيم أن يكون غير المغضوب عليهم من صفة الذين ، وإن كان غير إنَّما أصله فى الكلام أن يكون صفةً للنكرة ، تقول مررت برجلٍ غيرِك ، فغيرك صفة لرجل ، كأنَّك قلت مررت برجل آخر . ويصلح أن يكون معناه مررت برجل ليس بك ، وأنَّما وقع ههنا صفة للذين لأنَّ الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم ، فهو بمنزلة قولك إنِّى لأمرُّ بالرجلِ مثلِك فأكرمه . انتهى كلامه .

فعلم منه أن وقوع غير صفةً للذين لتأويل الذين بماَ يقرب به من النكرة ، وهو كون المعرَّف الجنسى قريباً من النكرة ، لا لكونها وقعت بين ضدَّين كما نقل عنه الشارح المحقِّق .

وأما ابن السرّاج فقد قال فى باب الإضافة (من الأصول) : وأمّا مثل وغير وسوى ، فإنّهنَّ إذا أضفن إلى المعارف لم يتعرّفن ، لأنك إذا قلت مثل زيد فمثله كثير : واحدٌ فى طوله ، وآخر فى علمه ، وآخر فى صناعته ، وآخر فى حسنه . وهذا يكاد يكون بلا نهاية . وكذلك غير إذا قلت غير زيد ؛ لأن

١٦٢

---

(١) الآية ٣٧ من فاطر .

كلّ شيء إلا زيد فهو غير زيد . فهذا وما أشبهه لا يتعرَّف بالإضافة . فإن أردت مثل زيد المعروف بشبه زيد كان معرفة . انتهى .

فليس فيه ردٌّ ولا شِعْرٌ .

وقد نسب ابن هشام (فى المغنى) إلى ابن السرَّاج ما نسبه الشارح المحقِّق إلى ابن السرىّ .

صاحب الشاهد

والمصراع من أبياتٍ أوردها ابن الأعرابى (فى نوادره) للأسود بن يعفُر ، وهى :

أبيات الشاهد

(إنَّ امرأً مولاه أدْنا دارِه ... فيما ألمَّ وشرُّه لكَ بادِى[1]

إن قلتَ خيراً قال شرًّا غيرَه ... أو قلتَ شرًّا مدَّه بمِداد

فلئن أقمتَ لأظعنَنَّ لبلدةٍ ... ولئن ظعنتَ لأُرسِيَنْ أوتادى

كان التفرُّق بينَنا عن مِرَّةٍ ... فاذهبْ إليكَ فقدشفيتَ فؤادى)

وقوله : إن امرأً مولاه الخ المولى هنا يجوز أن يكون ابنَ العمِّ ، وأن يكون الناصر ، وأن يكون الجار . وأدنا[1] بمعنى أضعف وأذلّ ؛ من الدناءة فسُهِّل . وفى للسببية ، وألمّ من اللَّمَم ، وهو مقاربة الذنب . وبادِى : ظاهر . ومولاه مبتدأ وأدنا[1] خبره والجملة صفة لاسم إنَّ ، وخبرُها الجملة الشرطية ، وهو قوله : (إن قلتَ خيراً الخ) . وقلتَ فى الموضعين بفتح التاء . وقوله : (مدَّه الخ) أى زاده بزيادة متصلة .

وقوله : فلئن أقمتَ الخ ، هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . وقوله : لأُرسيَنْ ، النون الخفيفة للتأكيد . والإرساء : الإثبات؛ يقال رسا الشىء يرسو :

---

(١) رسمت فى النسختين بالياء ، وانما هى مسهلة من أدنأ .

إذا ثبت ، وأرساه : أثبتَه . وأراد بأوتاده أوتاد الخيمة . وإرساؤها كناية عن الإقامة .

والمِئْرة ، بكسر الميم وسكون الهمزة ، هى العداوة ، قال أبو زيد : مأرت بين القوم مأراً وماءرت مماءرة : أى عاديت بينهم وأفسدت . قال : والاسم المِئْرة . وإليك اسم فعل بمعنى تنحَّ وابعد .

والأسود بن يعفر شاعر جاهلىٌّ ، تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين[2] :

٢٨٦ (أماوِىَّ إنّى رُبَّ واحدِ أُمِّهِ
أجَرْتُ فلا قَتْلُ عليه ولا أَسْرُ)

على أن (واحد أُمّه) نكرة لا يتعرّف بالإضافة وإنْ أضيف إلى المعرفة ، لتوغله فى الإبهام ، إذ لاينحصر بالنسبة إلى مضاف إليه معيَّن ، إذ بعد الاضافة لا يتعيَّن المضاف أيضاً ، فهو نظير غيرك ومثلك ، ولذلك وقع مجروراً لربّ .

١٦٣ والشارح المحقّق نسب جعلَه منكَّرا إلى بعض العرب ، واستدل له بدخول ربّ عليه ، فإنّها لا تدخل إلاّ على نكرة . وغيرُه نسَبَ التنكير إلى بعض النحاة ، ويؤيّده قول ابن الأنبارى (فى الزاهر) : إنَّ الفرّاء وهشاماً قالا :

---

(١) الخزانة ١ : ٤٠٥ .

(٢) همع الهوامع ٢ : ٤٧ وديوان حاتم ١١٨ واللسان (وحد ٤٦٣) .

نَسِيج وَحْدِه وعُيَيْر وَحْدِه، وواحدُ أمِّه، نكرات. والدليل على هذا أن العرب تقول: رُبَّ نسيجِ وحْدِه قد رأيت، وربّ واحد أمِّه قد أجَرْت. واحتجَّ هشامٌ بقول حاتم:

أماويَّ إنّى رُبَّ واحدِ أمِّه . . . . البيت

قال شارح اللباب وغيره: والأكثر أن يكون معرفة على قياس الإضافة إلى المعارف، وأمّا وروده نكرةً فنادر، إنّما جاء فى الشعر.

١٦٣ وقول الشارح المحقّق: «وليس العلة فى تنكيرها ما قال بعضهم إنّ واحد مضاف إلى أم» إلى آخره، هو كلام عبد القاهر الجرجانى، قال: والضمير المتصل ببَطن وأمّ، لايجوز أن يعود إلى نفس واحد وعبد، لأنّ المضاف يكتسب من المضاف إليه التعريف؛ فإذا كان تعريف أمّ بإضافتها إلى ضمير الواحد، كان التماس تعريف الواحدِ منها محالاً، وكان بمنزلة تعريف الشىء بنفسه، فوجب أن يعود الضمير إلى شىء غير عبد وواحد؛ يجوز أن تقول: زيد عبدُ بطنه، فيكون تعريف عبد بغير ضميره. قال: فإذا قلت جاءنى واحدُ أمِّه، وعبدُ بطنه، جاز أن يكون معرفة بأنْ يتقدّم الذكر، كأنّك قلت جاءنى الكامل النبيل الذى عرفته. وإذا جعل نكرة فعلى أنّه يوصف به نكرة محذوفة كما فى البيت، كأنّه قال إنسانٌ واحدُ أمِّهِ؛ بمنزلة قولك: ربَّ إنسان عزيز معظَّم، لأنّ ربَّ لا تدخل على المعارف. انتهى كلامه.

وقوله: (أماويَّ الخ) الهمزة للنداء، وماويَّ منادى مرخّم ماويّة، وهى زوجة حاتم. والماويّة فى اللغة: المرآة التى يُرى فيها الوجه؛ كأنها منسوبة إلى الماء، فانّ النسبةِ إلى الماء مائىّ وماوىّ. و (رُبَّ) هنا لإنشاء

التكثير(١) والعامل فى محلّ مجرورها (أجَرْتُ) بالجيم والراء المهملة ، بمعنى أمّنته مما يخاف ؛ يقال استجاره أى طلب منه أن يحفظه فأجاره . وروى بدله : (أخذت) .

قال الزمخشرىّ (فى أمثاله) عند قوله « أجْوَد من حاتم » : كان إذا قاتل غلَب ، وإذا غَنِم أنهَب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضَرَب بالقِدْح سبَق ، وإذا أسر أطْلق ، وإذا أثرى أنفق . وكان أقسم بالله لا يقتل واحدَ أمّه . انتهى .

وروى صاحب اللباب المصراع الثانى هكذا :

* قتلتُ فلا غُرْم علىَّ ولا جَدْلُ *

من جدل عليه : إذا صال عليه بالظُّلم . وليس كذلك ؛ فإنَّ البيت من قصيدةٍ رائيّة وهى :

قصيدة الشاهد

(أماوىَّ ، قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ	وقد عَذرتنى فى طِلابكُم عُذْرُ
أماوىَّ ، إنَّ المـال غادٍ ورائحٌ	ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
أماوىَّ ، إنّى لا أقول لسـائلى	إذا جاء يوماً حلَّ فى مالنا النَّزْرُ
أماوىَّ ، إمَّا مانعٌ فمبيِّنٌ	وإمّا عطـاءٌ لا يُنَهْنِهُه الزجرُ
أماوىَّ ، مايُغنى الثراء عن الفتى	إذا حَشرجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ
أماوىَّ ، إنْ يُصبح صداىَ بقفرةٍ	من الأرض لاماء لدىَّ ولا خَمرُ

(١) فى النسختين : « التنكير » ، تحريف . قال ابن هشام فى المغنى : « وليس معناها التقليل دائما خلافا للأكثرين ، ولا للتكثير دائما خلافا لابن درستويه وجماعة ، بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا » . وانظر اللسان (ربب) .

تَرَى أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضائرى ... وأنَّ يدى مما بخِلتُ به صفرُ
أماوىّ إنّى رُبَّ واحدِ أمِّه ... أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أنّ حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وَفْرُ
أماوىَّ ، إنَّ المال مالٌ بَذَلْتُه ... فأوّلُه شكرٌ وآخره ذِكر
وإنّىَ لا آلو بمالِى صَنيعة ... فأولُه زادٌ وآخره ذُخرُ
يُفَكُّ به العانى ويؤكل طيِّباً ... وما إن يُعرِّيه القِداح ولا القَمْرُ ١٦٤
ولا أظلمُ ابنَ العمِّ إن كان إخوتى ... شهوداً وقد أودَى بإخوته الدهرُ
غَنِيناَ زماناً بالتَّصعلُكِ والغِنى ... وكُلاًّ سقاناه بكأسَيهما الدهرُ
فما زادنا بَأْواً على ذى قَرابة ... غِنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
وما ضرَّ جاراً يا ابنة القوم ، فاعلمى ... يجاورنى أن لا يكون له ستر
بعينيّ عن جاراتِ قومىَ غفلةٌ ... وفى السَّمع منّى عن أحاديثها وقْرُ)

قوله : وقد عذرتنى الخ ، عذرته فيما صنع من باب ضرب : رفعت عنه اللوم ، فهو معذور أى غير ملوم ، والاسم العُذر بالضم .

وقوله : حلّ فى مالنا النزر ، أى القِلّة . ونَهْنَهَه : كفّه ومنعه .

وقوله : إذا حشرجت يوماً الخ ، أورد صاحب الكشّاف هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّراقِىَ[1] ﴾ على إضمار النفس قبل الذكر ، لدلالة الكلام عليه ، كما أضمرها الشاعر فى حشرجت . والحشرجة ، أوله حاء مهملة وآخره جيم : الغرغرة عند الموت وتردُّدُ النفس . والصَّدَى : ما يبقى من الميت فى قبره ، قاله المبرد فى الكامل[2] عند قول النَّمِر بن تَوْلَب الصحابِّى :

(١) الآية ٢٦ من سورة القيامة .

(٢) ص ٢١٠ ليبسك . وهذا التفسير أحد أوجه ستة ذكرها المبرد فى هذا الموضع .

أعاذلَ إنْ يصبح صَداىَ بقَفْرَةٍ ... بَعيداً نآنى صاحبى وقريبى
تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه ... وأن الذى أنفقتُ كان نصيبى

وقوله : لا آلو ، أى لا أقصِّر . والعانى : الأسير .

وقوله : وما إنْ يُعرّيه أى يُفنيه . والقِداح : قِداح الميسر . والقَمْر بالفتح : المقامرة .

وقوله غنينا ، غَنِيَ كفرح : عاش ، وغنى بالمكان : أقام به . والبأو بالموحدة وسكون الهمزة الكِبْر والفخر ، يقال : بأوت على القوم أبأى بَأواً .

وسبب هذه القصيدة هو ماروواه الزجاجىّ (فى أماليه الوسطى[1]) قال : أخبرنا ابن دُريد قال : أخبرنى عبد الرحمن عن عمه ، وأبو حاتم عن أبى عبيد قالا :

كانت امرأةٌ من العرب من بنات ملوك اليمن ذاتُ جمال وكمال ، وحسب ومال ، فآلت أن لا تزوّج نفسها إلاّ من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتجدعَنَّ أنفَه ، فتحاماها الناسُ حتَّى انتَدَبَ لها زيدُ الخيل ، وحاتمُ بنُ عبد الله ، وأوسُ بنُ حارثةَ بن لأم الطائيون ، فارتحلوا إليها فلمَّا دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زُوَّاراً فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زُوَّاراً خُطّاباً ، قالت . أكفاء كرام ، فأنزلتهم وفرَّقت بينهم وأسبغت لهم القِرى وزادت فيه ؛ فلما كان فى اليوم الثانى بعثت بعضَ جواريها متنكرةً فى زى سائلة تتعرَّض لهم ، فدفع إليها زيد وأوسٌ شَطرَ ما حُمِل إلى كلّ واحدٍ منهما ، فلمَّا صارت

---

(١) أمالى الزجاجى ١٠٦ بتحقيق كاتبه . والقصة على وجه آخر فى الأغانى ١٦ : ٩٩ والشعراء ١٩٧ ــ ٢٠٠ وأمالى القالى ٣ : ١٥٤ والعينى ٢ : ٣٦٩ وديوان حاتم ١٣١ ــ ١٣٤ .

إلى رَحْلِ حاتمٍ دفع إليها جَميع ما كانَ من نفقته ، وحمل معها جميع ما حُمِل إليه ، فلما كان فى اليوم الثالث دخلوا عليها فقالت : ليصفْ كلٌّ واحد منكم نفسَه فى شعره ، فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَـلاَّ سألتِ بنى ذُبيـانَ ما حَسَبِى عندَ الطعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ[(١)]

وجاءتِ الخيلُ محمرًّا بوادرُها بالمـاء يسفح من لَبّاتِها العَلَقُ

والخيلُ تعلم أنِّى كنتُ فارسَها يومَ الأكسُّ به من نجـدة رَوَقُ[(٢)]

والجـارُ يَعلم أنِّى لستُ خاذلَه إنْ ناب دهرٌ لِعَظْم الجارِ مُعْترِقُ

هـذا الثنـاء فإنْ ترضَىْ فراضيـةٌ أو تستحطى فإلى من تُعْطَفَ العُنق

وقال أوس بن حارثة : انك لتعلمين أنّا أكرم أحسابا وأشهر أفعالا ، من أن نصفَ أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر[(٣)] : ١٦٥

إلى أوْس بن حارثَةَ بن لأمٍ لِيَقضىَ حاجتى ولقَـد قَضاَهـا

فما وطِىء الحصَى مثلُ ابنِ سُعْدَى ولا لِبسَ النعـالَ ولا احتَذاها

وأنا الذى عُقَّتْ عقيقته ، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عَنْهُ نَسَمَةً . ثم أنشأ يقول :

فإنْ تنـكحى ، ماويّةَ الخير ، حاتماً فمـا مثـلُه فينـا ولا فى الأعاجم

(١) صوابه « بنى نبهان » كما فى أمالى الزجاجى . وسـيأتى ذكر « نبهان » فى شعر أوس بن حارثة الذى يذكر فيه زيد الخيل ، وهو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس بن ثوب ابن كنانة بن غوث بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء . جمهرة أنساب العرب ٤٠٣ والاصابة ٢٩٣٥ .

(٢) الأكس : القصير الأسنان . والروق ، بالتحريك : اشراف الأسنان العليا على السفلى .

(٣) هو بشر بن أبى خازم . ديوانه ٢٢٢ والكامل ١٣٣ .

فتىً لا يزال الدّهرَ أكبرَ همِّهِ فِكاكُ أسيرٍ أو مَعونةُ غارمِ
وإن تنكحى زيداً ففارسُ قومه إذا الحرب يوماً أقعدت كلَّ قائم
وصاحبُ نبهان الذى يُتّقى به شَذَا الأمر عند المُعظِم المتفاقِم
وإن تنكحينى تنكحى غيرَ فاجر ولا جارفٍ جُرفَ العشيرةِ هادم
ولا مُتّقٍ يوماً إذا الحرب شمّرت بأنفسها نفسى كفعل الأشائم
وإن طارقُ الأضياف لاذَ برحله وجدتِ ابنَ سُعدى للقِرى غيرَ عاتِم
فأىَّ فتى أهدى لكِ الله فاقبلى فإنّا كرامٌ من رءوسِ أكارم

وأنشأ حاتم يقول :

أماوىَّ قد طال التجنُّبُ والهجْر وقد عذَرَتْنِى فى طِلابكم عُذُرُ

إلى أن انتهى إلى آخر القصيدة — وهى مشهورة — فقالت : أما أنت يا زيد فقد وَتَرت العرب ، وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأمّا أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر ، والدخول عليهنَّ شديد . وأمّا أنت يا حاتم فمرضىُّ الخلائق ، محمود الشيَم ، كريم النفس ، وقد زوّجتك نفسى . ا هـ ما رواه الزجاجىُّ .

وقد روى صاحب الأغانى هذا الخبرَ على غير هذا ، قال : إن معاوية تذاكروا عنده ملوك العرب ، حتى ذكروا الزبّاء وماويةَّ ، فقال معاوية : إنّى لأحِبُّ أن أسمع حديثَ ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدِّثك به ؟ فقال معاوية : بلى . فقال: إن ماوية كانت ملكة ، وكانت تتزوج من أرادت ، وإنها بعثت يومًا غلماناً لها وأمرتهم أنْ يأتوها بأوسَمِ من يجدونه من الحِيرة ، فجاؤا بحاتم فأكرمته(١) وبعد أنْ رحل عنها دعته نفسه إليها فأتاها يخطبها ،

(١) هنا حديث بينها وبين حاتم . انظر له الأغانى ١٦ : ٩٩ وديوان حاتم ١٢٢ .

فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت ، فقالت : انقلبوا إلى رحالكم وليقلْ كلٌّ منكم شعراً يذكر فيه فَعَالَه ومَنصبه ، فإنّى أتزوج أكرَمكم وأشعرَكم . فانصرفوا فنحر كلّ واحد منهم جَزوراً ، ولبست ماويّة ثياباً لأمةٍ لها فأعقبتهم ، فأتت النَّبيتى ، فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل جَزوره - أى وعاء قضيبه - فأخذته ثم أتت نابغة بنى ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنبَ جَمله ، فأخذته ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدره فاستطعمته ، فقال لها : قِرِّى حتى أعطيَك ما تنتفعين به . فأعطاها من العجزُ والسَّنام ، [ومثلها من المخدِّش ، وهو عند الحارك(١)] ، ثم انصرفت فأرسل إليها كلٌّ واحدٍ ظهرَ جمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثلَ ما أهدى إليها ، وصبَّحوها فاستنشدتْهم ، فأنشدها النَّبيتىُّ :

هلاَّ سألتِ النَّبيتِيِّينَ ما حَسَبى ... عندَ الشتاءِ إذا ما هَبَّت الريحُ

وبعده أبيات ثلاثة . ثم قالت : أنشدنا يا نابغة ، فأنشدها :

هلا سألتِ بنى ذبيان ما حَسبى ... إذَا الدُّخان تَغشَّى الأَشمَطَ البَرَما

وبعده بيتان ، ثم قالت : يا أخا طيِّء ، أنشِدْنا . فأنشدها :

أماوىَّ قد طال التجنُّبُ والهجرُ ... وقد عذَرتنى فى طِلابكم العذْرُ

إلى آخر القصيدة - فلمّا فرغ حاتمٌ من إنشاده دعت بالغَداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يُقدِّمن إلى كلِّ رجلٍ ما كان أطعمها ، فقدَّمن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أن يقدِّمنه ، فنكَّس النبيتى والنابغة رأسيهما ؛ فلما نظر حاتم ذلك رمى بالذى قدَّمتْه إليهما ، وأطعمهما مما قُدِّم إليه ، فتسلَّلا منها .

---

(١) التكملة من الأغانى . والمخدش : كاهل البعير ، لأنه يخدش الفم اذا أكل بقلة لحمه .

وقالت : إنَّ حاتما أكرمكم وأشعركم . فلما خرجا قالت : يا حاتم ، خلِّ سَبيل امرأتِك ، فأبَى ، فزوّدتْه . فلما انصرفَ عنها ماتت امرأته ، فعاد إليها فتزوَّجها فولدت له عَديًّا . وقد كان عدىّ أسلم وحَسُن إسلامه . اهـ مختصرا .

والصحيح أن عديًّا من امرأته نَوَارِ ، لا من ماوية . والله أعلم

وترجمة حاتم الطائى قد تقدمت فى الشاهد التاسع والسبعين بعد المائة[١].

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى)

تمامه : (فمضَيت ثمّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينى)

وقد تقدَّم قريباً [٢].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٨٧ (لما أتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجِبالُ الخُشَّعُ)

على أن (سُوراً) اكتسب التأنيث من المدينة ، ولهذا أنّث له الفعل .

قال الأعلم (فى شرح شواهد س) : إنَّ السُّورَ ، وإن كان بعضَ المدينة

---

(١) الخزانة ٣ : ١٢٧ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٠٦ فى أول باب الاضافة .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٥ . وانظر النقائض ٩٦٩ ومجاز القرآن ١ : ١٩٧ والخصائص ٢ : ٤١٨ وديوان جرير ٢٤٥ واللسان (سور ٥٢) .

لا يسمَّى مدينة ، كما يسمَّى بعض السنين سنة ، ولكن الاتِّساع فيه متمكن ، لأنّ معنى تواضعت المدينةُ وتواضعَ سُورُ المدينة متقارب » .

وذهب أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى إلى أنّ السُّورَ جمع سُورة ، وهى كلّ ما علا ، وبها سُمِّى سُور المدينة سوراً . وعلى هذا لا شاهد فى البيت .

قال السيرافى : والجبال الخُشَّع مبتدأ وخبرٌ عندَ بعضهم : أى وصارت الجبال خاشعة متضائلة ، لأنّه لا مدح فى قولنا تواضعت الجبال المتضائلة ، بل تواضعت الجبال الشامخة ، لكنّه وصفها بما آلت إليه . وقال بعضهم : هو معطوف على سُور المدينة ، والخشَّعُ صفة له ، ولم يُرِد أنّها كانت خُشَّعاً قبلُ ، بل هى خُشَّع لموته الآن . وأراد : لما أتى خبر قتل الزبير وتواضعت وقعت إلى الأرض . والخُشّع : التى قد لطئت بالأرض .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجرير ، عدّتها مائة وعشرون بيتاً هجا بها الفرزدقَ وعدّد فيها معايبَه ، منها أنَّ ابن جُرمُوز المُجاشعىَّ — وهو من رهط الفرزدق — قَتَلَ الزُّبيرَ بنَ العوام غِيلةً بعد انصرافه من وقعة الجمل ، فهو ينسُبهم إلى أنهم غدرُوا به لأنهم لم يدفعوا عنه . يقول : لمّا وافى خبر قتل الزبير إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تواضعت هى وجبالُها ، وخشَعت حُزناً له . وهذا مثل ، وإنما يريد أهلها . وقبل هذا البيت :

(إنَّ الرزيَّة مَنْ تضمَّن قَبرَه وادى السباع، لكلِّ جنبٍ مصرعُ)

وبعده :

(وبكى الزُّبيرَ بنَاتُه فى مأتمٍ ماذا يرُدُّ بكاه من لا يَسْمَعُ) ١٦٧

ووادى السباع على أربعة فراسخَ من البصرة . ثم إن ابنَ جُرمُوز قدِم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وهنّأه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ،

فقال له عليّ : أبشِرْ بالنار ، سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَشِّرْ قاتِلَ ابنِ صَفِيّةَ بالنار » .

وفى ذلك قال ابن جرموز :

أتيتُ عليًّا برأس الزُّبيرِ وقد كنت أحسِبها زُلفَه
فبشَّرَ بالنار فى قتله فبئسَ بِشَارة ذى التُّحفَهْ

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير — وكان والياً على العراق من قِبَل أخيه عبد الله — فقال : اقتلنى بالزُّبير ! فكتب فى ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزُّبير ولا بشِسْع نعله . فلم يقتله ، ومضى ابن جُرموز من عند مصعب .

وقصّة مقتل الزبير مفصلّة فى التواريخ .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٨٨ (إذا بَعْضُ السِّنِينَ تَعرَّقَتْنا كَفَى الأيْتامَ فَقْدَ أبى اليَتيمِ)

لما تقدّم قبله ، وهو أنّ (بعضاً) اكتسب التأنيث ممّا بعده بالإضافة ؛ ولهذا قال (تعرّقتنا) بالتأنيث .

قال ابن جنّى (فى سرّ الصناعة) عندما أنشد قول الشاعر :

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .
(٢) فى كتابه ١ : ٢٦ ، ٣٢ وابن يعيش ٥ : ٩٦ ويس ٢ : ٣٢ وديوان جرير ٥٠٧ .

* سائلْ بنى أسدٍ ما هذه الصوتُ (١) *

إنّما أنّثه لأنّه أراد الاستغاثة . وهذا من قبيح الضرورة ، أعنى تأنيثَ المذكّر ؛ لأنَّ التذكير هو الأصل ، بدلالة أنّ الشىء مذكّر وهو يقع على المذكّر والمؤنّث ، فعلمت بهذا عمومَ التذكير وأنّه هو الأصل الذى لا ينكسر . ونظير هذا فى الشذوذ قوله — وهو من أبيات الكتاب — :

إذا بعضُ السنينَ تعرّقتنا . . . . البيت

وهذا أسهل من تأنيث الصَّوت قليلاً ، لأنَّ بعض السنين سنة ، وهى مؤنثة ، وهى من لفظ السنين ، وليس الصوتُ بعض الاستغاثة ولا من لفظها . انتهى .

وزاد المبرد (فى الكامل) على هذا الوجه وجهاً آخر فقال : قوله :

* إذا بعضُ السِّنينَ تعرّقتنا *

يفسَّر على وجهين : أن يكون ذهب إلى أنَّ بعض السنين يؤنث لأنّه سنة وسنون (٢) . والأجود أن يكون الخبر فى المعنى عن المضاف إليه فأقحمَ المضافَ إليه توكيداً (٣) ، لأنه [غيرُ (٤)] خارجٍ من المعنى . وفى كتاب الله عزَّ وجل : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٥)﴾ والخضوعُ بيِّنٌ فى الأعناق ،

---

(١) لرويشد بن كثير الطائى فى الحماسة ١٦٦ بشرح المرزوقى . وصدره :

* يأيها الراكب المزجى مطيته *

(٢) فى بعض أصول طبعة ليبسك من الكامل ٣١٢ : « ذهب الى أن بعض السنين سنون » .

(٣) وكذا فى أصول الكامل ، والمراد المضاف ، وهو فى بعض الاعتبار مضاف اليه ما بعده . أو المراد أقحم كلمة « بعض » فى كلمة السنين لتكون توكيدا . وفى اللسان : « وكل ما أدخلته شيئا فقد أقحمته اياه وأقحمته فيه » ، فتكون توكيدا مفعولا ثانيا لأقحم .

(٤) التكملة من الكامل .

(٥) الآية ٤ من الشعراء .

فأخبر عنهم فأقحم الأعناق توكيداً — وكان أبو زيد الأنصاريّ يقول : أعناقهم : جماعتهم — والأوّل قول عامّة النحويّين . انتهى المراد منه .

و (بعض) : فاعل فعل محذوف يفسّره (تعرّقتنا) المذكور ؛ يقال تعرّقْتُ العظم : إذا أكلتَ ما عليه من اللحم . يريد أنّها أذهبت أموالنا ومَواشينَا . و (السَّنَة) هنا : القحط والجدْب : ضد الخِصب والرَّخاء . و (كفى) بمعنى أغنى يتعدّى إلى مفعولين ، أوّلها (الأيتام) وثانيهما (فقْدَ) ، ومصدره الكفاية ، قال تعالى : ﴿ وكَفَى اللهُ المؤْمنينَ القِتالَ[1] ﴾ .أى كفى الأيتام فقدَ آبائهم ؛ لأنّه أنفق عليهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه ، وكان فى الكفاية لهم والحِراسة والتفقُّد لأحوالهم بمنزلة آبائهم . وأراد أن يقول : كفى الأيتامَ فقدَ آبائهم فلم يمكنْه فقال : فقد أبى اليتيم ؛ لأنّه ذكر الأيتام أوّلا ، ولكنّه أفرد حملاً على المعنى ؛ لأنَّ الأيتام هنا اسم جنس ، فواحدها ينوب مَناب جمعها ، وبالعكس . وكان المقام مَقام الإضمار فأتى بالاسم الظاهر .

١٦٨

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير مدح بها هشامَ بنَ عبد الملكِ بن مرْوان :

(وأنت إذا نظرتَ إلى هشام عرَفتَ نجار منتَخَبٍ كريمِ[2]

يَرَى للمسلمين عليه حَقًّا كفعل الوالد الرَّؤُفِ الرحيمِ

إذا بعضُ السنِينَ تعرَّقتنا كفى الأيتامَ فقدَ أبى اليتيم)

والنِجار ، بكسر النون وبعدها جيم : الأصل .

وقوله : يرى للمسلمين عليه حقّا ، له مثلُه فى قوله أيضاً :

وإنى لأستحيي أخى أن أرى له علىَّ من الحق الذى لا يرى ليا

(١) الآية ٢٥ من الأحزاب .

(٢) فى الديوان : « منتجب » بالجيم .

قال المبرّد فى الكامل : هذا بيت يحمله الناس على خلاف معناه ، وإنّما تأويله إنى لأستحيي أخي أن يكون له علىّ فضلٌ ولا يكون لى عليه فضلٌ ومتى إليه[1] مكافأة ، فأستحيي أن أرى له علىّ حقاً بما فعل إلىّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكون لى به عليه حقّ . وهذا من مذاهب الكرام . وأما قول عائدِ الكلبِ الزُّبيْرِى[2] لعبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ[3] رضى الله عنهم :

له حقٌ وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ[4]
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره ، وهو الرسول[5]

فإنّه ذَكَره بقلّة الإنصاف فقال : يرى له حقًّا على الناس ولا يرى لهم عليه حقاً ، من أجل نسبه بالرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قيل لعلى بن الحسين ابن على رضى الله عنهم : مابالك إذا سافرت كتمتَ نسبَك أهل الرفقة[6] ؟

---

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والكامل ٣١٠ .

(٢) فى النسختين : « الزبيدى » ، وحورها الشنقيطى الى «الزبيرى» بالراء لتصح ، كما فى الكامل ٣١٠ والأغانى ٢٠ : ١٨٠ . وعائد الكلب هذا هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام . وكان ممن خرج مع النفس الزكية ، سمى بذلك لقوله :

مالى مرضت فلم يعدنى عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود

وانظر اللآلى ٥٧٠ ، ٦٥٩ .

(٣) فى زهر الآداب ٨٦ والعمدة ٢ : ١٤٠ أنه « الحسن بن زيد بن الحسين بن على » .

(٤) الكامل ٣١٠ . ونسب البيتان فى زهر الآداب لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمى ، وفى العمدة لابن عاصم المدينى ، صوابه « لأبى عاصم » .

(٥) فى العمدة : « لأهلها » .

(٦) ط : « الرفعة » ، صوابه فى ش والكامل . والرفقة : الأصحاب فى السفر .

فقال : أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أُعطِي مثله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين وهو شواهد س(١) :

٢٨٩ (مَرُّ اللَّيالِي أسْرَعَتْ في نَقْضِي
أَخَذْنَ بعْضِي وتَرَكْنَ بَعْضِي)

على أن (مَرُّ) اكتسب التأنيث من المضاف إليه ، ولهذا قال : أخذن .

وسيبويه جعل محل الشاهد أسرعَتْ ؛ ففي البيت قد اكتسب المذكّر فيه التأنيث بوجهين : أحدهما التأنيث فقط — وهو بالنظر إلى قوله أسرَعتْ — وثانيهما التأنيث والجمعيَّة — وهو بالنظر إلى قوله أخذن — وكان المناسب للشارح المحقِّق أن يضمَّ هذا البيت مع البيت الذى بعده ، أو يُوافق سيبويه ومَن تبعه .

ويُروَى : (طُولُ الليالى) .

قال ابن خلف : الشاهد فيه أنَّه قال أسرعَتْ ، فأنَّث الضمير الذى هو فاعل أسرعت . ويجب أن يكون مذكَّراً لأنَّه ينبغى أن يعود إلى المبتدإ ، والمبتدأ مذكَّر وهو الطُّول . وإنَّما أنَّث لأنَّه أضاف الطُّول إلى الليالى ، وليس الطول شيئاً غيرها ؛ فأخلص الخبرَ لليالى دون الطول . فقدبان لك أنَّ معنى طول الليالى أسرعت ، والليالى أسرعت سواء . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٢٦ . وانظر البيان ٤ : ٦٠ والخصائص ٢ : ١٦٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٥ والتصريح ٢ : ٣١ والأشمونى ٢ : ٢٨٤ والمخصص ١٧ : ٧٨ وملحقات ديوان العجاج ٨٠ .

وهذا ناظرٌ إلى الوجه الثانى من وجهَىْ كلامِ المبرّد المنقول عنه فى البيت السابق .

وقال أبو على الفارسىّ (فى التذكرة القصرية) : قول ذى الرمّة :

مَشَيْنَ كما اهتزّتْ رماحٌ تسفّهتْ
أعاليَها مرُّ الرياح النواسِمِ

١٦٩

أحسن من قوله :

* طول الليالى أسرَعتْ فى نقضى *

لأنّ الريح لا تكون ريحاً إلاّ بمرورها ومدافعة الهواء بعضِه بعضًا ، فحسن أن تُجعَل هى هو . وليس طولُ الليالى كذلك ، لأنّ الليل قد يكون ليلاً وإن لم يكن طويلا . انتهى .

وفيه نظر : فإنّه ليس مراد الشاعر أنَّ الليالىَ الطِّوالَ دون القصارِ أسرعت فى نقضه ، وإنما يريد تكرار الزمان لياليه وأيامَه ، طالت الليالى أو قصُرت ، والزمان لا ينفكّ عن التكرار كما لا تنفكّ الريح عن الهبوب والمرور . وهذا لازم ، فتأمّلْ .

ورُوى البيت :

(إنَّ الليالى أسرعت)

ورواه الجاحظ أيضاً فى البيان :

(أرى الليالى أسرَعتْ)

وعلى هاتين الروايتين لا شاهد فيه . وروى المصراع الثانى هكذا أيضاً :

* نَقَضْنَ كُلِّي ونَقَضْنَ بَعْضِي *

والنقض : هدم البناء حجراً فحجرا .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان من أرجوزة للأغلب العِجْلي ذكرها أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين[١]) ، وأورد بعدهما :

حَنَينَ طُولى وحَنَينَ عَرْضِي أقعدْنَنِي من بعد طُول نَهْضِي

وكان الأغلب العجليّ ممن عُمِّر عمراً طويلا فى الجاهليَّة والإسلام . أسلم واستشهد بوقعة نهاوَند .

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة[٢] .

وزعم أبو محمد الأعرابى فى (فُرحة الأديب) أنّ هذا الرجز ليس للأغلب ، وإنَّما هو من شوارد الرجز لايعرف قائله . ومَن حفظ حجّةٌ على من لم يحفظ .

وقد رواه للأَغلب صاحبُ الأغانى أيضاً ، قال أبو محمد وهو كذا :

أصبحت لا يحملُ بعضى بعضى منَّفهاً أرُوحُ مثلَ النِّقْض[٣]

مرُّ الليالى أسرعَت فى نقضى طَوينَ طُولى وطوين عَرضى

ثمَّ التَحين عن عِظامى نَحضى أقعَدْننى من بعد طول نهضى

* * *

(١) المعمرين ٨٧ . وكذا فى نسبب الى الأغلب العجلى فى الأغانى ١٨ : ١٦٤ والعينى ٣ : ٣٩٥ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) المنفه : الضعيف . والنقض ، بالكسر : البعير أعياه السير وهزله .

وأنشد بعده، وهو الشاهد التسعون بعد المائتين[١] :

٢٩٠ ﴿ وما حُبُّ الديارِ شَغفْنَ قلبي
ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِيارَا ﴾

على أن المضاف وهو (حُبّ) اكتسب التأنيث والجمعيَّة بإضافته إلى الديار، وهو جمع دارٍ، وهو مؤنثٌ سماعيّ. وهذا واضح.

وقد يكتسب المضاف الجمعية فقط كقوله :

وكم ذُدتَ عنّي من تحامُلِ حادثٍ وسَورةِ أيام حَزَزْنَ إلى اللحم

فسَورة اكتسبت الجمعيّة من إضافتها إلى أيام، ولهذا أعيد الضمير من حززنَ جمعاً. والفرق بينه وبين وما حبُّ الديار شغفن، أنّ هذا اكتسب التأنيث بصفته أعنى الجمعية، فلم يتمحَّض لاكتساب الجمعية، كما فى : وسَورة أيام حززن.

وبقى أشياء لم يذكرها الشارح المحقّق مما تُكسِبه الاضافة، منها تذكير المؤنّث عكس ما ذكره كقوله[٢] :

إنارة العقل مكسوفٌ بطَوعِ هوى وعقلُ عاصى الهوى يزداد تَنويرا

ومنها الظرفية، نحو قوله تعالى: ﴿تُؤتى أُكُلَها كلَّ حِين[٣]﴾. ومنها

---

(١) تزيين الأسواق ١٧ وديوان الصبابة ١٦ ويس ١ : ٣٠٧ وديوان المجنون ١٧٠ .

(٢) هو أحد المولدين . انظر شرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشمونى ٢ : ٢٤٨ .

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

المصدرية نحو قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ ينقَلِبُونَ[1]﴾.
١٧٠ فأيَّ مفعول مطلق ناصبُه ينقلبون ، ويعلَم معلَّق عن العمل بالاستفهام . ومنها وجوب التصدُّر نحو : غلامُ مَن عندك ؟ ونحو صبيحةَ أيِّ يوم سفرُك؟ ونحو : غلام أيِّهم أكرمتَ ؟ ونحوَ : غلامُ أيِّهم أنت أفضل ؟

صاحب الشاهد — والبيت الشاهد لمجنون بنى عامر . وقبله :

(أمرُّ على الديار ديارِ ليلى أقبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا)

وهما بيتان لا ثالث لهما .

روى أنَّه كان إذا اشتد شوقُه إلى ليلى يمرُّ على آثار المنازل التى كانت تسكنها ، فتارة يقبِّلها ، وتارة يلصق بطنَه بكُثبان الرمل ويتقلَّب فى حافاتها ، وتارة يَبكى وينشد هذين البيتين .

و (الديار) : المنازل ، قال الكرمانى (فى شرح شواهد الموشَّح) : قال أبو حاتم : الديار : العساكر والخيام ، لا البنيان والعمران ؛ وإنَّ الدار العُمران والبنيان ، وعليه قوله تعالى فى سورة هود : ﴿فأصبحوا فى دِيارهم جاثمين[2]﴾ أى فى عساكرهم وخيامهم ؛ وفى سورة الأعراف والعنكبوت : ﴿ فأصبَحوا فى دارهم جاثمين[3] ﴾ أى فى مدينتهم المعمورة . ولو أراد غير ماقيل لجمع الدار . فعُلم من كلامه أنَّ الديار مخصوص بالخيام ؛ انتهى كلامه . وهذه غفلة عن قول الشاعر : « أقبِّل ذا الجدارَ » وهو حائط البيت . ثم قال : ويجوز أن يكون الديار جمع دَارة ، قال محمد بن جعفر (فى كتاب دارات العرب) : اعلم أنهم

---

(١) الآية ٢٤٧ من الشعراء .
(٢) من الآيات ٧٨ ، ٩١ من الأعراف و ٣٧ من العنكبوت .
(٣) الآيتين ٦٧ ، ٩٤ من هود .

يقولون لدار الرجل التي يسكنها دارة، ويجمعونها دارات ودُور وديار .

وذا اسم اشارة . وشغف الهوى قلبَه شَغْفاً ، من باب نفع ، والاسم الشَّغَف بفتحتين : بلغ شَغافه بالفتح ، وهو غشاؤه .

المجنون

و (المجنون) اسمه قيس بن مُعاذ ، ويقال قيس بن الملوَّح ، أحد بني جَعْدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ ويقال بل هو من بني عُقيل (بالتصغير) ابن كَعب بن ربيعة [١] .

وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نسبوا إليه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره ، كقول أبي صخر الهذلي :

فياهجرَ ليلى قد بلغتَ به المدى وزدتَ على مالم يكن بلغَ الهجرُ [٢]

ويا حبَّها زِدني جوًى كلَّ ليلة ويا سَلوة العُشّاق موعدكِ الحشرُ

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعراً مجهولا لقائل فيه ذكر ليلى إلاّ نسبوه إلى المجنون ، ولا فيه لُبنى إلاّ نسبوه لقيس بن ذَريح .

وفي الأغاني : اختُلف في وجوده : فذهب قومٌ إلى أنه مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب . وقال الأصمعي : رجلان ما عُرفا في الدنيا إلا بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيّة ، وإنما وضعهما الرواة . قيل له : فمن قال هذه الأشعار المنسوبة إليه ؟ قال: فتًى من بني مَرْوان ، كان يهوى امرأةً منهم فقال فيها الشعر ، وخاف الظهور فنسبه إلى المجنون ، وعمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك ، فحمله الناس وزادوا فيه .

---

(١) ط : « بن كعب بن سعد » ، صوابه في ش ومما سيأتي .

(٢) وجه الرواية : « بى المدى » . شرح السكرى للهذليين ٩٥٨ وأمالي القالي ٢ : ١٤٩ .

وقال الذهبى (فى تاريخ الإسلام) أنكر بعضُ الناس ليلى والمجنون ؛ وهذا دفعٌ بالصدر ، فليس من لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا المثبتَ كالنافى . وعلى القول بوجوده اختلف فى اسمه : فقيل مهدى ، وقيل قيس بن مُعاذ ، وقيل غير ذلك . والاصحّ أنه قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن عدى ابن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ وصاحبته ليلى بنت مهدىّ ، أم مالك العامريّة .

بعض أخبار المجنون ١٧١

قال ابن قتيبة [1] : وكان المجنون وليلى يرعيان البَهْم وهما صبيّان ، فعلِقها عَلاقة الصبىّ وقال :

تعلّقت ليلى وهى غِرٌّ صغيرة
ولم يبدُ للأتراب من ثَديها حجمُ
صغيرَين نَرعى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا
صغيران لم نَكْبَرْ ولم تَكبَر البَهْمُ

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدّث فى ناس من قومه ، وكان ظريفاً جميلا راويةً للشعر حلوَ الحديث ، فكانت تعرض عنه وتُقْبِل بالحديث على غيره ، حتى شقّ ذلك عليه وعرَفته فقالت :

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبه مَكينُ
تبلّغنا العيونُ بما رأينا وفى القلبين ثَمَّ هوى دفينُ [2]

ثم تمادى به الأمر حتّى ذهب عقله وهام مع الوحش ، وصار لا يلبَس

(١) فى الشعراء ٥٤٧ .
(٢) هذا البيت ساقط من نسخة الشعراء .

ثوباً إلاّ خرّقه[١] ، ولا يَعقِل إلاّ أن تُذكَرَ له ليلى ، فإذا ذُكِرت عقَل وأجاب عن كلٍّ ما يُسأل عنه . ثم إنَّ قومَ ليلى شكَوا منه للسلطان ، فأهدر دمه ، وترحَّل قومُها من تلك الناحية ، فأشرف فرأى ديارَهم بلاقعَ ، فقصد منزلَها وألصق صدرَه به وجعل يمرِّغ خدَّيه على التراب ويقول الأشعار . ثمّ إنَّ أباه قيَّده ، فجعل يأكل لحم ذراعيه ، ويضرب نفسَه ، ويَعضُّ لسانه وشفتيه ، فأطلقه .

وروى أن نوفل بن مُساحق لمَّا جاء ساعياً على صدقات بنى عامر ، رأى المجنون يلعب بالتُّراب وهو عُريان ، فقال لغلام له : خذ ثوباً وألقِه عليه . فقالوا له : ألا تعرفه ؟ قال : لا . قالوا : هذا المجنون قيس بن الملوَّح ، فكلَّمه فجعل يُجيبه بغير ما يسأله عنه ، فقالوا له : إن أردت أن يكلِّمك كلاماً صحيحاً فاذكرْ له ليلى . فقال : أتحبُّ ليلى ؟ فأقبل عليه يحدّثه عنها وينشده شعره فيها ، فقال له : أتحبّ أنْ أزوّجكها ؟ قال : وتفعل ذاك ؟ قال : نعم ، اخرجْ معى حتى أقدَم بك على قومها فأخطبَها لك ، فارتحل معه[٢] ودعا له بكسوة ، فلبسها وراح معه كأصحِّ أصحابه ، فلمّا قرُب من قومها تلقَّوه بالسلاح وقالوا : والله لا يدخل المجنون لنا بيتاً أو نُقتَلَ عن آخرنا ، وقد أهدر لنا السلطانُ دمه ! فأقبل بهم وأدبر فأبَوا عليه ، فقال له : انصرفْ . فقال : أين ما وعدتَ ؟ قال : رجوعك بالخيبة أهون علىَّ من سَفْك الدماء . ثمّ هام على وجهه فى الفلوات وأنِسَ بالوحوش فكان لا يأكل إلاّ ما تنبت الأرض من البقول ، ولا يشرب إلاّ مع الظباء ، وطال شعر جسده ورأسه ، وألِفته

---

(١) ط : « ولا خرقة » ، صوابه فى ش والشعراء .

(٢) ط : « له » ، صوابه فى ش والشعراء .

الوحوش ، وكان يَهيم حتى يبلغ حدودَ الشام ، فإذا ثاب عقله سأل عن نجد فيقال : وأنَّى نَجْدُ ! فيدلّونه على طريق نجد فيتوجَّه نحوه . وكان أهله يأتونه بالطعام والشراب ، فربما أكل منه . وفى بعض الأيام أتوه بالطعام فلم يروه ، فانطلقوا يفتّشونه فرأوه ملقًى بين الأحجار ميْتاً ، فاحتملوه إلى الحيِّ فغسّلوه ودفنوه ، وكثر بكاء النساء عليه . وكان فى مدة ابن الزُّبير .

وقد أطال ترجمته جداً أبو الفرج الأصبهانىُّ (فى الأغانى) .

وكانت ليلى تحبّه أيضاً محبّة شديدة . حكى ابن قتيبة قال : خرج رجلٌ من بنى مُرَّة إلى ناحية الشام والحجاز ، مما يلى تيماء ، فى بِغْية له ، فإذا هو بخيمةٍ قد رُفعت له عظيمةٍ فعدل إليها ، فتنحنح فإذا امرأة قد كلّمته فقالت : انزلْ . فنزل وراحت إبلُهم وغنمهم فإذا أمرٌ كثير عظيم ؛ فقالت : سلوا هذا الراكب من أين أقبل ؟ فقال : من ناحية نجد . فقالت : يا عبد الله ، وأىَّ بلاد نجد وطئتَ ؟ قال : كلَّها . قالت : فيمن نزلت منهم ؟ قال : بنى عامر . فتنفست الصُّعَداء ثم قالت : بأىِّ بنى عامر ؟ قال : ببنى الحريش . قالت : فهل سمعت بذكرِ فتىً منهم يقال له قيسٌ ويلقّب بالمجنون ؟ قال : إى والله ، قد أتيته فرأيته يَهيم مع الوحش ولا يعقل شيئاً حتَّى تُذكر له ليلى ، فيبكى وينشد أشعاراً يقولها فيها . فرفعتِ السِّترَ بينى وبينها فإذا شِقَّة قمرٍ لم ترعينى مثلَها ، فلم تزل تبكى وتنتحب حتَّى ظننت أنّ قلبَها قد تصدّع ، فقلت : يا أمةَ الله اتّقى الله ، فوالله ما قلتُ بأساً ! فمكثَتْ على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

١٧٢

ألا ليت شِعرى والخطوبُ كثيرةٌ متَى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ

بنفسىَ مَنْ لا يستقلُّ برَحلِهِ ومَن هو إن لم يحفَظ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى غُشِيَ عليها ، فلما أفاقت قلتُ : من أنتِ يا أمة الله ؟ قالت : أنا ليلى المشئومةُ عليه غيرَ المواسيةِ له . قال : فوالله ما رأيتُ مثلَ حزنها عليه ، ولا مثلَ جزعها ، ولا مثل وجدها !

* * *

وأنشد بعده :

* يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ *

قد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٩١ * رُبَّ ابنِ عَمٍّ لسُلَيمَى مُشْمَعِلْ
طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زادَ الكَسِلْ *

على أنَّ (ساعات) كان فى الأصل مفعولا فيه[٣] ، فاتَّسع فيه فألحق بالمفعول به وأضيف إليه طبّاخ . فكسرة التاء من ساعات كسرة جرّ ، وزادَ الكَسِل منصوب على أنه مفعول طبّاخ ، لأنّه معتمد على موصوفه .

قال الأعلم : [الشاهد فيه[٤]] إضافة طباخ إلى ساعات ، على تشبيهها

---

(١) الخزانة ٣ : ١٠٨ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والمخصص ٣ : ٣٧ وابن الشجرى ١ : ١٢٥/٢ : ٢٥٠ وديوان الشماخ ١٠٩ .

(٣) ط : « معمولا فيه » ، صوابه فى ش .

(٤) التكملة من الشنتمرى .

بالمفعول به ، لا على أنّها ظرف ، ولا تجوز الإضافة إليها وهى ظرف لأنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوِعاء وهو فى ؛ والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنَّما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطبّاخ إلى الساعات اتّساعا ومجازاً ، عدَّاه إلى الزاد ، لأنّه المفعول به فى الحقيقة . انتهى .

وقول ثعلب (فى أماليه)[1] : « إضافة طيَّاخ إلى ساعات لا تجوز إلاَّ فى الشعر » ممنوع .

وقال ابن برّىّ (فى شرح أبيات الإيضاح لأبى على) : لابدَّ أن تقدَّر الساعاتِ تنزّلت منزلة المفعول به ، حتّى كأنّها مطبوخة ، وإن كان الطبخ فى المعنى إنما هو للزاد ، كما تصير الليلة فى قوله :

* يا سارق الليلةِ أهلَ الدارْ *

بمنزلة المفعول حتَّى كأنها مسروقة . ولما خفض ساعات باضافة طبّاخ إليها انتصب زادَ على المفعول به ، لأنَّه المطبوخ فى الحقيقة . ومن خفض زاد الكسل قدَّر الساعات ظرفاً فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه . على قولهم فى الرواية الأخرى :

* يا سارقَ الليلةَ أهْلِ الدارْ *

انتهى كلامه .

وأورده الفرّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ[2] ﴾ قال : أُضيفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسلُ على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين ، مثل كسوتك الثوب

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٣ .

(٢) الآية ٤٧ من سورة ابراهيم .

وأدخلتك الدار تبدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول هو كاسى عبدالله ثوباً ومدخلُه الدار ؛ ويجوز هو كاسى الثوبِ عبدَ الله ومدخلُ الدار زيداً ؛ جاز ذلك لأنَّ الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبد الله . ومثله قول الشاعر :

١٧٣

ترى الثورَ فيها مُدخِلَ الظلّ رأسَه وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمعُ[1]

فأضاف مُدخِل إلى الظلّ ، وكان الوجه أن يضيف مُدخِل إلى الرأسِ . ومثله :

رب ابن عمّ لسُليمى مُشمِعلّ . . . . الخ

ومثله قوله الآخر :

* يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار *

يريد : يا سارقَ أهلِ الدار الليلة ، [فأضاف سارقاً إلى الليلة[2]] ونصب أهل الدار . وكان بعض النحويين ينصب الليلة ويخفض أهل الدار . انتهى المراد منه .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) وغيرُه : وروى بجرّ زاد أيضاً ؛ على أنّ طباخا قد أضيف إليـه وفصَل بينهما الظرف وهو ساعات ، فتكون الكسرة فيه نائبة عن الفتحة وهو منصوب لا مجرور . قال : ومثل هذا جائز فى الشعر كقوله :

* يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدارْ *

---

(١) البيت من الخمسين ، فى سيبويه ١ : ٩٢ والهمع ٢ : ١٢٣ وأمالى المرتضى ١ : ٢١٦ .

(٢) التكملة من ش ، وما قبلها ساقط من ش ثابت فى ط .

يريد : ياسارق أهلِ الدار الليلةَ . انتهى .

وقال ابن خلف : ويجوز أن يكون زاد الكسل بدل اشتمال من موضع ساعات ، ألا ترى أنّ الزاد تبيينٌ [١] لما يطبخ فى الساعات ، وهى مشتملة على الزاد وغيره ، ويجوز أيضا نصب زاد بفعل دلّ عليه طبّاخ ، أى يطبخ زاد الكسلِ . هذا كلامه فتأمّلْه .

وقوله (مشْمَعلّ) صفة لمجرور ربّ بَعد وصْفِهِ [٢] بقوله لسليمى . والمشمعلُّ : الجادّ فى الأمر الخفيفُ فى جميع ما أخَذَ فيه من العمل ، وهو مشدّد اللام إلاّ أنه سكّنها للشعر .

قال المبرد (فى الكامل [٣]) : أمر مُصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد ابن خزيمة بقتل مُرَّة بن مَحْكانَ السعدىّ ، فقال مُرَّة :

بنى أسدٍ إنْ تقتلونى تُحاربوا تميمًا إذا الحربُ العوَان اشمعلّتِ
ولستُ وإن كانت إلىّ حبيبةً بباكٍ على الدنيا إذا ماتولّتَ

قال المبرد : واشمعلَّت : ثارت فأسرعت . وأنشد :

* ربَّ ابن عمٍّ لسليمى مُشْمَعِلْ *

و (طبّاخ) صفة ثالثة لمجرور ربّ . و (الكَرَى) : النعاس . و (الكَسِل) بفتح الكاف وكسر السين ، بمعنى الكسلان ، إلاّ أن فى كسلان مبالغة ليست فى الكسِل وهو المتثاقل المتوانى . يقول : إذا كسِل أصحابه عن طبخ الزاد ،

(١) فى النسختين : « تبيين » ، والوجه ما أثبت .
(٢) فى النسختين : « بعده وصفه » ، صوابه ما أثبت .
(٣) الكامل ١١٣ .

عند نزولهم آخر الليل وغلبةِ النعاسِ عليهم ، كفاهم ذلك وشمَّر فى خدمتهم . وصفه بالنشاط والمضىّ فى الأمور وقت كسل أصحابه وفتورِهم . والعرب تفتخر بمثل هذا .

وروى المبرّد (فى الكامل) هذا الرجز كذا :

ربَّ ابنِ عمٍّ لسليمى مشمعلْ أروعَ فى السَّفْرِ وفى الحىّ غَزِلْ

طبَّاخ ساعات . . . . (إلى آخره)

والأروع : السيد الذى يروعك عَظمتُه وعزّته . والسَّفْر : جمع سافر ، كصحب جمع صاحب ؛ يقال سفَرتُ أى خرجت إلى السفر ، فأنا سافر وقوم سَفرْ . وغَزِل بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين ، يقال رجلٌ غزل : أى صاحب غَزَل ، وهو محادثة النساء ومراودتهنّ . [وهذا الإعراب هو مقتضى هذه الرواية ؛ وستأتى الرواية الاصلية [1]] .

وقد نسب المبرّد هذا الرجز إلى الشّماخ بن ضِرار ، وهو من رجز [جَبّار صاحب الشاهد ابن جَزْء أخى الشماخ [2]] يتعلّق بعمّه الشماخ . وهذا مدحٌ فيه .

وهو من جملة أرجازٍ لجماعة ، لها حكايةٌ مسطورة فى آخر ديوان الشّماخ ، محصَّلها :

أن الشماخ أقبل من مِصْرَ [3] ومعه أولاد إخوته ، فى ناسٍ من قومه ، ١٧٤

---

(١) التكملة من ش .

(٢) تكملة يقتضيها السياق . وسيأتى ما يؤيد أن الرجز لجبار بن جزء .

(٣) مصر بالصاد المهملة ، وفى ذلك يقول الجليح (ديوان الشماخ ١٠٧) :

أقبلن من مصر يبارين البرى يشكون قرحا بالدفوف والكلى

منهم جندب بن عمرو ، وكان الشّماخ وأصحابه يُبغضونه لأنه كان يتحدَّث إلى امرأة الشّماخ ، حتى إذا كانوا قريباً من تيماء على رأس ماء يقال له ثَجْر (بفتح المثلثة وسكون الجيم) قال الشّماخ لحسن بن مزرد[١] : انزِل احدُ بالقوم — وكانوا كذلك يفعلون : ينزل الرجل فيسوق بأصحابه ويرتجز بهم — وأمره أن يعرِّض بامرأة جندب ؛ فقال :

خليــلُ خَودٍ غرَّها شبابُه إلى آخر الرجز

فنزل جُندب وحدَا بالقوم ، وعرَّض بامرأة الشّماخ ، وكانت أمَّ صبيٍّ ، واسمُها سليمى ، فقال :

* طيفُ خيالٍ من سُليمى هائجى[٢] *

إلى أن قال :

يا ليتَنى كلَّمت غير حَارجِ[٣] قبلَ الرَّواح ذاتَ لون باهجِ[٤]
أمَّ صبيٍّ قد حبا أو دارجِ غرثى الوِشاح كَرَّةَ الدَّمالجِ

فغضب الشّماخ لما عرَّض بامرأته ، فنزل وساق بالقوم ، ورجز رجزَين عرَّض فيهما بامرأة جندب إلى أن نزل ، وحدَا جماعةٌ من طرف هذا وجماعةٌ من قِبَل ذاك ، وكلٌّ رجل يتعصّب لصاحبه ؛ إلى أن تواثبوا بالسيوف . وكان معهم رجل من بنى أسد ، فاقتحم بينهم فقال : يا قوم نُهِشْتُ نُهِشْتُ ! فلم يزالوا يَسقونه السَّمن واللَّبن حتَّى لَهَوْا عن قتالهم ، فأصبحوا وقد سكنوا .

(١) فى ديوان الشماخ : « قال الشماخ لابن جزء » .
(٢) فى النسختين : « هائج » ، صوابه من الديوان ١٠٠ .
(٣) حارج ، بالحاء المهملة فى أوله : آثم مذنب . وفى النسختين : « خارج » ، صوابه من الديوان .
(٤) هذا الشطر ساقط من الديوان .

وهذا رجز جَبّار[١] ابن أخي الشّماخ بتمامه :

(قالت سُليمى لستَ بالحادِى المُدِلّْ
مالَكَ لا تَملِك أعضادَ الإبلْ

المُدِلّ : الذى أدلّ بقوّةٍ على شدّة السير . يقول : مالَكَ تتخلّف عن الابل لا تكون عند أعضادها . وهذا خطاب لُجندب بأنه ضعيف لا جَلَدَ له .

ربَّ ابن عمٍّ لسُليمى مُشْمَعِلّْ
يحبُّه القومُ وتَشناَه الإبلْ

أراد بابن العمّ زوجها الشّماخ . ويحبُّه القوم لأنه يعينهم ويخدُمهم مساعدة. وتشنؤه الإبل : أى تبغضه ، لأنه يسوقها سوقاً عنيفاً بالحُداء . ويحبُّه : جواب ربَّ العاملُ فى محل مجرورها .

فى الشَّولِ وَشْواشٌ وفى الحىِّ رِفِلّْ
طبَّاخُ ساعات الكرى زادَ الكَسِلْ
أحْوَسُ وَسْطَ القَوم بالرمح الخَطِلْ)

الشَّول ، بالفتح : الإبل التى شوّلت ألبانُها أى رفعته . والوَشْوَاش ، بمعجمتين : الخفيف المتسرِّع . والرِّفَلّ ، بكسر الراء وفتح الفاء واللام مشددة سكّنت للوزن : اللابس الثياب المتجمّل بها . يريد أنه خفيفٌ جَلْد فى السَّفْر يخدُمها ويُراعيها ، وفى الإقامة فى الحىِّ متنعّم متجمِّل . والجملتان اسميتان . وقد روى بدل هذا البيت ما نقلناه عن المبرّد . وقوله : طبَّاخ ، بالرفع خبر مبتدإ محذوف ، أى هو طباخ كما هو الظاهر من السياق ، بخلاف ما تقدَّم .

---

(١) ط : « خيار » ، صوابه فى ش .

وفى طبّاخ مبالغة دون طابخ . والأحوس[١] ، بمهملتين : الرجل الشديد الذى لا يبرح عند القتال . والخَطِل ، بفتح الخاء وكسر الطاء : الطويل جداً فوق القدْر .

(عاذلتى أبقِى قليلاً مِن عَذَلْ وإنْ تقولى هالِكٌ أقُلْ أجَلْ)

١٧٥ عاذلتى : منادى . والعذَل : اللّوم . ومن متعلّقة بمحذوف . وهالك ، أى أنت هالك . وأجلْ بمعنى نعم .

(قرّبتُ عنساً خُلِقَتْ خَلْقَ الجملْ لاتشتكى مالقيتْ مِن العَمَلْ)

قرّبتُ بالتكلم والبناء للفاعل[٢] . والعنس ، بالنون : الناقة الصّلبة .

(كأنّها والنِسع عنها قد فَصَلْ ونَهَلَ السوط بِدَفّيْها وعَلّ)
(مُولَّعٌ يقرُو صريماً قد نَقَلْ[٣])

يريد أن ناقته ضُمرت فاسترخت نُسوعها أى سيُورها . ونَهِل السوطُ بدَفَّيها أى بجنبيها . وعَلَّ أى ضُربت بالسوط مرّة بعد مرّة . والمولَّع ، بصيغة اسم المفعول : الثور الوحشى ؛ شبّه ناقته فى حال كلالها وتعبها بالثور الوحشى فى حال مارأى الصياد وقد أمسى الليل عليه ، فهو يسرع أشدّ مايمكن . ويقرو بالقاف ، يقال قروت البلاد قرواً ، وقريتها ، واستقريتها : إذا تتبّعتها تخرُجُ من أرض إلى أرض . والصَّريم : القاطع[٤] ؛ يريد رفيقه الذى صرمه ونقل رجله عنه فسبقه .

---

(١) ط : « والأحوص » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « للمفعول » ، صوابه فى ش .
(٣) كذا فى النسختين ، وهو المطابق لشرح البغدادى ، لكن الصواب « قد بقل » . وفى شرح الديوان : « صريما : رملا . قد بقل : قد أنبت البقل » .
(٤) هذا وهم من البغدادى انساق فيه الى آخر التفسير . وانظر الحاشية السابقة .

(صَبَّ عليه قانصٌ لمَّا غَفَلْ   والشمسُ كالمرآة فى كفّ الأشلْ)

(مقلَّداتِ القِدِّ يقرُون الدَّعل(١))

قانص : فاعل صَبَّ ؛ أى أرسل قانصٌ على الثور لمّا غفل كلاباً . وجملة: والشمس كالمرآة ، حال إمّا من قانص ، أو من فاعل غفل أو من ضمير عليه ، وهما ضمير الثور ، يريد فى حالة أنّ الشمس قد تنكّبت للمغيب . والأشلُّ : الذى يبست يده فلا يمسكها إلاَّ منكَّسة .والمقلَّدات ، بصيغة اسم المفعول ،يريد كلاباً عليها قلائد من السُّيور ؛ وهو مفعول صَبّ . ويقرون : يتّبعن ويطلبن . والدَّعل ، بفتح الدال والعين المهملتين ؛ قال ابن الأعرابى : هو الخَتْل ؛ وهو يداعله أى يخاتله .

وقوله : والشَّمس كالمرآة ، الخ ، أورده القزوينى : (فى تلخيص المفتاح)فى باب التشبيه ، وعدّه من التشبيه الغريب . ولم يزد العبّاسى شارح شواهد التلخيص على قوله : اختُلف فى قائل هذا البيت ، فقيل للشماخ ، وقيل لأخيه ، وقيل لأبى النجم ، وقيل لابن المعتز .

جبار بن جزء

وجَبَّار قائل هذا الرجز هو بفتح الجيم والباء الموحّدة المشدّدة ومعناه ذو الجَبَرِيّة والعظمة ، يقال قوم فيهم جَبَرِيّة ، بفتح الباء ، أى عظمة وكبر . ونسبُه تقدّم فى ترجمة عمّه الشمّاخ فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائة(٢) .

* * *

(١) صوابه « الدغل » بالغين المعجمة كما فى الديوان . والدغل : النبت الكثير الملتف .

(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] :

٢٩٢ (ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمَانِها)

هذا صدر ، وعجزه :

(إذا عَدِموا زاداً فإنك عاقرُ)

على أنّ أبنية المبالغة لـكونها للاستمرار لا لأحد الأزمنة ، عملت . فضَرُوب مبالغة ضارب ، وقد عمل النصب فى سوق على المفعولية .

قال ابن ولاّد : سألت أبا إسحاق الزجّاج : لم صار ضروبٌ ونحوه يعمل وهو بمنزلة ما استقرّ وثبت ، وضاربٌ لا يعمل إذا كان كذلك ؟ فقال : لأنك تريد أنها حالة ملازمة هو فيها ، ولستَ تريد أنه فعل مرّة واحدة وانقضى الفعل كما تريد فى ضارب ، فإذا قلت : هذا ضَروبٌ رءوسَ الرجال ، فإنّما هى حال كان فيها فنحن نحكيها . ١٧٦

قال ابن عصفور : هذا هو الصحيح ، والدليل على صحّته قول أبى طالب :

* ضَروبٌ بنصل السيف * الخ

لأنّه مدَح به أميّة بنَ المغيرة[٢] بما ثبت له واستقرّ ، وحكى الحال التى كان فيها مِن عَقْر الابل إذا عُدم الزاد . ولو أراد المضىّ المحض ولم يرد حكاية حاله ، لما ساغ الإتيان باذا ، لأنّها للمستقبل .

---

(١) فى كتابه ١ : ٥٧ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٦٩ ، ١٧٠ والشذور ٣٩٣ والعينى ٣ : ٥٣٩ والتصريح ٢ : ٦٨ والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبى طالب ١١ .

(٢) صوابه « أبا أمية » . وانظر التحقيق التالى للبغدادى عند تعيين صاحب الشاهد .

قال ابن السّيد (في شرح أبيات الجمل) : نصل شفرته ، أي حدّه الذي يقطع به ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمَّى السيف كلّه نصلا . وسُوق : جمع ساق . والسِّمان : جمع سَمينة . والضمير للإبل . وعقر البعير بالسيف عَقْرا : ضرب قوائمه . لا يُطلق العقر في غير القوائم . وكانوا يعقرون الناقة إذا أرادوا نحرها : إمّا لتبرُكَ فيكون أسهل لنحرها ؛ أو ليعاجل الرجلُ ذلك فلا تمنعه نفسُه من عقرها فيكون قد عاجلها لئلا تأمره بغير مافي نفسه . وضروب : خبر مبتدأ محذوف أي هو ضروب . فقوله : فإنّك عاقر ، التفات . قال بعضهم : ولو قدّر أنت ضروب لكان الالتفات فيه[1] ، ويكون إنّك عاقر على مقتضى الظاهر . وإذا شرطيَّة تَجزم في الشعر . وجملة عدموا شرطُها في محلّ جزم وهي العامل في إذا ، والجملة المقرونة بالفاء جوابها . ولا يجوز أن يكون عاقر عاملاً في إذا ، لأنَّ ما بعد إنَّ لا يعمل فيما قبلها ، لأنّها حرف والحرف لا يتقدَّم معمولُه ولا معمول معموله عليه . وقيل إذا هنا شرطيّة غير جازمة ، قال ابن هشام (في المغني) : وفي ناصبها مذهبان : أحدهما أنّه شرطها[2] ـ وهو قول المحقّقين ـ فتكون بمنزلة متى وحيثما وأيّان . وقول أبي البقاء إنّه مردود بأنّ المضاف إليه لا يعمل في المضاف ؛ غير وارد ، لأنَّ إذا عند هؤلاء غير مضافة كما يقوله الجميع إذا جزمت ، كقوله :

* وإذا تصبْك خصاصة فتجمل[3] *

---

(١) صوابه « لما كان الالتفات » ، أو « لكان الالتفات معـــدوما فيه » .

(٢) في النسختين : « شرطيتها » ، وصححها الشنقيطي بما أثبت مطابقا لما في المغني .

(٣) لعبد قيس بن خفاف ، أو حارثة بن بدر الغداني .وصدره: =

والثانى : أنّه مافى جوابها من فعل أو شبهه ، وهو قول الأكثرين . انتهى .

وعلى هذا اقتصر اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) فقال : العامل فى إذا فعل محذوف دلّ عليه عاقر ، والتقدير : إذا عدموا زاداً عقرتَ . ولا يجوز أن يعمل فى إذا عاقر ، لأنّه لا يعمل ما بعد إنَّ فيما قبلها . والعجب من العينى هنا فإنّه بعد أن ذهب إلى أنّها شرطيّة جازمة ، قال : والعامل فيها فعل محذوف دلّ عليه عاقر أى عقرت . ولا يخفى تعسّفه . وقيل إذا هنا ظرفيّة وليست شرطيّة ، وعاملها ضَروب . وهذا ركيك والأوّل هو البليغ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى طالبٍ عم النبى صلى الله عليه وسلم ، رثى بها أبا أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم[1] ، وكان خَتَنَه ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرْو سُحيم ، فرثاه أبو طالب بهذه القصيدة .

كذا فى شروح أبيات سيبويه وأبيات الجمل وغيرها ، إلا أنّ فى بعض نسخ ما ذكرنا سَقَطًا من الكُتّاب ، وهو أنّهم حذفوا المضاف من أبى أميّة ، والصواب إثباته كما يأتى بيانه .

وغلِط بعضهم فزعَم أنّها مدحٌ فى مسافر بن أبى عمرو .

وأفحشُ من هذا القول قولِ ابن الشجرىّ (فى أماليه) إنّها مدحٌ فى النبى صلى الله عليه وسلم . والقصيدة هذه[2] :

---

* استغن ما أغناك ربك بالغنى *

شرح شواهد المغنى ٩٥ والهمع ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٣٨٥ والأصمعيات ٢٣٠ .

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وليس لمخزوم ولد اسمه « عمرو » انما هو « عمر » كما فى كتب الأنساب كجمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٦١ ، ٦٣ والسيرة ٢٤٧ .

(٢) الميمنى : « بعض قصيدة أبى طالب باختلاف فى الأغانى ٨ : ٤٨ وديوانه رواية ابن جنى ١٨ : ٢٢٠ — ٢٣٩ من المجلة الألمانية : Z. D. M. G وابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٤ والاشتقاق ٩٤ » .

قصيدة الشاهد

(أرِقتُ ودمعُ العين فى العين غائرُ وجادتْ بما فيها الشئونُ الأعاورُ(١)

كأنَّ فِراشى فوقَه نارُ مُوقدٍ من اللَّيل ، أوفوقَ الفِراشِ السَّوَاجرُ

على خير حافٍ من قريشٍ وناعلٍ إذا الخير يرجَى أو إذا الشرُّ حاضرُ

١٧٧

ألا إنَّ زاد الركب غير مُدَافَعٍ بَسرو سُحَيم غيَّبته المقابرُ(٢)

بَسرو سُحيم عارفٌ ومُناكِرٌ وفارسَ غاراتٍ خطيبٌ وياسرُ

تنادَوا بأن لاسيِّدَ الحىُّ فيهمُ وقد فُجع الحيَّان كعبٌ وعامر

وكان إذا يأتى من الشام قافلاً تَقَدُّمُه تسعى إلينا البشائر

فيصبح أهلُ الله بيضاً كأنَّما كستهم حَبيراً رَيدَةٌ ومَعَافِرُ

ترى دارَه لايبرحُ الدَّهرَ عندها مُجعجعَةٌ كُومٌ سِمانٌ وباقرُ

إذا أُكلت يوماً أتى الغدَ مثلَها زواهقُ زُهمٌ أو مخاضٌ بهازر

ضَروبٌ بنَصل السَّيف سُوقَ سِمانها إذا عَدِموا زاداً فانك عاقرُ

فإلاَّ يكنْ لحمٌ غريضٌ فانّه تُكَبُّ على أفواههنَّ الغرائرُ

فيالكَ من ناعٍ ! حُبِيتَ بألّةٍ شِراعيّةٍ تصفرُّ منها الأظافرُ)

الغائر مِن غار الماء فى الأرض غوراً : ذهب فيها . والشئون : جمع شأن وهو عِرْق ينحدر من الرأس إلى الحاجب ثم إلى العين ، ومنه تجىء الدموع . والأعاور : جمع أعْوَر ؛ من عَوِرت العينُ من باب تعب : نقصت أو غارت . والسواجر : جمع ساجر بكسر الجيم ، وهو الموضع الذى يأتى عليه السَيلُ فيملؤه . يريد كثرة الدموع .

(١) فى النسختين : « فى العين غامر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) الميمنى : « فى ديوانه رواية ابن جنى المنشور بالمجلة الألمانية : بوادى أشى » . قلت : وكذلك فى ديوانه ١١ مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية .

وقوله : ألا إنَّ زاد الركب الخ ، زاد الركب لقب أبى أُميَّة ، قال الزبير ابن بكّار (فى أنساب قريش) : كان أزواد الركب من قريش ثلاثة : أحدهم مُسافر بن أبى عمرو بن أميّة بن عبد شمس ، وثانيهم : زَمَعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، وثالثهم : أبوأمية بن [المغيرة بن [1]] عبد الله بن عُمر بن مخزوم . وإنّما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزَوَّدْ معهم أحد [2] . وسُحيم بضم السين وفتح الحاء المهملتين : موضع ؛ وسَرْوُه : أعلاه . كذا قال ابن السيد وغيره . وليس هذا اللفظ فى معجم ما استعجم ولا فى معجم البلدان [3] . والموجود فى الأول سُخيم بالخاء المعجمة على وزنه ، قال : هو مِخْلاف من مَخَاليف اليمن تنسب إليه الخمور الجيِّدة . وقال فى مادة سرو : والسَّرْو ارتفاعٌ وهَبوط بين حَزْن وسهل ، وسروُ حِمْيَر أعلى بلاد حمير . انتهى . وزعم العَينى أن سَرْواً هنا شجرة . وليس كذلك .

وقوله : بسرو سحيم عارف الخ ، عارف مبتدأ والظرف قبله خبره ، وما بعده معطوف على عارف ؛ وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة . والعارف : مِنْ عرَف على القوم يَعرُف ، من باب قتل ، عِرافة بالكسر ، فهو عارف أى مدبِّر أمرهم وقائم بسياستهم . ومُناكر : اسم فاعل من ناكره أى قاتله . وخطيب القوم هو المتكلم عنهم . والياسر : اللاعب بقِداح الميسر

(١) التكملة من ش .

(٢) الميمنى : « راجع لأزواد الركب التبريزى بون ٦٤: وبولاق ٣ : ٤٢ والثمار ٤٩ والاشتقاق ٥٨ ، ٩٤ والمستقصى والميدانى ٢ : ٦٢ ، ٤٩ ، ٦٦ والعسكرى طبعتاه ١٦٣ و ٢ : ١٢٩ » .

(٣) هذا سهو من البغدادى ، فان ياقوتا ذكره فى رسم (السرو) . وقال فى رسم (سحيم) : « موضع فى بلاد هذيل » .

وهو قِمار العرب ، وتسمَّى الأزلام . وكان الميسر مَنقَبةً فى الجاهلية ، يلعبون به فى أيام الجدْب والقحط ؛ وكان الغالب يفرّق ماأخذه على الفقراء .

والقافل : الراجع من السفر . والبشائر : جمع بشارة[1] .

وأراد بأهل الله قريشاً ؛ وكانت العرب تسميِّهم أهل الله لكونهم أرباب مكة . وبيض : جمع أبيض ؛ والبياض لعزّته عند العرب لغلبة السمرة عليهم ، يستعيرونه لحسن الحال والجودة . والحَبِير ، بفتح المهملة وكسر الموحدة : ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن . ورَيْدة ، بفتح الراء وسكون المثناة التحتية : بلدة من بلاد اليمن . ومعَافِر ، بفتح الميم وكسر الفاء وبينهما عين مهملة : حىٌّ من همْدان فى اليمن ، إليهم تنسب الثياب المعافريّة .

١٧٨

وقوله مجعجعة ، اسم فاعل من جعجعت الإبلُ ، إذا صوّتت ؛ والجعجعة : أصواتها إذا اجتمعت ؛ وهى حال من كُوم جمع كَوماء كصحراء ، وهى الناقة العظيمة السنَام . وقال ابن السيد وغيره من شرّاح الشواهد : المجعجَعَة المصروعة ، وعليه فهى اسم مفعول . ومن العجائب قول العينى هنا : مجعجعة من الجعجعة وهى صوت الرحَى . والباقر : اسمٌ لجماعة البقر ، كالجامل لجماعة الجِمال .

وقوله : إذا أكلت يوماً [. . الخ] الغد منصوب على الظرفية ، وهو اليوم الذى يلى يومك . ومثلَها : حال من زواهق ، وهى جمع زاهقة ، وهى السمينة . والزُّهم : الكثيرات الشَّحم ، جمع زَهِمة بفتح فكسر ، وكلاهما بالزاى المعجمة . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . والبَهازر : جمع بَهزرَة كحيدرة ، وهى العظيمة الجسم .

---

(١) بكسر الباء وضمها .

وقوله : ضروبٌ بنصل السيف الخ ، السياق والسباق يمنع أن يكون تقديره أنت ضروب ، كما زعمه بعضهم .

والغَرِيض ، بإعجام الطرفين : الطرىُّ من اللحم . وتكبّ : تصبّ . والغرائر : جمع غرارة ، وهى العِدل ، يكون فيها الدقيق والحِنطة وغيرهما .

وقوله : فيالك من ناع الخ ، هذا تعجُّب . والناعى : الذى يخبر بموت الإنسان . وحُبِيت : خُصِصت ، من الحِباء وهى العطيّة[1] . والألّة ، بفتح الهمزة واللام المشددة ، وهى الحَربة . وشِراعيّة بالكسر ، لا بالضم كما ضبطه العينى . قال صاحب الصحاح : ورمح شِراعىٌّ أى طويل ، وهو منسوب[2] . وقال ابن السيد وتبعه ابن خلف : الشِّراعية التى قد أشرعت للطعن[3] أى صوّبت وسدّدت . وقوله : تصفر منها الخ أى تموت منها ، لأنَّ الميت يصفرّ ظفْره ، دعاء على من أخبر بموت أبى أميَّة بالقتل .

أبو أمية ابن المغيرة

وأبو أميّة اسمه كنيتُه ، تقدم ذكر نسبه قريباً ، مات فى الجاهلية ، وكان زوج أخت أبى طالب ، وهى عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى صلى الله عليه وسلم . قال الزبير بن بكّار (فى أنساب قريش) : كان عند أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم أربعُ عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهى أم زهير وعبد الله وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم

(١) الوجه : « وهو » .

(٢) وفى القاموس : « وكغراب : رجل كان يعمل الأسنة والرماح » .

(٣) ط : « الطعن » ، صوابه فى ش بتصحيح الشنقيطى .

﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً[١] ﴾ ، وقريبةَ الكبرى . وعاتكة بنت جِذْل الطِعان ، وهى أم أمّ سلمة والمهاجر . وعاتكة بنتُ عُتْبة[٢] بن ربيعة ، وهى أم قريبة الصغرى[٣] . وعاتكة التميمية ، وهى بنت قَيس بن سعد بن زَمْعة بن نهشل بن دارم ، وهى أم أبى الحكم — دَرَجَ — وأمّ مسعود قتل يوم بدر كافراً ، وربيعةَ وهشامٍ الأكبر وصفيّة . وكان زهير ابن أبى أمية من رجال قريش ، وكان عبد الله بن أبى أمية شديدَ الخلاف على المسلمين ، ثم خرج مهاجراً من مكة يريد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلقيه بالطَّلوب بين السُّقيا والعَرْج ، هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له أم سلمة : يارسول الله ما جُعِل ابن عمك وأخى ، ابنُ عمتك[٤] أشقى الناس بك ! فقال على بن أبى طالب ١٧٩ لأبى سفيان بن الحارث : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل وجهه وقل له ما قال إخوة يوسفَ ليوسف : ﴿ تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِين[٥] ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا . ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين[٦] ﴾ وقبل منهما وأسلما . وهو أخو أمِّ سلمة لأبيها ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنين . وقُتل يوم الطائف شهيداً . وقتل هشام بن أبى أميّة يوم أُحد كافراً .

---

(١) الآية ٩٠ من سورة الاسراء .
(٢) ط : « عقبة » صوابه فى ش والاصابة ٨٨٧ من قسم النساء .
(٣) قريبة هذه بفتح القاف ، وتقال أيضا بالتصغير ، كما فى الاصابة ٨٨٧ من قسم النساء .
(٤) ابن عمه هو أبو سفيان ، وابن عمته عبد الله ، وهو أخو أم سلمة . الاصابة ٤٥٣٤ .
(٥) الآية ٩١ من يوسف .
(٦) الآية ٩٢ من يوسف .

وأسلم المهاجر وزهير . وولد زهير معبداً ، وقتل يوم الجمل ، وعبد الله بن زهير . وولدت قريبةُ الكبرى لزَمعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى[١] . وولدت قريبة الصغرى عبد الله وأمَّ حكيمٍ ابني عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

وترجمة أبي طالب عمّ النبى صلى الله عليه وسلم تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيْكلِ)

على أن قيداً بمعنى مقيِّد ، فاضافته إلى الأوابد لفظية لم تُكسبه تعريفاً ؛ ولهذا وقع نعتاً لمنجرد .

وهذا عجز وصدره :

(وقد أغتدى والطيرُ فى وُكُناتها)

أى أخرج غُدوةً للصيد . والوُكْنة : عُشّ الطائر الذى يبيض فيه . والمنجرد من الخيل : الماضى فى السير . والأوابد : جمع آبدة بالمدّ وهى الوحوش. يريد أنّ هذا الفرس من سرعته يلحق الوحوش فيصير لها بمنزلة القيد .

---

(١) كذا بدون ذكر للمولود ، ومن أولاد زمعة : عبد الله بن زمعة له صحبة ، والحارث بن زمعة ، قتل يوم بدر كافرا مع أبيه ، ويزيد بن زمعة ، استشهد يوم الطائف ، ووهب بن زمعة . جمهرة ابن حزم ١١٩ .

(٢) الخزانة ٢ : ٧٥ .

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس ، تقدّم شرحه والكلام على قيد الأوابد بلاغة وإعراباً فى الشاهد الخامس والثمانين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ)

على أنّ إضافة سارق إلى الليلة بمعنى فى ، أى يا سارقا فى الليلة .

وقد تقدّم الكلام على هذا فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين[٣] :

٢٩٣ (لِحَافى لِحافُ الضَّيفِ والبُرْدُ بُرْدُهُ)

على أن (أل) فى البُرد عند الكوفيين عوض من المضاف إليه ، والتقدير : وبُردى برده . وهو المناسب لقوله : لحافى لحاف الضيف .

وقد أورده الشارح فى البدل ، وفى المعرّف باللام ، وفى الصفة المشبهة أيضاً .

وهذا صدر وعجزه :

(ولَمْ يُلْهِنى عنهُ غَزالٌ مُقنَّعُ)

وبعده :

أحدِّثه إنّ الحديثَ من القِرَى وتَعلم نَفْسى أنّه سَوف يَهْجَعُ

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٦ ـ ١٥٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٠٨ وانظر أيضا ٤ : ٢٣٣ بعد الشاهد رقم ٢٩٠ .

(٣) أمالى المرتضى ١ : ٤٧٥ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٥ والحماسة ١٧١٩ بشرح المرزوقى واللسان (بصص) والأغانى ١١ : ٤٩ .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمّام فى باب الاضياف (من الحماسة) لمسكين الدارمىّ ، إلّا أنه روى المصراع الشاهد :

* لحافى لحاف الضيف والبيت بيته *

وكذلك رواه جميع من سيُذكر من رواته ، منهم ابن الأثير (فى المثل السائر) وقال : الغزال المقنع استعارة للمرأة الحسناء .

ومنهم السيد المرتضى (فى أماليه) وقال : ومعنى أحدّثه إن الحديثَ من القِرَى : أى أصبر على حديثه وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أضجر بمحادثتا فأكون قد محقت قِراى . والحديث الحسن من تمام القِرى . ١٨٠

وقال التبريزى : أى تعلم نفسى وقت هجوعه فلا أكلّمه . يريد أنّه يحدثه بعد الإطعام كأنّه يسامره ، حتّى تطيب نفسه ؛ فإذا رآه يميل إلى النوم خلّاه . فإن قيل : كيف يحمد بقوله : إنّ الحديثَ من القرى ، وقد قال غيره[١] في إنزال الضيف :

* ولم أقعدْ إليه أسائله *

قلت : هذا إشارة إلى ابتداء النزول ، وذلك وقت الاشتغال بالضيافة ، وهذا يريد بحديثه بعد الإطعام .

ومنهم الأعلم الشنتمرى (فى حماسته) إلا أنّه روى المصراع الأخير :

* وتكلأْ عينى عينَه حين يَهجع *

---

(١) هو منصور النمرى . كما فى الحماسة ١٦٩٨ بشرح المرزوقى ، وهو بتمامه :

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله

وتَكلأ : تحرس ، والكَلاَءة : الحراسة والحفظ . والعين الأوّل حاسّة البصر ، والثانى بمعنى الذات .

ومنهم أبو زيد (فى نوادره[١]) ، ومنهم الجاحظ (فى البيان والتبيين[٢]) إلاّ أنهما زادا على البيتين قبلهما بيتين آخرين وهما :

أرى كلَّ ريح سوف تَسكن مرّةً ... وكلُّ سَماء ذاتِ دَرٍّ ستقْلِعُ

فإنّكِ والأضيافَ فى بُردةٍ معاً ... إذا ماتبِضُّ الشمس ساعة تَنْزِعُ

لحافى لحاف الضيف . . . . البيتين

قال أبو زيد : تَبِضُّ أى تجرى إلى المغرب ؛ أى أمرهم لازم لك ، كأنّك أنت وهم فى بردة . وهو بالضاد المعجمة ، قال صاحب الصحاح : وبضّ الماء يبِضّ بضيضاً أى سال قليلا قليلا . وتَنزع : تذهبُ ؛ مِن نزع إلى كذا : إذا مال إليه وذهب . وأراد بالسماء السحاب . والدَّرّ القَطر . والإقلاع : الكفّ عن الشيء ؛ يقال أقلع عمّا كان عليه .

والكاف من قوله فإنّكِ الخ مكسورة ؛ لأنّه خطاب مع امرأته .

وقوله : ولم يُلهِنى أى لم يَشغَلنى . والمقنّع : اسم مفعول ، الذى ألبس المِقْنَع والمِقنعة بالكسر ، وهما ما تقنّع به المرأة رأسَها أى تغطّيه . والقِناع أوسع من المِقنعة . وإنما لم يقل المُقنَّعَة بالتأنيث لأنّه جرى على لفظ الغزال .

---

(١) لا يوجد شيء من هذه الأبيات فى نوادر أبى زيد طبع بيروت ، وهو دليل على نقص هذه النسخة .

(٢) البيان والتبيين ١ : ١٠ و ٢ : ٣٥٨ بدون نسبة . وفى الموضع الأول أنشد البيت الثالث والرابع . وفى الموضع الثانى أنشد البيت الأول مع بيتين آخرين .

وكلّهم روى هذا الشعر لمسكين الدارميّ — وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين بعد المائة[١] — إلاّ الجاحظ والأعلم الشنتمرى ، فإنهما نسباه إلى كعب بن سعد الغنوى . ونسبه التبريزى إلى عُتبة بن بُجير ، وبعضُ شرّاح الحماسة .

وقد انفرد ابن الشَّجرىُّ بنسبته إلى عُتبة بن مسكين الدارِمىّ ، فإنّه قال: محادثة الضيف من دلائل الكرم ؛ وقد مدحوا [بذلك وتمدّحوا[٢]] به : فمن المدح قول الشمّاخ يمدح عبد الله بن جعفر :

إنّك يا ابنَ جعفر نِعْمَ الفتى ونعمَ مَأوى طارقٍ إذا أتى
ورَبُّ ضيف طرقَ الحىَّ سُرَى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى
إنَّ الحديث طَرَفٌ من القِرَى

ومن التمدّح قول عُتبة بن مسكين الدارمى :

لحافى لحافُ الضَّيف والبيتُ بيته . . . . (البيتين)

وقوله : ورَبُّ ضيف ، هو بفتح الراء وضمّ الباء عطف على نِعْمْ[٣] .

وقد نسب ابن الشجرى مسكينَ الدارمىَّ[٤] إلى البخل ، فإنه قال قبل بيتك البيتين :

ومن شعره الذى استُدلّ به على بخله قوله يذكر ضيفاً نزل به :

أتَى يَخبط الظلماء والليلُ دامسٌ يسائلُ عن غير الذى هو آمِلُ

(١) الخزانة ٣ : ٦٩ .
(٢) التكملة من ش وابن الشجرى .
(٣) أى على فاعل نعم . والوجه أن يكون « رُبَّ ضيف » .
(٤) هذا على الحكاية ، والا فالوجه « مسكينا الدرامى » .

فقلت لها قُومى إليه فيسِّرى طعاماً فإنَّ الضيف لا بدَّ نازلُ ١٨١
يقول وقد ألقَى مَراسِيه للقِرى أبِنْ لىَ ما الحجّاجُ بالناس فاعلُ
فقلتُ لعمرى ما لهذا طرقتَنا فكُلْ ودَعِ الحجّاجَ ما أنت آكل
أتانا ولم يَعْدِلْه سَحبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذى هو قائلُ[1]
فما زال عنه اللَّقْمُ حتى كأنَّه من العِىِّ لمّا أن تكلَّمَ باقلُ

قوله : ألقى مراسيه ، أى ألقى أثقاله وثبت كلَّ الثبات . وسؤاله عن الحجاج هو الذى عناه بقوله : « يسائل عن غير الذى هو آمل » . وطرقتَنا : أتيتنا ليلا . وقوله : فما زال عنه اللقم الخ ، أراد أنه امتلأ من الطعام حتَّى كسبته الكظّة العىّ ، كقولهم : « البطْنَة تذهِب الفِطنة » . ولمّا بدأه الضيف بالحديث وسأله عن الحجاج طلباً للاستئناس ، قطع عليه كلامه بقوله : ما لهذا طرقتنا ، فكُلْ ودَعِ الحجّاج . وهذا منه نهايةٌ فى البخل ، لأنّ محادثة الضيف من دلائل الكرم[2] . انتهى كلام ابن الشجرىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) ط : « نائل » صوابه فى ش والبيان ١ : ٦ مع نسبة البيت الى حميد بن ثور .

(٢) انظر أيضا من دلائل بخل مسكين ، ما فى كنايات الجرجانى ٥٧ واللآلىء ١٨٦ : أنه وقع بينه وبين امرأته سباب . فقال مسكين :
نارى ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القدر
فقالت امرأته متهكمة : القدر للجار ، فهى تنزل اليه قبله ! ثم قال :
ما ضر جارا لى أجاوره ألا يكون لبابه ستر
فقالت : بل يتسور على جارته فلا يشميها سترها منه .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٤ . وانظر همع الهوامع ٢ : ٤٨ ، ١٣٩ وديوان الأعشى ٢٥ .

٢٩٤ (الواهب المائةِ الهجانِ وعبدِها [عُوذاً تُزَجِّي خَلْفَها أطفالَها(١)])

على أنّه قد يجعل ضمير المعرَّف باللام فى التابع مثلَ المعرَّف باللام ؛ فإن قوله (عبدِها) بالجر معطوف على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه آل . واغتُفر هذا لكونه تابعاً ، والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المتبوع .

قال أبو بكر بن السرّاج فى باب العطف : ومما جاء فى العطف لا يجوز فى الأول قول العرب : كلُّ شاة وسَخْلتِها بدرهم ، ولو جعلت السَّخلة تلى كلّ لم يستقم . ومن كلام العرب : هذا الضارب الرجل وزيدٍ ، ولو كان زيد يلى الضارب لم يكن جرّ . وينشدون هذا البيت جرًّا :

* الواهب المائةِ الهِجانِ وعبدِها *

وكان أبو العبّاس المبرّد يفرق بين عبدها وزيد ويقول : إنّ الضمير فى عبدها هو المائة ، فكأنه قال : وعبد المائة ، ولا يَستحسِن ذلك فى زيد ولا يجيزه . وأجازه سيبويه والمازنىّ ، ولا أعلمهم قاسوه إلاّ على هذا البيت . وقال المازنىّ : إنّه من كلام العرب . والذى قاله أبو العباس أولى وأحسن . انتهى

وقال الأعلم : قد غلط سيبويه فى استشهاده بهذا ، لأنّ العبد مضاف إلى ضمير المائة ، وضميرُها بمنزلتها ، وهذا جائز بإجماع ، وليس مثل الضارب الرجل وعبد الله ، لأن عبد الله علم كالفرد ، لم يضف إلى ضمير الأوّل فيكون بمنزلته . وإنما احتجّ سيبويه بهذا بعد أن صحّ عنده بالقياس جواز الجرّ فى الاسم المعطوف . وأنشد البيت ليُرى ضرباً من المثال فى الاسم المعطوف . لأنّه حجة له ، لا أنه ليس يجوز فيه غيره . هذا كلامه .

---

(١) التكملة من ش .

ومعنى البيت أنّ هذا الممدوح يهب المائةَ من الإبل الكريمة ، ويهب راعيَها أيضاً ، وهو المراد من العبد . وخصّ الهجان لأنّه أكرمها . والهجان : البيض ؛ قال الجوهرى : هو من الإبل الأبيض ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ؛ وقال الأصمعى . الهجان : الكرام ، وأصل الهجان البياض ، وهى تكون للواحد والجمع ، وربما جُمع هجائنَ كما قالوا شمال وشمائل

وعوذا : حال من الهجان ، وهو جمع عائذ بالعين المهملة والذال المعجمة ؛ وهذا جمع غريب ، ونظيره حائل وحُول وفاره وفُرْه . قال ابن الأثير (فى النهاية) : العائذ : الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أيّامًا حتَّى يقوى ولدها . وقال شارح ديوان الأعشى : العوذ : الحديثات النَتاج قبل أن تُوفىَ خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطْفِل بعده . وقال ابن خلف : هى الحديثة النتاج ، كان معها ولد أو لم يكن . قال الأعلم : وسمِّيت عائذاً لأنَّ ولدها يعوذُ بها لصغره ، وبُنى على فاعل لأنّه على نية النسب لاعلى ما يوجب التصريف ، كما قالوا عِيشة راضية . وتزجّى[1] : بالزاى المعجمة والجيم أى تسوق ، والتّزجيَة : السَّوق ، ومثله الإزجاء . وروى بدله (ترشّح) والترشيح . التربية ، يعنى إذا تخلّفت أولادها وقفت وحنّت حتَّى يلحق أولادها بها فتغذّيها وتدفعها[2] ، وكذلك التزجية . وقيل إنما تكون التزجية من بين يديها . وفاعل تزجِّى ضمير العُوذ ، والجملة صفة لها ، وأطفالها مفعول تزجّى .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون — وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد صاحب الشاه

(١) هذا الصواب لا ما قاله الأعلم بالبناء للمفعول ، فانه يستلزم رفع الروى ، وحركة روى القصيدة انما هى الفتح .

(٢) ش : « فتقويه وتدفعه » .

الثالث والعشرين فى أوائل الكتاب[١] — وقد استعمل هذا المعنى فى شعره كثيراً ، منها قوله :

الواهب المائةِ الهجانِ وعبدِها قُطُناً تشبِّهها النخيلَ المُكْرِعا

القطُن والقَطِين : أتباع الملك ؛ وهو حال [من العبد[٢]] . وتشبِّهها بالخطاب . والمُكرِع ، بوزن اسم الفاعل : النَّخيل التى على جُول الماء[٣]

ومنها قوله :

هو الواهبُ المائةَ المصطفا ةَ إمّا مَخاضاً وإمّا عِشارا

وقال أيضاً فى قصيدة نونية :

هو الواهبُ المائةَ المصطفا ةَ كالنَّخْلِ زيَّنها بالرَّجَنْ

والرَّجن ، بفتح الراء المهملة وبالجيم ، قال فى الصحاح : قال الفراء : رَجَنَت الإبلُ ورجِنت أيضاً بالكسر وهى راجنة ؛ وقد رَجَنتها أنا وأرجنتها : إذا حبستَها لتَعلِفَها ولم تسرِّحْها .

وقد سبَق الأعشى فى هذا المعنى إمّا بشرُ بن أبى خازم ، وإمّا أوس ابن حجر ، فإنّهما متعاصران وكانا قبله : قال الأوّل يمدح عمرَو بنَ أم أُناس :

والمانح المائةَ الهجانَ بأسرها تُزْجى مَطافِلَها كجنّة يثربِ

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا فى ش . وجول البئر ، بالضم : جانبها . وفى ط : « حول » بالمهملة .

وقال الثانى يمدح فَضالة :

الواهب المائةَ المِعْكاء يشفعها يوم النضار بأخرى غير مجهودِ[١]

والمِعكاء، بكسر الميم وسكون العين المهملة بعدها كاف، قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : يقال أعطاه مائة معْكاء : إذا أعطاه مائةً من الإبل سماناً غلاظاً . وأنشد هذا البيت .

وتلك القصيدة يمدح بها الأعشى قيسَ بن مَعْدِيكربَ الكندىّ . وهذا مطلعها :

١٨٣

(رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدوةً أجمالَها غَضْبَي عليكَ فما تقولُ بَدَا لَها
هذا النهارُ بدَا لها من همِّها ما بالُها بالليل زال زوالها
سفهاً، وهل تَدرى سُمَيّةُ ويحَها أنْ ربَّ غانيةٍ قطعتُ وِصالها)

ثم قال :

(وسَبيئةٍ ممّا تُعتِّقُ بابلٌ كدَم الذَّبيح سلبتُها جِريالَها[٢]
وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ قد قلْتُها ليقالَ من ذَا قالها)

ثم وصف ناقته فقال مخاطباً لها[٣] :

(ولقد نزلت بخيرِ من وَطِىء الحصَى قيسٍ فأثبتَ نَعلَها وقِبالها
ما النيلُ أصبح زاخراً من مدِّه جادت له ريحُ الصَبا فجرى لَها[٤]

(١) فى ديوان أوس ٢٥ : « يوم النضال » ، وفى اللسان (عكا) : « يوم الفضال » .

(٢) فى النسختين : « يعتق بابل » والشرح ورواية الديوان ٢٣ يقتضى ما أثبت .

(٣) الحق أن الشعر الآلى اخبار لاخطاب . وانظر القصيدة فى الديوان .

(٤)ط : « جاءت له ريح الصبا » ، وأثبت ما فى ش والديوان ٢٤ .

زَبداً بعصرٍ يومَ يَسقى أهلَها وغدًا تفجِّره النبيطُ خِلالَها
يوماً بأغزر نائلاً منـه إذا نفسُ البخيل تجهمتْ سُؤَّالَها
الواهب المائة الهجان وعبدها . . . . البيت
والقارحِ الأحوى وكلَّ طِمِرَّةٍ ما إن تنالُ يدُ الطويل قَذالَها)

وقال فى آخر القصيدة :

(وإذا تجىء كتيبةٌ ملمومة خَرساء يَخشى الذائدون نِهالَها
كنتَ المقدَّم غير لابسِ جُنَّة بالسَيف تَضرِبُ مُعْـلِماً أبطالَها
وعرفتَ أنَّ النفسَ تلقى حَتفَها ما شاء خالقُها المليكُ قَضى لها)

قوله : رحلت سمّية الخ ، الأجمال : هى الجمال ، ورحَلَتْها : حمَّلتهـا ، وسُمية : اسم امرأة .

وقوله : هذا النهار بدا لهـا الخ ؛ قال أبو على (فى الايضاح الشعرى) رواه أبو الحسن : « هذا النَّهارَ » بالنصب ، وكذلك رواه أبو عَمرو الشيبانى ، فامّا من رفع النهار فجعله وصفاً لهذا وحذف الراجع من خبر المبتدأ ، كأنه قال : هذا النهارُ بدا لها فيه . فأما فاعل بدا فيكون ضمير المصدر ، أى بدا البُداء ، وقوله : من همّها ، حال من هذا الفاعل ، ويجوز على قول الأخفش بزيادة مِن فى الواجب أن يكون مجرورها فاعل بدًا . ومن استجاز حذف الفاعل ممّن خالف سيبويه أجاز أن يكون مِن همّها صفة للفاعل المحذوف ، كأنه قال : بدا لها بَدَاء[1] من همِّها . ومن نصب النهار ففيه وجهان : أحدها أن يكون على حدّ زيداً مررت به ، والآخر أن يكون ظرفاً لبدا ، كأنه قال : بدا لها البَداء من همِّها

---

(١) ط : « بدو » صوابه فى ش وما يقتضيه الشرح بعده .

فى هذا النهار . ويجوز أن يكون قوله : هذا ، فيمن نصب النهار إشارة إلى الارتحال ، كأنّه لمّا قال : رحلت قال : هذا الارتحال بدا لها النهار ، فيكون فى بدا ذكر يعود إلى المبتدأ الذى هو هذا . وكان المعنى عليه ، لأنّ المعنى هذا الارتحال والمفارقة قد بدا لها فى النهار ، فما بالها بالليل يعتادنا خيالُها ، هلاّ فارقَتْنا بالليل كما فارقتنا بالنهار . فأمّا فاعل زال فيمن نصب زوالَها ، فجائز أن يكون الهمّ ، لأنّ ذكْره قد تقدّم ، كأنّه قال: زال الهمّ زوالَها ، فدعا عليها بأن يزول الهمّ زوالَها ، أى زوالُ همِّها معها حيث زالت . وقد حُكى هذا القول ١٨٤ عن أبى عمرو الشيبانى . ويجوز أن يكون الفاعل اسم الله تعالى كأنه قال : زال الله زوالَها ، من قوله زلتُه فلم يزُل ، وعلى هذا قول ذى الرمّة :

وبيضاء لا تنحاش منّا ، وأمّها إذا ما رأتنا زيل منا زويلها

انتهى كلامُ أبى على ، وكأنّه لم يطلع على ما للعلماء بالشعر فى هذا البيت . وقد جمعه حمزة بن الحسن (فى كتاب التنبيه على حُدوث التصحيف) قال[1] : قوله : « هذا النهار بدا » قال الأخفش : النهار ظرف أى فى هذا النهار . وقوله : « من همها ما بالها بالليل » قال بعضهم : يقول : هذا الارتحال الذى يرى لنا من همِّها فى النهار ، فما بالها بالليل إذا نمنا ألمّ بنا خيالها . وقال آخر : يقول : هذا الهمّ بدا لها نهارا ، والهمّ ما همّت به من مفارقته وصرمه . وقال آخر : هى بالنهار تخاف العيون وتراقب الوشاة ، فما بالها بالليل أيضاً بمثل تلك الحال لا تزورنى وقد زال عنها ما تحاذر . وقال آخر : إنّما رده على آخر البيت الأول ، وهو قوله : فما تقول بدا لها ، ثم قال مفسراً

(٢) التنبيه لحمزة بن الحسن ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ طبع بغداد ١٩٦٧ .

لذلك : بدا لها أن همّت بصرمى نهاراً ، فما بالها بالليل ؛ أى ما لنا ولَهاَ بالليل لَسْناَ نَنامُهُ[١] شوقاً إليها وذكراً لها . وقوله : « زال زوالَها » قال الأصمعىّ : هو دعاء على المرأة ، أى هذه المرأة لا أكاد أراها بالنهار فإذا جاء الليل إذ أتانِى خيالها[٢] فما بالها ؟ ثم دعا عليها فقال : زال زوالها ، ومعناه لا زال همُّها يزول زوالَها أى يزول معها ، أراد أنّه لا يفارقها . وقال بعضهم : هذا دعاء على الهمّ ، ومعناه زال الهمُّ معها حيث زالت[٣] . وقال أبو عمرو : هى كلمة يُدعَى بها ، فتركها على حالها . وقال بعضهم : هو دعاء على الخيال ، ومعناه أذهب الله خيالَها عنّى كما ذهبت هى فأستريح . وقال الأخفش : هو دعاء على الليل ، ومعناه أزال الله الليل الذى نقاسى فيه منه ما نقاسيه مع صَرمها لنا نهارا كما زالت سُمَيّة . وهذا كما تقول : هلك فلان ، أى أهلكه الله . وقال الأخفش : قال بعضهم : زال هنا بمعنى أزال ، وهى لغة قوم من العرب ، تقول زُلت الرجلَ عن مَقامه بمعنى أزلته . وعليه قول ذى الرمة :

* زيل منها زويلها[٤] *

فكأنّه قال : ما بال هذا الليل أزالها .

ويُحكى هذا القول بعينه عن أبى عبيدة . وقال الأصمعىّ فى بعض

---

(١) فى التنبيه : « ليست تدعنا ننامه » .

(٢) ط : « اذانى خيالها » ش : « أتانى خيالها » ، والوجه ما أثبت من التنبيه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ش ، وكتب ناسخها فى الهامش : « لعله كانت » . وفى ط : « حيث كانت » ، فأثبت ما فى التنبيه .

(٤) البيت بتمامه فى ديوان ذى الرمة ٥٥٤ :

وبيضاء لاتنحاش منا وأمها ... اذا مارأتنا زيل منها زويلها

الحكايات عنه : هذا مقلوب ، يجب أن يقول زالت زوالَه أى زوال النهار ؛ ثمّ قلَب الكلام كما قال الشاعر :

. . . . كما كان الزناء فريضةَ الرَّجْمِ[1]

وقال بعضهم : هو خبرٌ ليس بدعاء ، ومعناه مابال حظّنا من سميّة بالليل قد زال كما زالت .وإنّما يريد تأخّر الخيال عنه الذى كان يقوم مقامَها فيستريح إليه . وعلّة تأخّر الخيال عنه أنه سهر لفراقها فلم ينم فيبصره . قال :وقد يجوز أن يكون دعاء على الليل إذْ فاته حظُّه فيه منها . وقال أبو عمرو : أنا أرويه : « زالَ زوالُها » بالرفع ، وإن كان اقواء ؛ وعلى هذا يكون دعاء على المرأة بالهلاك وأن تذهب من الدُّنيا ؛ والأعشى شاعر أفحل من أن يُقوىَ . وقال بعضهم : هو دعاء منه لسميّة لا عليها ، زال ماتهُمُّ به من صرمنا فى النهار والليل ، كما زالت هى ، أى زال عنا همُّها بذلك . وقال بعضهم : هو إخبار عن الليل وفيه تقدير قد ، أى قد زال زوالها ، أى كأنّ الليل الذى كان لنا منها قد زال ، وهذا كما تقول : مالى مع فلان ليلٌ ولا نهار ، وإنما تعنى مالى حظّ من الليل ولا النهار ، ولست تعنى أنّ هناك نهاراً ولا ليلا . انتهى ما أورده حمزة .

١٨٥

وقوله : وسبيئة ممّا تعتّق بابل الخ ، السَّبيئةُ : الخمر ، فعيلة بمعنى مفعولة ، من سبأت الخمر سبْئا : إذا اشتريتَها لتشربَها ، والاسم السِّباء بالكسر على فِعال ، والسَّبَّاء : الخمّار وزناً ومعنى . والجِريال ، بكسر الجيم وبعد الراء

(١) البيت للنابغة الجعدى فى ديوانه ٢٣٥ واللسان (زنا) . وأوله :

* كانت فريضة ما أتيت كما *

مثنّاة تحتيّة ، قال الجواليقى (فى المعرَّبات) : هو صِبغ أحمر ، ويقال جِريان بالنون ، وقيل هو ماء الذهب ، وذهب الأصمعى أنّه رومى معرَّب ، ورُوى لى عن الأصمعىّ عن شُعبة عن سِماك بن حرب ، عن يونس بن متّى راوية الأعشى [1] قال : قلت للأعشى : مامعنى قولك : « سلبتُها جِرْيالها » ؟ قال : شربتها حمراء وبُلْتها بيضاء فسلبتها لونها . يقول : لمّا شربتها تنقلتْ لونَها إلى وجهى فصارت حمرتها فيه . وهذا المعنى أراد أبو نواس بقوله :

* أجْدَتْه حُمرتَها فى العين والخدِّ [2] *

وربّما سمّيت الخمر جريالا . انتهى كلامه .

وقوله : « وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ » أى ربَّ قصيدة غريبة فى أسلوبها محكمة .

وقوله : « ولقد نزلت » الخ ، قال شارح الديوان ابن حبيب : يجوز ضم التاء بالتكلم وكسرها بخطاب الناقة ، والمراد لقد نزلتُ برجلى فأثبتَ نعلها ، أى قضى حوائجى . وتجهّمَت بمعنى استثقلت .

وقوله : « والقارحِ الأحوى » الخ ، هو بالجرّ عطف على المائة المجان . والقارح : ماجاوز خمس سنين من ذوات الحافر . والأحوى : ما خالط لونَه لون آخر إذا كان كميتاً مثل صدأ الحديد ، وقيل حُمرة يخالطها سواد . والطِمِرَّة ، بكسرتين وتشديد الراء : المستفز للوثب .

---

(١) فى النسختين : « رواية » ، صوابه فى المعرب ١٠٣ ، وبذلك أصلحه الشنقيطى فى ش .

(٢) فى النسختين وأصل المعرب ١٠٣ : « أخذته حمرتها » ولا يستقيم به الوزن ، ولا هو الرواية ، بل الرواية كما فى ديوان أبى نواس ٢٦٥ : « أجدته » من الاجداء . وصدره :

* كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها *

وقوله : « وإذا تجيء كَتيبة » الخ ، الـكَتيبة : الجيش، والخرساء : التى لايُسمع فيها قَعقعةُ سلاح من كثرة الدروع ، وملومة : مجموعة . والجُنّة ،بالضمّ الوقاية . يريد أنه يهجُم فى الحرب على الأبطال ، غير مكترث بلبس وقاية من السلاح . وهذا غاية فى التهوُّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين(١) :

٢٩٥ * ولَيْسَ حَامِلَنِي إلاَّ ابنُ حَمَّالِ *

على أنَّه قيل النون فى حاملنى هو نون التنوين ، وقيل نون وقاية ، وكلاهما شاذّ . وقيل الرواية (يَحملنى) لاحاملنى . وهذا عجز وصدره :

(ألاَ فتًى من بنى ذُبيانَ يحملنى)

وهو من أبيات لم أرها إلاّ فى كامل المبرّد ، قال فيه : أنشدنا أبو محلّم السَّعْدِىُّ :

(لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حينَ تسألُه	أندَى وأكرمُ من فِنْدِ بن هَطَّالِ
وبيتُ طلحةَ فى عِزّ ومكرُمة	وبيتُ فِندٍ إلى رِبْق وأحمال
ألاَ فتًى من بنى ذُبيانَ يَحمِلُنى ؟	وليس يحملنى إلاَّ ابنُ حَمَّال
فقلت : طلحة أولَى مَن عَمَدتُ له	وجئتُ أمشى إليه مَشْىَ مُختال
مستيقناً أنَّ حَبْلِى سوفَ يُعلِقُه	فى رأس ذَيَّالة أو رأس ذَيَّالِ)

قوله : إلى ربق وأحمال ، أراد جمع حَمَل على القياس كما تقول فى جمع باب فَعَل: جَمَل وأجمال ، وصَنَم وأصنام .

(١) الكامل ٢٠٥ والانصاف ١٢٩ .

وقوله : ألا فتًى من بنى ذبيان يحملنى ، يعنى ذبيانَ بنَ بَغيض بن رَيث ابن غَطَفان بن سعد بن قَيسٍ بن عَيلان بن مُضَر .

وأنشد بعضهم :

* وليس حاملَنى إلاّ ابنُ حَمَّال *

١٨٦ وهذا لا يجوز فى الكلام ، لأنَّه إذا نوّن الاسم لم يتَّصل به المضمر ، لأنّ المضمر لا يقوم ، بنفسه وإنّما يقع معاقباً للتنوين : تقول هذا ضاربٌ زيداً غدا وهذا ضاربُك غدا ، ولا يقع التنوين ههنا ، لأنّه لو وقع لانفصل المضمر . وعلى هذا قول الله عزّوجل : ﴿ إنّا مُنَجُّوكَ وأهْلَكَ[1] ﴾ .وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولَين على الضرورة ــ وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المتقنين[2] يجيز مثل هذا فى الضرورة ، لما ذكرت لك من انفصال الكناية ــ والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمرُونَهُ إذا ما خشُوا يوماً من الأمرِ مُعظَما

وأنشد :

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرُونَهُ جميعاً وأيدى المعْتَفِينَ رَواهِقُهْ

وإنما جاز أن تبيِّن الحركة إذا وقفْتَ[3] فى نون الاثنين والجمع ، لأنه لا يلتبس بالمضمر ، تقول : هما رَجلانِهْ[4] وهم ضاربونَهْ إذا وقفْتَ ، لأنَّه

(١) الآية ٣٣ من العنكبوت .

(٢) فى الكامل ٢٠٦ : « المفتشين » .

(٣) ط : « وقعت » ، صوابه فى ش والكامل . والمراد من تبيين الحركة ايلاؤها هاء السكت .

(٤) فى النسختين : « يرحلانه » ، صوابه من الكامل .

لا يلتبس بالمضمر ، إذ كان لا يقع هـذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربتُهْ وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة ، لأنّ المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لَبساً. فأمَّا قولهم : ارمِهْ واغزُهْ فتلحق الهاء لبيان الحركة ، فإنّما جاز ذلك لِما حذفتَ من أصل الفعل ، ولا يكون[1] فى غير المحذوف . وقوله : فى رأس ذَيّالة ، يعنى فرساً أنثى أو حصاناً . والذيّال : الطويل الذنب . وإنما يُحمَد منه طولُ شعر الذنَب وقِصَر العسيب ، فأما الطويل العسيب فمذموم . اهـ كلام المبرد .

قال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : ليس ما أصَّلَ بصحيح ولا لازم قد قالوا : ضربْتنَهْ وهَلُمَّهْ ، يريدون : ضربْتُنَّ وهَلُمَّ ، والمفعول يقع ههنا . وما ذكرتُه مذكور فى كتاب سيبويه[2] . وأنشد :

* يا أيُّها الناس ألا هَلُمَّهْ *

والمفعول يقع هذا الموقع .

وقوله لَطلحةُ بن حبيب ، اللام للابتداء ، وطلحة مبتدأ وأندى خبره . والسؤال : استدعاء معرفةٍ أو ما يؤدّى إليها ، واستدعاء مال أو ما يؤدى إليه :

فاستدعاء المعرفة جوابُها باللسان ، وتنوب عنه اليد ، فاليد خليفة عنه بالكتابة[3] أو الإشارة . ويتعدى لاثنين ثانيهما بنفسه تارة ، وبحرف الجرّ أخرى ، وهو عن وتنوب عنها الباء .

(١) أى الالحاق ، أو بيان الحركة . وفى النسختين « تكون » ، وأثبت ما فى الكامل .

(٢) سيبويه ٢ : ٢٧٩ .

(٣) فى النسختين : « بالكناية » ، والوجه ما أثبت .

واستدعاء المال جوابه باليد ، وينوب عنه اللسان بوعدٍ أو ردّ ، ويتعدّى بنفسه أو بعن ، قال تعالى : ﴿وإذا سألتموهنّ متاعاً[(١)]﴾ ، وقال : ﴿واسئلوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ[(٢)]﴾ . كذا فى مفردات القرآن للسمين .

وأندى : أفعل تفضيل من النّدى ، وهو السخاء . وفِنْد ، بكسر الفاء وسكون النون : اسم رجل . والرِّبْق ، بكسر الراء وسكون الموحدة : حبل فيه عدّة عُرًا يُشَدُّ به البَهْم ، كلّ عُروةٍ ربقْة بالكسر والفتح ، والجمع كعِنَب . والبَهْم ، بفتح الموحدة وسكون الهاء : ولد الضأن والمعز والبقر ، وقيل صغار الإبل . والأحمال : جمع حَمَل ، بفتح الحاء المهملة والميم : الخروف ، وقيل هو الجذع أى الشابُّ من أولاد الضأن فما دونه . جعل بيت طلحة مظروفاً فى العزّ والمكرمة ، وبيتَ فِنْدٍ منتهياً إلى ماذكر ؛ وأراد أنّ البيت الأوّل مملوء بالخيل وبها يكون العزّ ، والبيت الثانى بيت ذلّ وهَوَانٍ ، لأنّ اقتناء الخرفان عندهم يدلُّ على الفقر والضعف ، وأنَّ بيتهم إنّما هو مربّط للبهائم .

وقوله : ألا فتى من بنى ذبيان إلخ ، ألا هنا للعرض والتحضيض ، وفتًى منصوب بفعل يفسّره يحملنى ، أو منصوب بمحذوف ، أى ألا تُرُونى فتى هذه صفته ، كما قال الخليل فى قوله : ١٨٧

* ألا رجلا جزاه اللهُ خيراً[(٣)] *

ولا يجوز أن تكون للتمنى فيكون فتَى مبنياً معها على الفتح ، لوجود الخبر ،

---

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

(٢) الآية ٣٢ من النساء .

(٣) هو الشاهد ١٦٣ فى الخزانة ٣ : ٥١ وقد تكرر انشاده بعد ذلك . وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

وهو يحملني ؛ فإنَّ التي للتمنِّي لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، والمعنى أيضاً لا يساعد في جعلها للتوبيخ أو للاستفهام عن النفي ، فإنَّه بعيد . ولامعنى لجعْلها هنا للتنبيه . ويحملني : مِن حمله ، إذا أعطاه دابَّةً تحمله . وحَمّال هنا مبالغة حامل ، بالمعنى المذكور . وحاملني ، فيمن رواه ، خبر ليس مقدَّم وما بعد إلاَّ اسمها ؛ وعلى رواية ليس يحملني اسمهاَ ضمير الشأن .

وقوله : فقلتُ ، التاء مضمومة . وعمَدت : قصدت .

وقوله : مستيقناً أنّ حبلي الخ ، هو حال من فاعل أمشي . ويُعْلقه : مضارع أعلق حبله إذا أمكنه أن يعلق حبله ويربطه به . وعَسيب الذَّنَب : مَنْبِته من الجلد والعظم . والمعروف أنه لا يقال ذيَّال إلاَّ أن يكون مع طول الذنب طويلاً في نفسه ، فإن كان طويل الذنب فقط فهو ذائل .

ومُحَلِّم السعْدى ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشدَّدة .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين وهو من أبيات س[1] :

* * *

٢٩٦ (هُمُ الفاعِلُونَ الخَيْرَ والآمِرُونَهُ إذا ماخَشُوا مِنْ مُحْدَثِ الأمْرِ مُعْظَما)

على أنَّه قد جمع في قوله (الآمرونه) النون والضمير ضرورة ، وصوابه والآمِرُوه بحذف نون الجمع للإضافة ، فانَّ حكم الضمير أن يعاقب النون والتنوين ، لأنَّه بمنزلتهما في الضعف والاتصال ، فهو معاقب لهما إذْ[2] كان المظهر مع قوَّته وانفصاله يعاقبهما .

(١) في كتابه ١ : ٩٦ . وانظر الكامل ٢٠٦ ومجالس ثعلب ١٥٠ وابن يعيش ٢ : ١٢٥ والهمع ٢ : ١٥٧ .

(٢) ط : « اذا » ، صوابه في ش .

قال أبو جعفر النحّاس : هذا خطأ عند المبرّد ، لأنَّ المجرور لا يقوم بنفسه ولا يُنطَق به وحده ، فإذا أتى بالتنوين فقد فصل ما لا ينفصل وجمع بين زائدين . وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنَّه قد قال نصًّا : وزعموا أنه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غَلط . انتهى .

ولا يبعد أن يكون من باب الحذف والإيصال ، والأصل والآمرون به ، فحذفت الباء واتَّصل الضمير به ، فإنَّ أمَرَ يتعدى إلى المأمور بنفسه ، وإلى المأمور به بالباء ، يقال أمرته بكذا . والمأمور هنا محذوف ، أى الآمرون الناس بالخير ، فيكون الضمير منصوبًا لا مجروراً . يقول : هؤلاء يفعلون الخير ويأمرون به ، فى وقت خشيتهم الأمرَ العظيمَ من حوادث الدهر ، فلا يمنعهم خوفُ الضرر عن الأمر بالمعروف .

وقد رواه المبرد فيما سبق النقل عنه بما يقرب مما هنا . ورُوى فى (المفصَّل) وغيره :

هُمُ الآمرونَ الخيرَ والفاعلونه إذا ما خشُوا من حادث الدهر مُعظَما

و (المعظَم) : اسم مفعول ، وهو الأمر الذى يعظم دفعُه . وقد روى الجوهرى فى هاء السكت[1] المصراع الثانى كذا :

(إذا ما خَشُوا من مُعظَم الأمر مُفْظِعا)

وهو اسم فاعل من أفظع الأمرُ إفظاعاً ، ومثله من فَظُع الأمر فظاعة : إذا جاوز الحدَّ فى القبح . و (خشُوا) بضمّ الشين ، وأصله خشِيُوا بكسرها ، فحذفت الكسرة ونقلت ضمَّة الياء إليها ثم حذفت الياء للساكنين .

* * *

(١) الصحاح ٦ : ٢٥٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين وهو من ١٨٨
أبيات س[1] :

٢٩٧ (ولم يرتَفقْ والناسُ مُحتضِرُونهُ
جَميعاً وأيدِى المعتَفِينَ رَوَاهِقُه)

لما تقدَّم قبله ، وهو أنه قد جمع النون والضمير فى قوله : (محتضرونه) ضرورة .

والكلام فيه كما تقدَّم فى الذى قبله ، فمن جعل الهاء ضميراً جعلها ضميرَ الممدوح ، ومن جعلها للسكت فإنه احتاجَ إلى تحريكها .

وفيه أنَّ حضَر واحتَضَر إن كان معناه ضدّ غاب فهو لازم ؛ وغير هذا مرادٌ هنا . وإن كان بمعنى شهد فهو متعدّ ، وهذا هو المراد . يقال حضَرتُ القاضىَ أى شهدته . وفى القاموس : حضَر كنصر وعَلِم حُضوراً وحَضارة : ضدّ غاب كاحتَضَر وتحضّر ؛ ويتعدّى يقال حضَره وتحضّره . انتهى . وعلى هذا فالضمير منصوب على المفعولية ، لا أنّه مضاف إليه . ومحتضِرون عامل النصب فيه ، لوجود شرط عمل النصب ؛ وهو جمع محتضِر . و (الارتفاق) : الاتكاء على المرفَق ؛ أى لم يشتغلْ عن قضاء حوائج الناس . ويحتمل أنّ المعنى لم يرتفق بماله ، أى لم يبذله بالرفق بل جارَ عليه بالجود . و (المعتَفون) : الذين يأتون يطلبون المعروف والاحسان ، يقال عفوته : أى أتيته أطلبُ معروفه . و (الرواهق) : جمع راهقة ، مِن رَهقِه من باب تعب ، إذا غشيَه وأتاه .

---

(١) سيبويه ١ : ٩٦ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١٢٥ .

ورهقه بمعنى أدركه وقرُب منه أيضاً . والهـاء يجوز أن تـكون ضميراً وأن تـكون للسكت ..

وهذا البيت أيضاً مصنوع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعـد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٩٨ (الحافِظُو عورةَ العَشِيرَةِ)

على أنّ الضمير بعد الوصف ذى اللام المثنّى والمجموع ، يحتمل عند سيبويه أن يكون مجروراً على الإضافة ، أو منصوباً ، كما ورد الظاهر منصوباً بعده .

قال ابن السرّاج (فى الأصول[2]) : وقد أجازُوا رأيت الضاربى زيداً ، وليس ذلك بحسن ، وإنّما جواز ذلك على أنّك أردت النون فحذفتها لطول الاسم ، كما تقول : الذى ضربتُ زيدٌ فتحذف الهاء من ضربتُه وأنت تريدها . وحذفُ النون من الضَّارِ بَيْنِ والضار بِينَ مع الإعمال قبيح ، قال الشاعر :

الحافِظُو عَورةَ العَشِـيرة لا يَأتيهمُ من ورائنـا نَطَفُ

ولو جرُّوا لـكان الجيِّدَ الصوابَ . اهـ .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنّه حذف النون من الحافظون ، ونصب عورة العشيرة بما فى الصلة ، فـكأنّه قال : الذين حفظوا عورةَ العشيرة . ولم يحذفها للإضافة ، إنّما حذفها تخفيفاً مع ما فيه الألف واللام .

---

(١) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المنصف ١ : ٦٧ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤٧ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٢ .

(٢) ط : « الأطول » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال ابن جنّي : حذفوا النون تشبيهاً لهذه الأسماء المتمكّنة غير الموصولة بالأسماء الموصولة ، لأنّها في معنى الموصولة . قال أبو علي : والأكثر الجرّ ، وقرأ بعضهم : ﴿ والمقيمي الصلاةَ [1] ﴾ بنصب الصلاة ، وحكى أبو الحسن عن أبي السماك[2] : ﴿ واعلموا أنّكم غيرُ مُعْجِزِي اللهَ [3] ﴾ وليست فيه ألف ولام حتى يشبّه بالذين . وقرأ بعضهم أيضاً : ﴿ إنّكم لذائقوا العذابَ الأليمَ[4] ﴾ بالنصب . وقرأ عُمارة بن عَقيل : ﴿ ولا الليلُ سابقُ النهارَ [5] ﴾ بنصب النهار . والأشبه في هذا أن يكون حذف التنوين لالتقاء الساكنين . ١٨٩

ورُوِي : « الحافظو عَورةِ العَشيرة » بجرّ العورة على أنّ الحافظو مضاف ؛ فيكون سقوط النون للإضافة . وقوله : « الحافظو » صوابه « والحافظو » بالواو ، فإنّه معطوف على خبر مبتدإٍ في بيت قبله كما سيأتي . وبه يسقط قول ابن خلف : الحافظو مرفوع بالابتداء أو على الخبر ، وهو مدح كأنّه قال : هم الحافظون عورةَ العشيرة ؛ فحذف المبتدأ ؛ أو الحافظو عورة العشيرة هم فحذف الخبر هذا كلامه ؛ ولا ينبغي أن يُكتَب قبل أن يقف على السِّياق

---

(١) الآية ٣٥ من الحج . وهذه قراءة ابن أبي اسحاق ، والحسن ، وأبي عمرو في رواية . تفسير أبي حيان ٦ : ٣٦٩ .

(٢) كذا في النسختين ، ولعله « أبو السمال » ، واسمه قعنب بن هلال . وانظر لسان الميزان ٤ : ٤٧٥ وطبقات ابن الجزري ٢ : ٢٧ . وفي القراء أيضا « ابن السماك » مصدر بابن وبالكاف في آخره .

(٣) الآية ٢ من التوبة . ولم أهتد الى صاحب القراءة بالتحقيق .

(٤) الآية ٣٨ من الصافات . وهذه قراءة أبي السمال ، وأبان عن ثعلبة بن عاصم . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٥٨ .

(٥) الآية ٤٠ من يس . وهذه قراءة عمارة بن عقبل . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٣٨ .

والسِّياق . ثم بعد هذا فصَّلَ أنّ المبتدأ يحذف فى خمسة مواضع ، والخبر يحذف فى اثنى عشر موضعاً ، ثم أخذ فى بيان أل الموصولة وأل المعرّفة وأنّها سبعة أقسام ، واستوفى الكلام على الجميع . وهذا كلّه تطويل لا طائل له .

و (العَوْرة) : المكان الذى يُخاف منه العدوّ . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوف عورة . وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب ظَهْرُه . و (العَشيرة) : القبيلة ، ولا واحد لها من لفظها ، والجمع عشيرات وعشائر . كذا فى المصباح . ولا يناسبه قول العينى هنا : « وعَشيرة الرجل : الذين يعاشرهم ويعاشرونه » . و (النَّطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، قال صاحب العباب : قال الفرّاء : النَطف العيب ، وقال الليث : النطف : التلطّخ بالعيب . وروى بدله (الوكف) بفتح الواو والكاف أيضاً ، قال صاحب العباب : هو العيب والإثم . وأنشد هذا البيت . وهذا المعنى الثانى أورده أبو عُبيد (فى الغَريب المصنف) قال : وكِف وكَفا من باب فرح . وقد ردّه عليه أبو القاسم علىّ بن حمزة البصرىّ (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) بأنَّ الوَكَف إنما هو العيب . وأنشد هذا البيت .

وكذلك قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) وأنشد هذا البيت .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل ، وأبيات أدب الكاتب) ، وتبعه ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : المعنى نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شىء يُعابُون به : من تضييع ثَغْرهم ، وقِلّة رعايته . هذا على رواية : « مِن ورائنا » . ومن روى : « مِن ورائهم » أخرج الضمير مُخرَج الغيبة على لفظ الألف واللام ، لأنّ معنى الحافظو عورة : نحن الذين يحفظون ، كما تقول أنا الذى قام ، فتخرج الضمير مخرج الغيبة ، وإن كنت

تعنى نفسك ، لأن معناه أنا الرجل الذى قام . وقد يقولون أنا الذى قمت . فعلى هذا رواية من روى : « من ورائنا » . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله من ورائنا أى من غيبنا ، فكنى بوراء عن ذلك فامتدح بحفظهم عورةَ قومهم بظهر الغيب ، وأمنِهم من ناحيتهم كلّ نقص وعيب . ويجوز أن يعنى من وراء حفظنا إياهم وذبِّنا عن حِمامهم ، فحذف المضاف الذى هو حفظ ، وأقام المضاف إليه مُقامه . ومن روى : « من ورائهم » فالمعنى فيه أوضح ، وحمل الضمير على العشيرة أرجح .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لعَمرو بن امرئ القيس الخزرجى ، وهى هذه[1] :

قصيدة الشاهد

(يا مالِ ، والسيِّدُ المعمَّمُ قد	يَبطَرُ فى بعض رأيه السَرَفُ[2]
خالفت فى الرأى كلَّ ذى فَخَرٍ	والحقُّ يامالِ غيرُ ما تَصِفُ[3]
يامال ، والحقُّ إنْ قَنِعْتَ به	فالحقُّ فيه لأمرنا نَصَفُ
لا ترفعِ العَبْدَ فوقَ سنَّتِه	والحقُّ نُوفى به ونَعترفُ
إنَّ بُجَيراً مولًى لقومكمُ	يامال ، والحقُّ عندَه فقِفوا
أُوتيتَ فيه الوفاء معترِفا	بالحقِّ فيه فلا تَكِن تَكِفُ[4]
نحنُ بما عندنا وأنتَ بما	عندك راضٍ والرأىُ مختلف

١٩٠

(١) انظر جمهرة القرشى ١٢٧ وديوان حسان ٢٨٠ حيث نسبت القصيدة فيهما الى عمرو بن امرىء القيس ، وبعض أبياتها فى اللسان (فجر) .

(٢) فى الجمهرة والديوان : « يبطره بعض رأيه السرف » .

(٣) فى ديوان حسان : « كل ذى فجر » ، وكذا فى اللسان (فجر) وفسر الفجر بالجود الواسع والكرم ، من التفجر فى الخير .

(٤) الجمهرة : « بالحق فيه لكم فلا تكفوا » .

نحنُ المَكِينُونَ حيثُ نُحْمَدُ بالـ مُكث ، ونحن المَصالتُ الأُنف
والحافظو عورة العشيرةِ لا يأتيهم من ورائنا وَكَفُ
والله ، لاتزدهى كتيبتَنا أُسْدُ عرين مَقيلُها الغُرُف
إذا مشينا فى الفارسيَّ كما تمشى جمالٌ مَصاعبٌ قُطُف(١)
نَمشى إلى الموت ، من حفائظنا مشياً ذَريعاً وحكْمُنا نَصَفُ
إنَّ سُمَيْراً أبت عشيرتُه أن يعرفوا فوقَ مابه نَصَفُ(٢)
أو تُصدِرَ الخيلُ وهى جافلةٌ تحت هواها جماجمٌ خُفُف(٣)
أو تجرَعوا الغيظَ مابدا لكمُ فهارِشُوا الحربَ حين تنصرفُ
إنى لأَنْمَى إذا انتميتُ إلى عزٍّ منيعٍ وقومُنا شُرُف(٤)
بيضٌ جِعادٌ كأنَّ أعينَهم يَكحَلُها فى الملاحم السَّدَفُ

قوله : يامال ، هو منادى مرخَّم مالك بن العَجْلان . والعمامة عند العرب لايلبسها إلا الأشراف ، والعمائم تيجان العرب . وطرأ الشىء يطرَأ طرآناً مهموز : أى حصل بَغتة . والسَّرَف ، بفتحتين : اسم الاسراف ، وهو مصدر أسرف إسرافاً إذا جاوز القصد .

والفَخَر بفتحتين : لغة فى الفخْر بسكون الخاء ، وهو الافتخار وعَدُّ القديم. والنَّصَف :العدل والاستقامة. والسُّنَّة: الطريقة . وبُجير بضم الموحدة وفتح الجيم .

(١) الجمهرة : « فى الفارسى » ، وفسره بقوله : « الفارسى : الدرع » .

(٢) الجمهرة والديوان : « فوق ما به نطفوا » . والنطف : التلطخ بالعيب .

(٣) الجمهرة والديوان : « تحت صواها » . والصوى : الأعلام . وشبه بها الفرسان فوق الخيل . وبذلك حورها الشنقيطى فى نسخته .

(٤) الجمهرة : « غر كرام وقومنا شرف » .

وتَـكِفُ : مضارعُ وَكِف وكَـفًا من باب فرح : إذا جارَ وَعدل عن الحقّ .

وقوله : « نحن بما عندنا الخ » هذا من شواهد النحاة والمعانيِّين ، حذف فيه خبر نحن ، أى راضون ، بدلالة خبر المبتـدأ الثانى ، وهو أنت راض بما عندك .

وقوله : « نحنُ المَـكِيثون » جمع مَـكيث فَعيل من المُـكْث وهو الانتظار واللَّبث[1] ، أراد به هنا الصَّبر والرزانة ؛ يقـال رجلٌ مَـكيث ، أى رزين . والمَـكْث بالفتح المصدر ، وبالضمّ والـكسر الاسم . والمَصالِتُ : جمع مِصْلت بكسر الميم ، وهو المـاضى فى الأمور لا يهاب شيئاً . وأُنُف بضمّتين : جمع آنف كضارب ، مِن الأَنَفَة وهى الحَمِيّة .

وقوله : « والحافظو عورة الخ » . هو معطوف على المصالت ، أى نحن نحفظ عشيرتنا من أن يصيبهم ما يُعابون به .

وقوله : « لا تزدهى كتيبتنا الخ » تزدهى : تستخفّ . والـكتيبة من الجيوش : ما جُمِـع فلم ينتشر . وهو مفعول والفـاعل أُسْدٌ . والعَرين ، بفتح العين وكسر الراء المهملتين : الغابة والأَجَمَة ، وهى مسكن الأُسـد وأضاف الأُسد إليها لأنّها أشدّ ما تـكون وهى فى الغابة ، ولا يقدر أحد أن يهجُم عليها . والغُرُف بضمّتين : جمـع غَريف بالغين المعجمة ، وهى الغابة والأجمة أيضاً .

وقوله : « إذا مشينا فى الفارسِيِّ » أى بينهم . والمصاعب ، بفتح الميم : جمع مُصعَب بضمها وفتح ثالثة ، هو الفحل الشديد ؛ يقال أصعبْت الجملَ فهو مُصعَب إذا تركته فلم تَركبْه . وقُطُف بضمّتين : جمع قَطوف ١٩١

---

(١) ط : « اللبس » ، صوابه فى ش .

بفتح القاف : البطء ، يقـال قَطَفت الدابّةُ من باب قتل ، إذا مشَت مع تقارُب الخطو .

وقوله : مِن حفائظنا : جمع حَفيظة ، وهى الحَمِيّة والغضب . والذَّرِيع ، بالذال المعجمة : السريع .

وقوله : أو تصدر الخيل الخ ، أو هنا بمعنى إلى . وخُفُفٌ بضمّتين : جمع خَفيف .

والهِرَاش : مصدر هارش ، وهو التحريش وتحريك الفتنة .

وقوله : « إنِّى لأُنمَى إذا أنتميتُ » الأوّل بالبناء للمجهول يقال نميت الرجلَ إلى أبيه نَمْياً : إذا نسبتَه إليه ؛ وانتمى هو : انتسب . وشُرُف ، بضمّتين : أى أشراف .

وقوله : « بيض جعاد الخ » البِيض ، قال ابن السيد (فى شرح سِقط الزَّند) : العرب تمدح السادة بالبياض من اللون ، وإنما يريدون النقاء من العيوب ؛ ورُبمَّا أرادوا به طلاقة الوجه ؛ لأنّ العرب تجعل العُبوس سواداً فى الوجه ، قال تعالى : ﴿ وإذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا[1] ﴾ . والجِعاد : جمع جَعد بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وهو الكريم من الرجال . والملاحم : جمع مَلحَمة بالفتح : القِتال . والسَّدَف ، بفتح السين والدال ، هى الظُّلمة فى لغة نجد ، والضوء فى لغة غيرهم ؛ يقول : سوادُ أعينهم فى الملاحم باقٍ ، لأنّهم أنجادٌ لا تبرق أعينُهُم من الفَزَع فيغيب سوادُها .

---

(١) الآية ٥٨ من النحل .

عمرو بن امرئ القيس

وعمرو بن امرئ القيس خزرجي جاهلي، وهو جدّ عبد الله بن رَواحة.

قصة الشاهد

وكان السبب في القصيدة: أنّه كان لمالك بن العَجْلان مولى يقال له بُجَير، جَلس مع نفر من الأوس من بني عمرو بن عوف، فتفاخروا، فذكر بجيرٌ مالكَ بنَ العَجلان ففضَّله على قومه، وكان سيِّد الحيَّينِ في زمانه: الأوسِ والخزرج، فغضب جماعةٌ من كلام بُجير وعدا عليه رجلٌ من الأوس يقال له سُمَير بن زيد بن مالك، أحد بني عمرو بن عوف فقتله، فبعث مالكٌ إلى بني عمرو بن عوف: أنِ ابعَثوا إليّ بِسُمَير حتَّى أقتله بمولاى، وإلاّ جرّ ذلك الحربَ بيننا. فبعثوا إليه: إنّا نعطيك الرضا فخذْ منا عَقْلَه. فقال: لا آخذ إلاّ ديةَ الصريح — وهي عَشْرٌ من الإبل: ضعف ديةِ المولى، وهي خمس — فقالوا: إنّ هذا منك استذلالٌ لنا وبغيٌ علينا! فأبى مالكٌ إلاّ أخذَ دية الصَّريح، فوقعت الحرب بينهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى نال بعضُ القوم من بعض. ثمّ إنّ رجلاً من الأوس نادى: يا مالك، نشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أن تجعل بيننا حَكَماً من قومك! فارعوى مالكٌ وحكَّموا عمرو بنَ امرئ القيس صاحبَ القصيدة التي ذكرناها، فقضى لمالك بن العَجلان بدية المولى، فأبى مالك وآذَنَ بالحرب، فخذلته بنو الحارث لردّه قضاء عمرو، وأنشد يقول[1]:

إنّ سُمَيراً أرى عشيرتَه قد حَدِبُوا دونه وقد أَنِفُوا[2]

إنْ يكنِ الظنُّ صادقٍ ببني النجّار لا يطعَموا الذي عُلِفُوا

لا يُسلِمونا لمعشرٍ أبداً ما دام منّا ببطنها شرف[3]

(١) انظر جمهرة القرشي ١٢٢ والأغاني ٢ : ١٦٢.

(٢) في اللسان (سمر ٤٥) : «وقد أبقوا»، وما هنا صوابه.

(٣) وكذا في الأغاني. وفي الجمهرة: «لن يسلمونا»، وهو الوجه. وفي الجمهرة أيضا: «ما كان منهم ببطنها شرف».

لكنْ مواليَّ قد بدا لهمُ رأيٌ سوى ما لدىَّ أو ضعفُوا
بين بنى جَحْجَبى وبين بنى زيدٍ فأنَّى لجاريَ التَّلَفُ
يمشون بالبِيض والدُّروع كما تمشى جمالٌ مصاعبٌ قُطُف

١٩٢ كما تَمشَّى الأُسودُ فى رَهج الـ موت إليه وكلُّهم لَهِف[١]

وقال بعده عمرو بن امرئ القيس قصيدته التى شرحناها.

وقال درهم بن زيد أخو سُمَير:

يا قومِ لا تقتُلوا سُمَيراً فإنّ القتلَ فيه البَوارُ والأسَفُ[٢]
لا تقتُلوه تُرِنُّ نسوتُكم على كريمٍ ويفزَع السلفُ[٣]

إلى أن قال:

يا مالِ، والحقُّ إنْ قنَعت به فينا وفىّ لأمرنا نَصَفُ[٤]
إنّ بُجيراً عبدٌ، فخُذْ ثمنًا والحقُّ نُوفِى به ونَعترف
ثم اعلمنْ إن أردتَ ظلم بنى زيد فإنّا ومن له الحلف
لنُصْبِحَنْ دارَكُم بذى لَجَب يكون له من أمامه عزف[٥]
البيضُ حصن لهم إذا فَزِعوا وسابغاتٌ كأنها النُطَفُ[٦]

(١) وكذا فى الأغانى. وهذا البيت وسابقه هما بيت واحد فى الجمهرة:
يمشون مشى الأسود فى رهج الـ موت اليه وكلهم لهف
(٢) فى النسختين: «ان القتل» صوابه من الأغانى ٢ : ١٦٢.
(٣) الأغانى: «ان تقتلوه».
(٤) الأغانى: «فيه وفينا».
(٥) كذا فى النسختين، ماعدا القافية، فهى فى ط: «غرف»، وفى ش: «عزف». ورواية ش توافق الأغانى الا أولها فهى فى الأغانى: «لأصبحن». وفى الأغانى أيضا: «جون له من أمامه».
(٦) النطف، بضم ففتح: جمع نطفة، وهى الماء الصافى قل أو كثر.

والبِيضُ قد فُلّت مَضارُبها ... بها نُفوس الكُماة تُختَطَفُ
كأنَّها فى الأكُفِّ إذْ لَمَعَت ... وَميضُ برقٍ يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخطيم من قصيدةٍ يجيبه (ولم يحضر الوقعة ولا كان فى عصرها[1]) :

أبلغ بنى جحجبى وقومَهمُ ... خَطْمَةَ أنّا وراءهم أُنُف
وأنّنا دون مايسومهم الـ ... أعداءُ مِن ضَيم خُطّة نُكُف
نَفْلى بحدِّ الصَّفيح هامَهُمُ ... وفليُنا هامَهم بها عُنُفُ[2]

وبعد هذا ستة أبيات . فردّ عليه حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا من تلك القصيدة :

دع ذَا وعَدِّ القَريض فى نفرٍ ... يَرْجُونَ مَدحى ، ومدحىَ الشَّرفُ
إن تدعُ قومى فى المجد تلقَهمُ ... أهلَ فَعَالٍ يبدو إذا وُصفوا
إنَّ سُميراً عبدٌ طغى سَفَهاً ... ساعدَهُ أعْبُدٌ لهم نُطَف[3]

ثم إنهم تهيئوا للحرب وتقاتلوا قتالاً شديداً ، ومَشَت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين سنة فى أمر سُمير . فلما طالت الحربُ وكادت العرب يأكل بعضها بعضا ، أرسلوا إلى مالكٍ أن يحكّموا بينهم ثابتَ بنَ المنذر أبا حسّان ، فأجابهم إلى ذلك ، فأتوه وقالوا: قد حكّمناك بيننا . قال : لا حاجة لى فى ذلك .

(١) الأغانى ١٠ : ١٦٣ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٧ وديوان قيس ٥٣ .
(٢) فى الديوان : « بنا عنف » وفى الأغانى « بها جنف » .
(٣) النطف هنا بمعنى الأقراط ، الواحد نطفة بالتحريك وكهمزة . وكان العبد منهم يقرّط . وكذا ساقى الشراب ، ويبدو أن تلك نحلة فارسية . وقد ذكر الأعشى تقريط الساقى فى قوله :
يسعى بها ذو زجاجات له نطف ... مقلص أسفل السربال معتمل

قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردُّوا حكمى كما رددتم حكم عَمرو بن امرئ القيس . فأعطوه عهودهم : أن لا يردّون ما حَكَمَ به[1] ، فحكم أن يُودَى حليفُ مالك دِيَةَ الصَّريح ، ثم تكون السُّنَّةُ فيهم على ما كانت به : الصَّريح على ديته ، والحليف على ديته ؛ وأن يعدُّوا القتلى التى أصابت بعضُهم من بعض[2] ، فيقابَلَ البعضُ بالبعض ، ثم تعطَى الديةُ لمن كان له فضلٌ فى القتلى من الفريقين . فرضُوا بذلك ففَضَلَت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نفر ، فودَتْهم الأوس واصطلحوا . . وقيل : الخمسة المكمِّلة لدية الصريح أعطاها ثابتُ من عنده حين أبت عليه الأوس أن تؤدِّىَ أكثر من خمس ، وأبى مالك أن يقبل أقلّ من عشر ؛ إطفاء لنائرتهم ، ولمًّا لشعَثهم . ١٩٣

وقول مالك : « بين بنى جَحْجَبي الخ » بجاء ساكنة بين جيمين مفتوحتين : حىٌّ من الأوس ، وكذلك بنو بدر . والاستفهام للإنكار .

وقول قيس بن الخطيم : « أبلغ بنى جَحجبَى وقومَهُم » إلى آخره ، خَطْمة بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم ، هو عبد الله بن جُشَم ابن مالك بن الأوس ؛ قيل له لأنَّه ضرب رجلاً بسيفه على خَطْمه أى أنفه ، فسمِّى خطمة . وجَحجَبَى وخَطْمَةُ : حيّانِ لقبيلةِ قيس بن الخطيم ، لأنّه أوسىّ . والسَّوم : التكليف . والخُطّة بالضمّ : الشأن والأمر العظيم . ونُكُف ، بضمّتين : جمع ناكف ، من نَكَفت من كذا ، أى استنكفته وأنِفت منه .

وعُرِف من إيرادنا لهذه القصائد ما وقع من التخليط بين هذه القصائد ،

(١) أن هنا تفسيرية ، ونون « يردون » ثابتة فى ط ، وقد أزالها الشنقيطى فى نسخته .

(٢) فى الأغانى : « الذين أصاب بعضهم من بعض » .

كما فعل ابن السّيد واللّخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، وتبعهما العينىُّ والعباسىّ (فى شرح أبيات التلخيص) فإنّهم جعلوا ما نقلنا من شعر قيس ابن الخطيم مطلعَ القصيدة ، ثم أوردُوا فيها البيت الشاهد وهو : « الحافظو عورة العشيرة » والشاهد الثانى وهو : « نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راضٍ » ، والحال أنّ هذين البيتين من قصيدة عمرو بن امرئ القيس .

ثم اختلف الناسُ فى نسبة البيت الشاهد أعنى : «الحافظو عورة العشيرة» فنسبه التبريزىّ (فى شرح إصلاح المنطق) ، والجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) وابن بَرّىّ (فى حواشى صحاح الجوهرى) إلى عمرو بن امرئ القيس ، كما نسبناه نحن . ونسبه ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) لشُريح بن عمران[1] من بنى قُريظة ، قال : ويقال إنّه لمالك بن العَجْلان الخزرجىّ . ونسبه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل ، وفى شرح أبيات أدب الكاتب) ، وابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، وعلى بن حمزة (فى أغلاط الرواة) ، والعباسىُّ (فى شرح أبيات التلخيص) لقيس بن الخطيم .
والعجب من العينى أنّه نقل عن اللخمى أنّه لعمرو بن امرئ القيس . والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين . وهو من شواهد س[2] :

---

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « عمرو » .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٣ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٧٢ ، ٧٤ والشذور ٤٣٦ والعينى ٤ : ١٢١ والتصريح ٢ : ٣٣ والهمع ٢ : ٢٢٢ والأشمونى ٣ : ٨٧ .

٢٩٩ (أنا ابنُ التاركِ البَكْرِىِّ بِشْراً)

هذا صدرٌ وعجزه :

(عليه الطيرُ ترقُبُه وُقُوعا)

على أنه عند المبرّد لا يتبع مجرور ذى اللام إلاّ ما يمكن وقوعه موقعَ متبوعه : فبشر عنده منصوب لاغير للحمل على محلّ البكرىّ .

أنشده سيبويه بجرّ (بشر) على أنّه بدل أو عطف بيان للفظ البكرىّ وإن لم يكن فى بشر الألفُ واللام . وجاز ذلك عنده لبعده عن الاسم المضاف ، ولأنّه تابع والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المتبوع .

وغلّطه المبرد وقال : الرواية بنصب بشر . واحتجّ بأنّه إنما جاز أنا ابن التارك البكرىّ ، تشبيهاً بالضارب الرجل ، فلما جئتَ ببشر وجعلته بدلاً صار مثل أنا الضارب زيداً ، الذى لا يجوز فيه إلاّ النصب .

قال الزجّاج : الذى ذهب إليه سيبويه أن بشراً عطف البيان الذى يقوم مقام الصفة ، يجوز فيها مالا يجوز فى الموصوف : تقول يا زيد الظريف ؛ ولا يجوز يا الظريف ؛ وكذا أقول الضارب الرجل زيدٍ ولا أقول الضارب زيد .

قال النحاس : وقد قال المبرّد (فى الكتاب الذى سماه الشرح) : القول فى ذلك أنّ قوله : « أنا ابن التارك البكرى بشرٍ » عطف بيان ؛ ولا يكون بدلا لأنّ عطف البيان يجرى مجرى النعت سواء ؛ ألا ترى بيان ذلك فى باب النداء تقول ياهذا زيدٌ ، وإن شئت [زيداً[1]] على عطف البيان فيهما . وإن أردت البدل قلت زيدُ . فهذا واضح جدّا ؛ لأنك أزلت هذا وجعلت ١٩٤

(١) التكملة من ش .

زيداً مكانه منادى . انتهى . وهذا من المبرد رجوع إلى رواية سيبويه وإن كان خالفه فى شىء آخر .

وقد أورده شُرّاح ألفيّة ابن مالك بجرّ بشر على أنه عطف بيان للبكرى لا بدل ؛ لأنه فى حكم تنحية المبدل منه وحلوله محلّه .

و (التارك) إن كان من التَّرك الذى بمعنى الجعل والتصيير فهو متعدٍّ لمفعولين: الأول قد وقع مضافاً إليه ، والثانى هو جملة عليه الطير من المبتدإ والخبر . وإن كان من الترك الذى بمعنى التخلية فهو متعدٍّ لمفعول واحد وهو المضاف إليه ، فيكون الظرف أعنى عليه حالا من البكرى ، والطير فاعل الظرف أو الطير مبتدأ ، وعليه الخبر ، والجملة حال منه ، وجملة ترقبه حال من الطير .

وأعربه الشارح فى عطف البيان فقال : عليه الطير ثانى مفعولى التارك إن جعلناه بمعنى المصيِّر ، وإلاَّ فهو حال . وقوله : ترقبه ، حال من الطير إن كان فاعلا لعليه ، وإن كان مبتدأ فهو حال من الضمير المستكنّ فى عليه . انتهى .

ومعنى (ترقُبه) أى تنتظر ازهاق روحه ، لأن الطير لا يقع على القتيل وبه رَمَق ، ففيه حذف مضاف . وقوله : (وقوعا) فيه أعاريب : أجودها أنه مفعول له ، أى تنتظر ازهاق روحه للوقوع عليه . وقال الأعلم وتبعه ابن خلف إنه حال من الضمير فى ترقبه . ولو رفع على الخبر لجاز . ووقوعٌ عنده جمع واقع وهو ضدّ الطائر . وهذه الحاليّة لا تصحّ من جهة المعنى ، لأنّه لا معنى للانتظار بعد الوقوع على الميت . ولو جعله حالاً من الطير كما قاله بعضهم لكان صحيحاً وكان حينئذ فيه بيانٌ لقوله عليه الطير . وقال ابن يَعيش : وقوعا جمع واقع ، وهو حال إمّا من الضمير المستكنّ فى عليه ، وإمّا من المضمر المرفوع فى ترقبه . وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : ويجوز أن يكون مصدراً فى موضع

الحال . ولم يعيِّنْ صاحبَ الحال . وقال بعض فضلاء العجم (فى إعراب أبيات المفصل) : ولا يبعد أن يجعل وقوعاً مصدراً ويكون منصوبا على البدل من الضمير الراجع إلى بِشْر فى ترقُبُه ؛ لأنّه فى معنى وقوعاً عليه ، فيتخصّص نوع اختصاص ويكون من باب بدل الاشتمال . هذا كلامه ، وهو جيّد ، إلاّ أنّ فيه حذف الضمير . وقال العينىّ : قوله : الطير ، مبتدأ والجملة أعنى قوله ترقبه خبره ، وقد وقعت حالا عن البكرى . وقوله عليه يتعلق بقوله وقوعا . ولا يخفى مافى تعبيره من الاختلال ، وكأنّه لم يبلغه منع تقدُّم معمول المصدر مع هذا الفصل الكثير .

صاحب الشاهد — وهذا البيت للمَرَّار بن سعيد الفَقْعَسِىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(علاَهُ بضَربةٍ بعثَتْ بليلٍ — نَوائحَ وأرخَصتِ البُضوعا
وقاد الخيلَ عائدةً لِكَلْبٍ — ترى لوجيفها رَهَجا سريعا
عجِبْتُ لقائلينَ صهٍ لقوم — عُلاهُمْ يَفْرَعُ الشرفَ الرفيعا)

بعثَتْ أى نبّهت من النوم ، يقال بعثه أى أهَبَّه أى أيقظه . والنوائح :

١٩٥ جمع نائحة ، من ناحت المرأة على الميت نَوحا ، إذا بكت عليه مع صراخ . والبُضوع إما جمع بَضْعة بفتح الموحّدة وسكون الضاد المعجمة ، وهى القطعة من اللحم ؛ وإمّا جمع بُضْع بضمّ فسكون ، يطلق على الفرج والجماع . وروى بدله (البَضيعا) بفتح فكسر ، وهى اللحم . والوَجيف بالجيم : مصدر وجَف الفرس إذا عدا ؛ وأوجفته إذا أعديته ؛ وهو العنَق فى السير بفتحتين . والرَّهَج : الغبار وصَهٍ أى اسكت سكوتاً ماً . ويَفْرَع بالفاء والعين المهملة بمعنى يعلو ، يقال فرعت الجبل إذا صَعِدته . قال ابن السيرافى (فى شرح شواهد س) : بشر فى قوله : أنا ابن التارك البكرىّ بشر ، هو بشر بن عمرو بن مَرْثَد ؛

وقتله رجلٌ من بنى أسد ، ففخرَ المرّارُ بقتله . وبشر هومن بنى بكر بن وائل . وأرخصت البضوعا ، أى أرخصت الضربةُ اللحم على الطير . والبُضوع : جمع بَضعة ، ويروى (البَضيعا) ، وهو اللَّحم . وزعم بعض الرواة أنه يريد بالبضوع بُضوعَ نسائه أى نِكاحَهنَّ ، يقول : لما قتلوه سبَوا نساءه فنكحوهنّ بلامهر . والبضوع : النكاح . والتفسير الأوّل أعجب إلىّ .

قال أبو محمد الأعرابىّ الأسود (فى فرحة الأديب) وقد تقدّمت ترجمته فى أوَّل الكتاب[1] : ما أكثر ما يرجّح ابن السيرافى الردىء على الجيد ؛ وذلك أنّه مال إلى القول بأن البُضوع هنا اللَّحم ؛ ولعمرى أنّها لو كانت لحوم المِعزَى والإبل لجاز أن يقع عليها الرُّخص والغَلاء . والصواب لمّاقتلوه عرَضوا نساءه للسِّباء لأنه لم يبق لهن مَن يحميهنّ ويذود عنهنّ . ثم إنه لم يذكر قاتل بشر مِن أىّ قبائل بنى أسد ؟ وإذا لم يعرف حقيقة هذا لم يدر لأىّ شىء افتخر المرّار بذلك . وقاتله سبع بن الحسحاس الفَقْعَسىّ ، ورئيس الجيش جيش بنى أسد ذلك اليوم خالدُ بنُ نضْلة الفقعسىّ ، وهذا جدّ المرّار بن سعيد بن حبيب ابن خالد بن نَضْلة . انتهى .

ومن العجائب قول العينى : أراد ببشر بشر بنَ عمرو وكان قد جُرح ولم يُعلَم جارحُه ، يقول : أنا ابن الذى ترك بشراً بحيث تنتظر الطيور أن تقع عليه إذا مات . هذا كلامه ، وليت شعرى كيف يفتخر الشاعر بقتيل جُهِل قاتله ! فإن قلت : فعلى قول الأسود الأعرابىّ قاتله سبع بن الحسحاس ، كيف افتخر المرّار به مع أنه ليس بأب من آبائه ولا ممن ينتسب إليه ؟ قلت : افتخاره بجده خالد بن نَضْلة فإنه كان أميرَ الجيش ، وسبعُ المذكورُ كان من أفراد عسكره ومأموراً له ، والفعل لسبع والاسم لخالد .

---

(١) الخزانة ١ : ٤٤ .

يوم قلاب

قال أبو محمد الأعرابى : وكان من حديث هذا اليوم وهو يوم قُلَاب : أنّ حَيًّا من بنى الحارث بن ثعلبة بن دُودان غزَوا وَعليهم خالدُ جدالمرّار المذكور فاعترض بشر بن عمرو لآثارهم ، فلما وصل إليهم قال : عليكم القومَ . قال ابنه : إنّ فى بنى الحارث بن ثعلبة بنى فقعس ، وإن تَلْقَهم تلقَ القتال . فقال: اسكتْ فإنَّ وجهك شبيهٌ بوجه أمك عند البِناء[1] ! فلما التقوا هُزم جيش بشر فاتَّبعه الخيل[2] حتى توالى فى إثره ثلاثةُ فوارس ، فكان أوّلهم سبع بن الحسحاس ، وأوسطهم عُميلة بن المقتبس الوالبى ، وآخرهم خالد بن نَضْلة ، فأدركَتْ نَبْلُ الوالبيّ فرسَ بشر بن عمرو برميةٍ عقَرته ، ولحقه سبعٌ فاعتنقه ، وجاء خالد وقال : ياسبع ، لاتقتلْه فإنّا لا نطلبه بدم ، وعنده مال كثير . وأتتهم الخيل ، فكلما مرّ به رجلٌ أمره بقتله فيزجرُه عنه خالد . ثمّ إنّ رجلا همَّ أن يوجّه السِنان ، فذَمَرَ خالدٌ على ركبتيه وقال : اجتنِبْ أسيرى ! فغضب سبع أن يدَّعيَه خالد ، فدَفَع سبعٌ فى نَحْر بشر فوقع مستلقياً ، فأخذ برجله ثم أتْبع السيفَ فُرَجَ الدرع حتّى خاض به كبدَه ، فقال بشر : أجيروا سراويلى فانّى لم أستعِنْ[3] . وعمد إلى فرسه فاقتاده . انتهى .

١٩٦

المرار بن سعيد

والمرّار بفتح الميم وتشديد الراء المهملة الأولى ، ينسب تارة إلى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وهو جدّه الأعلى .

---

(١) أى البناء عليها ، وهى ليلة زفافها .

(٢) فى نسخة البغدادى من فرحة الأديب : فاتبعته الخيل » .

(٣) ط : « فانى لم أسق » ، صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى اللسان (عين ١٧٤) : « أجر لى سراويلى فانى لم أستعن » . استعان الرجل : حلق عانته .

وهذه نسبته (من المؤتلف والمختلِف للآمدى[١]) : المرّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلة بن الأشتَر بن جَحْوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) ابن فقْعَس بن طَريف ، الشاعرُ المشهور .

ثمّ ذكر بعد هذا خمسة من الشعراء ، مَنْ يقال لهم المرّار .

والمرّار بن سعيد من شعراء الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسية .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان المرّار بن سعيد الأسدى يهاجى المُساورَ بنَ هند ، وكان مُفرِط القِصَر ضئيلا .

تتمـة

هذا المعنى أعنى تتبُّعَ الطير للجيش الغازى للأعداء حتّى تتناولَ من القتلى متداوَلٌ بين الشعراء قديماً وحديثا ، وأوّل من جاء به الأفوَهُ الأوْدِىُّ فى قوله :

وترى الطيرَ على آثارنا رأىَ عينٍ ، ثقةً أن ستُمارُ[٢]

أى تأخذ المِيرَة من لحوم القتلى . وأخذه النابغة الذبيانىُّ فقال :

إذَا ما غزا بالجيش حلّق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانحُ قد أيقنّ أنّ قبيلهُ إذا ما التقى الجيشان أولُ غالبِ
لهنّ عليهم عادةٌ قد عرَفْنها إذا عُرِضَ الخطىُّ فوق الكواثِب[٣]

(١) المؤتلف والمختلف ١٧٦ .
(٢) ديوان الأفوه ١٠ نسخة الشنقيطى و ١٣ من الطرائف الأدبية .
(٣) ط : « الخطبى » ، صوابه فى ش وديوان النابغة .

والكاثبة من الفرس : حيثُ تقع عليه يدُ الفارس . وأخذه الحطيئة فقال :

تَرى عافياتِ الطير قد وثقت لها بشبع من السَّخل العِتاق منازله[١]

وأخذه مسلم بن الوليد فقال :

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها فهنَّ يتبعْنَه فى كلِّ مرتَحَلِ

ثم تبعه أبو نواس وإنْ كان فى عصره :

تتأيّاً الطيرُ غدوَتَهُ ثِقةً بالشِّبْع من جَزَرِه

ثم أخذه أبو تمّام فقال :

وقد ظُلِّلت عقبانُ راياتِهِ ضُحًى بعِقْبان طير فى الدِّماء نواهلِ
أقامت مع الرايات حتَّى كأنّها منَ الجيش إلاّ أنّها لم تقاتِلِ

وكلُّهم قصَّر عن النابغة ، لأنهَ زاد فى المعنى فأحسنَ التركيبَ ، ودلَّ على أنّ الطير إنَّما أكَلَت أعداء الممدوح . وكلامُهم محتَمِل وإن كان أبو تمام قد زاد فى المعنى . على أنّ الطير إذا شبعت ما تسأل : أىُّ القبيلين الغالب ؟ وقد أحسن المتنبِّي فى قوله :

١٩٧ له عَسْكَرَا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تَبْقَ إلاّ جماجمُه

وقال أبو عامر :

وتَدرى كُماةُ الطير أنّ كُماتَهُ إذا لَقيتْ صيدَ الكُماةِ سِباعُ

(١) ط : « قد رتقت لها بسبع » ، صوابه في ش والديوان ٣٨ .

تَطير جياعاً فوقه وتردُّها ظُباهُ إلى الأوكار وهى شِباعُ(١)

وقد أخذ هذا المعنى مَروان بن أبى الجَنوب، فقال يمدح المعتصم:

لا تَشبَعُ الطيْرُ إلاّ فى وقائعه فأينما سارَ سارتْ خلفَه زُمَرا
عوارفًا أنّه فى كل مُعتَرَكٍ لا يُغمِدِ السيف حتى يُكثِرَ الجَزَرا

فأخذه بكر بن النَطّاح فقال:

وترى السِّباعَ من الجوا رحِ فوق عسكرنا جَوانحْ
ثِقةً بأنّا لا نزا لُ نُميرُ ساغبَها الذبائح

وأخذه ابن جَهْوَر فقال:

ترى جوارحَ طير الجوِّ فوقَهمُ بين الأسنَّة والراياتِ تختفقُ

وأخذه آخر فقال:

ولستَ ترى الطيرَ الحوائمَ وُقَّعا من الأرض إلاّ حيث كان مُواقعا

ومنه قول الكُميت بن مَعروف:

وقد سترتْ أسنَّتَهُ المواضى حُدَيّا الجوِّ والرَّخَمُ السِغابُ(٢)

ومنه قول ابن قيسِ الرُّقَيّات:

والطَّير إن سارَ سارت فوق موكبه عوارفًا أنه يَسطو فَيقْرِيها(٣)

(١) ط: «ظباء»، صوابه ما أثبت.

(٢) فى اللسان (حدأ): «قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر الحديا، وهو خطأ، ويجمعونه الحدادى، وهو خطأ».

(٣) ط: «أن يسطو»، صوابه فى ش.

وأخذه عبّاسٌ الخياط فقال :

يا مُطعمَ الطيرِ لحومَ العِدا فكلها تثنى على بأسِهِ

وقال ابن نباتة :

إذا حوّمت فوقَ الرماح نُسورُه أطار إليها الضربُ ما تترقّبُ

وأبدع من هذا كله قولُ المتنبي :

يُطمعُ الطَّيرَ فيهم طولُ أكلهمُ حتّى تكاد على أحيائهم تقعُ

وقد جاء امرؤ القيس بهذا المعنى بوجه آخر فقال :

إذا ماركبنا قال وِلدانُ أهلنا تعالَوا إلى أن يأتنا الصيدُ نَحطِبِ

يقول : قد وثقوا بصيد هذا الفرس فهم يهيّئون لمجىء صيده الحطب .
وأخذه حُميد بن ثور الهلالىّ الصحابى فقال فى صفة الذئب :

ينام بإحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ
إذا ما غدا يوما رأيت غيايةً من الطير يَنظُرْنَ الذى هو صانعُ[(١)]

وأخذه ابن المعتز بلفظ امرئ القيس فقال :

قد وثق القوم له بما طَلَبْ فهو إذا جلّى لصيدٍ واضطرب
عَرّوا سكاكينهُم من القُرُبْ

* * *

(١) فى النسختين : « غيابة » ، صوابه بياءين ، كما فى ديوان حميد ١٠٦ والحيوان ٦ : ٧/١٠٦ : ٢١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى ثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١]: ١٩٨

٣٠٠ ﴿ أقامتْ على رَبْعَيهما جارتا صفًا
كُميتاَ الأعالِي جوْنتَا مُصطلاهُما ﴾

على أنّ الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهرٍ مضاف إلى ضمير صاحبها .

ينبغي أن تُشرَحَ أولاً ألفاظُه اللغوية حتى يظهر ما ينبني عليه من المسألة النحوية فنقول :

هذا البيت للشّماخ بن ضرار ، وقد تقدمت ترجمة في الشاهد الحادى صاحب الشاهد والتسعين بعد المائة [٢]. وقَبل هذا بيت وهو مطلع القصيدة :

(أمِن دِمنتين عرّس الركبُ فيهما بحَقْلِ الرُّخامَى قد أنَى لِبِلاُهما

وقد أوردهما معًا سيبويه (في كتابه) وبعدهما :

وإرثُ رمادٍ كالحمامةِ مائِلٍ ونُؤيان في مظلومتين كُداهما
أقاما للَيلى والرَّباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما
فقاضتْ دموعي في الرِّداء كأنَّها عَزَالِي شَعيبيْ مُخْلِفٍ وكُلاَهما)

قوله (أمن دمنتين) ، الجار متعلّق بمحذوف تقديره أتحزَن أو أتجزع من دمنتين رأيتَهما فتذكّرتَ من كان يحلُّ بهما . والاستفهام تقريريّ ، والخطاب لنفسه . ذكر في هذه الأبيات أنّه رأى منازل حبائبه ، وأنه لم يبق فيها غير الأثافي والرماد والنؤي . والدمنة بالكسر : الموضع الذي أثَّر فيه

---

(١) في كتابه ١ : ١٠٢ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٢٠ وابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٦ والعيني ٣ : ٥٨٧ والتصريح ٢ : ١٢٢ والهمع ٢ : ٩٩ والأشموني ٣ : ١١ وديوان الشماخ ٨٦ .
(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

الناس بنزولهم وإقامتهم فيه . والتعريس : نزول المسافرين في آخر الليل قليلا للاستراحة ثم يرتحلون ، وروى بدله « عرَّج الركبُ ». والتعريج : أن يَعطِفوا رواحلهم في الموضع ويقفِوا فيه . والرَّكْب: ركاب الإبل ، جمع راكب. والحقل بفتح المهملة وسكون القاف : القَرَاح الصُّلب ، وهى المزرعة التى ليس عليها بناء ولا شجر . والرُّخامى بضم الراء بعدها خاء معجمة وآخره ألف مقصورة ، وهو شجر مثل الضال وهو السِّدْر البرِّىّ . وبحَقْل الرُّخامى(١) حال من الضمير فى فيهما . وأنَى بالنون فعل ماض بمعنى حانَ . والبِلَى بكسر الموحدة : الفَنَاء والذَّهاب بالمرّة ، واللام زائدة أى قد حان بِلاها . وقد روَى كثيرٌ بدلها : (قد عفا طللاهما) ، وهذا غير صواب ، لأنه يتكرّر مع ما بعده .

وقوله : « أقامت على ربعيهما إلخ » أى بعد ارتحال أهلهما . والرّبع : الدار والمنزل . وضمير المثنّى للدمنتين ، خلافا للسيد المرتضى (فى أماليه) فإنّه قال : يعنى بربعيهما مَنزِلَى الامرأتين اللتين ذكرهما ، مع أنه لم يقدّم ذكرهما بل أخّرهما كما رأيت . وجارتا : فاعل أقامت ، وهو مضاف . والصَّفا بفتح الصاد المهملة والفاء : الصخر الأملس ، واحده صفَاة ، وهو مضاف إليه . قال السيد المرتضى (فى أماليه(٢)) ويعنى بجارتا صَفاً ، الأُثفيَّتين ، لأنّهما مقطوعتان من الصفّا الذى هو الصخر : ويمكن فى قوله : جارتا صَفا ، وجهٌ آخر هو أحسنُ من هذا ، وهو أنَّ الأُثفيَّتَين توضعان قريبًا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لها ، وممسكةً للقِدْر معهما ، ولهذا تقول العرب : « رماه بثَالثةِ الأثافى » أى بالصخرة أو الجبل » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « ويجعل الرخامى » ، وبهذا صححها الشنقيطى بقلمه فى نسخته .

(٢) أمالى المرتضى ٢ : ٣٠ .

١٩٩ وعلى هذا الأخير اقتصر ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه)، وتبعه الجماعة، قال: الصَّفا هو الجبل فى هذا الموضع، وجارتاه: صخرتان تجعلان تحت القِدر، وهما الأثفيَّتان اللتان تقرُبان من الجبل، فيقومُ الجبل مقام صخرةٍ ثالثة تكون تحت القدر. ومقتضى المعنى أنَّ فى كلٍّ من الربعين جارتا صفا[1] لا أنّ فى مجموع الربعين جارتا صفا[1].

وقوله: «كميتا الأعالى الخ» هو صفة جارتا صفا، وهو تركيب إضافىٌّ مثله، وهو مثنَّى كُمَيت بالتصغير من الكُمْتة، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد. وأراد بالأعالى أعالى الجارتين، قال الأعلم: يعنى أنَّ الأعالىَ من الأثفيَّتين لم تسودَّ لبعدها عن مباشرة النار، فهى على لون الجبل. وكذلك قال السيد المرتَضى: شبّه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه، لأنّ النَّار لم تصل إليه فتسوِّده. وقال ابن السيرافيّ، وتبعه مَن بعده: يريد أنَّ أعالىَ الأثافىّ ظهر فيها لون الكُمْتة من ارتفاع النار إليها. وقوله: جونَتَا مُصْطَلاهُما» نعتٌ ثان لقوله: جارتا صفا، وهو تركيب إضافى أيضاً. والجَونة: السَّوداء، والجَون: الأسود وهو صفة مشبَّهة، ويأتى بمعنى الأبيض أيضا، وليس بمرادٍ هنا. ومن الغريب قول النحّاس إنّ الجون هنا هو الأبيض. والمصطلى: اسم مكان الصِّلاء أى الاحتراق بالنار، فيكون المصطلى موضع إحراق النار. يريد أنَّ أسافل الأثافىّ قد اسودّت من إيقاد النار بينها. والضمير المثنَّى فى مصطلاهما، عند سيبويه، لقوله جارتا صفا، وعند المبرّد، للأعالى كما يأتى بيانهما. وزعم بعض فضلاء العجم (فى شواهد المفصّل) أنّ الكُمتة هنا السواد. وهذا غير صواب.

---

(١) هذا على الحكاية، والا فالوجه «جارتى صفا».

وقوله : « وإرث رَماد الخ » هو معطوف على فاعل أقامت . وإرثُ كلِّ شيء : أصله ، وهو بالكسر وآخره ثاء مثلثة . والحمامة هنا : القطاة . شبّه لون الرّماد بريش القطاة . وماثل : منتصب . والنُّؤى ، بالضمّ : حُفَيرة تُحفَر حول الخِباء يجعل تُرابه حاجزاً لئلاَّ يدخل المطر . قال شارح الديوان : والمظلومة : الأرض الغليظة التى يُحفَر فيها فى غير موضع حفر . والكُدْية بالضمّ : الأرض الغليظة التى ظُلِمت كداها ، أى حُفر فيها فى غير موضع حفر .

وقوله : « أقاما لِليلَى الخ » قال شارح الديوان : أى هذان الطللان أقاما بعد أهلهما . أشار إلى أنّ اللام فى لليلَى بمعنى بعد . وذات السّلاَم : موضع . وعفا : تغيَّر . والطَّلل ، قال الأعلم : هو ما شخص من علامات الدار وأشرفَ كالأثفيَّة والوتد ونحوهما ؛ وإن لم يكن له شخص كأثر الرماد وملاعب الغلمان فهو رسم .

وقوله : « كأنّهما عزالِى الخ » هو جمع عَزلاء بفتحِ مهملةٍ وسكونِ معجمة ، وهى فم القِربة ، ومصَبُّ الماء من المزادة . والشَّعيبان : المزادتان ، قال أبو عبيد : الشَّعيب والمزادة والراوية والسَّطيحة شىء واحد . والمُخْلِف : المستَقِى . والكُلى : الرّقاع التى تكون فى المزادة ، واحدها كُلْية .

هذا . وأما محلّ الشاهد فقوله : (جَونتاَ مُصطلاهُما) فإنّه أضاف جَونتا إلى مصطلاهما . قال السيرافى : جونتا مثنّى وهو بمنزلة حسنتا ، وقد أضيفا إلى مصطلاهما ، ومصطلاهما بمنزلة وجههما ، فكأنّه قال حسنتا وجهِهما ، والضمير الذى فى مصطلاهما يعود إلى جارتا صفا ، ومعنى جارتا صفا الأثافىّ ، والصفا هو الجبل ، وإنّما يبنى فى أصل الجبل فى موضعين ما يوضع عليه القدر ، ويكون الجبل هو الثالث ، فالبناء فى موضعين هما جارتا صفا . وقوله : كميتا الأعالى ، يعنى أنّ الأعالى من موضع الأثافى ، لم تسودّ لأنّ الدخان لم يصل

إليها ، فهى على لون الجبل . وجعل الأعلى من الجبل أعالى الجارتين . وجونتا مصطلاهما يعنى مسودّتا المصطلى يعنى الجارتين مسودّتا المصطلى ، وهو موضع الوَقودِ . وقد أنكر هذا على سيبويه وخرّج للبيت ما يُخرَّجُ به عن : حسَنُ وجهِه وحسنةُ وجهِها ، قال : وذلك أنَّه لا خلاف بين النحويين أنَّ قولنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جيّد بالغ ، وأنّه يجوز أن يكنى عن الأخ فنقول زيد حسن وجه الأخ جميلُ وجهِه ، فالهاء تعود إلى الأخ لا إلى زيد ، فكأنا قلنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جميلُ وجه الأخ . قال : فعلى هذا قوله كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما ، كأنه قال جونتا مصطلى الأعالى ، فالضمير فى المصطلى يعود إلى الأعالى لا إلى الجارتين ، فيصير بمنزلة قولك الهندان حسنتا الوجوهِ مليحتا خدودِهما. فان أردت بالضمير فى خدودهما الوجوهَ كان كلاماً مستقيما ، كأنك قلت حسنتا الوجوه مليحتا خدودِ الوجوه . فإن أردت بالضمير الهندين فالمسألة فاسدة ، فكذلك جونتا مصطلاهما إنْ أردت بالضمير الأعالى فهو صحيح ، وإن أردت بالضمير الجارتين فهو رديء ، لأنّه مثل قولك هند حسنة وجهِها .

قال : فإن قال قائل : فإذا كان الضمير فى مصطلاهما يعود إلى الأعالى فلم يثنَّى والأعالى جمع ؟ قيل له : الأعالى فى معنى الأعليين ، فردّ الضمير إلى الأصل . ومثله :

متى ماتلقَنى فردين ترجُف　　رَوانِف أليَتَيكَ وتُستَطارا[1]

فردّ تستطار إلى رانفتين ، لأن روانف فى معنى رانفتين . وعلى هذا يجوز

---

(١) البيت لعنترة ، وهو من شواهد الخزانة وهو الشاهد ٥٦٩ . الخزانة ٣ : ٣٥٩ بولاق .

أن تقول: الهندان حسنتا الوجوه جميلتا خدودهن ، لأنَّ الوجوه فى معنى الوجهين ، فكأنك قلت : جميلتا خدود الوجهين . قال أبو بكر بن ناهض القرطبيّ : هذا التأويل حسن فى إعادة الضمير الذى فى مصطلاهما إلى الأعالى ، لولا مايدخل البيتين [من[1]] فساد المعنى، وذلك أنك إذا قلت كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما ، إنَّ معناه اسودّت الجارتان واصطلى أعاليهما ؛ كما أن معنى قولك الهندان حسنتا الوجوه مليحتا خدودهما ، إنّما المعنى حسنت وجوهُهما ومَلُحت خدودهما ، فكذلك يجب أن يكون مصطلاهما إذا أعيد الضمير إلى الأعالى أن يكون قد اصطلت الأعالى ، وإذا اصطلت الاعالى فقد اسودّت ، وهو يخبر أنهما لم يسودّا لأنهما لم يصل الدُّخَان إليهما ؛ والدليل على ذلك أنّه وصف الأعالى بالكُمْته ولم يصفها بالسَّواد كما وصف الجارتين ، فلايشبه هذا قولك الهندان حسنتا الوجه مليحتا خدودهما ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذين الضميرين قد ارتفع بفعله ، وكذلك يجب أن يرفع ضمير الأعالى بفعله ، فيكون على هذا الأعالى قد اصطلت بالنَّار ، وهذا خلاف ما أراد الشاعر ، لأنه ذكر أنه لم يصطل منها غيرُ الجارتين وأنَّ الأعالىَ لم يصل إليها الدخان . فهذا خلاف ما نظره النحويون وقاسوه . فلا بدَّ من [الذهاب فى] معنى البيت إلى ما ذهب إليه سيبويه ، من أنّ الضمير فى مصطلاهما يعود على الجارتين . انتهى .

٢٠١

وقد رَدَّ ما ذهب إليه المبرّد ابنُ جنى أيضاً بوجه غير هذا ، قال فى باب الحمل على المعنى (من الخصائص) : اعلم أنَّ العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ ، كقولك شكرت من أحسنوا إلىّ على فعله . ولو قلت

---

(١) ليست فى النسختين ، وهى ضرورية فى الكلام .

شكرت من أحسنَ إلىّ على فعلهم جاز ، ولهذا ضعف عندنا أن يكون هما من مصطلاهما فى قوله كميتاً الأعالى جونتا مصطلاهما ، عائداً على الأعالى فى المعنى إذا كانا فاعلين اثنين[1] ، لأنَّه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملاً على المعنى لأنَّه جعل كلّ جهة منهما أعلى ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهذا بعيرٌ ذو عثانينَ ، ونحو ذلك . أو لأنَّ الأعليَيْن شيئان من شيئين ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت مُعاودته إيّاه ، لأنَّه انتكاث وتراجُع فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيدِ ما حذف . على أنه قد جاء منه شىء قال :

* رءوس كبيرِهنّ ينتطحان *

وأما قوله [2] :

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلعا وكِلا أنفيهما رابِى

فليس من هذا الباب وإنْ كان قد عاد من بعد التثنية إلى الإفراد ؛ وذلك أنه لم يقل كلاهما قد أقلعا وأنفه راب فيكون ما أنكرناه ، لكنه قد أعاد كلاَ أخرى غيرَ الأولى فعاملَها على لفظها . ولم يقبح ذلك لأنَّه قد فرغ من حديث الأولى ثم استأنف من بعدها أخرى ، ولم يجعل الضميرين عائدين إلى كلا واحدةٍ . وهذا كقولك : من يقومون أُكرِمُهم ومن يقعدُ أضربه[3] . ولا يحسن ﴿ وَمِنهُمْ مَنْ يَستَمِعُ إلَيْكَ حَتى إذا خرجُوا من

---

(١) وكذا فى بعض أصول الخصائص ٢ : ٤٢١ . والوجه ما فى سائر أصول الخصائص : « كانا أعليين اثنين » .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٣٣ ونوادر أبى زيد ١٦٢ .

(٣) بعده فى الخصائص : « فتأتى بمن الثانية فتعاملها على ما تختار مما يجوز مثله » .

عِنْدِكَ(١) ﴾ لما ذكرناه . وهذا واضح فاعرفه . انتهى .

وهذا مأخوذ من كلام أبي على (فى المسائل البغداديات) وقد بَسط القول على هذا البيت ، فلا بأس بإيراد كلامه قال : فأما قوله : جونتا مصطلاها ، فقد قدَّره سيبويه تقدير حسنةُ وجهِها وجعل قياسه كقياسه ، وكان حكمه عنده - إن أجراه على الأصل دون الحذف - أن يقول : جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما فيُجرى جونٌ على الجارَتَين فيرتفع بجَرْيه عليهما ، لأنّهما مرفوعتان ، ثم يرتفع المصطلى بجون ويعود ضمير التثنية على الجارَتين ، فيكون كقولك الهندان حسنٌ ثوبُهما وهند حسنٌ وجهُها . وإن أجراه على الحذف دون الأصل أن يقول: أقامتْ على ربعيهما جارتا صفاً جونتا المصطلَيات ، فيمن قال الهندان حسنتا الوجوه ، وفيمن قال صفا رحلَيهما ، جونتا المصطليين ، فيصير كقولك الهندان حسنتا الثوبين . فلم يستعمله على الإتمام والأصل ، ولا على الاختصار والحذف ، ولكن جعله كقولك هذه امرأة حسنة وجهها ، فثنّي الجونَة وهما وَصْفا الجارتين وأضافه مثنًّى إلى المصطلى ، وهو هما فى المعنى ، إلاَّ أنه وضع الواحد موضع الجمع فيمن قال حسان الوجوه ، وموضع التثنية فيمن قال صفا رحلَيهما ، وهو المصطلى ، ألا ترى أنّ لكل واحدة من الجارتين مُصطلى . وإنْ وجَّهته على أنّ المصطلى يكون جميع ذلك، وأحد لم يضع واحداً موضع جمع ، ثم أضاف مصطلى

(١) الآية ١٦ من سورة محمد أو القتال . وفى النسختين والخصائص كذلك : « من يستمعون » ، وهو تحريف فى الكتاب واجب اصلاحه ، وهو مع ما فيه غير صالح للاستشهاد . ومن عجب ألا يتنبه ابن جنى ولا البغدادى ولا محقق الخصائص غفر الله لهم . على أنه من أمانة النقل أن أذكر أن فى بعض نسخ أصول الخصائص : « حتى اذا خرج » .

إلى ضمير الجارتين كما أضاف الوجه فى قوله هذه امرأة حسنةُ وجهِها إلى ضمير المرأة بعد إضافة حسن الذى هو الوجه فى المعنى إلى الوجه . فعلى هذا وضع سيبويه هذا البيت . وقد يحتمل غير ما تأوَّله ، وهو ما ذكره بعضهم : من أنّ الشاعر إنَّما رد الضمير المثنَّى فى قوله مصطلاهما إلى الأعالى ، لأنه فى الحقيقة اثنان ، وهذا مثل قوله :

رأتْ جبلاً فوقَ الجِبال إذا التقت رءوسُ كبيرِيهنَّ ينتطحانِ ٢٠٢

ولستُ أعرفُ مَن قائلُ هذا القول ، إلا أنَّه ليس بممتنع . ويخرج الكلام به من أن يكون على قولك هند حسنةُ وجهِها ، لأنَّ الضمير المثنَّى على هذا فى قوله مصطلاهما ، ليس يرجع إلى الجارتين ، إنَّما يرجع إلى الأعالى ؛ لأنَّ الأعالى وإن كان مجموعاً فى اللفظ فهو اثنان فى المعنى ، فحمله على ذلك ، فكأنه قال جونتا مصطلاهما الأعالى . وإذا كان كذلك لم يكن على حسنة وجهها ، لأنّ الجونة لم تضف إلى اسم يتّصل به ضمير يعود إلى الجارَتَين كما يعود مِن الاسم الذى بعد الصفة فى قولك هند حسنةُ وجهِها ضميرٌ يعود إلى هند ، لكون الضمير العائد إلى الجارتين محذوفاً ، كما أنَّ الضمير من هند حسنة الوجه ودعد حسنة وجه الأب محذوف ، فلذلك أنّث جونة من قوله جونتا مصطلاهما ، كما أنّث حسنة فى قولك هند حسنة الوجه ، لأنه لم يعُدْ فيه إلى هند ضمير . وقياس هذا إذا رفع الاسم بالصفة ولم تضف الصفة إلى ما هو فاعلها فى المعنى كحسنٌ وجهٌ وحسنٌ الوجهُ ، أن يقال جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما أعاليهما أو أعليهما ، فمصطلاهما فى موضع رفع مثل قولك هاتان امرأتان حسنٌ غلام أبويهما . وعَيب هذا القول الذى قاله هذا القائل ، هو أنّ التثنية حملت على أنها جمع ، وذلك بعيد ، لأنا وجدناهم يجعلون الاثنين على لفظ الجمع فى نحو

قوله عز وجل : ﴿ إذ تسوّروا المِحراب[١] ﴾ و ﴿ قد صَغَتْ قلوبُكما[٢] ﴾ وبابِه ، ولم نرهم يجعلون لفظ التثنية للجمع . إلا أنه لا يمتنع ذلك فى هذا الموضع ، لأن المجموع الذى هو قولنا الأعالى هنا اثنان فى الحقيقة ، فحمله على المعنى ، أو استعمل اللغتين اللتين فى نحو هذا جميعاً ، فحمل الأول على قوله : ﴿ فقد صَغَتْ قلوبُكما ﴾ والثانى على صفا رحليهما . وليس ذلك بحسن ، لأنّ الراجع أن يكون على لفظ المرجوع إليه أحسن ، إلا أنّ ذلك لا يمتنع . ففى هذا التأويل تخليص للشعر من عَيب وإدخاله فى عيب آخر . انتهى كلام أبى على .

ومثله لابن السَّرَّاج (فى الأصول) قال : وقد حكى سيبويه أن بعضهم يقول زيد حسنُ وجهِه شبّهوه بحسن الوجه ، واحتج بقوله جونتا مصطلاهما ، فجعل المصطلى ههنا فى موضع خفض والهاء والميم راجعة إلى الاثنتين وهما جارتا صفا . وكان حقّه أن يقول جونتا المصطلين . وقال غيره : ليس المعنى على هذا والهاء والميم ترجع إلى الأعالى وإن كانت جمعاً ، لأن معناها معنى اثنين ، وإنما جمعت لأنّها من اثنين كما قال :

* ظهراهما مثلُ ظُهور التُّرْسَين[٣] *

فكان معنى الشعر مصطلى الأعالى . ونظير هذا : هند فارهة العبد حسنة وجهِه . تريد حسنة وجه العبد . ولو قلت حسنة وجهِها كنتَ قد أضفتَ الشىء إلى نفسه . وسيبويه إنَّما ذكر هذا البيت على ضرورة الشاعر والغلط عندى . ثم قال (فى آخر الكتاب ، فى ذكر ما جاء كالشاذّ الذى لا يقاس عليه) : وهو سبعة ، منه تغيير وجه الأعراب للقافية تشبيهاً بما يجوز : قال : وممّا يقرب من

---

(١) الآية ٢١ من ص .

(٢) الآية ٤ من التحريم .

(٣) لخطام المجاشعى ، كما سبق فى ٢ : ٣١٤ .

هذا قوله جَونتا مصطلاهما ، وإنما الكلام المصطلين ، فردّه إلى الأصل في المعنى ، لأنك إذا قلت : مررت برجل حسن الوجه فمعناه حسن وجهه ، فإذا ثنيت قلت مررت برجلين حسنَي الوجه ، فإن رددته إلى أصله قلت برجلين حسن وجوهُهما . فإذا قلت وجوههما لم يكن في حسن ذكرٌ ممّا قبله ، وإذا أتيت بالألف واللام وأضفت الصفة إليها كان في الصفة ذكر الموصوف . ٢٠٣ فكان حق هذا الشاعر لمّا قال مصطلاهما أن يوحِّد الصفة فيقول جون مصطلاهما . انتهى

فقد بانَ لك مما نقلنا عنهم ، وهم أرباب النقد في هذا العلم ، أن الرادّ على سيبويه ليس المبرّد ، لاسيما أبو على فإنّه قال : لا أعرف قائل هذا القول . والشارح المحقق قال هو المبرّد . وفوق كلِّ ذى علم عليم . والله أعلم .

وقد تكلَّم على هذا البيت في باب الصفة المشبّهة أيضاً وقال : كلام المبرّد تكلّف ، والظاهر مع سيبويه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الثلثمائة(١) :

٣٠١ (رَحيبُ قِطابِ الجيبِ مِنْها رَفيقةٌ بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ)

على أن إضافة (رَحيب) إلى (قِطاب) في حكم إضافة جَوْنَتا إلى مصطلاهما ، في القبح . قال السّيرافىّ : ومما يدخل في هذا النحو قول طَرَفة : « رحيب قِطابِ الجيب » البيت ، وهذه الإضافة رديئة بمنزلة حسنة وجهِها ، وذلك أنَّ الأصل وهو الإنشاد الصحيح : « رحيبٌ قطابُ الجيبِ » بتنوين رحيب ، فقطاب يرتفع برحيب وضمير منها يعود إلى الأوّل ، فإذا أضفنا

(١) اللسان (قطب) .

رحيب فقد خلا منه الضمير العائد ، فلا معنى لمنها على مابيّنّا فى حسنة الوجه ، وكذلك لا يحسن أن تقول زيد حسن العين منه . انتهى .

احب الشاهد وهذا البيت من معلقة طرَفة بن العبْد ، وقبله :

(ندامایَ بِیضٌ كالنُّجوم وقَيْنةٌ تَرُوحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ

رحيب قطاب الجيب منها — البيت —

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرتْ لنا على رِسْلِها مَطْروفةً لم تَشَدَّدِ

إذا رَجَّعت فى صوتها خِلْتَ صوتَها تَجاوبَ أظآرٍ على رُبَعٍ رَدِى

وما زال تَشْرَابى الخُمورَ ولَذَّتى وبَيْعى وإنفاقى طَرِيفى ومُتْلَدِى

إلى أن تحامتنى العَشيرةُ كُلُّها وأُفْرِدْتُ إفرادَ البَعير المعبَّدِ

رأيتُ بَنِى غَبْراء لا ينكروننى ولا أهْلُ هذاكَ الطِّرافِ الممدَّدِ)

قوله : « ندامایَ بیضٌ الخ » النَّدامى : الأصحاب ، يقال فلانٌ نديمُ فلان إذا شارَبه ، وفلانةُ نديمة فلان . ويقال ذلك أيضاً إذا صاحبه وحدَّثه وإن لم يكونوا على شراب . قال أبو جعفر : سمِّى النّديم نديماً لنَدامة جذيمةَ الأبرشِ حين قَتل مالكاً وعَقيلاً ابنى فارج ، اللذين أتيا بعمرو ابن أخته فسألاه أن يكون فى سَمَره فوجدَ عليهما فقتلهما وندم ، فسمِّى كل مشارب نديما . وواحدهم نَدْمانٌ ونديم ، والمرأة نَدْمانة ونديمة ، ويقال من الندم نَدمانُ وندْمى . وقوله : بيض كالنجوم ، أى هم ساداتٌ مشاهيرُ كالنجوم . وقوله : وقينة ، معطوف على بيض . والقَينة : المغنِّية ، وكلُّ أمَة قينة ، وإنما قيل لها قينة لأنّها تعمل بيديها مع غِنائها ، والعرب تقول لكلِّ من يصنع بيديه شيئاً قين . ومعنى تروح علينا تجيئنا عَشِيًّا . وروى : « تروح إلينا » . والبُرْد : ثوبُ وَشْيٍ . ومُجْسَد ، هو بضم الميم وسكون الجيم وفتح السين ،

قال الأعلم (فى شرح المعلّقة) المُجْسَد : المصبوغ بالزعفران المشْبَع . والَجساد ، بالفتح : الزعفران . وقال ابن السكّيت (فى شرح ديوانه) : المُجْسَد : الثوب الذى يلى الجسد ، وهو الشِّعار . والمعنى على الأول تأتينا بالعشىّ تارة وعليها بُرُدٌ ، ومرّةً وعليها ثوب مصبوغ بالزعفران . والمعنى على الثانى تأتينا وعليها هذان الثوبان. ٢٠٤

وقوله : « رحيب قطاب الَجيبِ الخ » روى بإضافة رحيب إلى قطاب وتقدّم بيان ضعفه ، وروى تنوين رحيب ورفع قطاب وهو الإنشاد الثابت الصحيح ، فيكون رحيب صفة سببيةً لقينة ، فيكون الرحب وصفاً للقينة فى اللفظ ووصفاً لقطاب الجيب فى المعنى ، لأن المعنى رَحُبَ قِطابُ جيبها ، أى اتّسع . وضمير منها للقينة . وقِطاب الجيب ، بالكسر : مجتمعه حيث قُطب أى جمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب . والرحيب : الواسع ، وإنّما وصَفَ قِطابَ جيبها بالسَّعة لأنّها كانت توسّعه ليبدوَ صدرها فينظر إليه ويتلذّذ به . وليس المعنى أنَّ عنقها واسع فيحتاج إلى أن يكون جَيبها واسعاً ـ كما توهمه أبو جعفر النحوى والخطيب التبريزى ـ فإنَّ هذا الوصف ذم . وقوله : رفيقة ، بفاء وقاف من الرفق ، وهو اللِّين والملاءمة . وروى رَقيقة بقافين من الرقَّة وهو ضدّ الغلظة . والَجسُّ ، بفتح الجيم : اللمس ، أى لمس أوتار اللهو . أى استمرت على الجسّ فهى رفيقة به حاذقة . وقيل جسُّ الندامى ما طلبوا من غنائها ، وقيل جسّ الندامى هو أن يجسُّوا بأيديهم فيلمسوها تلذذاً كما فسّرنا أوّلا ، كما قال الأعشى :

* لجسّ النَدامى فى يد الدِّرع مَفْتَقُ[1] *

---

(١) صدره فى ديوان الأعشى ١٤٧ :

* ورادعة بالمسك صفراء عندنا *

وكانت القينة يُفتَق فتيقٌ في كُمِّها إلى الإبط ، فإذا أراد الرجل أن يلمس منها شيئاً أدخل يده فلمس . والدِّرع : قميص المرأة ، ويده : كمّه . وروى : « لجسّ النَّدَامى » باللام موضع الباء . والبَضّة بفتح الموحدة وتشديد الضاد المعجمة : البيضاء الناعمة البَدَن الرقيقة الجلد . والمتجرَّد ، على صيغة اسم المفعول : ما ستره الثِّياب من الجسد . يقول : هي بضّة الجسم عند التجرُّد من ثيابها والنظر إليها .

وقوله : « إذا نحنُ قُلْنا الخ » أسمِعينا أي غنِّينا . وانبرت ، اعترضت وأخذت فيما طَلبنا من غنائها . ورِسْلها ، بالكسر بمعنى هِينتها ورِفقها ومَهَلها . ومَطروفة ، بالفاء : الفاترة الطَّرْف ، أي كأنَّ عينها طُرفت فهى ساكنة . وقيل إنَّ معناه تُحِدُّ النظرَ بطرفها . وهذا ليس بشيء . وروى : « مطروقة » بالقاف ، ومعناه مسترخية ليّنة . وهو حال من فاعل انبرت . ولم تَشدَّد ، أصله تتشدَّد بتاءين ، أي لم تجتهد وإنما غنَّت ما سهُل عليها .

وقوله : « إذا رجّعت في صوتها » ، الترجيع : ترديد الصوت . والأظآر : جمع ظِئْر وهي التي لها ولد . ورُبَع ، بضمِّ الراء وفتح الموحَّدة : ولد الناقة . ورَدِى فعل ماض من الردَى وهو الهلاك . يقول : إذا طرَّبتْ في صوتها وردَّدت نغماتها حَسبتَ صوتَها أصواتَ نُوقٍ تَحنُّ لهلاك ولدِها . شبّه صوتها بصوتهنّ في التحزين . ويجوز أن يكون الأظآر النساء والربعُ مستعاراً لِوَلدِ الإنسان ، فشبّه صوتَها في التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنوائح على صبيٍّ هالك . وهذا البيت قلَّما يوجد في هذه القصيدة .

وقوله : « ومازال تشرابي الخ » التَّشراب : الشرب ، وهو للتكثير . والطريف والطارف : ما اكتسبه الإنسان من المال . والمُتْلَد ، بصيغة اسم

المفعول ، وكذا التالد والتليد : المال القديم الذى ورثه عن آبائه . ومعناه ٢٠٥
المتولِّد والتاء بدل الواو .

وقوله : « إلى أن تحامَتْني الخ » أى تركتْني . والعشيرة : أهل بيت الرجل والقبيلة . والمعَبَّد ، بزنة اسم المفعول : الأجرب ، وقيل المهنوء الذى سقط وبره فأُفرِد عن الإبل . أى تُرِكتُ ولذَّاتِي .

وقوله : « رأيت بنى غبراء » غَبراء : الأرض ، وبنو غَبراء الفقراء ويدخل فيهم الأضياف . وأهلُ معطوف على الواو فى ينكرونَني . والطِّراف ، بالكسر : بناء من أدَم يكون للأغنياء . والممدَّد : المنصوب . يقول : إن هجرنى الأقارب وصلَتْني الأباعدُ الفقراء والأغنياء ، فالفقراء لإنعامى عليهم ، والأغنياء لاستطابتهم صحبتى ومنادمتى .

وقد تقدَّم شرح أبيات [من] هذه القصيدة .

وترجمة طرفه تقدَّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الثلثمائة :

(إليكم ذَوِى آلِ النبيِّ تَطلَّعتْ نَوازِعُ مِنْ قلبى ظِماء وألبُبُ[2])

على أنَّ إضافة ذوى آل النبي من إضافة المسمَّى إلى الاسم ، أى يا أصحاب هذا الاسم . أراد بهذا الردَّ على من زعم أنّ ذا فى مثله وكذا فى الأبيات الآتية زائد .

---

(١) ترجمة طرفة فى ٢ : ٤١٩ . وأما شرح الأبيات فهو فى ٣ : ١٥١ .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٧ والمحتسب ١ : ٣٤٧ وابن يعيش ١ : ١٥٤ / ٣ : ١٢ ، ١٥٥ واللسان (لبب ٢٢٥)

وهذا كلُّه ملخَّص من كلام ابن جنّى (فى الخصائص وغيره) وإن موجودًا (في المفصّل وشروحه) .

وجوّز أبو عليّ (فى الإيضاح الشعرى) أن يكون ذو زائدًا ، وأن يكون على جعل الاسم المسمَّى على الاتساع ، لمصاحبته له وكثرة الملابسة .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة ابن مسعود من سورة يوسف ﴿ وفوقَ كلِّ ذِى عالمٍ عَليمٌ[1] ﴾ : تحتمل هذه القراءة ثلاثة أوجه :

أحدها أن تكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم ، أى فوق شخص يسمى عالما أو يقال له عليم[2] . وقد كثر عنهم إضافة المسمَّى اسمه ، منه قول الكميت :

إليكم ذَوى آل النبيّ تطلَّعتْ نَوازعُ من نفسى ظِماء وأَلْبُبُ

أى إليكم يا آل النبي ، أى يا أصحاب هذا الاسم الذى هو آل النبي وعليه قول الأعشى :

فكذَّبوها بما قالت فصبَّحَهُم
ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشَّرعا[3]

أى صبَّحهم الجيشُ الذى يقال له آل حسان . وَهو بابٌ واسع تقصّيناه (فى كتاب الخصائص) .

والوجه الثانى : أن يكون عالم مصدرًا كالفالج والباطل .

---

(١) الآية ٧٦ من يوسف . وانظر المحتسب ١ : ٣٤٦ ـ ٨ وتفسير أبى حيان ٥ : ٣٣٣

(٢) فى المحتسب : « يسمى عالما عليم » .

(٣) ديوان الأعشى ٨٣ والخصائص ٣ : ٢٧ .

والثالث : أن يكون على مذهب من يعتقد زيادة ذى . انتهى مختصرًا .

وقد ذكر ابن جنّى هذه الاضافة فى أكثر كتبه ، قال (فى إعراب الحماسة) عند قول طُفيل الغنوى :

وما أنا بالمستَنْكِرِ البينَ إنّنى بذِى لَطَفِ الجيرانِ قِدْماً مُفَجَّعُ

هذا من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، أى إنّنى بالشىء المسمّى بلطَف الجيران . ومثله بيت الشماخ :

* وأدرج دَرْجَ ذِى شَطَنٍ(١) *

أى دَرْج الشىء المسمَّى ذا شطَن أو بشَطَن . ومثله بيت الكميت :

إليكم ذوى آل النبى البيت

أى يا أصحاب هذا الاسم ، وأصحابه هم آل النبى صلى الله عليه وسلم فكأنّه قال : إليكم يا آل النبى ، وأمثاله كثيرة جدًا قد ذكرناها فى غير موضع . ومن ذهب إلى زيادة ذى وذات فى هذا الموضع ذهب إلى زيادتها فى بيت طُفَيل هذا أيضا ، ومعناه فى التأويلين جميعًا أنّنى بلَطفِ الجيرانِ أى بوصلهم مفجّع . ٢٠٦

وقال أيضا (فى أواخر إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فلما رآنى أُبصِرُ الشَخْصَ أشخصاً قريباً وذا الشَّخْصِ البعيدَ أُقاربُه(٢)

---

(١) قطعة من بيت له فى ديوانه ٦١ برواية :

أطار عقيقه عنه نسالا وأدمج دمج ذى شطن بديع

(٢) البيت لفرغان بن الأعرف ، فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٦١ ولم يرد فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٤٥ لكنه ورد فى الحماسة بشرح التبريزى ٤ : ١٩ .

قريباً إن شئت ظرف أى من قريب ، وإن شئت حال ، أى أُبصِره مقارباً أشخُصاً ، معناه أبصره وأنا قريب منه أشخصاً . وقوله : وذا الشخص البعيدَ من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، كقول الشماخ .. ، وقول الأعشى .. ، وقول الكميت . . ، وأنشد الأبيات الثلاثة ، ثم قال : ومعنى أقاربه ، أى أظنّه قريباً . ولو جرَّ البعيد هنا لم يجز ، لأنَّ الشخص فى هذا البيت اسمٌ لا مسمى . ولو قلت سمَّيته بزيد الظريف على هذا لم يجز ، لأنّ الظرف لا توصف به الأسماء .

ثم قال : وقد دعاَ خفاه هذا الموضِع أقواماً[1] إلى أن ذهبوا إلى زيادة ذى وذا فى هذه المواضع ، وإنّما ذلك بعدٌ عن إدراك هذا الموضع . انتهى .

وزادَ (فى الخصائص) على ما ذكرناه أنَّ أبا على حدّثه أنّ أحمد بن إبراهيم أستاذَ ثعلب روى عنهم : هذا ذِو زيد ، أى هذا صاحب هذا الاسم الذى هو زيد .

وقد عقد لهذا باباً (فى الخصائص) وهو باب إضافة الاسم إلى المسمَّى والمسمَّى إلى الاسم[2] ، وأطال الكلام فيه وأطاب ، وقال : هذا موضع كان يعتاده أبو علىّ ويألفه ، ويرتاح لاستعماله[3] ، وهو فصلٌ من العربيّة

(١) لم يرد هذا النص الأخير فى اعراب الحماسة نسخة مكتبة أحمد الثالث ٢٠٢ ، لكنى وجدته فى الخصائص ٣ : ٢٩ . وفى النسختين : « وقد ادعى خفاء هذا الموضع أقوام » ، تحريف .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٤ .

(٣) الكلام بعده الى آخر الفقرة ليس موضعه هنا ، بل موضعه فى آخر الباب ، فقدمه البغدادى عن موضعه .

غريب ، وقلّ من يعتاده أو ينظر فيه ، وقد ذكرته لتراه فتتنبّه على ما هو فى معناه إن شاء الله تعالى .

ثم قال : وفيه دليل يدلّ على فساد قول من ذهب إلى أنّ الاسم هو المسمَّى ، ولو كان إيّاه لم تجز إضافة واحدٍ منهما إلى صاحبه ، لأنَّ الشىء لا يضاف إلى نفسه . قيل لأنّ الغرض من الاضافة إنّما هو التعريف والتخصيص والشىء إنما يعرّفه غيره ؛ لأنّه لو كانت نفسه تعرّفه لما احتاج أبداً إلى أن يعرَّف بغيره ، لأنّ نفسه فى حالى تعريفه وتنكيره واحدة ، وموجودة غير مفتقَدة . ولو كانت نفسه هى المعرِّفة له أيضاً لما احتاج إلى إضافته إليها ، لأنّه ليس فيها إلا ما فيه ، فكان يلزم الاكتفاء به عن إضافته إليها ؛ فلهذا لم يأت عنهم نحو هذا غلامه[1] ، ومررت بصاحبه ، والمظهر هو المضمر المضاف إليه[2] ، هذا مع فساده فى المعنى ، لأنّ الإنسانَ لا يكون أخا نفسه ولا صاحبها .

فإن قلت : فقد تقول مررت بزيدٍ نفسه وهذا نفس الحقّ ، يعنى أنّه هو الحقُّ لا غيره . قيل : ليس الثانى هو ما أضيف إليه من المظهر ، وإنّما النفس هنا بمعنى خالص الشىء وحقيقته ، والعرب تُحلُّ نفسَ الشىء من الشىء محلَّ البعض من الكلّ ، ولهذا حكوا عن أنفسهم مراجعتهم إيَّاها وخطابهاَ لهم ، وأكثروا من ذكر التردّد بينها وبينهم . ألا ترى إلى قوله[3] :

---

(١) فى النسختين : « غلمانه » ، صوابه من الخصائص .

(٢) فى النسختين : « والمظهر والمضمر المضاف اليه » ، صوابه فى الخصائص .

(٣) هو أعرابى قتل أخوه ابنا له . الحماسة ٢٠٧ بشرح المرزوقى .

أقول للنفس تَأساءً وتَعزيةً إحدى يَدَىَّ أصابَتنى ولم تُرِدِ

وقوله :

قالتْ له النفسُ تقدَّمْ راشدًا إنّك لا ترجع إلاّ حامدًا

وأمثال هذا كثير جداً ، وجميع هذا يدلّ على أنَّ نفس الشىء عندهم غير الشىء .

فإن قلت : فقد تقول هذا أخو غلامه ، وهذه جاريةُ بنتِها فتعرّف الأول بما أُضيفَ إلى ضميره ، والذى أضيف إلى ضميره إنّما تعرَّف بذلك الضمير ، ونفس المضاف الأول متعرِّف بالمضاف إلى ضميره ، وقد ترى على هذا أن التعريف الذى استقرّ فى جارية من قولك هذه جارية بنتها ، إنّما أتاها من قِبَلَ ضميرها ، وضميرُها هو هى ، فقد آل الأمر إذاً إلى أنّ الشىء قد يعرِّف نفسه ، وهذا خلاف ما ركبتَه وأعطيتَ يدك به . ٢٠٧

قيل : كيف تصرّفت الحالُ فالجارية إنّما تعرّفت بالبنت ، التى هى غيرها ، وهذا شرط التعريف من جهة الإضافة ، فأما ذلك المضاف إليه أمضاف هو أم غير مضاف فغير قادح . والتعريف الذى أفاده ضمير الأول لم يعرِّف الأول ، وإنّما عرّف ما عرّف الأول ، والذى عرَّف الأوّل غيرُ الأوّل ، فقد استمرت الصفة وسقطت المعارضة .

ويؤكِّد ذلك أيضاً أنَّ الاضافة فى الكلام على ضربين : أحدهما ضمّ الاسم إلى اسمٍ هو غيره بمعنى اللام ، نحو غلام زيد . والآخر ضمُّ اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى من ، نحو هذا ثوبُ خزٍّ . وكلاهما ليس الثانى فيه بالأوّل . واستمرار هذا عندهم يدلُّ على أن المضاف ليس بالمضاف إليه البتة . انتهى .

وقول الكميت : (ذوى آلِ النبى) هو منادى حذف منه حرف النداء ، أى يا أصحاب هذا الاسم . وفيه من التفخيم ما ليس فى قولك يا آل النبى ؛ لأنه قد جعلهم أصحاب هذا الاسم ، ومن كان صاحب هذا الاسم فهو ممدوح . و (تطلَّعَتْ) أى تشوَّفت ، وبه يتعلَّق قوله إليكم . وقدَّمه للحصر ، أى أنا مشتاق إليكم لا إلى غيركم و (نوازع) : جمع نازعة ، من نزعت النفسُ إلى الشىء أى اشتاقت إليه ؛ ومثله نازَعَتْ نُزوعاً ونِزاعاً بالكسر . وهذا كقولهم : جُنّ جُنونه . و (الظِماء) : العِطاش ، يقال ظمِىْ ظمَأً بالهمز ، كعطش عطشاً وزناً ومعنى ، فهو ظمآن وهى ظمأى ، مثل عطشان وعطشى ، والجمع ظِمَاء كسهام . ووصف النوازع بالظماء للمبالغة فى قوّتها وشدتها و (أَلْبُب) : جمع لُبّ بضمّ ، وهو العقل ، وهو شاذّ والقياس أَلُبٌّ بالإدغام ، وهو معطوف على نوازع

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكميت بن زيد — وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[1] — مدح بها آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى إحدى القصائد الهاشميّات ، وهى من جيِّد شعره .

وقد استشهد النحاة بأبيات من هذه القصيدة ، وهذا مطلعها مع جملة أبيات منها :

أبيات الشاهد

(طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منّي ، وذو الشيب يلعبُ ؟

ولم تُلهنى دارٌ ولا رسمُ مَنْزِلٍ ... ولم يَتطرّبْنى بَنَانٌ مخضَّبُ

ولا أنا ممَّن يزجُرُ الطَّيرَ هَمُّهُ ... أصاح غرابٌ أم تعرّضَ ثعلب

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً ... أمَرَّ سليمُ القَرن أم مرَّ أعضَبُ

(١) الخزانة ١ : ١٤٤ .

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخيرِ بنى حَوَّاء والخيرُ يُطلب
إلى النَفَر البيض الذين بحبِّهم إلى الله فيما نابنى أتقرَّب
بنى هاشم رهطِ النبيِّ وإننى بهم ولهم أرضى مراراً وأغضَب
خفضتُ لهم منِّي جَناحَ مَودَّتى إلى كنفٍ عِطْفاهُ أهلٌ ومرحب

٢٠٨ بأىِّ كتابٍ أم بأيَّة سُنَّةٍ ترى حبَّهُمْ عاراً علىَّ وتَحسِبُ
ومالىَ إلاَّ آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالى إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشعب
ومَنْ غيرهم أرضى لنفسى شيعةً ومَنْ بعدهم، لا، مَنْ أجلُّ وأرحَب
إليكم ذوى آل النبيِّ تَطَلَّعتْ نَوازعُ من قلبى ظِماءٌ وألبُبُ
وَجدنا لكم فى آل حاميمَ آيةً تأوَّلها منَّا تقىٌّ ومُعربِ
فإنِّى على الأمر الذى تكرهونه بقولى وفعلى ما استطعتُ لأجْنَب
يُشيرون بالأيدى إلىَّ وقولهم ألا خابَ هذا، والمشيرون خُيَّبُ
فطائفةٌ قد أكفرتنى بحبِّهم وطائفةٌ قالوا: مسىءٌ ومُذْنب
يَعيبونَني مِن غَيِّهم وضَلالِهم على حبِّكم، بل يَسخرون وأعجَب
وقالوا ترابىٌّ هواه ودينُه بذلك أُدعى فيهم وأُلقَّب[(١)]
فلا زِلتُ فيهم حيثُ يتَّهموننى ولا زلت فى أشياعهم أتقلَّب
ألم ترنى فى حبِّ آل محمَّدٍ أروح وأغدو خائفاً أترقَّب
كأنِّىَ جانٍ مُحدِثٌ وكأنَّما بهم يتَّقَى من خَشية العَرِّ أجرَبُ
على أىِّ جُرمٍ أم بأيَّة سيرةٍ أُعنَّف فى تقريظهم وأُؤنَّب
أناسٌ بهم عزَّت قريشٌ فأصبحوا وفيهم خِباءُ المكرُمات المطنَّب[(٢)])

---

(١) ط : « وقالوا ترالى » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وفيهم حباء » ، تحريف ، صوابه فى ش .

من أخبار الكميت

روى الأصبهانىّ (فى الأغانى) بسنده إلى محمد بن على النوفلى عن أبيه أنه قال : الكميت بن زيد الشاعر كان أوّلَ ما قال القصائدُ الهاشمّيات فسيَّرها ، ثم أتى الفرزدقَ بنَ غالبٍ فقال له : يا أبا فِراس ، إنكَ شيخُ مُضَر وشاعرُها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدىّ . قال له : صدقت ، أنت ابنُ أخى فما حاجتك ؟ قال : نُفِث على لسانى فقلتُ شعراً فأحببتُ أن أعرِضَه عليك ، فإن كان حسناً أمرتَني بإذاعته ، وإن كان قبيحًا أمرتنى بستره وكنتَ أولى من ستره علىَّ . فقال له الفرزدق : أمَّا عقلُك فحسنٌ ، وإنِّى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشِدْنى ما قلت . فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب *

قال : فقال لى : فيما تطربُ يا ابن أخى[1] ؟ فقال :

ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعبُ

قال : بلى يا ابن أخى ، فالعَبْ فإنَّك فى أوان اللعب . فقال :

ولم يُلْهِنى دارٌ ولا رسمُ منزلٍ (البيت)

قال : فما يطربك يا ابن أخى ؟ فقال :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّة (البيت)

فقال : أجل ، لا تتطيّرْ . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى (البيت)

(١) ش : « فيما تطرب يا ابن أخى » . واثبات ألف ما الاستفهامية مع الجار جائز فى العربية . انظر المغنى والخزانة ٢ : ٥٣٧ بولاق فى الشاهد ٤٣٦ وحواشى البيان ٣ : ١٢٥ .

فقال : ومَن هؤلاء ويحك ؟ فقال :

إلى النّفَر البيضِ الذين بحبِّهم (البيت)

فقال : أرحْنِى ويحك ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال :

بنى هاشم رهطِ النبيِّ فإنّني (البيت)

فقال له الفرزدق : أَذِعْ أَذِعْ يا ابن أخى ، أنتَ واللهِ أشعرُ مَن مَضى وأشعرُ مَن بَقِى .

وعن عِكْرِمة الضَّبّى عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة من لم يَرْوِ :

* طربت وما شوقا إلى البيض أطرَبُ *

فليس بشيعِىٍّ . ومن لم يَرْوِ :

* ذكرَ القلبُ إلفَهُ المهجورَا[1] *

فليس بأموىّ . ومن لم يرو :

* هلاَّ عرَفت منازلاً بالأبرق[2] *

٢٠٩ فليس بمهلبىّ .

وقوله : طربتُ وما شوقاً الخ ، استشهد به أبو حيّان على تقديم المفعول له على عامله ، ردًّا على من منع ذلك ، فإنّ شوقاً مفعول له مقدَّم على عامله وهو أطرب . واستشهد به ابن هشام أيضا (فى المغنى) على أنَّ همزة الاستفهام لكونها أصلاً جاز حذفها سواء كانت مع أم أولا ، فإنّه أراد : أَوَ ذو الشيب

(١) فى الأغانى ١٥ : ١١٧ :

ذكر القلب الفه المذكورا وتلافى من الشباب أخيرا

(٢) الذى فى الأغانى ١٥ : ١٩ : « هلا سألت منازلا بالأبرق » ، ولم يأت بعجزه .

يلعب ؟ والاستفهام إنكارى . وقال شارح السبع الهاشميّات : ذو الشيب خبر وليس باستفهام ، والمعنى لم أطرب شوقاً إلى البيض ، ولا طربت لعباً منّي وأنا ذو الشيب ، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإنْ كان قبيحا به ، ولكنّ طرَبِى إلى أهل الفضائل والنُّهى .

وقوله : ولم يتطرّبْنى الخ ، استشهد به الجوهرىّ على أنّه يقال أطربه غيره وتطرّ به ، بمعنى أوجد فيه الطرب .

وقوله : ولا أنا ممن يزجر الطيرَ الخ ، همُّه فاعل يزجر والطير مفعوله . قال ابن الأثير (فى النهاية) : الزجر للطير هو التيّمّن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها ، كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكِهانة والعِيافة . انتهى . وقال ابن رشيق (فى العمدة[١]) : الغراب أعظم ما يتطيّرون به ، ويتشاءمون بالثور الأعضب وهو المكسور القرن . والسانح ما ولاّك ميَامنَه ، والبارح ماولاّك مياسره ، وأهل نجد تتيمَّن بالأوّل وتتشاءم بالثانى ، وأهل العالية على عكس هذا . وأنشد البيتين .

وفى السانحات جوّز الأخفشُ النصبَ للعطف على الطير .

وقوله : « ترى حبَّهم عاراً الخ » استشهد به ابن هشام (فى شرح الألفيّة) على جواز حذف مفعولى باب ظن للدّليل .

وقوله : « ومالى الا آلَ أحمدَ الخ » استشهد به النّحاةُ ، منهم صاحب الجمَل[٢] على تقديم المستثنى على المستثنى منه . والمَشْعَب : الطريق ، يقول :

(١) فى باب من الزجر والعيافة . العمدة ٢ : ٢٠١ بتصرف .

(٢) انظر أيضا مجالس ثعلب ٦٠ والانصاف ٢٧٥ وابن يعيش ٢ : ٧٩ والشذور ٣٦٣ والعينى ٣ : ١١١ والتصريح ١ : ٣٥٥ والأشمونى ٢ : ١٤٩ .

مالى مذهب إلاَّ طريق الحقّ الذى هو حبُّ آل النبي وتفضيلهم صلى الله عليه وسلم .

وقوله : « وجدنا لكم » الخ آل حَم اسم للسُّوَر السبع التى أولها حَم ، ويقال لها أيضا الحواميم ، وأراد الآية التى فى حَمعسق : ﴿ قلْ لا أسئَلُكمْ عليه أجراً إلاَّ المودَّةَ فى القُربَى[1] ﴾ يقول : من تأوَّل هذه الآية لم يسعه إلاّ التشيُّع فى آل النبىِّ صلى الله عليه وسلم ،وإبداء المودَّة لهم على تَقيَّةٍ كانت أو غير تَقيَّة . وقوله : تقىٌّ ومُعْرِبُ ، قال الجوهرىّ : أعرب بحجّته إذا أفصح بها ولم يتَّق أحداً . وأنشد هذا البيتَ ، ثم قال : يعنى المفصحَ بالتفضيل والساكتَ عنه للتَّقِيَّة . وهذا البيت من شواهد سيبويه[2] ، أورده شاهداً لترك صرف حاميم لكونه وافق بناء ما لاينصرف من الأعجمية نحو قابيلَ وهابيلَ . قال الأعلم : جعل حاميم اسماً للكلمة ، ثم أضاف السوَر إليها كإضافة النسب إلى قرابة ، كما تقول آل فلان .

وقوله : * الم ترنى فى حبٍّ آلِ محمدٍ * الخ

قال السيوطى فى (شرح أبيات المغنى[3]) : أخرج ابن عساكر عن محمدّ بن سهل قال: قال الكميت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأنا مختفٍ فقال لى : ممَّ خوفُك ؟ فقلت : يارسول الله ، من بنى أمية . ثم أنشدته :

ألم ترنى من حبّ آل محمدٍ (البيت)

---

(١) الآية ٢٢ من الشورى .

(٢) سيبويه ٢ : ٣٠ واللسان (حمم ٤٠) .

(٣) شرح شواهد المغنى ص ١٤ .

فقال لى صلى الله عليه وسلم : «اظْهَرْ فقد أمَّنك اللهُ فى الدنيا والآخرة» .

وفى الأغانى للأصبهانى بسنده إلى إبراهيم بن سعيد الأسدى[١] عن أبيه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : من أىِّ الناس أنت ؟ قلت : من العرب . قال : من أىّ العرب ؟ قلتُ : مِن بنى أسد . قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم . قال : أهِلالىٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف الكميت بنَ زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى : ٢١٠

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمدَ شِيعةٌ (البيت)

فقال لى : « إذَا أصبحت فاقرأْ عليه السَّلامَ وقل له : قد غَفَرَ اللهُ لك بهذه القصيدة » .

وروى أيضـاً بسنده إلى دِعبل بن علىٍّ الخزاعىّ قال[٢] : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : مالك وللكميت بن زيد ؟ فقلت : يارسول اللهِ ، ما بينى وبينه إلاَّ كما بين الشعراء . فقال لى : لا تفعل ، أليس هو القائل :

فلا زِلتُ فيهم حَيثُ يتّهمُونَنى ولا زِلتُ فى أشياعهم أتقلّبُ

فإنّ الله قد غفر له بهذا البيت . فانتهيت عن الكميت بعدها .

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١١٩ : « ابراهيم بن سعيد الأسدى » .

(٢) الأغانى ١٥ : ١١٨ .

وروى أيضاً بسنده إلى نصر بن مُزاحِم المِنقَرِيّ[1] أنه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

* منْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ مستهامِ[2] *

قال : فسألت عنه فقيل لى : هذا الكميت بن زيد الأسدى . قال : فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « جزاك الله خيراً » . وأثنى عليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثلثمائة[3] :

٣٠٣ (ألا قَبَحَ الإلَهُ بَنى زِيادٍ وَحَىَّ أبيهمُ قَبْحَ الحِمارِ)

على أنّ لفظ (حىّ) من حىّ زيدٍ يستعمل فى التأكيد ، بمعنى ذاته وعينه وإنْ كان ميّتا ، بعد أن كان بمعنى ضدّ الميت ، كما شرحه الشارح .

وكأنه فهم أنّ ما بعد حىّ فى البيتين ميّت فبنى كلامه هذا عليه ، وإلاّ فلم يقل به أحدٌ بل صرّح ابن السكّيت (فى كتاب المذكّر والمؤنّث) بأن مثل هذا لا يقال إلاّ والمضاف إليه حىٌّ موجود غير معدوم ، وأنشد هذين البيتين بعينهما وجعل لفظ حىٍّ مما يقع على المُذكر والمؤنّث ، لكن إذا كان المضاف إليه مؤنثاً فلابدّ من تأنيث فعله . قال : رأيت العرب قد أفردت مما يقع

---

(١) صاحب وقعة صفين ، وقد طبعت بالقاهرة بتحقيق كاتبه طبعتين سنة ١٣٦٥ وسنة ١٣٨٢ .

(٢) فى النسختين : « مشتاق » ، تحريف صوابه فى الأغانى ١٥ : ١١٩ والهاشميات ٢١ . وهو صدر بيت هو مطلع قصيدة له وعجزه :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

(٣) انظر الخصائص ٣ : ٢٨ واللسان (حيى ٢٣٣) .

على المذكر والمؤنث شيئاً لا يكادون يذكرون فعله ، ولفظه لفظ المذكر . من ذلك قولك : أتيتك وحىُّ فلانةَ شاهدة ، وحيُّك وحىُّ زيد قائم . ولم أسمع وحى فلانة شاهدٌ — أى بتذكير شاهد — وذلك أنَّهم إنما قصدوا بالخبر عن فلانة إذا كانت حيّة غير ميتة . انتهى .

ومثله لابن جنى (فى المحتسب) عند إنشاده هذا البيت قال : أى وقَبَح أباهم الحىَّ الذى يقال له أبوهم ، ومنه قول الآخر :

* وحىَّ بكرٍ طعنّا طعنةً بَحَرا[1] *

أى الإنسان الحىّ الذى يسمَّى بقولهم بكر .

وقال (فى الخصائص) : أى والشخص المسمَّى بكراً طعنا. فحى ههنا مذكر حية ، أى وشخص بكر الحى طعنا . ومثله قول الآخر[2] :

يا قُرَّ إن أباكَ حى خويلد . . . . . . البيت[3]

أى إنّ أباك الشخصَ الحىَّ خويلدا . وكذلك قول الآخر :

ألا قَبَحَ الإله بَنى زياد . . . . البيت

أى أباهم الشخصَ الحىّ . وقال : وليس الحىّ هنا هو الذى يراد به القبيلة ، كقولك حىّ تميم وقبيلة بكر ، إنّما هو كقولك هذا رجلٌ حىٌّ وامرأة حيّة .

---

(١) فى الخصائص : « طعنة فجرى » . وفى بعض نسخها « بحرا » كما هنا .

(٢) هو جبار بن سلمى . نوادر أبى زيد ١٦١ والخزانة ٢ : ٦١٦ بولاق .

(٣) عجزه :

* قد كنت خائفهُ على الاحماق*

وجعل ابنُ جنّى هذه الإضافةَ من إضافة المسمّى إلى اسمه ، وَبَيَّنها كما رأيت . وخالفه الشارح المحقِّق فجعلها من إضافة العامّ إلى الخاصّ .

٢١١ ومَن حكم بزيادة حيٍّ (كصاحب اللبّ) جعل الإضافة من قبيل إضافة الملغَى إلى المعتبر ، كما قال ابن عقيل (فى شرح التسهيل) .

وممّن ارتضى الزيادةَ الزمخشريُّ (فى المفصَّل) فإنه قال : قالوا : إنَّ الاسم مقحمٌ دخولُه وخروجه سواء ، وقد حُكِي عنهم حيُّ فلانة شاهدٌ ، بدون تأنيث الخبر . وتقدَّم طعنُ ابنِ السكيت فيه ، لكن يَرِدُ عليه ما أنشده أبو على (في الإيضاح الشعرى) من قول الشاعر :

* لو أنَّ حيّ الغانِيات وَحْشا *

ومن العجب قول شارحه المظفّرى : لفظ حى زائد ومعناه الشخص ، فكأنك قلت هذا الشخص زيد ، فكما أنّ لفظ شخص زائد فكذلك لفظ حى . وقولهُ بعد هذا : قيل ولا يضاف لفظ حى إلاّ بعد موت المضاف إليه ، صوابه إلاّ قبل موت المضاف إليه .

ومما ورد عن العرب من إضافة حيٍّ إليه ما قاله الشارح قيل هذا البيت بصفحةٍ « قالهنَّ حيُّ رباح » بإقحام حى . قال المظفّرى : يعنى سمع الأخفشُ أعرابيًّا أنشد أبياتاً فقيل له : من قال هذه الأبيات ؟ فقال : قالهنّ حيُّ رباح بزيادة حيّ ، أى قالهنّ رباح . انتهى . ورباح بكسر الراء بعدها باء موحّدة[1] .

---

(١) الميمنى : « هذا الضبط غلط شنيع منه ، فليس فى العرب رباح بالباء الموحدة الا مفتوح الراء ، ولا رياح بالياء المثناة من تحت الا كسورها . وهذا متعالم متعارف . راجع مشتبه النسبة للذهبى

وهو مأخوذ من الإيضاح الشعرى لأبى على ، قال حكى : أبو الحسن الأخفش فى أبيات أنه سمع من يقول فيها : قالهن حىُّ رباح . وأنشد :

أبو بحر أشــدُّ الناس مَنًّا علينا بعد حىِّ أبى المغيره

صاحب الشاهد

وقوله : (ألا قبح الإله الخ) هذا البيت من جملة أبيات ليزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحميرىّ .

(ألا) هنا كلمة يُستَفتح بها الـكلام ، ومعناها تنبيه المخاطب لسَماع ما يأتى بعدها ، وجملة (قبح الإله) دعائيَّة ، يقال قبحه الله يقبَحُه بفتح الموحَّدة فيهما ، أى نحَّاه عن الخير . وفى التنزيل : ﴿ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِين[1] ﴾ أى المبْعَدين عن الفوز . والمصدر القَبْح بفتح القاف ، والاسم القُبْح بضمِّها يقال قَبْحاً له وقُبحاً أيضاً . والإله تقدّم أنه لا يجمع بين أل وهمزة إله إلاّ على القلّة لـكون أل فى الله بدلا من همزة إله[2] .

زياد بن أبيه

وزياد هو زِياد بن سُمَيّة ، وهى جاريةٌ للحارث بن كَلَدَة الطبيب الثَقَفىّ ، كان زوَّجها بعبدٍ له رومىّ اسمه عُبَيد ، فولدت له زياداً على فراشه . وكان أبو سفيان سافر فى الجاهلية إلى الطائف قبـل أن يسلم ، فواقعها بواسطة أبى مريم الخمَّار ، فيقال إنَّها علقت منه بزياد . ثم إنّ معاوية أحضر من شهد لزيادٍ بالنسب[3] واستلحقه بأبى سفيان ، فقيل زياد بن أبيــه ، أى ابن أبى معاوية . ويقال له أيضاً زياد بن سُمَيّة ، نسبةً إلى أمه . وهذه أول واقعة خولفت فيها الشريعة المطهَّرة علانية ، لصريح قوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش

(١) الآية ٤٢ من القصص .
(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٩ .
(٣) ط : « من شهد لمعاوية بالنسب » ، صوابه فى ش .

وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ، خصوصاً بنى أمية لكونه ابنَ عبدٍ رومىّ صار من بنى أمية . وقيل فيه أشعارٌ ، منها قول يزيد صاحب البيت الشاهد :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حرب ... مُغَلغَلةً من الرجُل اليمانى[1]

أتغضبُ أن يقال أبوك عَفٌّ ... وترضى أن يقال أبوك زانى

فأشهد إنَّ رِحْمكَ من زيادٍ ... كرحم الفِيل من وَلد الاتانِ

وأشهدُ أنّها ولدت زياداً ... وصخرٌ من سُميَّة غير دانى

وقصة الاستلحاق مفصَّلة فى التواريخ .

٢١٢ قال أبو عُبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى[2]) : كتاب المثالب لأبى عبيدة أصله لزياد بن أبيه ، فإنّه لما ادَّعى أبا سفيان أباً ، علم أنَّ العرب لا تقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كلَّ عيب وعار وباطل وإفك وبَهْت . انتهى .

وبنو زيادٍ المشهورُ منهم : عبّاد وَلىَ سِجِسْتان وما والاها ، ومنهم عبيد الله بن زياد الشقىّ الخبيث ، قاتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

---

(١) نسبة الأبيات الى يزيد بن مفرغ فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ : « والناس ينسبونها الى ابو مفرغ لكثرة هجائه لزياد ، وذلك غلط » . ونسبتها الى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم فى الحيوان ١ : ٧/١٤٦ : ٢٣٥ والأغانى . وجاء فى شفاء الغليل للخفاجى ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » وقال : « هذا فى شعر للكميت » . ونسبت الى عبد الرحمن بن حسان فى العقد ٦ : ١٣٢ .

(٢) اللآلىء ٨٠٧ . وهذا ايجاز من البغدادى ، فأن البكرى ساق بعد ذلك سلسلة من كتب الشعوبية .

وقوله : (وحيَّ أبيهم) معطوف على بَنى ، أى وقبح الله أباهم زياداً .
وقوله (قَبْح الحمار) هو بفتح القاف مصدر تشبيهىّ ، أى قَبَحهم الله قبْحاً مثل قبح الحمار . وإنَّما ذكر الحمار لأنه مَثَلٌ فى المذلّة والاستهانة به ، ولأنّ صوته أنكر الأصوات وأبشعُها .

يزيد بن مفرغ

ويزيد شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأمويّة ، وهو أبو عثمان يَزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ بن ذى العشيرة بن الحارث ، وينتهى نسبه إلى زيد بن يحْصُب الحِميرىّ ، وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرىّ، حليف لقريش ، ويقال إنه كان عبداً للضحاك بن يغُوث الهِلالى فأنعم عليه . انتهى .

ومُفرِّغ بكسر الراء المشدَّدة : لقب جده ، سمِّى به لأنّه راهن على شرب سِقاءِ لبن ، فشربَه حتّى فرّغه ، فسمّى مفرِّغاً . وقال النوفلىّ : كان حدّاداً باليمن فعمل قُفْلاً لامرأةٍ وشرط عليها عند فراغه منه أن تجيئه بكَرش من لبن ، ففعلت فشرب منه ووضعه ، فقالت: رُدَّ على الكرش ، فقال : ماعندى ما أفرّغه فيه . قالت : لا بد من ذلك . ففرّغَه فى جوفه فقالت : إنك لمفرِّغ . فعرف به .

وكان السبب فى هجو زياد وبنيه ، هو ما رواه الأصبهانى (فى الأغانى[1]) أنَّ سعيد بن عثمان بن عفان لما ولى خراسان استصحب ابنَ مفرِّغ فلم يصحبه ، وصحب عَبَّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أمّا إذْ أبَيتَ صُحبتى واخترت عبّاداً علىَّ فاحفظْ ما أوصيك به : إنَّ عباداً رجلٌ لئيم ، فإياك والدَّالَّةَ عليه وإن دَعاك إليها من نفسه ، فإنّها خُدعَةٌ منه لك عن نفسك ، وأقلِلْ

(١) الأغانى ١٧ : ٥٢ .

زيارته فإنَّه مَلول ، ولا تفاخره وإنْ فاخرك ، فإنَّه لا يحتمل لك ما كنتُ أحتمله . ثم دعا سعيدٌ بمالٍ فدفعه إليه وقال : استعن بهذا على سفرك ، فإن صلَح لك مكانك من عَبّاد ، وإلاّ فمكانك عندى مُمهَّد . ثم سار سعيد من خراسان ، ولما بلغ عُبيدَ الله بن زياد صحبةُ ابن مفرِّغ أخاه عَباداً شقَّ عليه ، فلما سار عَباد إلى سجستان أميراً عليها شيّعه عبيد الله ، وشيَّعه الناس ، فلما أراد عبيد الله أن يودِّع أخاه دعا ابنَ مفرِّغ فقال له : إنك سألت أخى عَباداً أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شق علىّ ! فقال ابن مفرِّغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يُقنعه من الناس ما يُقنع بعضَهم من بعض ، لأنَّه يظُنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر فى بعض العذر[1] ؛ وإنَّ عبّاداً يقدَم على أرض حَربٍ فيشتغل بحروبه وخَراجه عنك ، فلا تعذِرُه فتُكسِبُنا عاراً وشرًّا ! فقال : لستُ كما ظنّ الأمير ، وإنَّ لمعروفه عندى شكراً كثيراً[2] ، وإنَّ عندى إنْ أَغفَلَ أمرى عُذراً ممهَّداً . قال : لا ، ولكن تضمن لى إن أبطأ ما تحبّه ألا تعجل عليه حتّى تكتب إلىّ . قال : نعم . ثم إنَّ عبّاداً لما قدم سجستان اشتغل بحروبه فاستبطأه ابن مفرِّغ ولم يكتب إلى عبيد الله كما ضمن له ، ولكن بسط لسانَه وهجاه — وكان عبّادٌ عظيمَ اللحية[3] ، فسار ابن مفرِّغ يوماً مع عبّاد فدخلت الريحُ فيها فنفَشَتْها ، فضحك ابن مفرِّغ وقال لرجل من لَخم كان إلى جانبه :

ألا ليتَ اللِحى كانت حشيشا فنُعْلِفَها دوابَّ المسلمينا[4]

---

(١) الأغانى : « فى موضع العذر » .

(٢) الأغانى : « لشكرا كثيرا » .

(٣) بعده فى الأغانى : « كأنها جوالق » .

(٤) الرواية المعروفة : « خيولَ المسلمينا » كما فى الأغانى وبعض أصول الشعراء ٢١٠ ليدن ، وفى بعضها الآخر : « دواب » كما هنا ، وتقرأ بتخفيف الباء .

فسعى به اللخمىّ إلى عبّاد فغضب من ذلك وقال : لا تجمُلُ عقوبته فى هذه الساعة مع صحبته لى ، وما أؤخّرها إلاّ لأشفِيَ نَفسى منه ، فإنّه كان يقوم ويشتم أبى فى عِدّة مواطن . وبلغ الخبرُ ابنَ مفرِّغ فقال : إنى لأجد ريحَ الموت عند عبَّاد ! ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ، إنى كنتُ مع سعيدِ بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فىّ ، ورأيتَ جميل أثره علىّ ، وإنى اخترتك عليه فلم أحْظَ منك بطائل(١) ، وإنّى أُريد أن تأذن لى فى الرجوع . فقال له : إنّى اخترتك كما اخترتنى ، واستصحبتُك حين سألتنى ، فقد أعجلتَنى عن بلوغ محبَّتى فيك ، وقد طلبتَ الإذنَ لترجع إلى قومك فتفضحَنى عندهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أقضىَ حقّك . فأقام وبلَغ عباداً أنَّه يسبّه وينال من عِرضه . وأجرى عبّادُ الخيلَ يوماً فجاء سابقا ، فقال ابن مفرِّغ :

سَبَقَ عبّادُ وصَلَّتْ لحيتُه وكان خَرّازاً تَجودُ قِربتُه(٢)

قال المدائنى : لما بلغ عبّاداً هذا الشعر دعا به والمجلس حافل ، فقال له : أنشدنى هجاء أبيك الذى هُجى به . فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ مثلَ ما كلّفتَنى به ! فأمرَ غلاماً عَجمياً(٣) أن يصبَّ على رأسه السوط إن لم يُنْشد ، فأنشده أبياتًا هجى بها أبوه أوّلها :

قَبَحَ الإلهُ ولا أقبح غيره وجهَ الحمار ربيعةَ بنَ مفرِّغِ(٤)

---

(١) فى الأغانى : « فلم أحلَّ منك بطائل » .

(٢) فى الشعراء : « تجور فريته » . وصلت لحيته : تبعته . والسابق الأول من الخيل ، والمصلى : الثانى .

(٣) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٧ : ٥٤ : « أعجميا » .

(٤) فى الأغانى : « ولا يقبح غيره » .

وجعل عبّاد يتضاحك به ، فخرج ابن مفرّغ وهو يقول : والله لا يذهب شَتْم شيخى باطلا(١) .

فطلب عليه العِلَل ودسّ إلى قوم كان لهم عليه ديون أن يقتضوا مالهم عليه ، ففعلوا فحبسه وضربه ، وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثاثه ، وقسّم ثمنها بين غُرَمائه ، ثم بعث إليه أن بِعْنى الأراكة وبُرْداً ، وكانت الأراكة قينة لابن المفرّغ وبُرْدٌ غلامه ، ربّاهما وكان شديد الضنّ بهما ، فبعث إليه ابنُ مفرّغ : أيبيع المرء نفسه أو ولده ؟ ! فأضرّ به عباد حتّى أخذهما منه ، وقيل اشتراهما رجلٌ من أهل خراسان ، فلما دخلا منزله قال له برد — وكان داهية أديباً(٢) — : أتدرى ما شريتَ ؟ قال : نعم ، شريتك وهذه الجاريةَ . قال : لا والله ، ما اشتريتَ إلا العارَ والدَّمار وفضيحةَ الأبد ! فجزع الرجل وقال : كيف ذلك ويلَك ؟ قال : نحن ليزيد بن المفرّغ ، وما أصاره والله إلى هذه الحال إلاّ لسانُه وشرُّه ، أفتراه يهجو عبّاداً وهو أمير سجستان ، وأخاه عبيد الله وهو أمير العراقين ، وعمّه معاوية وهو الخليفة ، ويمسك لسانَه عنك وقد ابتعتنى وأنا مثلُ ولده ، وهذه الجارية وهى نفسُه التى بين جنبيه ؟ ! فوالله ما أدرى أحداً أدْخل بيتَه أشأمَ على نفسه وأهله ممّا أدخلتَه منزلَك ! فقال : أشهد أنّكما له ، إن شئتما امضيا إليه ، وإن شئتما تكونا له عندى .

---

(١) مقتبس من قول امرىء القيس :

والله لا يذهب شيخى باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا

وما بعده من الخبر فى الأغانى ١٧ : ٥٣ من رواية عمر بن شبة ، وابن الأعرابى ، ولقيط بن بكير .

(٢) وكذا فى الأغانى ، بالدال المهملة ، لا أريبا بالراء .

قال[١] : فاكتب إليه بذلك . فكتب إليه بذلك ، فكتب إليه ابن مفرّغ يشكر فعلَه و يسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

وفى بيعهما قال — وذكر تركَه سعيدَ بنَ عثمان[٢] — :

أصرَمتَ حبلَك من أمامَهْ ... مِن بعد أيام بِرامَهْ

ورَمَقتَها فوجدتَها ... كالضلع ليس لها استقامه

لهفى على الرأى الذى ... كانت عواقبه ندامه

تركى سعيداً ذا الندَى ... والبيتِ ترفعه الدِّعامه

ليثاً إذا شهد الوغَى ... تَرَكَ الهوى ومضى أمامَه

فُتحتْ سمَرقندُ له ... فبنَى بعَرصتِها خيامَه

وتبعتُ عبدُ بنى عِلا ... ج ، تلك أشراطُ القيامه

جاءت به حبشيّةٌ ... سَكّاء تحسبها نعامه

مِن نسوةٍ سودِ الوجو ... ه ترى عليهنّ الدَّمامه

وشرَيتُ برداً ليتَني ... من بَعد بُردٍ كنتُ هامه

أو بومةً تدعو صدًى ... بين المشقَّر واليَمامه

فالريح تبكى شجوَهاَ ... والبرق يلمعُ فى الغمامه

والعبدُ يُقرع بالعصا ... والحرُّ تكفيه الملاَمَه

٢١٤

وقوله : وشريت برداً البيت ، استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله

(١) ط : « قالا » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٢) الأغانى ١٧ : ٤٥ وأمالى الزجاجى ٤٢ بتحقيق كاتبه ، والوفيات ٢ : ٢٩٠ والشعراء ٣٢١ .

تعالى : ﴿الذينَ يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنْيا بالآخرة[1]﴾ على أن الشراء يأتى بمعنى البيع ، فهو من الأضداد والهامة : أنثى الصَّدَى ، وهو ذكر البُوم .

وفى مروج الذهب للمسعودى : من العرب من يزعم أنّ النَّفْس طائر ينبسط فى الجسم ، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يُطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبَر حتى يكون كضَربٍ من البوم ، وهو أبداً مستوحِش ويوجد فى الديار المعطّلة ، ومصارعِ القتلى والقبور وأنّها لم تزل عند وَلد الميت ومخلَّفِه لتعلم ما يكون بعده فتخبره .

وقال أيضاً فى بيعهما[2] :

شَرَيْتُ برداً وقد مُلّكتُ صفقتَه ... لما تطلَّبت فى بيعى له رشَدا

يا بُرْدُ ، ما مسَّنا دهرٌ أضرّ بنا ... من قبل هذا ، ولا بِعنا له وَلدا

أمّا أراكُ كانت من محَارمنا ... عيشا لذيذاً وكانت جنّةً رَغَدا

لولا الدّواعى ولولا ما تعرّض لى ... من الحوادث ما فارقتُها أبدا

ثم إن ابن مفرِّغ علم أنه إن أقام فى الحبس على ذمّ عباد لم يزدد إلاّ شرّا فجعل يقول للناس إذا سئل عن حبسه : أنا رجلٌ أدَّبه أميره ليُقيم من أَودَه . فلما بلغ ذلك عبّادا رقّ له فأطلقه ، فهرب حتَّى أتى البَصرة ثم الشام ، وجعل يتنقَّل فى البلاد ويهجو بنى زياد ويتأسّف على تركه صُحبة سعيد ، فمن ذلك قوله :

إن تركى ندى سعيدِ بن عثما ... نَ فتى الجودِ ناصرى وَعديدى[3]

واتِّباعى أخا الضرَاعة واللؤ ... م لنَقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيدِ

---

(١) الآية ٧٤ من النساء .

(٢) الأغانى ١٧ : ٥٤ والشعراء ٣٢١ .

(٣) الأغانى ١٧ : ٦١ .

قلتُ والليلُ مُطْبِقٌ بعُراه : ليتنى مِتُّ قبل تَرْكِ سَعيد

ثم إنَّه هجا بنى زياد حتى ملأ منه البلاد ، وتغنَّى به أهل البصرة ، فطلبه عبيدُ الله طلباً شديداً وكتب إلى معاوية — وقيل إلى يزيد[1] — « إن ابن مفرِّغٍ هجا زياداً وبنيه بما هتكه فى قبره وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدَّى ذلك إلى أبى سفيان فقذفه بالزِّنى ، وسبَّ ولده وهرب إلى البصرة ، وطلبتُه حتَّى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضَّغ لحومَنا بها ويهتك أعراضنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه » . فهرب ابن مفرِّغ من الشام إلى البصرة فأجاره المنذرُ بن الجارود ، وكانت بنت المنذر تحت عُبيد الله ، وكان المنذر من أكرم النَّاس عليه ، فاغترَّ بذلك ، فبلغ عُبيدَ اللهأن المنذر قد أجاره فبعث عبيدُ الله إلى المنذر ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشُّرَط فكبسوا دارَه وأتوه بابن مفرِّغ ، فلما رآه الجارود قام إلى عبيد الله فقال له . أذكِّركَ الله أيها الأمير لا تُخفِرْ جِوارى فإنى قد أجرته ! فقال عبيدالله : يمدحك ويمدح آباءك ، وقد هجانى وهجا أبى ثم تجيره علىَّ ،والله لا يكون ذلك أبداً ! فغضب المنذرُ وخرج ، وأقبل عبيدُ الله على ابن مفرغ فقال : بئسما صحِبت به عباداً ! فقال : بئسما صحبنى عباد ، اخترتهُ على سعيد وأنفقت على صحبته جميعَ ماملكته وظننتُ أنَّه لا يخلو من عقلِ زيادٍ ، وحِلم معاوية ، وسَماحة قريش ، فعدل عن ظنِّي كلّه ثم عاملنى بكلِّ قبيح . من حبَس وغُرْم وضرب وشتم ، فكنت كمن شام برقاً خُلَّباً فى سحاب جَهامٍ ،فأراق ماء، طمعاً فمات عطشاً،وما هربت من أخيك إلاّ لما خفت أن يجرى فىَّ ما يندم عليه ، وها أنا بين يديك فاصنعْ

٢١٥

---

(١) الميمنى : « لم يكن يزيد ولى الخلافة فى حياة زياد ، فان زياداً توفى سنة ٥٣ ومعاوية سنة ٦٠ » .

فىَّ ما شئت ! فأمر بحبسه وكتب إلى معاوية أن يأذن له فى قتله ، فكتب إليه : «إيّاك وقتله ، ولكن تناوله بما ينكله ويشدّ سلطانك عليه ، ولاتبلغْ نفسَه ، فإنّ له عشيرة هم جُندِى وبطانتى ، ولا يرضون بقتله إلاّ بالقوَد منك ، فاحذَرْ ذلك ، واعلم أنّ الجِدّ(١) منّى ومنهم ، وأنّك مُرْتَهنٌ بنفسه ، ولك فى دون تَلَفِها مندوحةٌ تَشفى من الغيظ . فلما ورد الكتاب أمر بابن مفرِّغ فسُقى نبيذاً حلواً مخلوطاً بالشُّبْرُم والتربُد (٢) فأسهل بطنَه ، وطِيف به على بعيرٍ فى أزقّة البصرة وأسواقها ، وقُرِن بهرّة وخنزير، وجعل يَسْلَح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه ، وألحّ ما يخرج منه حتّى أضعفه فسقط ، فقيل لعبيد الله : إنّا لا نأمن أن يموت . فأمر به فغُسل فلما غُسِل قال :

يَغْسل الماء ما فعلتَ ، وقولى راسخٌ منك فى العِظام البوالى

ثم ردّه إلى الحبس . وقيل لعبيد الله : كيف اخترت له هذه العقوبة ؟ قال: لأنّه سلَح علينا فأحببتُ أن تسلح عليه الخنزيرة والهرّة .

ثم إن عبيد الله أرسله إلى أخيه بسجستان ، ووكّل به رجالا ، وكان لمّا هرب من عبّاد هجاه وكتب هجاءه على حيطان الخانات ، فأمر عبيدُ الله الموكّلين به أن يُلزموه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، فكان يفعل ذلك حتّى ذهبت أظافيره ، فكان يمحو بعظام أصابعه . وأمرهم أيضاً أن لا يتركوه يصلّى إلا إلى قِبلة النصارى إلى أن يُسلموه إلى عبّاد ، فحبسه وضيّق عليه ، فلما طال حبسه استأجر رسولا إلى دمشق وقال له : إذا كان يوم الجمعة فقِف على دَرَج جامعِ دمشق ، ثم أنشدْ هذه الأبياتَ بأرفع ما يمكنك من صوتٍ ، وهى :

---

(١) فى الأغانى ١٧ : ٥٦ : « أنه الجد » .

(٢) ليست فى الأغانى . والتربد ، كقنفذ : نبت .

٢١٦

أبلغْ لديكَ بنى قحطان قاطبةً | عضّت بأير أبيها سادةُ اليمنِ
أضحى دَعىٌّ زيادٍ فقْعَ قرقرةٍ | يا للعجائب يلهو بابن ذى يزن(١)
والحميرى طريحٌ فوق مَزْبلةٍ | هذا لعمركم غَبنٌ من الغبَن(٢)
قوموا فقولوا : أميرَ المؤمنين لنا | حقٌّ عليك ومنٌّ ليس كالمنن
فاكففْ دعىَّ زياد عن أكارمنا | ماذا تزيد على الأحقاد والإحنِ

ففعل الرسولُ ما أُمِر به ، فحَمِيت اليمانيةُ وغضبوا له ودخلوا إلى معاوية فسألوه فيه ، فدافعهم عنه ، فقاموا غِضاباً والشرُّ يلمع فى وجوههم ، فعرف ذلك معاوية منهم فوهبه لهم ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرِّغٍ منه ، ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قَدِم فيغتاله . ففعل ذلك فلما خرج من الحبس قرِّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها فقال :

عَدَسْ ما لعبّادٍ عليكِ إمارةٌ | أمِنتِ ، وهذا تحملينَ طليقُ

وهو من جملة أبيات (تأتى إن شاء الله تعالى فى الموصول عند إنشاد هذا البيت هناك(٣)) فلما دخل على معاوية بكى وقال : رُكِب منّى ما لم يُركَبْ من مُسلمٍ قط ، على غير حَدَثٍ فى الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة . فقال له : ألستَ القائل :

(١) ط : نقع قرقرة » ، صوابه بالفاء ، كما فى ش والأغانى . والفقع : ضرب من أردأ الكمأة . والقرقر : القاع الأملس . يضرب مثلا للذليل . وانظر للشعر الأغانى ١٧ : ٥٩ ، ٦٢ .

(٢) فى الأغانى : « وسط مزبلة » .

(٣) الخزانه ، الشاهد ٤٨٢ .

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حرب مغلغَلةً من الرجل اليمانى

الأبيات المتقدمة . فقال : لا ، والذى عظَّم حقَّك ما قلتها ، ولقد بلغنى أنَّ عبد الرحمن بنَ الحكم قالها و نسبها إلىّ[1] . قال : أفلم تقل كذا وكذا .. وسرد أشعاره ، ثم قال : اذهبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك فاسكنْ أىَّ أرض شئت . فاختار الموصل ، ثم ارتاح إلى البصرة فقدِمها ، فدخل على عبيد الله فاعتذر إليه وسأله الصَّفح والأمان فأمَّنه ، فأقام بها مدَّة ثم دخل عليه فقال : أصلح الله الأمير إنى قد ظننت أنَّ نفسك لا تَطيبُ لى بخيرٍ أبداً ، ولى أعداء ولا آمن سعيَهم علىَّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد . فقال له : إلى أين شئت ؟ فقال : كِرْمان . فكتب له إلى شَريك بن الأعور ، وهو عليها ، بجائزةٍ وقطيعة[2] ، فشخص إليها وأقام بها إلى أن مات فى سنة تسع وستين فى طاعون الجارف أيام مُصعَب بن الزبير .

هذا ما لخَّصته من الأغانى ، وهو كشَذْرة من عِقدِ نَحْر ، أو قطرة من قاموس بحر .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل[3] :

٣٠٤ (ياقُرَّ إنَّ أباكَ حَىَّ خُوَيلِدٍ قد كنتُ خائفَه على الإحماقِ)

لما تقدَّم قبله . وذهب أبو على (فى الإيضاح الشعرى) عند ذكره هذه الشواهد ، إلى أنّ لفظ حىّ زائد لا غير ، وتبعه الزمخشرى (فى المفصّل) والبيضاوى (فى اللبّ) ، وتعقّبه شارحه السيِّد عبدُ الله بأنّه غير زائد من

(١) فى الأغانى ١٧ : ٦٠ : « قاله ونسبه الىَّ » .

(٢) فى الأغانى : « بجائزة وقطيفة وكسوة » .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٣ . وانظر أيضا نوادر أبى زيد ١٦١ والخصائص ٣ : ٢٨ والأشمونى ٤ : ١٣٣ .

حيث المعنى ؛ فإنّه يفيد نوعاً من تحقير ما أضيف إليه حيّ ، كأنه يقول : هذا شخصٌ ليس سوى أنه حيّ ، وشَبَحٌ مافيه سوى أنه حسَّاس . انتهى .

ولا يخفى أن هذه النكتة قاصرة على هذا البيت لا تتمشى له فى غيره .

٢١٧ و (قُرَّ) بضم القاف : مرخم قُرّة . و (حيّ خويلد) بدلٌ أو عطف بيان من أباك[١] . وجملة (قد كنتُ خائفَه) خبر إنَّ . و (الإحماق) : مصدر أحمق الرجل : إذا وُلد له ولدٌ أحمق ، وكذا أحمقت المرأة ؛ وأمَّا حَمِق بدون ألف فهو من الحُمْق بالضمّ وهو فسادٌ فى العقل ، وهو من باب تعب ، ووصفه حَمِقٌ بكسر الميم ؛ وأما أحمق ففعله حَمُق بالضمّ والأنثى حمقى . وعلى متعلقة بخائفَه ، يقال خفته على كذا أى خفت منه . والمعنى إنِّى كنت أرى من أبيك مخايلَ تدلُّ على أنه يلد ولداً أحمق ، وقد تحقّق بولادته إيَّاك . ومثل هذا أبلغ من أن يقول له : أنت أحمق ؛ لأنَّ ذلك يُشعر بتحقُّق ذلك فيه ، أى كان ذلك معروفاً من أبيك قَبلَ أن يلدك . فهذا أبلغ من دعوى الحمق فيه الآن . وإدراكُ مثلِ هذه المعانى لا يكاد يحصل بالتعبير ، وإنما هو أمرٌ فى الغالب يدرَكُ بالقوَّة التى جعلها الله تعالى فى أهل هذا اللسان . كذا فى أمالى ابن الحاجب .

وهذ البيت نسبه أبو زيد (فى نوادره) إلى جَبَّار بن سلمى بن مالك[٢]، قال : وهو جاهلى . وأورد بعده :

---

(١) فى النوادر ١١٦ : « قال الرياشى : يعنى حياة خويلد » .

(٢) فى النوادر : « قال أبو الحسن : وقع فى كتابى سَلْمَى ، وحفظى عن أبى العباس محمد بن يزيد : جبار بن سُلْمىّ . وفى سُلْمىّ هذا يقول القائل :

وأتيت سُلْميا فعذت بقبره وأخو الزمانة عائذ بالأمنع

(وكأنَّ حيًّا قبلكم لم يَشربوا فيها بأقلبةٍ أَجَنَّ زُعاقِ)

هذا الحىّ بمعنى القبيلة . وأقلبة : جمع قَليب بمعنى البئر ، قال الرياشىّ : هذا يدلّ على تذكير القليب ، لأنّه قال أقلبة ؛ والجمع قُلُب ، ولكن جاء به على رغيف وأرغفة للجمع القليل . انتهى . والباء بمعنى من . وأجنَّ فعلٌ ماض والنون الأخيرة فاعله تعود على أقلبة ، لما سكن لها لام الفعل أدغمت فيها ، يقال أجَن الماء يأجن بضم الجيم وكسرها . إذا تغيَّر . وضمير فيها للمنيّة . وضرب القليبَ مثلاً لها . وقد يكون القليب القبر ، قاله ابن بَرّىّ (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى) . والزُّعاق ، بضمّ الزاى بعدها عين مهملة : الماء المرّ الغليظ لا يطاق شربه من أُجُوجته . وإذا كثر مِلح الشىء حتى يصير إلى المرارة فأكلته قلتَ : أكلتُه زُعاقا .

جبار بن سلمى

وجَبّار ، بفتح الجيم وتشديد الموحّدة وآخره راء مهملة . وقد أورده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) وقال : هو جَبّار بن سلمى بن مالك من بنى عامر بن صعصعة [١] . وأنشد له المفضَّل فى المقطّعات :

وما للعَين لا تبكى بُجيراً إذا افترَّتْ عن الرُّمح اليَدان [٢]
وما للعَين لا تبكى بُجيراً ولو أنّى نُعيتُ له بَكانى

وذكر ثلاثة من الشعراء يوافقونه فى اسمه ، أحدهم : جبّار بن مالك بن جبّار بن شَمْخ بن فَزارة [٣] .

(١) فى المؤتلف ٩٩ : « بن مالك بن عامر بن صعصعة » ، تحريف . وفى جهرة ابن حزم أنه جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر الجمهرة ٢٨٦ ، ٢٨٢ .

(٢) ط : « اذا فترت » ، وأثبت ما فى ش والمؤتلف .

(٣) ذكر الميمنى أن فى مختار المؤتلف : « مالك بن حمار بن شمخ بن فزارة » .

وثانيهم : جَبّار بن عمرو الطائى قاتل عَنْتَرة العبسى ، وهما جاهليّان أيضاً .

وثالثهم : جَبّار بن جَزْء بن ضِرار ، وهو ابن أخى الشمّاخ ، وهذا إسلامىٌّ ابن صحابىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الثلثمائة [1] :

٣٠٥ (الى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السلاَمِ عَلَيْكُما
ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقد اعتَذرْ)

على أنّ لفظ (اسم) مقحم عند بعض النحاة .

قال ابن جنّي (فى الخصائص) : هذا قول أبى عبيدة ، وكذلك قال فى بسم الله ، ونحن نحمل الكلامَ على أنَّ فيه محذوفاً [2] . قال أبو علىّ : وإنما هو [على [3]] حدّ حذف المضاف ، أى ثم اسم معنى السلام عليكما ، واسم معنى السلام هو السلام ، وكأنه قال : ثمّ السلام عليكما . فالمعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة ، لكنّه من غير الطريق التى أتاه هو منها ، ألا تراه هو اعتقد زيادةَ شىء واعتقدنا نحن نُقصانَ شىء . انتهى . ٢١٨

وقال ابن السِّيد البَطَلْيوسىّ (فى تأليف ألّفه فى الاسم) : تقديره ثمّ مسمَّى السَّلامِ عليكما ، أى ثم الشىء المسمّى سلاماً عليكما ، فالاسم هو المسمَّى

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ٣ : ١٣٥ وابن يعيش ٣ : ١٤ والعينى ٣ : ٣٧٥ والهمع ٢ : ٤٩ ، ١٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ وديوان لبيد ٢١٤ .

(٢) الذى فى الخصائص ٣ : ١٣٠ : « فأبو عبيدة يدعى زيادة ذى واسم » .

(٣) التكملة من ش والخصائص .

بعينه وهما يتواردان على معنى واحد . وذهب أبو عبيدة إلى أن لفظ اسم هُنا مقحم . وعند أبي عليّ فيه مضاف محذوف تقديره مسمّى اسم السلام . انتهى .

وردّ عليه الإمام السُّهَيلي (فى كتابه المعتبر) فقال : هذا جوابٌ لا يقوم على ساق ، ولا يكاد يفهم لما فيه من الاستغلاق[1] . وقد تكلّف فى هذا التأليف وتعسَّف ، ومن ألّف فقد استهدف . والأحسن أن يقال : لم يُرد الشاعر إيقاعَ التسليم عليها لحينه ، وإنّما أراده بعد الحول . فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلِّماً فى وقته الذى نطَق به فى البيت ، فلذا ذكر الاسم الذى هو عبارة عن اللفظ ، أى إنما لفظَ بالتسليم بعد الحول ، وذلك السّلامُ دعاء ، فلا يتقيَّد بالزمان المستقبل ، وإنما هو لحينه ، فلا يقال : بعدَ الجمعة اللهم ارحم زيداً ، وإنما يقال : اغفر لى بعد الموت ، وبعد ظرف للمغفرة ، والدعاء واقع لحينه . فإن أردت أن تجعل الوقتَ ظرفاً للدعاء صّرحتَ بلفظ الفعل فقلتَ : بعدَ الجمعة أدعو بكذا ، وألفِظُه ، ونحوه ؛ لأنَّ الظروف إنّما تُقيَّد بها الأحداثُ الواقعة خبراً أو أمراً أو نهياً ، وأما غيرها من المعانى كالعقود والقَسَم والدعاء والتمنى والاستفهام ، فإنّها واقعة لحين النطق بها . فإذا قال : بعدَ الحول والله لأخرجنّ ، فقد انعقد اليمين حين ينطق به ، ولا ينفعه أن يقول أردت أن لا أوقع اليمين إلاّ بعد الحول ؛ فإنَّه لو أراد ذلك قال : بعدَ الحول أحلف أو ألفظ باليمين . فأمّا الأمر والنهى والخبر ، فإنما تقيّدت بالظروف لأنّ الظروف فى الحقيقة إنما يقع فيها الفعلُ المأمور به أو المخبَر به ، دون الأمر والخبر ، فإنّهما واقعان لحين النطق بهما ، فإذا قلت اضربْ زيداً يوم الجمعة فالضرب واقع في اليوم وأنت اليوم آمره . فلو أنَّ لبيداً قال : إلى الحول ثمّ

---

(١) ط : « الاستقلال » ش : « الاستقلاق » ، والوجه ما أثبت . والعبارة مسجوعة .

السلام عليكما ، كان مسلِّماً لحينه ، وقد أراد إنّى لا ألفِظ بالتسليم والوَداع إلاّ بعد الحول ؛ ولذا ذكر الاسم الذى هو اللفظ ، ليكون بعد الحول ظرفاً . انتهى كلام السهيلى .

والمراد من قوله : « ثمّ اسمُ السَلام عليكما » الكناية عن الأمر بترك ما كان أمَرَهما به ، وهو سلامُ توديع . وأتَى بثمّ لأنّها للتراخى والمُهْلة . وقد تعسَّف قومٌ لإخراج الاسم عن الزيادة بجعل السلام اسم الله تعالى ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : عليكما اسم فعل ، أى الزَما اسمَ الله واترُكا ذِكْرى . وفيه أنّ تقديم اسم الفعل لا يجوز إلاّ عند الكسائىّ ؛ على أن الرواية رفع اسمٍ لا نصبُه .

وقال جماعةٌ منهم شارح اللبّ : إنّ المعنى ثم حِفْظُ الله عليكما ، كما يقال للشيء المعجِب : اسمُ اللهِ علَيك ، تعويذاً له من السوء . ففى ذكر الاسم تفخيمٌ وصيانة للمسمَّى عن الذكر .

وقال الشَّلَوبين (فى حاشية المفصّل) : أجاب بعضهم بأن السَّلام هنا اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والسَّلام عبارةٌ عن التحية ، وهذا هو الذى أراد ، ولكنّه شرَّفه بأنْ أضافه إلى الله تعالى لأنّه أبلغُ فى التحية ، كأنه يقول : لو وجدتُ سلاماً أشرفَ من هذا لحيّيتكم به ، ولكنّي لا أجده لأنه اسم السلام . هذا كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : قوله ثم اسمُ السلام عليكما ، أى حِفْظُ الله عليكما ، والاسمُ مقحم ، وثُمّ تستعمل فى معنى الترك والإعراض . هذا كلامه ، ولا يخفى ما فيه من الخَبْط الظاهر ٢١٩

وهذا البيت من أبيات للبيد بن ربيعةَ بن عامر الصّحابى ، وقد تقدّمت صاحب الشاهد

ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

روى أنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه :

تمنّى ابنتاى أن يَعيشَ أبوهما	وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَرْ
فقوما وقولا بالذى تعلمانِه	ولا تَخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا : هو المرء الذى لا صديقَه	أضاعَ ، ولاخان الخليلَ ، ولا غَدَرْ
إلى الحول ثمّ اسمُ السلام عليكما	. . . . . . (البيت)

وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابَهما فى كلِّ يوم وتأتيان مجلسَ جعفر بن كلاب قبيلته ، فتَرْثيانه ولا تُعْوِلان ، فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفتاَ .

وقوله : « تمنى ابنتاى » هو مضارع ، وأصله تتمنّى بتاءين . وزعم بعضهم أنَّه فعل ماض ، ولو كان كما زعم لقال تمنّت ، ولا موجب لحمله على الضرورة . وقوله : « وهل أنا الخ » أى جميع آبائى من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يَسلم أحدٌ منهم من الموت ، فكذلك أنا لابدَّ لى من الموت . وقال بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصَّل) معناه : وما أنا إلاّ من الكرام الأشراف ، ومن كان منهم لا يعيش طويلا ، لأنَّ الكرام قليلة الأعمار . وهذا كلامه ، وليس هذا معنى الشعر ، ويكذّبه أن لبيداً من المعمَّرين كما تقدم فى ترجمته .

وقوله : فقوما ، الفاء فصيحةٌ ، لأنّ المعنى إذا ثبتَ أنى من ربيعة أموت كما ماتوا ، فقوما بعد موتى للعزَاء وقولا فى الرثاء ما تعلمانه من الصفات الحميدة وابكيا إنْ أردتُما ولا تخمِشا بأظافيركما ولا تحلقا شعَركما . ويُقدَّر « ابكيا » لقوله ولا تخمشا الخ ، وذلك أنّ خمش الوجه وحلق الشعر لا يكون إلاّ مع

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

البكاء ، والبكاء مباح ما لم يكن فيه خمش الوجه وحلق شعر ولطم خدّ . وقوله : لا صديقه ، مفعول مقدم لقوله أضاع ، ومفعول غدر محذوف وهو ضمير الخليل أو أنَّ غدَر منزَّل منزلةَ اللازم ، أى لم يحصل منه غدرٌ لأحد .

وقوله : « إلى الحول » متعلّق بقوله : قوما ، أى امتثِلا ما قلت لكما إلى الحول ، وإنما قال إلى الحول لأنَّ الزمان ساعاتٌ وأيامٌ وجُمعٌ وشهورٌ وسنون ، والسِّنون هى النهاية ، فالحول والسنة مدّة هى نهاية الزمان فى التقسيم إلى أجزائه . ويمكن أن يكون ذلك لما روى فى بعض الآثار : أن أرواح الموتى لا تنقطع من التردّد إلى منازلهم فى الدنيا إلى سنة كاملة ، فكأنَّه إنّما أمرهما بما ذكر من الذكر والدُّعاء وغير ذلك ، ليشاهد ذلك منهما ، ولذلك قال : « ومن يَبْكِ حولا الخ » . وقال بعضهم : إنّما وقّت بالحول لأنه مُدّة عزاء الجاهليَّة ، وهذا لا يصحّ هنا لأن قائله صحابى . و (اعتذر) بمعنى أعذَرَ ، أى صار ذا عذر ، كذا فى الصحاح . والخطاب فى قوله عليكما لابنتيه كما تقدّم ، ومنه يعلم غفلة [بعض[1]] شرّاح المفصل فى قوله : المعنى بكيت عليكما ، أيها الخليلان ثم السلام عليكما ، يعنى تركت البكاء فإنَّ من يبكى حولاً فقد قضى حقّ الخليل .

وعجيبٌ من صاحب (الكشف[2]) فى سورة المؤمن قوله : إنّ لبيداً قال ذلك يرثى أخاه لأمّه وهو أرْبدُ وابنَ عمه عامرَ بنَ الطُفيل ، لما أصابهما ما أصابهما بدعوة من النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تكملة ضرورية .

(٢) الكشف عن مشكلات الكشاف ، لعمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ . اقليد الخزانة ٩٣ .

تتمة

رأيت (فى التذكرة الحمدونية) أنَّ الحسن بن الحسن بن علىّ رضى الله عنهم ، لما ماتَ قامت زوجته بنتُ الحسين على قبره سنة ثم رَفعت الفُسطاط وأنشدت :

٢٢٠

إلى الحول ثم السلام عليكما . . . . البيت

فسُمع صوتٌ من جانب القبر : أهلْ وَجدُوا ما طلبوا ، وسمع من الجانب الآخر : بل يئسو فانقلبوا .

ومثل هذا ما رواه ابن الزّجاجى (فى أماليه الوسطى) بسنده عن إسماعيل ابن يَسَار قال : مات ابنٌ لأرطاة[1] بنِ سُهَيَّة المرّىّ ، فلزم قبره حولا ، يأتيه بالغداة فيقف عليه فيقول: أى عمرو ، هل أنت رائحٌ معى إن أقمتُ عندك إلى العشىّ ؟ ثم يأتيه بالمَساء فيقول مثلَ ذلك ، فلما كان بعدَ الحول أنشأ متمثّلاً :

إلى الحول ثمّ اسمُ السلامِ عليكما . . . . . . البيت

وأنشد بعد هذا أبياتاً جيّدة فى هذا الباب رواها الزجّاجىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات المفضّل أيضاً[2] :

---

(١) فى ط : « ابن أرطاة » ، والوجه ما أثبت من ش وأمالى الزجاجى ٦٣ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٤ / ٤ : ٧٢ ، ٨٥ . وانظر أيضا إصلاح المنطق ٣٤ والأشمونى ٣ : ١١٢ واللسان (شيب ٤٩٥ بصر ١٣٣) وديوان ذى الرمة ٦٠٩ . وقد كرر البغدادى الشاهد ووضع له رقما جديدا على خلاف عادته ، سهوا منه ، فإن هذا الشاهد هو بعينه الشاهد رقم ٨ .

٣٠٦ * تَدَاعَيْنَ باسمِ الشيبِ فى مُتَثَلِّمٍ
جَوَانِبُه مِنْ بَصْرَةٍ وسِلامِ *

لما تقدّم قبله : من أنّ اسماً مقحمٌ . قال الشَّلَوبين (فى حاشيته على المفصَّل) : ردَّ هذا بعض المتأخّرين وقال : لو كان البيت على إقحام الاسم لقال باسم شيب ، والشاعر إنما قال باسم الشّيب بالألف واللام ، ولفظُهما غير موجود فى صوت الإبل ، فانّما أراد تداعين بصوت يُشبِه فى اللفظ اسمَ الشيب أعنى جمع أشْيَب . انتهى .

أقول : وجود أل لا يضرّ ، فإنّها زيدت فى الحكاية لا أنّها من المحكىّ . على أنّ الصاغانى قال (فى العباب) : الشِيب حكايةُ أصوات مشافر الإبل عند الشرب . وأورد هذا البيت .

والنون فى (تداعَين) ضمير القُلُص أى النوق الشوابّ . و (المتثلّم) بكسر اللام المشدّدة ، وهو المتهدّم والمتكسّر ، أراد الحوض المتثلّم . وجملة (جوانبه من بَصْرَة) صفة المتثلّم . والبصرة ، بفتح الموحّدة : حجارة رِخوة فيها بياض ، وقيل تضرب إلى السواد . والسِّلام ، بكسر السين المهملة : جمع سَلِمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجر ، وقيل الحجر الرقيق . وإنّما ذكرها لبيان الواقع .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمّة تقدّم شرح بعضها مع هذا البيت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب[1] . وقد وصف إبلاً وارداتٍ على حوض متهدّم فشربن الماء ، فيقول : دعا بعضُ الإبل بعضاً إلى الشربِ بصوت مشافرها عند شرب الماء من ذلك الحوض ، أى إذا سمع كلٌّ منها صوتَ

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

تجرُّع الماء من الآخر ازداد رغبةً فى الشُّرب ، فكانَ ذلك كأنه دعاء إلى الشرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثلثمائة[١] :

٣٠٧ (لا ينْعَشُ الطرفَ إلا ما تَخوَّنَهُ

داعٍ يُنادِيه باسم الماءِ مبغومُ)

على أن اسماً مقحم . قال ابن الحاجب (فى شرح المفصّل) : النداء إنّما هو باللفظ ، فلو حمل الاسم على اللفظ لاختلّ المعنى . والذى يجعل الاسم المسمَّى فى قوله ثمّ اسم السلام عليكما ، [يجعله[٢]] من باب ذات يوم ، ويتأول قوله باسم الماء ، على أن المراد بمسمَّى هذا اللفظ ، ويجعله دالاًّ على قولك ماء ، وهو حكاية بُغام الظبية . ويقوِّى ذلك استماله استعمالَ رجل وفرس بإدخال اللام عليه وخفضه وإضافته ، ولولا تقديره اسماً لذلك لم يجرِ هذا المجرى . انتهى .

٢٢١ قال ابن جنّي (فى الخصائص) : ذهب أبو عبيدة إلى زيادة الاسم فى قوله ثم اسم السلام عليكما ، وفى قوله باسم الماء مبغُوم ، ونحن نقول إن فيه محذوفاً ، أى اسم معنى السلام . . . إلى آخر ما نقلناه عنه قبل هذا[٣] .

وزيادة الاسم هنا لا تتّجه ، لأنّ الداعى هنا هو الظبية ، وإنما دعت ولدها بقولها ماء ماء ، فلو كان على إقحام الاسم لقالت باسم ماء ماء ، والماء بالألف واللام ليس إلاّ الماء المشروب ، فكيف يريد حكايةَ صوتها ! ولكنّ الشاعر

---

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ١ : ٣/١٢٦ : ١٤٣ وابن يعيش ٣ : ١٤ والأشمونى ٣ : ٢١٢ وديوان ذى الرمة ٥٧١ .

(٢) تكملة ضرورية لم ترد فى احدى النسختين .

(٣) انظر هذا الجزء ص ٣٣٧ .

ألغزَ حيث أوقع الاشتراك بين لفظ الماء وصوتها ، كأنه اللفظ المعبَّر به عن الماء المشروب . كذا فى حاشية المفصل للشَّلَوبين . وهذا كلُّه مأخوذ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) قال : فإن قيل إنَّ هــذا من قبيل غاق ، يعنى الصوت ، فــكيف أُلحق لام التعريف ، وقال آخر :

* ونادى بها ماءٍ إذا ثار ثَورةً *

على القياس ! فالقول فيه أن قوله باسم الماء ، إن شئت قلتَ إنّ تقديره يناديه بالماء ، والاسم دخولُه وخروجُه سواء ، كقوله : ثمَّ اسم السلام عليكما . وإن شئتَ جعلتَ الاسم المسمَّى على الإتباع ، لمصاحبته له وكثرة الملابسة . وإن شئت قلت : إنَّ التقدير يناديه باسم معنى المــاء ، فحذف المضاف ، واسمُ معنى الماء هو الماء ، فيكون التقدير باسم ماء ، وتــكون أل فيه زائدة لأنها لم تلحق هذا القبيل ، ألا ترى أنهم لم يلحقوه غاقٍ وصه ونحوَه . انتهى كلامه مختصراً .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمَّة تغزَّل فيها بمحبوبته خَرْقاء ، ومطلعُها :

أأنْ توَهّمتَ من خرقاء مَنزِلةً ماء الصبابة من عينيكَ مسجومُ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الحروف المشبَّهة بالفعل[1] .

وقبل البيت الشاهد :

كأنَّها أمُّ ساجى الطرف أخذَلها مَسْتَوْدَعٌ خَمَرَ الوَعْساءِ مَرخومُ
كأنَّه بالضحى يُرمَى الصعيدُ به دبَّابةٌ فى عظام الرأس خُرطومُ
لا يَنْعَشُ الطرفَ . . . . البيت

---

(١) فى الشاهد ٨٥١ .

وقوله : كأنَّها ، أى كأنّ خرقاء أمُّ غزال ساجٍ طرفهُ ، والساجى : الساكن للحداثة . وأخذلها ، أى خلَّفها عن قطيعها فأقامت عليه فخُذِلتْ هى بالبناء للمفعول ، وهى خاذل وهو خاذل . والمستودع فاعل أخذلها ، وهو اسم مفعول أراد به الغزال، يقول : استودعته أمّه خَمرَ الوعساء خوفاً عليه. والوعساء : الأرض الليِّنة لا يبلغ تُرابُها أن يكون رملا . ويقال الوعساء رابيةٌ من رمل . والخمرَ ، بفتح الخاء المعجمة والميم : الشجر الساتر . ومرخوم ، بالخاء المعجمة أى محبوب ، يقال : ألقى عليه رَخمته ، وإن عليه الرخمة بالتحريك أى محبّة . وقوله : كأنَّه ، أى كأنّ الغزال فى وقت الضحى سكرانُ رماه على الصعيد الخمر . والصعيد : الأرض . والدبَّابة : الخمر لأنها تدبّ فى الرأس والجسم . والخُرطوم : أوّل ما ينزل من الخمر ، وإنما شبّه الغزال فى ضعفه وغلبة النعاس عليه وفتور عظامه بالسكران الذى غلبت عليه الخمر .

وقوله : (لا ينعَشُ الطرفَ إلخ) فاعلُ ينعْش ضمير ساجى الطرف ، وهو الغزال ، والطرف مفعوله ، ونَعَش كرفع معنى ووزنا ، ومضارعهما مفتوح العين . وروى أيضاً : (لا يرفع الطرف) : يَصفه بكثرة النوم ، لأنّه يغلب على الطفل لرُطوبة مِزاجه . يقول : لا يرفع طرفه ولا جفْنَ عينه ، من شدَّة نُعاسه ، إلاّ أن تأتى إليه أمُّه فيسمعَ حسَّها أو صوتها ، فعند ذلك ينتعش ويقوم . والتخوُّن : التعهد ، يقال للحمَّى : تتخوَّن فلانا ، أى تتعهَّده ، وأصل التخوُّن التنقّص ، ويقال تخوَّننى فلانٌ حقِّى ، إذا تنقّصك . قال الجوهرىّ : «يقول : الغزال ناعسٌ لا يرفع طرفه إلاّ أن تجىء أمُّه وهى المتعهّدة له ، ويقال: إلاّ ما تنقَّصه نَوْمَه دعاء أمِّه له» .وتخوَّنه فعل ماض فاعله داعٍ المرادُ به أمّه . وأخطأ المظفّرىّ (فى شرح المفصّل) حيث قال : تخوَّنه فعل مضارع حذف منه التاء ، وداع بدل من الضمير فى تخوَّنه وهى الظبية . انتهى . وما مصدريَّة وقبلها

٢٢٢

وقت محذوف أى لا يرفع طرفه إلاّ وقت تعهُّدها إيّاه بهذه اللفظة وهى ماءِ ماءِ(١)،وحكى صوتها،و فعله من باب ضرب(٢).و بُغام الناقة : صوتٌ لاتفصح به وبَغَمت الرجلَ : إذا لم تفصح له عن معنى ما تحدِّثه به. قال الأصمعىُّ فى شرحه هنا: ومَبغوم : مردودٌ إلى الصوت ، بُغِمَ به فهو مَبغوم ، كما تقول قيل فهو مقول . أشار بهذا إلى أنَّه صفة داعٍ ، بمعنى أنه يجيبه ولده بماءِ ماءِ أيضاً(٣).وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أى دعاؤه مبغوم ، فلم يذكره اكتفاء بما فى داعٍ من الدعاء ، ومعناه دعاء ذلك الداعى بُغامٌ غير مفهوم . وقيل فاعل يناديه . وهذان القولان تعسّف . ويناديه صفة لداع ، قدم الوصف الجُمْلىّ على الوصف المفرد . وقيل يناديه حال من داعٍ ، وفيه نظر لأنَّه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف .

وقد تقدمت ترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصَّل (٥):

٣٠٨ (ذَعرتُ به القَطاو نفَيتُ عنه مَقامَ الذئبِ كالرجُلِ اللَّعينِ)

على أن لفظ (مقام) مقحم ، وإليه ذهب الزمخشرى (فى المفصل)

---

(١) ش : « ماما » ، وهما لغتان ، ولغة ثالثة : ماه ماه ، بالهاء الساكنة فى آخرها . اللسان (ما ٣٦٣) .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) بالبناء على الكسر ، وانظر ما سبق قريبا .

(٤) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٥) انظر ابن يعيش ٣ : ١٣ ش ١٥ وكذا المعانى الكبير ١٩٤ ومجالس ثعلب ٥٤٣ والمنصف ١ : ١٠٩ وديوان الشماخ ٩٢ .

والبَيضاوىّ (فى اللب)، قال شارحه السيد عبدالله : وفيه نظر ، لأنّه يفيد تأكيد نفى الذئب لأنّه إذا نفى موضع قيامه فقد نفاه قطعاً . وفى قوله تعالى : ﴿ ولمنْ خافَ مَقامَ رَبِّه[1] ﴾ رعبٌ لايفيده لو لم يذكر المقام. انتهى . وهذا هو ماأجاب به الشارح المحقّق ، وإليه ذهب صاحب الكشّاف فى حم السجدة[2] عند قوله تعالى: ﴿ونأى بِجانبه[3] ﴾ على أنه يوضع الجانب موضعَ النفس ، فإنَّه يُنزِّلُ جانب الشىء ومكانه وجهته منزلةَ نفسِه فيقال : حضرة فلان ومجلسه ، وكتبت إلى جانبه وجِهتِه ، والمراد نفسه ، ومنه مقام الذئب ، وهو الذئب نفسه .

وسبقَهم إلى هذا ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) فإنَّه قال : قوله : مقام الذئب ، أراد الذئب نفسه ، أى نفيتُ الذئب عن مَقامه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة عدّتها أربعة وثلاثون بيتاً للشمّاخ بن ضرار ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائة[4] مدح بها عَرابة ابن أوس . وليست لذى الرمة كما زعم العلامة الشيرازى فى سورة الرحمن ، وتبعه الفاضل اليمنى . وهذا بَعْدَ مطلعِها :

قصيدة الشاهد

(وماءٍ قد وردتُ لوصل أرْوَى ... عليه الطَّيرُ كالوَرَق اللَّجينِ
ذَعرتُ به القَطا ونفيتُ عنه ... مقامَ الذئبِ كالرجل اللعينِ)

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

(٢) هى سورة فصلت التالية لسورة غافر أو المؤمن . فهى من السور ذوات الاسمين كسابقتها . أما السجدة بدون قيد فهى السورة التالية للقمان .

(٣) الآية ٥١ من سورة فصلت . وهى أيضا الآية ٨٣ فى الاسراء .

(٤) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

إلى أن قال مخاطباً لناقته :

(إذا بلَّغتِنِى وحملتِ رحلى ... عَرابةَ فاشرَقى بدَم الوَتينِ

رأيتُ عَرابةَ الأوسىَّ يسمو ... إلى الخيرات منقطِعَ القرين ٢٢٣

أفاد سماحةً ، وأفاد مجداً ... فليس كجامدٍ لَحِزٍ ضنين

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... تلقَّاها عَرابةُ باليمين

فنعم المرتَجى رَكَدت اليه ... رحًى حيزومُها كرَحى الطحين

إذا ضُربت على العلاّت حطَّت ... إليكَ حِطاطَ هاديةٍ شَنون

تُوائِلُ من مِصَكٍّ أنصبَتْه ... حوالبُ أسهرَيهِ بالذَّنين

متى يَنل القطاةَ يَرِكْ عليها ... بحِنوِ الرأس معترِضَ الجبين

شَجٍ بالريق إذْ حَرُمتْ عليه ... حَصانُ الفَرج واسِقة الجنين

طوتْ أحشاء مُرْتِجَةٍ لوقتٍ ... على مَشَجٍ سُلالتُه مَهين

إلى أن قال :

إليكَ بعثتُ راحِلتى تَشَكَّى ... هُزالاً بعدَ مَقْحدها السمين

إذا بَرَكتْ على شَرَفٍ وألقتْ ... عَسيبَ جِرانِها كعصا الهَجين(١)

إذا الأرْطَى توسّد أبْرَدَيهِ ... خُدودُ جوازئٌ بالرمل عين

كأن مَحازَ لَحيِها حصاهُ ... جِنابا جلدِ أجربَ ذى غُضون)

وهذا المقدار نصف القصيدة ، وإنما سُقْناه لأن فيه شواهد .

وقوله : وماء قد وردت إلخ ، الواو واو رب وجوابها قوله الآتى : ذَعرت. وأروى اسمُ المرأة . واللّجين ، بفتح اللام وكسر الجيم ، قال شارح

(١) فى الديوان ٩٣ : « على علياء ألقت » .

ديوانه هنا : اللجين الذى قد رَكِب بعضُه بعضاً فتلجَّن كما يتلجَّن الخِطْمىّ ويتلزَّج . ويقال(١) : اللجين : المبلول من الورق وغيره ، تقول لَجَنته ، إذا بلَلته . انتهى

وقال أبو على الفارسى (فى الإيضاح الشعرى) :أما الطير فيرتفع بالظرف بلا خلاف ، وأما قوله : كالورق اللّجين فإنه يحتمل ضربين :أحدهما أن يكون حالاً من الطير ، والآخر أن يكون وصفاً للماء تقديره : وماء كالورق اللجين لوصل أروى عليه الطير . ومثل قوله : وماء كالورق اللجين فى المعنى ، قولُ علقمة :

فأوردتُه ماءً جِماماً كأنّه من الأَجْن حِنّاء معا وصَبيبُ

فكما شبَّه خُثُورة الماء لتقادُم عهده بالواردة بالحِنّاء ، كذلك شبّه الشمّاخ بالورق اللجين . وقوله : عليه الطير ، على هذا ، قد حذف منه المضاف(٢) . ومثل ذلك قول الهُذَلىّ(٣) :

تُجيلُ الحُبابَ بأنفاسها وتجلو سَبيخَ جُفالِ النِّسالِ

السبيخ : ما نَسَل من ريش الطير . وقال الأعشى :

وقَليبٍ أجْنٍ كأنّ من الرِّيـ ش بأرجائه سُقوطَ نِصال

وإنْ جعلت كالورق اللجين حالاً للطير ، صار فيه ضميره ، ويكون معنى عليه الطير أنّ الطير اتخذت فيه الأوكار لخلائه وكثرتها عليه،وقلة من يَرِدُه ،

(١) ط : « وقال » صوابه فى ش .

(٢) فى اللآلىء ٦٦٣ : « قوله عليه الطير ، أراد ريش الطير ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه » .

(٣) هو أمية بن أبى عائذ الهذلى . أشعار الهذليين ٢ : ١٨٢ .

فالطير لكثرتها عليه وتكابسها فيه كالورق اللجين . ومثل ذلك فى المعنى قول الراعى :

بدَلوٍ غير مكرَبَةٍ أصابتْ حَماماً فى جوانبه فطارا

كأنّه استقى بسُفْرةٍ فلذلك لم تكن مُكْرَبة ، والطير قد اتخذت فيه الأوكار للخلاء . فقوله كالورق اللجين ، مثل قولك صائداً به وصائد به ، بعد قولك : مررت برجل معه صقر . فجعلتَه مرةً حالا من الهاء فى معه ، وأخرى صفة لرجل . انتهى ٢٢٤

وقال شرّاح أبيات المفصل : اللجين : الساقط من ورق الشجر عند الضرب بالعصا . قالوا : المعنى اجتمعت على ذلك[1] الطيرُ شبيهةً بالورق الساقط من الشجر ، فى اصفراره ، لأنّه فى القفر فلا يرِده واردٌ من الناس .

وقوله : ذعرت به القطا الخ ، يريد أنّه جاء إلى الماء متنكّرا . وذعرت : خوّفت ونفرّت . ونفَيت : طردت وأبعدت . والباء بمعنى فى ، وخَصّ الذئب والقطا لأنّ القطا أهدى الطير ، والذئب أهدى السباع ، وهما السابقان إلى الماء . قال شارح الديوان : أى ذعرت القطا بذلك الماء ، ونفيت عن ذلك الماء مقامَ الذئب ، أى وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحّيته عنه . أراد مقام الذئب كالرجل اللعين المَنْفِيّ المُقْصَى . انتهى . فاللعين على هذا بمعنى الطّريد ، وهو وصف للرجل ، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) قال : اللعين : المطرود وهو الذى خلعه أهله لكثرة جناياته . وقال بعض فضلاء العجم

(١) [illegible]

(فى شرح أبيات المفصّل) : اللعين : المطرود الذى يلعنه كلُّ أحد ولا يُؤويه ، أى هذا الذئب خليعٌ لا مأوى له كالرجل اللعين . وقال صاحب الصحاح : الرجل اللَّعين : شىء يُنصب فى وسط الزَّرع يُستطرَد به الوحوش . وأنشد هذا البيت .

وقد أغرب أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) بقوله : كان الرجل فى الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعل له مثالٌ من طِين ونُصب ، وقيل : ألاَ إنّ فلاناً قد غدرَ فالعَنوه . كما قال الشاعر[١] :

فلَنقْتُلَنّ بخالدٍ سَرَواتِكُمْ ولَنَجْعَلَنّ لظالمٍ تِمثالا[٢]

فالرجل اللعين هو هذا التِّمثال[٣] . هذا كلامه ، فلينُظَر على هذا ما معنى البيت .

وكذلك فى قول أبى عبيدة خفاء حيث قال : إنّما يريد مقام الذئب اللعين كالرجل ، نقله عنه ابن قُتيبة : (فى أبيات المعانى) ، وأبو على : (فى المسائل البصرية) .

وقوله : إذا بلغتِنى وحملتِ رحلى ، البيت ، قال المبرّد (فى الكامل[٤]) : « قد أحسن كلَّ الإحسان فى هذا البيت ، يقول : لست أحتاج إلى أن أرحل

---

(١) فى اللآلىء ٦٦٤ : « كما قال عبد الله بن جعدة » .
(٢) بعده فى اللآلىء : « يعنى خالد بن جعفر وقتل الحارث بن ظالم له » .
(٣) لم أجد هذا التعقيب فى اللآلىء . وقال الميمنى : « ليس فيه اغراب الا من جهة ان الذين أخذ عنهم لم يقولوا به . ثم رأيت هذا الكلام بعينته فى كتاب الأزمنة ٢ : ١٧ عن ابن الكلبى » .
(٤) الكامل ٧٥ ليبسك .

إلى غيره . وقد عاب بعضُ الرواة قولَه : فاشْرقى بدَم الوَتين ، وقال : كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها[١] » .

وتقدّم نقل ما اعترض الناس عليه فى هذا البيت بسوء مكافأته لناقته فى الشاهد الستين بعد المائة[٢] .

وقوله : أفاد سماحة الخ ، قال الجوهرىّ : أفدت المال : أعطيته غيرى ، وأفدته: استفدته . والجامد بالجيم ، اليابس ، كناية عن الشُحّ . واللّحِز ، بفتح اللام وكسر الحاء المهملة وآخره زاء معجمة ، هو البخيل الضيّق الخلق . والضّنين : البخيل . وقوله : تلقّاها عَرابةُ باليمين ، قال شارح الديوان : اليمين القوّة ، قال الله تعالى : ﴿لأَخَذْنا مِنْهُ بِاليمين[٣]﴾ . وقال بعضهم : بيمينه لا بشماله . واليمين عندهم أحمدُ من اليُسرى .

وقال المبرد (فى الكامل) : قال أصحاب المعانى : معناه بالقوة . وقالوا مثلَ ذلك فى قوله تعالى: ﴿والسموات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٤]. قال المبرّد:وكان هذا الشعر سبب ارتفاع عَرَابة بن أوس .

سبب الشاهد ٢٢٥

وسبب الشعر أن عَرَابة قدِم من سفر ، فجمعه والشّماخَ الطريقُ فتحادثا ، فقال له عَرابة : ما الذى أقدمك المدينة ؟ قال : قَدِمتُ لأمتارَ مِنهاَ ، فملأ له عَرابةُ رواحلهُ بُرًّا وتمْراً وأتحفَه بغير ذلك ، فقال الشماخ هذا الشعر .

---

(١) انظر بقية الكلام عند المبرد فى الكامل .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٨ — ٤٠ .
(٣) الآية ٤٥ من سورة الحاقة .
(٤) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

وقال معاوية لعَرابة بن أوس : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ولكنّى رجلٌ منهم . فعزَم عليه ، فقال : أعطيت فى نائبتهم ، وحمَلت عن سفيهم ، وشددت على يدَى حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلى فهو مثلى ، ومن قصّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منِّى .

وقوله : فنعم المرتجى الخ ، المخصوص بالمدح محذوف ، أى عَرابة . وَركَدتْ إليه ، أى بَرَكت عند عَرابة ، ويقال دام سيرُها إليه ، والراكد : القائم . ورَحى حَيزومِها أى كِرْكِرتها ، قال الجوهرىّ : «والكِرْكِرةُ بالكسر : رَحى زورِ البعير » . والإبل توصف بصِغر الكِركِرة ، وشبَّه رَحى حَيزومِها برحى الطحين فى الصَّلابة لا فى العِظَم ، فإنَّه عيب .

وقوله : إذا ضُربت على العِلاّت إلخ ، يقول : إذا ضُربت على ما كان بها من عِلّة حَطّت إليك ، أى اعتمدت عليك اعتمادَ هاديةٍ أى أتان متقدمة . والشَّنُونُ ، بفتح الشين المعجمة وضمّ النون ، بين السمين والمهزول .

وقوله : تُوائِل مِنْ مِصَكٍّ إلخ ، تُوائل : تُفاعِلُ ، من وَأَل بمعنى نجا ، أى تنجو وتهرُب تلك الأتان من مِصكّ ، أى حمار شديد ، بكسر الميم وفتح الصاد المهملة ، والكاف مشددة . وأنصبَتْه من النَّصَب وهو التعب . وحَوالبُ فاعل أنصبَتْه ، وهى ما تحلَّب وسال من أنفه وذَكَره ؛ أى ذَكَرهُ يذِنّ بماء ظهره فهما(١) حوالب أسهريه ، لشدَّة شبَقه . والذَّنين ، بفتح الذال المعجمة ونُونَين(٢) الشىء الذى يسيل ويجرى ، وقد ذنّ يذِنّ ذَنيناً ، إذا سال وجرى . وقال

(١) فى النسختين : « فهى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ، يعنى الأنف والذكر .

(٢) فى النسختين : « وتذنين » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

أبو عبيدة : حوالب أسهريه هما عِرقا الذكَر اللذان يظهران إذا أنعظ . ويقال الأسهران : عرقانِ فى أصل القفا يجرى فيهما الماء حتَّى يبلغ الذكر . ويقال : الذنين : الذكر . كذا قال شارح الديوان .

وقوله ، متى ينل القطاة الخ ، أى متى ينل الحمارُ قطاة الأتان ، وهو موضع الرِّدف ، يَرِكْ عليها أى يتورَّك عليها . وحِنْو الرأس ، بكسر المهملة : جانب الرأس . وقوله : معترِضَ الجبين ، أى جبينُه فى ناحية من شدَّة نشاطه .

وقوله : شَج بالرِّيق ، أى غصَّ ذلك الحمارُ بريقهِ إذْ حرُمت عليه ، وذلكَ أنّها حاملٌ ، وهى محصنَةَ الفرج ، يعنى الأتان . والواسقة : الحاملة . والجنين : الولد فى بطنها . فليس فى الأرض أنثى تحمل فتمكن الفحلَ ما خلا المرأة .

وقوله : طوت أحشاء إلخ ، أى هذه الأتان ضمَّت أحشاء مُرتجَة ، أراد رَحِمَها ، أى أغلقتْ رَحِمَها على ماء الفحل . والمَشِجُ ، بفتح الميم وكسر الشين : ماء الفحل مع الدم ، وقيل ماء الفحلِ والأتانِ جميعاً يختلطان . وسُلالته أى ماؤه ، وهو فاعل مَشِج ، ويقال السلالة الولد ، وهو الرقيق . ومَهين : ضعيف ، وهو صفة مَشِج . كذا قال شارح الديوان . وهذا البيت أورده صاحب الكشَّاف عنه قوله تعالى : ﴿ أمْشَاجٍ نَبتَلِيهِ[1] ﴾ ، على أنَّه يقال مَشِجٌ كما يقال أمشاج وكلاهما مفرد .

قال شارح شواهد التفسيرين خَضْرٌ الموصلىّ : يجوز أن يكون سلالته مبتدأً وخبره مهين ، وإنّما لم تؤنَّث إمَّا لأنّه فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل لكنه حمل عليه ، أو لأنَّ المراد شىء مهين . والجملة صفة لمشج . هذا كلامه .

(١) الآية ٢ من سورة الانسان .

وقد غفل عن القوافى مع أنّه أورد القصيدة فإنّها مجرورة ، فهين مجرور لا مرفوع حتّى يصح أن يقع خبر المبتدأ .

٢٢٦ والمعنى أنّ هذه الاتان أطبقت رَحِمَهاَ إلى وقت الولادة على النُّطفة ، فلا تمكِّنُ الحمار منها ، فهى تهرُب منه بأشدٍّ ما يكون ، فناقة الشمّاخ تشبه هذه الأتانَ فى الإسراع للتوجُّه إلى هذ الممدوح .

وقوله : إليك بعثت الخ ، المَقْحِد ، بفتح الميم وسكون القاف وكسر الحاء المهملة : السَّنام .

وقوله: إذا بَرَكتْ على شَرَف إلخ ، الشرَف ، بفتحتين : الموضع العالى . والعسيب هنا : عظم العُنُق ، ويأتى بمعنى عَظْمْ الذنَب . والجران بكسر الجيم: باطن العنق ، وهو الذى يمسّ الأرض عند مدّ عنقه عليها . وشبَّه العسيبَ بعسا الهَجين لخفَّته وطوله . وخصَّ الهجينَ لأنَّ العبيد كانوا يرعَون الإبِلَ ويستجيدُون العصا . وجواب إذا هو قوله كأن مَحاز لحيها البيت الآتى .

وقوله : إذا الأرطى توسّدَ إلخ ، هذا البيت من أبيات أدب الكاتب لابن قتيبة . والأرْطىَ : شجرٌ من أشجار البادية تُدبَغ به الجلود ، وهو مفعول لفعل محذوف ، أى إذا توسّد الأرطى . وأبردَيه بدل اشتمال من الأرْطى . ومعنى توسّد أبرديه اتخذها كالوِسادة . والأبردان ، الظل والفىء ، سمّيا بذلك لبردهما . والأبردان أيضاً : الغداة والعَشى . وخدودُ فاعل توسّد . والجوازئُ : الظباء . وبقر الوحش سمّيت جوازئُ ، لأنَّهاَ اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء ، أى اكتفَت به واستغنت عن شرب الماء . والعِين : الواسعات العيون ، جمع عيناء . والمعنى أنَّ الوحوش تتخذ كِناسين عن جانبى الشجر تستتر فيهما من حَرّ الشَّمس ، فترقد قَبلَ زوال الشمس فى الكِناس

الغربي ، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظلُّ فصار فَيئاً زالت عن الكِناس الغربيّ ورَقدت فى الكِناس الشرقىّ . والمعنى أنه قَطع الفلاة فى الماجرة حين تَفِرّ الوحوشُ من حرِّ الشمس . يمدح نفسَه بذلك ويوجب على الممدوح رعايةَ حقّه . فقوله إذا الأرطى ، ظرف لقوله بعثت فى البيت السابق ، وليست شرطيَّة حتّى يقدّر لها جزاء ، خلافا لابن السيد .

وقوله : كأنّ مَحاز لَحْيَيها إلخ ، هذا جواب إذا الأولى. أخبر أنّها تطأطىء رأسَها من الذُّباب فتلزقه بالحصى فتدفع الحصَى بلحييها . فأخبر أنّ تلك الأرض التى دفعت الحصى عنها ، كأنها جلدُ أجرَبَ لم يَبق عليه من الوبر إلاّ القليل . يقول : تقع مُغْيِيةً فتمدّ جِرانَها فتفحص التراب والحصى ، فكأنّ ذلك الفحص جِنابا (بكسر الجيم) أى ناحيتَا جلدٍ أجرب . وضمير حصاه للرمل .

وقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى حكايةً مستظرفة ، لقوله إذا الأرْطى تَوَسَّدَ أبرديهِ[1] البيت ، فرأيت ذكرها فى هذا الموضع :

عن المدائنى أنّ عبد الملك بن مروان نَصب الموائدَ يُطعِم الناس ، فجلس رجلٌ من أهل العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره فقال : أعراقىٌّ أنت[2] ؟ فقال : نعم ! فقال : بل أنت جاسوس ! قال : لا ، ويحكَ! دَعْنى أتَهنَّأ طعامَ أميرِ المؤمنين ولا تنغِّصه علىَّ[3]. ثم إن عبد الملك قبل يطوف على الموائد فوقف على تلك المائدة فقال : من القائل :

(١) ط : « أسد أبرديه » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : أعرابى أنت » ، صوابه فى ط والأغانى ٨ : ١٠٣ .

(٣) الأغانى : « دعنى أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصنى به » .

* إذا الأرْطى توسَّد أبرَدَيه *

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه . فقال العراقىّ للخادم : أتحبُّ أن أشرح لك ذلك(١) ؟ قال : نعم ! فقال : هذا البيت يقوله عَدىُّ بن زَيد فى صفة البطِّيخ الرمسى . فنهض الخادمُ مسروراً إلى عبد الملك فأخبره ، فضحك عبد الملك حتّى سقط ، فقال له الخادم : أخطأتُ يامولاى أم أصبت ؟ فقال: بل أخطأت . فقال:هذا العراقىُّ لقَّننى إياه(٢). فقال:أىُّ الرجال هو(٣)؟ فأراه إياه . فقال : أأنت لقنته هذا ؟ فقال : نعم . فقال : صواباً لقّنتَه أم خطأ ؟ فقال : بل خطأ . فقال : ولم ؟ قال : لأنى [كنتُ] متحرما(٤) بمائدتك فقال لى كيت وكيت ، وأردت أن أكفَّه عنّي وأضحكك منه . فقال له عبد الملك : فكيف الصواب ؟ فقال : هذا البيت يقوله الشمّاخ بن ضِرار فى صفة البقر الوحشيّة التى جزأت بالرُّطب عن الماء ، فقال : صدقت ! وأمر له بجائزة ، ثم قال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : وما هى ؟ قال : تُنحِّى هذا عن بابك ، فإنّه يَشينُه .

٢٢٧

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثلثمائة(٥) :

٣٠٩ (فقُلتُ انجُوَا عَنْها نَجا الجِلدِ ، إنَّهُ
سَيُرْضِيكُما منها سَنامٌ وغارِبُهْ)

(١) الأغانى : « أن أشرح لك قائله وفيم قاله » .
(٢) الأغانى : « هذا العراقى فعل الله به وفعل لقننيه » .
(٣) هذا ما في الأغانى . وفى النسختين : « أى الرجل هو » .
(٤) هذا ما فى الأغانى . وفى ط : « لأنى متحريا » . وفى ش : « لأنى متحرم » مع أثر اصلاح .
(٥) المنصف ١ : ٢١ والانصاف ١٢٣ وابن يعيش ٧ : ١٢٩ ، ١٥٢ والعينى ٣ : ٣٧٣ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ .

على أنَّ الفرّاء يجيز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كما فى البيت ، فإن النَّجاء والجِلد مترادفان ، وقد تضايفا ،

وهو معنى قول المراديّ (فى شرح الألفية) : نَجا الجلد من إضافة المؤكِّد إلى المؤكَّد ، قال صاحب الصحاح : النَّجا مقصورٌ من قولك نجوتُ جلدَ البعير عنه وأنجيته ، إذا سلخته ، قال الشاعر يخاطب ضَيفَين طرَقاه :

فقلتُ انجُوَا عنها نجا الجِلد إنّه .. البيت

قال الفرّاء : أضاف النجا إلى الجلد لأنَّ العرب تضيف الشىء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كقولك : عَين اليَقين ، ولدارُ الآخرة . والجِلد نَجاً مقصور أيضاً . انتهى .

وقال القالى فى (المقصور والممدود) : والنَّجا ماسلخته عن الشاة والبعير ، يُكتب بالألف ، لأنّه من نجا ينجو . وأنشد هـذا البيت عن الفراء عن أبى الجرّاح . فيكون أصله نَجَو بالتحريك ، قلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها .

قال الزَّجاجيّ (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ[1] ﴾ : معنى النجوى فى الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان ، سرًّا كان أو ظاهراً . ومعنى نجوت الشىء فى اللغة خلَّصته وألقيته ، يقال نجوت الجلد : إذا ألقيتَه عن البعير وغيره ، وأنشد هذا البيت .

وقال أبو القاسم علىّ بن حمزة البَصرىّ (فى التنبيهات على أغلاط الرواة) لا يقال فى الإبل سَلَخت ، وإنّما يقال فيها خاصةً نجوت وَجلَّدت .

---

(١) الآية ١١٤ من النساء .

قال أبو زِياد : نجوت جِلدَ البعير وجلَّدت البعير تجليدا ، ولا تقول سلخت إلاّ لعنقه ، فإنّهم يقولون ذلك فيه دون سائر الجسد .

وقال ابن السيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) : يريد قشْرا عنها لحمها وشحمَها ، كما يقشَّر الجلد ، فإنّها سمينة . وغاربُها : ما بين السَّنامِ والعُنُق . ويؤخذ من هذا التفسير أن النجا هنا اسم مصدر بمعنى النجْوِ ، منصوبٌ على أنّه مفعول مطلق وليس اسماً للجلد . فلا يكون كما قاله الفرّاء . فتأمّلْ .

ورأيتُ (فى حاشية الصحاح) لابن برّىّ نسبةَ هذا البيت لعبد الرحمن ابن حسّان بن ثابت رضى الله عنه .

ونقل العينى (عن العُباب للصاغانى) أنّه لأبى الغَمْر الكِلابىّ[1] ، وقد نزل عنده ضَيفانِ فنحر لهما ناقةً ، فقالا : إنّها مهزولة . فقال معتذراً لهما : « فقلت انجوا الخ » .

٢٢٨ قال : وقَبلَه بيتان آخران وهما :

(وردتُ وأهلى بين قوٍّ وفَرْدةٍ على مَجزِرٍ تأوى إليه ثعالبُهْ
فصادفتُ خيرَى كاهلٍ فاجآ بها يَشُفَّان لحماً بانَ منه أطايبُهْ)

---

(١) وفى العينى ٣ : ٣٧٣ نسبة الشعر أيضا الى أبى الجراح ، نقلا عن القالى فى المقصور والممدود . وأبو الغمر هذا غير أبى الغمر الجبلى الذى ترجم له البكرى فى السمط ٤٤٣ وذكر أنه كان كاتبا لأبى دلف العجلى أو لابن عمه ، وهو من شعراء الجبل . وهو أيضا غير أبى الغمر الطمرى الذى ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٨٥ وذكر فى الأشباه والنظائر للخالديين ٢ : ٥ وصحف بأبى العمر الطبرى .

وقد فتّشت العُباب فلم أظفر فيه بشيء مما قاله ، والله أعلم بحقيقة الحال .
وقَوٌ — بفتح القاف وتشديد الواو — هو وادٍ بالعقيق عَقيق بنى عُقَيل .
وفَردة — بفتح الفاء وسكون الراء بعدها دال — ماء من مياه نجدٍ لجرم .
كذا فى معجم البكرىّ . ومجزٍ بكسر الزاى موضع الجَزْر . وكاهل : أبو قبيلة ،
وهو كاهل بن أسد بن خُزيمة . وفاجأ : أى أتى بَغتة . ويَشُفّان : من
شفّه الهمّ يَشُفّه بالضمّ أى هَزَله ، أى اللحم الذى ظهر منه أطايبُه قالا إنه
مهزول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الثلثمائة[1] :

٣١٠ ﴿ مَلِكٌ أَضْلَعُ البَرِيَّةِ لا يو جَد فيها لِما لَدَيه كِفاء ﴾

على أنَّ إضافة أفعل التفضيل عند أبى بكر بن السرّاج ومن تبعه لفظيّة
لا تفيد تعريفاً ، بدليل هذا البيت ، فإنَّ أضْلَع البَرِيَّة وقع نعتاً لملك ،
وهو نكرة ، فلو كانت تفيد التعريف لما صحّ وقوعه نعتاً لنكرة .

قال أبو على (فى التذكرة القصريّة) : قال أبو بكر ، فى أفعل الناس
نحو أشرف الناس وأفضل القوم : إنَّ هذه الإضافة فى تقدير الانفصال ، لأنَّ
ما تضيفه من هذا القبيل ينبغى أن يكون بعضَ ما يضاف إليه ، بدلالة امتناع
زيد أفضل الحمير ، فيجب أنْ يقدّر الانفصال ، وإلاّ لم يَجُز ، لئلا تضيف
الشىء إلى نفسه .

فإن قلت : فإنّ ما يقدّر فيه الانفصال نجد فيه معنى الفعل ، نحو ضارب

(١) من معلقة الحارث بن حلزة المشهورة .

وليس فى أفعل معنى الفعل ؛ قيل : هذا وإن قصّرَ عن فاعل فإن فيه معنى الفعل لنصبه الظرف فى بيت أوس : «أحوجَ ساعةً[١]» ، ووصوله تارةً بالحرف وأخرى بنفسه نحو (أَعْلَمُ بمن) و (أَعْلَمَ من) ، وهذا مما يختصّ بالفعل .

فإن قلت : إذا قدَّرت فيه الانفصال اقتصرت به على النكرة كضارب زيد . قال ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ[٢]﴾ . فالجواب عندى نعم ، وذلك قوله : « ملك أضْلَعَ البرية البيت » . وأما قوله : أَحْسَنُ الخالقين فيكون مقطوعا ، أى هو أحسن الخالقين ، لأنّه موضع ثناء . انتهى

وهذا البيت من معلَّقة الحارث بن حِلِّزة ، وهى سابعة المعلقات السبعة[٣] ، وقد تقدَّم جانب منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والأربعين[٤] وقطعة فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين[٥] ونقلنا فى الموضعين[٦] سبب نظمه لهذه المعلقة ، وفى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة أيضاً[٧] .

وقبل البيت الشاهد :

(فملَكنا بذلك الناسَ حتَّى مَلَكَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ

---

(١) هو قوله فى الديوان ١٢١ :

فانا وجدنا العرض أحوج ساعة الى الصون من ريط يمان مهم

(٢) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

(٣) ط : « السبع » ، وهما وجهان جائزان فى العربية ، فالعدد اذا وقع وصفا جاز فيه المطابقة وعدمها .

(٤) الخزانة ١ : ٣٢٤ .

(٥) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٦) الصواب « فى الموضع الأول » ، وليس فى الثانى ذكر لسبب النظم .

(٧) الخزانة ٣ : ١٨١ .

وهو الربُّ والشهيدُ على يو م الحيارَينِ والبلاء بلاء
ملكٌ أضْـلَعُ البريَّةِ . . . . البيت)

وقوله : فملكنا بذلك ، فى هذا البيت إقواء ، فإنّه مجرور القافية .
وقيل:هذا البيت منحول إليه ، ليس من القصيدة . وقوله : بذلك ، يعنى بالعزّ والامتناع وبالحروب التى كان الغَلَبُ لنا فيها ذلَّلنا الناسَ حتَّى ملك المنذر بن ماء السماء .

٢٢٩ وقوله : وهو الربُّ الخ ، الربُّ عنَى به المنذرَ بن ماء السماء . والربُّ ، فى هذا الموضع : السيّد . والشَّهيد : الحاضر . والحِيارانِ : بلدٌ ، وهو بكسر الحاء المهملة بعدها مثنّاة تحتيّة . يخبر أنَّ المنذر كان شهد يوم الحيارين . فإنَّ المنذر غزا أهلَ الحيارَينِ ومعه بنو يَشكُر ، فأبلَوا بلاءً حسناً ، وكان البلاء فى ذلك اليوم بلاء عظيا .

وقوله : ملكٌ أضلعُ الخ ، خبرٌ آخرُ لقوله هو ، فيكون مشاركاً للرب فى الخبريّة ، فإنَّ الأخبار يجوز أن يأتى بعضها بالعطف وبعضها بدونه كما هنا . وأضلعُ البريَّة أى أشدُّ البرية إضلاعاً[1] لما يحمل ، أى هو أحمل الناس لما يُحَمَّل ، من أمر ونهى وعطاء وغير ذلك . وقوله : لا يوجد فيها الخ ، معناه ليس فى البرية أحدٌ يكافئه ، ولا يستطيع أن يصنع مثلَ ما يصنع من الخير . والكِفاء ، بالكسر : المِثْل والنظير ، يقال فلان كفاء لفلان أى كُفء له ونظير . وروى : (مَلِكٌ أضرَعَ البَرِيَّةَ) على

(١) ط : « أضلاعا » ، صوابه بكسر الهمزة . وفى القاموس : « وهو مضلع لهذا الأمر ومضطلع ، أى قوى عليه » . وحورها الشنقيطى فى نسخته الى « مضطلعا » ، وهى صحيحة ، لكن ما أثبت أقرب تصحيح .

أنّه فعل ماض ، أى أذلّ البريةَ وقهرَها ، فما يوجد فيهم من يُساويه فى معاليه . وحينئذ لا شاهد فى البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الثلاثمائة[1] :

٣١١ * ولم أر قوماً مِثْلَنا خيرَ قَوْمِهم
أَقلَّ بِهِ مِنَّا عَلى قَومِهم فخرَا *

لما تقدَّم قبله ؛ فإنّه وصف النكرة وهى قوماً بخير ، وهو بمعنى التفضيل ، ولو كانت الإضافة معنوية للتعريف لما وقع صفةً للنكرة .

قال الشّلوبين (فى حاشية المفصّل) : هذا إذا جعلت خيراً للتفضيل ؛ فإن جعلتَ خيراً فيهما من الخير الذى هو ضدّ الشرّ ، لم يكن من هذا الباب .

وجوّز شُرّاح الحماسة أن يكون خيرَ قومهم بدلاً أيضاً من قَوما ، لكنْ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[1]) : في هذا البيت شاهدٌ لجواز : مررت برجل أكرم أصحابه على أصحابه ، على الصّفة ، لأنّها هنا أظهر من البدل ، والباء فى به ضمير الخير الذى دل عليه قوله خير قومهم ، وليس الثانى هو الأوّل ، لأن خيراً الأوّل صفة ، والثانى المقدّر مصدر ، كقولك : أنا أوثر الخير وأكره الشر ، فدلّت الصفة على المصدر ، كقول الآخر :

إذا نُهِى السَّفيه جرَى إليه وخالفَ ،والسَّفيهُ إلى خلافِ[2] انتهى

---

(١) اعراب الحماسة ٥٢ مخطوطة أحمد الثالث .
(٢) هو الشاهد ٣٧٤ من الخزانة .

وقوله : أقل ، بالنصب مفعول ثان لقوله لم أر . وفخراً تمييز . وتقدير البيت: لم أر خير قوم مثلنا أقلّ بذلك فخراً منّا على قومنا . والمعنى إنّا لا نبغى على قومنا ولا نتكبّر عليهم ، بل نعدُّهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم ونوازنهم قولا بقول ، وفعلا بفعل .

أبيات الشاهد

وهذا البيتُ أولُ أبيات ثلاثةٍ مذكورة (فى الحماسة) لكن جميع النسخ والشروح على إسقاط الواو من قوله : ولم أر قوماً ، على أنه مخروم . والبيتان اللذان بعدهما :

(وما تَزْدَهينا الكبرياء عليهمُ ... إذا كلّمونا أنْ نكلّمَهم نَزْرا

ونحن بنو ماءِ السماء ، فلا نرى ... لأنفسنا من دون مملكةٍ قَصْرا)

زهاه وأزهاه بمعنى تكبّر ، والزَّهو : الكبر والفخر . ونزراً أى قليلا ، وهو مفعول مطلق أى كلاماً قليلا ، والمعنى لا يستخفّنا الكِبْرُ ، إلى أن نتعلّى عليهم ونقلّل الكلام معهم ترفّعاً عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاشرهم فى القول والسؤال ، إيناساً لهم وتسكيناً منهم .

ماء السماء

٢٣٠

وماء السماء ، قال فى الصحاح : هو لقب عامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مُزَيقيا الذى خرج من اليمن لما أحسّ بسَيل العَرِم ، فسمّى بذلك ، لأنّه كان إذا أجدب قومه مانَهُمْ حتى يأتيهم الخصب ، فقالوا : هو ماء السماء ؛ لأنه خَلَفٌ منه . وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . قال بعض الأنصار[1] :

أنا ابنُ مُزيقِيا عمرٍو وجَدِّى ... أبوه عامرٌ ماء السماء

---

(١) هو أوس بن الصامت ، كما فى العينى ١ : ٣٩١ .

وماء السماء أيضاً : لقب أمّ المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عَدِيّ ابن رَبيعة بن نَصْر اللّخميّ . وهي ابنة عَوف بن جُشَم ، من النَّمر بن قاسِط . وسمِّيت بذلك لجمالها ؛ وقيل لولدها بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وقال زُهير بن جناب :

ولازَمتُ الملوكَ منَ ال نصرٍ وبَعْدَهُمُ بنى ماءِ السَّماءِ . انتهى

صاحب الشاهد — فالظاهر أنَّ المراد هنا هو الأول ؛ لأنَّ قائلَ الأبيات أنصارى ، وهو زيادة ابن زيد الحارثى[١] من بنى الحارث بن سعد أخو عذرة . وقال أبو رياش[٢] : هو زيادة بن زيد ، مِن سعَد هُذَيم[٣] بن ليث بن سُود بن أسلُم بن الحافِ ابن قُضاعة . كذا قال التبريزى .

زيادة بن زيد — وزيادة شاعر إسلامىٌّ فى الدولة الأمويّة ، قتله ابن عمه هُدبةُ بن خَشْرَم . ويأتى إن شاء الله سبب قتله عند ذكر هدبة[٤] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى عشر بعد الثلثمائة، وهو من شواهد س[٥] :

---

(١) ط : « بن زياد الحارثى » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « ابن رياش » ، وانما هو أبو رياش شارح الحماسة .

(٣) فى النسختين : « بن سعد بن هذيم » ، صوابه من التبريزى ١ : ٢٣٨ . وانظر لسعد هذيم جمهرة ابن حزم ٤٤٧ والمعارف ٤٧ والاشتقاق ٥٤٦ من تحقيق كاتبه . وفى الجمهرة ان سعد هذيم هو ابن زيد بن ليث بن سود .

(٤) انظر الخزانة الشاهد ٧٥٠ .

(٥) فى كتابه ١ : ٣٩٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٢٣١ واللسان (أيا ٥٩) .

٣١٢ (فأيِّى ما وأيُّكَ كانَ شرًّا　　فَقِيدَ إلى المُقامةِ لا يَرَاها)

على أن هذا ضرورة ، والقياس المستعمل : فأيّنا كان شرًّا من صاحبه .

وما زائدة للتوكيد ، وأيِّى مبتدأ ، وأيُّك معطوف عليه ، واسم كان ضمير ، أى أيّنا ، وشرًّا خبره ، والجملة خبر المبتدأ . وقِيدَ مجهول قاد الأعمى . وجىء بالفاء لأنّه دعاء فهو كالأمر . والمُقامة ، بضم الميم وفتحها : المجلس ، وجملة لايراها حالٌ من ضمير قِيد . يدعو على الشرِّ منهما ، أى من كان منّا شرًّا أعماه الله فى الدُّنيا فلا يُبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح اللباب : أى قِيدَ إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم فى العرَصات لايراها ، أى قِيد أعمى لا يَرى المُقامة . انتهى .

وحَمْل الدعاء فى الآخرة(١) لا على الدنيا غير جيِّد . وهذا من المعاملة بالإنصاف .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من جُملةِ أبياتٍ للعبّاس بن مِرْداس السُّلَمىّ ، قالها لخفاف ابن نَدْبة فى أمرٍ شجَرَ بينهما ، وهى (٢):

(ألا مَنْ مُبلِغٌ عَنّى خُفافًا　　ألوكًا بيتُ أهْلِك مُنْتهاها
أنا الرجلُ الذى حُدِّثتَ عنه　　إذا الخفِراتُ لم تُستَرْبُراها
أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالى　　أفيها كان حتْفى أم سِواها
فأيِّى ما وأيُّكَ كانَ شَرًّا　　فقيد إلى المُقامة لايَرَاها
ولا ولدتْ له أبداً حَصانٌ　　وخالفَ ما يريد إذا بغاها
ولى نفس تتوقُ إلى المعالى　　سَتَتلفُ أو أُبلِّغها مُناها)

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « على الآخرة » .

(٢) الأبيات فى حماسة ابن الشجرى ٣٥ .

٢٣١ وخُفَاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء كغراب، واشتهرَ بالإضافة إلى أمه ، وهى نَدْبة ، بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحّدة . وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالعباس بن مرداس .

وتقدّمت ترجمةُ العبّاس (فى الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[(١)])، أما ترجمة خُفاف بن ندبة فستأتى إن شاء الله تعالى (فى باب اسم الإشارة[(٢)]).

وألوك بفتح الهمزة وضم اللام : الرسالة ؛ ومنهاَ الملائكة : وحُدِّثتَ بالبناء للمفعول والخطاب . والخَفِرات : النساءِ الحييّات ، بفتح الخاء وكسر الفاء، والفعل من باب تعب . والبرُا : جمع بُرَة بضمّ الباء الموحّدة فيهما ، وهى كلُّ حَلْقة من سوار وَقُرط وخَلْخَال ؛ والمراد هنا الأخير . وعدمُ سترِ الخلاخيل للنساء ، إنّما يكون عند هُروبهن من السَّبْي والنَّهْب[(٣)]. وإذا ظرف ، إمّا لقوله حُدِّثت أو لقوله أشُدُّ على الكتيبة . ومثل هذا يسمى (التجاذب). وقوله: أشد على الكتيبة ، قيل : لم يقلْ فى الشجاعة أبلغُ من هذا البيت . والكتيبة : الجيش . والحتْف : الهلاك . وقوله : فقِيدَ إلى المقامة ، روى أيضاً : « فسِيقَ إلى المقامة » من السَّوق . وقوله : ولا ولدت له الخ ، هذا دعاء عليه بقطع نسله . والَحصاَن بالفتح : المرأة العفيفة . وتتوق ، تاقت نفسُه إلى الشىء اشتاقته ونازعت إليه . وتَلِف الشىء من باب فرح إذا هلك .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) فى الشاهد ٤١١ وهو :

فقلت له والرمح يأطر منه تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

(٣) أنكر قوم صحة « الهروب » . وقد وجدتها فى شعر فى الطبرى ٨ : ١٣ وهو :

* وليس بمنجى ابن اللعين هروب *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالثَ عَشَرَ بعد الثلثمائة [١] :

٣١٣ ﴿أظْلَمِي وأظْلَمُهْ﴾

على أنّه ضرورة ، والقياسُ أظلمنا . وهو قطعة من رجز رواه أبو على (فى إيضاح الشعر) عن أحمد بن يحيى الشهير بثعلب ، وهو :

(يارَبَّ مُوسَى أظلَمِي وأظلَمُهُ فاصبُب عليه ملَكاً لا يرحَمُهْ)

قال : معناه أظلمُنا ، كقوله : أخزى الله الكاذبَ منّي ومنه ، أى منّا فالمعنى أظْلَمُنا فاصبُب عليه . وهذا يدلّ على جواز ارتفاع زيد بالابتداء ، فى نحو زيد فاضرِبْه ، إنْ جعلت الفاء زائدة على ما يراه أبو الحسن .

فإن قلتَ : أضمِر المبتدأ كما أضمرتِ فى قولك : « خولانُ فانكحْ فتاتَهم [٢] » ، فإن ذلك لا يسهل ؛ لأنه المتكلم ، فكما لا يتّجه : هذا أنا ، على إرادة إشارة المتكلم إلى نفسه من غير أن ينزله منزلة الغائب ، كذلك لا يحسن إضمار هذا هنا .

فإن قلتَ : إن أظلمُنا على لفظ الغيبة ، فليس مثل هذا أنا ، فإنّه وإن كان كذلك فالمراد به بعض المتكلمين ، ولا يمنع ذلك ، ألا ترى أنهم قالوا يا تميمُ كلّهم ، فحملوه على الغيبة لما كان اللفظ له وإن كان المراد به المخاطب . وإن جعلت المضمر فى علمك ، كأنك قلت قد أظلمنا فى علمك ، كان مستقيما . انتهى .

(١) انظر التصريح ١ : ٢٩٩ والهمع ١ : ١١٠ .

(٢) قطعة من الشاهد ٧٧ فى الجزء الأول ص ٤٥٥ . وهو بتمامه :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا

ورواه ابن عقيل (في شرح التسهيل) هكذا :

* سلّط عليه مَلِكاً لا يرحمُه *

و (ربّ) منادى مضاف إلى موسى ، وضمير (أظلمه) الغائب راجع إلى (موسى) هذا ، وهو خصم صاحب هذا الرجز .

وكلام أبي على مبنيّ على رفع أظلمي وأظلمه بالابتداء والخبر الجملة الدعائية ؛ ويجوز نصبهما على الاشتغال[1] .

* * *

٢٣٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشرَ بعدَ الثلاثمائة[2] :

٣١٤ * فهَلْ لكم فيها إليَّ فإنّني طَبيبٌ بما أعيا النِطاسيَّ حِذْيَما *

على أن فيه حذفَ مضاف ، أى ابن حذيم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، لأنه علم أنّه العالم بالطبّ والمشهورُ به ، لا حذيم ، فإنه وَردَ في الأمثال : « أَطبُّ من ابن حِذْيم » . قال الزمخشرى (في المستقصى): هو رجلٌ كان من أطبّاء العرب . وأنشد هذا البيت وقال : أراد ابن حِذْيم انتهى .

قال أبو الندى : ابنُ حِذْيَم[3] رجلٌ من تيَم الرّباب ، كان أطبَّ العرب ، وكان أطبَّ من الحارث بن كَلَدة .

---

(١) ان صح نصبهما على الاشتغال لزمه عيب القافية وهو الاقواء ، فان البيتين من مشطور الرجز .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٥٣ وابن يعيش ٣ : ٢٥ وشرح شواهد الشافية ١١٦ وديوان أوس ١١١ .

(٣) فى أمثال الميدانى ١ : ٤٠٥ : « قال أبو الندى : هو حذيم .... » الخ .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى: ﴿ شَهرُ رَمضانَ الذى أُنْزِلَ فيهِ القرآن(١) ﴾ على أن التسمية واقعةٌ على المضاف والمضاف إليه جميعاً. وأمّا ما يرِد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام: « مَنْ صامَ رَمضانَ إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّمَ من ذنبه » فهو من باب الحذف لا من الإلباس، كما حذف الشاعر ابن من ابن جذيم. وقد خالف كلامَه هنا (فى المفصّل) فإنه قال فيه: إذا أمِنوا الإلباس حذفوا المضاف. وقد جاء اللَّبس فى الشعر، قال ذو الرّمة:

عَشية فرَّ الحارثيون بعدما قَضى نحبَه فى مُلتَقَى القوم هَوبَرُ

وقال:

* بما أعيا النِطاسىَّ حِذيما *

أى ابن هوبر وابن حِذيَم. وهو فى قوله هذا تابعٌ لأبى على (فى إيضاح الشعر) فإنّه قال: قد جاء فى الشعر أبياتٌ فيها حذف مضاف مع أنه يؤدّى حذفه إلى الإلباس. ومَثّل بما ذكر، وبقوله:

أرضٌ تَخيَّرَها لِطيب مَقيلِها كعبُ بنُ مامةَ وابن أُمّ دُوادِ(٢)

هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية، والتقدير ابن أمّ أبى ذواد، فحذف الأب. والصواب مافى الكشاف من أنّه لا إلباس فيه؛ فإنّ الإلباس وعدمَه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطب الذى يلقى المتكلّم كلامَه إليه، لا بالنسبة إلى أمثالنا، فإنه وإنْ كان عندنا من قبيل الإلباس، مفهومٌ واضح عند المخاطب به فى ذلك العصر.

---

(١) الآية ١٨٥ من البقرة.

(٢) البيت للأسود بن يعفر فى المفضليات ٢١٧.

ويؤيد ما ذكرنا قول ابن جني (في الخصائص) : ألا ترى أنّ الشاعر لما فُهم عنه ما أراد بقوله قال الشاعر يصف إبلا(١) :

صبّحن من كاظمة الُخصّ الخرب   يحملن عبّاسَ بنَ عبدِ المطلبْ(٢)

وإنما أراد عبدَ الله بن عباس . ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك ، لم يجد بدّاً من البيان . وعلى ذلك قول الآخر :

* طبيبٌ بما أعيا النِّطاسىَّ حِذْيما *

أراد : ابن حذيم . انتهى .

وحذفَ الصلَتان العَبدىُّ أكثرَ من هذا فى محاكته بين جرير والفرزدق فى قوله :

أرى الخطَفَى بذَّ الفرزدقَ شِعره   ولكنَّ خيراً من كِلابٍ مجاشعُ

فإنه أراد : أرى جَرير بن عطية بن الخطفى . وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطَب .

وقد أنكر الُخوارَزمىُّ كونَ هذا من باب الحذف ، قال : إنّما هو من باب تعدِّى اللقب من الأب إلى الابن ، كما فى قوله :

* كراجى الندَى والعُرف عند المذلَّق(٣) *

---

(١) كلمة « الشاعر » الثانية لم ترد فى نسخة الخصائص ، وهو من باب الاظهار فى موضع الاضمار .

(٢) فى النسختين : « من كاظمة الحرب » ، واكماله من الخصائص والكامل ٥٥٤ والعقد ٤ : ٣٥٧ .

(٣) صدره فى أمثال الميدانى ٢ : ٢٧ وابن يعيش ٦ : ٩٢ :
* فانك اذ ترجو تميما ونفعها *

٢٣٣

أى ابن المذلَّق(١) . هذا وقد قال يعقوب بن السكيت (فى شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر) : حِذيَم رجلٌ من تَيم الرباب ، وكان متطبِّباً عالماً . هذا كلامه ؛ فعنده أنَّ الطبيب هو حذيم لا ابن حذيم . وتبعه على هذا صاحبُ القاموس ، فلا حذف فيه ولا شاهد على ما ذكر . وحِذْيَم ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة بعدها ياء تحتيَّة آخر الحروف .

وهذا البيت من أبياتٍ لأوس بن حَجر قالها لبنى الحارث بن سَدوس ابن شَيبان ، وهم أهل القَرية باليمامة ، حيث اقتسموا مِعزاه . وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو سُحيم ،وكان أوس بن حَجر أغرى عليهم عمرَو بن المنذِر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاقتسموا مِعزاه . وهذا مطلعها :

أبيات الشاهد

(فإنْ يأتِكُم منى هجاء فإنَّما حَباكُم به منّي جَميلُ بن أرقَما)

ثم بعد أربعة أبيات :

(فهل لكم فيها إلىَّ فإننى . . . . البيت
فأخرجَكم من ثوب شَمطاء عاركٍ مشهَّرةٍ بُلَّتْ أسافلُه دَما
ولو كان جارٌ منكُم فى عشيرتى إذاً لرأوا للجار حقًّا ومَحْرَما
ولو كان حولى من تَميمٍ عِصابةٌ لما كان مالى فيكُم متقسَّما
ألاَ تتَّقون الله إذْ تَعلفونها رَضيخَ النوى والعُضَّ حولاً مجرَّما
وأعجبَكُمْ فيها أغرُّ مشهَّرٌ تِلادٌ إذا نام الرَّبيضُ تغمغَما)

وهذا آخر الأبيات . قوله : فإنَّما حباكم الخ ، حباكم به أى وَصلَكم بالهجاء .

---

(١) فى القاموس (ذلق) : « وابن المذلق : من عبد شمس ، لم يكن يجد بيت ليلة ولا أبوه ولا أجداده ، فقيل : أفلس من ابن المذلق » . ونحوه فى أمثال الميدانى وابن يعيش .

وقوله : (فهل لكم فيها) الخ ، قال المفضَّل بن سَلَمَة (فى الفاخر) وابن الأنبارىّ (فى الزاهر) : الطِّبُّ : الفطنة والحذق ، ومنه سمِّى الطبيب لعلمه وحذقه . وأنشد هذا البيت . وروى ابن السكّيت : « فإنَّني بصير » بدل طبيب . والبصير : العالم، وقد بصُر بالضم بَصارة ، والتبصُّر : التأمُّل والتعرُّف . و (أعياه) الشىء متعدِّى عَييت بأمرى إذا لم تهتدِ لوجهه . و (النِّطاسىّ) مفعوله ، و (حذيم) بدل من النطاسى . وفاعل أعيا ضمير ما الموصولة الواقعة على الداء . أى إنَّني طبيبٌ حاذق بالداء الذى أعجز الأطباء فى مداواته وعلاجه . والنِّطاسىّ ، بكسر النون ، قال ابن السكّيت : العالم الشديد النظر فى الأمور . قال أبو عبيد : ويُروى : (النَّطاسىّ) بفتح النون . قال الجوهرىّ : التنطُّس المبالغة فى التطهّر ، وكلُّ من أدقَّ النظرَ فى الأمور واستقصى علمَها فهو متنطس . ومنه قيل للمتطبِّب نِطِّيس كفِسِّيق ، ونطاسىّ بكسر النون وفتحها . وقوله : (فهل لكُم) بضمِّ الميم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى هل لكم ميل . وقوله : (فيها) الضمير للمعزى . وفيه حذف مضاف أى فهل لكم ميلٌ فى ردِّ المعزى إلىَّ .

وقوله : « فأخرجكم من ثوب شمطاء » الخ ، الشمطاء : المرأة التى فى رأسها شَمَط — بالتحريك — وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، والرجل أشمَط . والعارك : الحائض . ومشهَّرة : اسم مفعول من شهَّرته تشهيراً ، والشُّهرة : وضوح الأمر . يقول : هل لكم فى ردِّ معزَاى فأخرجَكم من سُبَّةٍ شنعاء تلطخ أعراضكم وتدنّسها كما تدنس الحائض ثوبَها بالدم ، فأغسله(١) عنكم . وهذا مثلٌ ضربه .

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « فأغسلها » ، أى السبة . أو المراد فأغسل ذاك عنكم .

وقد خبط جميعُ من تكلم على هذا الشاهد حيث لم ير السِّياق والسِباق ، فقال شارح (شواهد التفسيرين) : المعنى هل لكم علمٌ وبصيرةٌ فيما يرجعُ نفعه إلىّ ؟ ثم أعرَضَ عن سؤالهم وقال : إنّى أعلم بحالى منكم ، فإنّنى بصيرٌ بما أعجزَ الطبيب المشهور .

٢٣٤

وقال المظفّرى (فى شرح المفصّل) : أى هل لكم طريقٌ فى مداواةِ مابى ، فإنى أرى من الداء ما أعيا الطبيبَ عن مداواته .

وقد قارب بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) بقوله : والمعنى هل لكم فى هذه الحادثة حاجةٌ إلىّ لأشفيكم برأيى فيها ، فإننى طبيبٌ عالم بالذى عَجَزَ عنه هذا الحاذق العالمُ بالطب ولم يهتد إليه .

وقوله : «ألا تتّقون الله» الخ ، يقول : لولا أنك سرقتها لأىّ شىء تَعلفها ؟ يقول : فرُدَّها ولا تعلفْها . والرَّضيخ ، بالضاد والخاء المعجمتين : المدقوق ، رَضخت الحصا والنوى كسّرته . والعُضّ ، بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة ، قال ابن السكيت : هو القتّ ، وقال الجوهرى : علف أهل الأمصار مثل الكُسْب والنّوى المرضوخ . والمجرَّم ، بالجيم على وزن اسم المفعول : التام والكامل .

وقوله : «وأعجبكم فيها أغرّ» الخ ، قال ابن السكيت ، الأغر : الأبيض . والتلاد : القديم من المال . والرَّبيض ههنا الغنم . وقوله : تغمغما ، يعنى هذا الأغر ، والغمغمة هِبابه ، أى لا ينام ، وإنما يعرّض بهم ويفترى عليهم . انتهى

تتمة

قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ابن حِذيم شاعر فى قديم الدهر ، يقال إنه كان طبيباً حاذقاً ، يضرب به المثل فى الطبّ فيقال : « أطبُّ بالكىِّ من ابن حِذيم » ، وسمّاه أوسٌ حذيما - يعنى أنّه حذف لفظ ابن - فقال :

* عليمٌ بما أعيا النِطاسىَّ حِذيما *

ويقال ابن حَذَام أيضاً ، وإنّه أوّل من بكى من الشعراء فى الديار ، وهو الذى سمّاه امرؤ القيس فى قوله :

عوجا على الطلَل المُحيلِ لعلّنا نبكى الديارَ كما بكى ابنُ حَذامِ

وابن خذام بالخاء المعجمة أشهر ، وقيل هما اثنان . وقال فى الخاء المعجمة : ابن خذام هو المذكور فى حرف الحاء على اختلاف الروايتين ، فمنهم من جعله إيّاه ومنهم من جعلهما اثنين . ويقال : إن هذا البيت الذى فى قصيدة امرئ القيس له ، وهو :

كأنّى غداةَ البينِ حينَ تحمّلوا لدىَ سمُرات الحى ناقفُ حنْظَل

ويقال للخمّار ابن خِذام. وخِذام من أسماء الخمر . هذا كلامه .

أقول : جميع من ذكر ابن حذام الشاعر ، لم يقل إنه هو ابن حِذيم الطبيب . وقد اختلف فى ضبط اسمه فالذى رواه الآمدىّ(١) ابن خذام بمعجمتين ، قال : من يقال له ابن خذام ، منهم ابن خذام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره ، وهو أحد من بكى الديار قبلَ امرئ القيس ، ودرس شِعْرُه . قال امرؤ القيس :

---

(١) المؤتلف ١٠٩ .

عُوجا على الطلل المحيل لأَنّنا نبكي الديار كما بكى ابن خِذام

قوله : لأننا ، يريد لعلنا ، ذكر ذلك أبو عبيدة وقال : قال لنا أبو الوثيق : ممّن ابن خِذام ؟ فقلنا : ما نعرفه . فقال : رجوت أن يكون علمهُ بالأمصار . فقلنا : ما سمعنا به ! فقال : بلى قد ذكره امرؤ القيس وبكى على الديار قبله ، فقال :

كأنى غداةَ البينِ يوم تحمّلوا . . . البيت ! انتهى

وقال ابن رشيق (فى العمدة[1]) : الذى أعرف أن ابن حذّام بذال معجمة وحاء غير معجمة كما روى الجاحظ[2] وغيره . انتهى

وضبطه بعضهم ابن حُمَام ، بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم غير مشدّدة ، واسمه امرؤ القيس . قال الآمدى[3] ــ عند ذكر المسمَّين بامرئ القيس ــ ومنهم امرؤ القيس بن حُمام ، ثم ذكر نسبه وقال : والذى أدركه الرواة من شعره قليل جداً . وكان امرؤ القيس هارباً فقال مهلهل :

٢٣٥ لمّا توغّل فى الكُراع هجينُهم هَلهلْتُ أثأرُ جابراً أو صِنْبِلا

فى قصة مذكورة فى أخبار زهير بن جناب. وبهذا البيت قيل لمهلهل مهلهل. وبعض الرواة يروى بيت امرئ القيس بن حُجْر :

عُوجا على الطللِ المُحيل لعلّنا نبكي الديارَ كما بكى ابن حُمام

يعنى امرأ القيس هذا ، ويروى ابن خِذام . انتهى .

ومثله للعسكرىّ (فى كتاب التصحيف[4]) قال : ومنهم امرؤ القيس

---

(١) العمدة ١ : ٥٤ فى باب تنقل الشعر فى القبائل .

(٢) انظر الحيوان ٢ : ١٤٠ .

(٣) فى المؤتلف ١٠ .

(٤) تصحيف العسكرى ٢١٢ .

ابنَ حُمام بن عُبيدة بن هُبَل بنُ أخي زهير بن جناب بن هبل. ويزعم بعضهم أنَّهُ الذى عنى امرؤ القيس بقوله :

* نبكى الديار كما بكى ابن خذام *

وكان يغزو مع مهلهل ، وإياه أراد مهلهلٌ بقوله :

لما توغَّل فى الكُلاب هجينُهم . . . . (البيت)

فالهجين هو امرؤُ القيس بن حُمام . وجابر وصِنْبل : رجلان من بنى تغلب . انتهى.

قال ابن رشيق (فى العمدة) : ويروى :

* لمَّا توقَّل فِى الكُراع شريدُهم *

قال السكرى : يعنى بالهجين امرأ القيس بنَ حمام ، وكان مهلهل تبعه يوم الكُلاب ففاته ابن حمام بعد ان تناوله مهلهلٌ بالرمح ، وكان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زُهير بن جَناب فقتل جابراً وصنبلا .

هذا ما اطلعت عليه . وقولُ امرئ القيس بن حُجر :

عُوجا على الطلل المحيل ، البيت

هو من قصيدة له ، استشهد به صاحب (الكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿ وماَ يُشْعِرُكم أنّها إذا جاءتْ لا يُؤْمنُون[1] ﴾ بفتح الهمزة فى قراءة أهل المدينة بمعنى لعلَّ ، كما أنَّ لأنّنا فى البيت بمعنى لعلنا .

قال ابن رَشيق (فى العمدة[2]) : يروى فى البيت : لأنّنا ، بمعنى لعلّنا ؛ وهى لغة امرئ القيس فيما زعم بعض المؤلفين ، والذى كنت أعرف : لعَنَّنا بالعين ونونين .

---

(١) الآية ١٠٩ من الأنعام .

(٢) العمدة ١ : ٥٤ .

والمُحِيل : الذى أتى عليه الحول . وعُوجا أمر من عُجتُ البعيرَ أعُوجه عَوْجا ومَعَاجا : إذا عطفتَ رأسه بالزمام .

و (أوس بن حَجَر) بفتح الحاء المهملة والجيم ، شاعر من شعراء تميم فى الجاهلية . وفى أسماء نسبه اختلاف ، فلذا تركنا نسبَه . أوس بن حجر

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء[1]) كان أوسٌ فحلَ مُضَرَ حتَّى نشأ النابغة وزهيرٌ فأخملاه . وقيل لعمرو بن مُعاذٍ وكان بصيراً بالشعر : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : أوس . قيل : ثم مَن ؟ قال : أبو ذؤيب . وكان أوسٌ عاقلاً فى شعره ، كثيرَ الوصف لمكارم الأخلاق ؛ وهو من أوصفهم للحَمير والسلاح ولا سيّما للقوس ، وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة . انتهى .

وقال صاحب (الأغانى) : كان أوس هذا من شعراء الجاهلّية وفحولها ، وذكر أبو عُبيدة أنّه من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالحطيئة والنابغة الجعدى . وتميمُ تقدِّم أوساً على سائر شعراء العرب . وقال الأصمعى : أوسٌ أشعر من زهير إلاّ أنّ النابغة طأطأ منه . وقال أبو عبيدة : كان أوس غَزِلا مغرماً بالنساء ، فخرج فى سفرحتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شَرْج وناظرة ، فبينما هو يسير ظلاماً إذْ جالت به ناقته فصرعته ، فاندقّت فخذُه ، فبات مكانَه ، وما زال يقاسى كلَّ عظيم بالليل ، ويستغيث فلا يغاث ، حتَّى إذا أصبح غدا جوارى الحيِّ يجتَنين الكمأة وغيرَها من نبات الأرض ، والناسُ فى ربيع : فبينا هنَّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد عَلِق زمامُها بشجرة ، وأبصَرْنه ملقًّى ففزِعن منه فهرَبن ، فدعاجاريةً منهنَّ فقال لها : مَن أنت؟قالت : أنا حليمةُ بنتُ فضالة بن كَلَدَةٍ وكانت أصغرهن فأعطاها حجراً وقال : اذهبى إلى ٢٣٦

(١) الشعراء ١٥٤ .

أبيك فقولي له : ابنُ هذا يقرئك السلام[1] ويقول لكَ : أدركْني فإنّي في حالة عظيمة ! فأتت أباها وقصّت عليه القصّة وأعطته الحجر ، فقال : يا بنية لقد أتيتِ أباك بمدحٍ طويل أو هجاء طويل . ثمّ احتمل [هُوَ وَ[2]] أهلُه إلى الموضع الذي فيه أوسٌ وسأله عن حاله فأخبره الخبر ، فأتاه بمن جبَر كسره ، ولم يزل مقيماً عنده وبنتُه تخدُمه إلى أن برأ ، فمدحه أوسٌ بقصائدَ عديدة ، ورثاه أيضاً بعد موته . وكان أوسٌ إذا جلس في مجلسِ قومه قال : ما لأحد عليَّ مِنةٌ أعظمَ من منَّة أبي دُليجة . وكان أبو دُليجة كنيةَ فضالة بن كَلَدَة .

وكلدة ، بفتح الكاف واللام ، وهي في اللغة الأرض الغليظة . وذكره ابن قتيبة في باب الأسماء المنقولة (من أدب الكاتب) .

ومن شعر أوس قوله :

يارا كباً إمّا عرضت فبلّغَنْ يزيدَ بنَ عبدِ الله ما أنا قائلُ
بآيةِ أنّي لم أخُنْكَ ، وإنّه سوى الحقّ مهما يَنطِق الناسُ باطلُ
فقومَك لا تَجهلْ عليهمْ ولا تكن لهمْ هَرِشا تغتابهمْ وتقاتل
وما يَنهضُ البازي بغير جَناحه ولا يحمِلُ الماشين إلاّ الحواملُ
ولا سابقٌ إلاّ بساقٍ سليمةٍ ولا باطشٌ ما لم تُعنْه الأناملُ
إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنى أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ[3]

الهِراش : أشدّ القتال ، مثل مهارشة الكلاب . وأراد بالحوامل الأرجل .

* * *

(١) في النسختين : « ان هذا » ، وصححه الشنقيطي في نسخته بما أثبت من الأغاني ١٠ : ٧ .
(٢) التكملة من الأغاني .
(٣) نسب هذا البيت أيضا الى زهير في ديوانه ٣٠٠ والشعراء ١٠٠ .

وأنشد بعده :

﴿ وما حبُّ الديار شغفن قلبي ﴾

تمامه : ﴿ ولكنْ حبُّ مَن سكن الديارا ﴾

هو لقيسٍ مجنونِ بني عامر . وتقدم الكلام عليه في الشاهد التسعين بعد المائتين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثلثمائة[٢] :

٣١٥ ﴿ يَسقُونَ من وَرَدَ البَريصَ عليهمُ
بَرَدَى يُصفَّق بالرحيق السلْسَلِ ﴾

على أنه قد يقوم المضاف إليه مَقام المضاف في التذكير ، لأنه أراد : ماء بردى . ولو لم يقم مقامَه في التذكير لوجب أن يقال تصفّق بالتاء للتأنيث، لأن بردَى من صيغ المؤنَّث ، وهو نهر دمشق . قال أبو عبيد البكري : هو من البرْد ، سمّي بذلك لبَرْد مائه .

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلونَ أصابِعَهم في آذانِهم[٣] ﴾ على أن الواو في يجعلون ضمير أصحاب الصّيب وإن كان محذوفاً، لبقاء معناه ، كما أرجع الشاعر ضمير يصفق إلى ماء بردى ، مع أنه غير مذكور ؛ ولهذا ذكَّر يصفّق .

---

(١) انظر ما سبق في هذا الجزء الرابع ص ٢٢٧ .
(٢) انظر ابن يعيش ٣ : ٢٥/٦ : ١٣٣ والهمع ٢ : ٥١ والأشموني ٢ : ٢٧٢ وديوان حسان ٣٠٩ .
(٣) الآية ١٩ من سورة البقرة .

قال ابن المستوفى : لو قال قائل : إنّه أعاد الضمير مذكّراً على المعنى لأنّ بردى نهر لوجد مساغا .

وروى صاحب الاغانى :

* كأساً تُصفَّق بالرحيق السَّلسلِ *

وعليه لاشاهد فيه .

و (البَرِيص) قال أبو عبيد البكرى (فى معجم مااستعجم) وتبعه الصاغانى (فى العباب) : هو بفتح الموحّدة وآخره صاد مهملة : موضع بأرض دمشق . وزاد الجواليقى (فى المعرّبات) : وليس بالعربيّ الصحيح ؛ وقد تكلمت به العرب ، وأحسبه روميَّ الأصل . وأنشدَ هذا البيت[1] . ٢٣٧

ولم أر من أهل اللغة من ضبطه بالضاد المعجمة .

وقد اختلف شرّاح المفصّل فى ضبطه ومعناه ، فقال ابن يعيش : هو بالصاد المهملة نهر يتشعب من بردَى ، وهو نهر دمشق ، كالصَّراة من الفرات . ولدمشق أنهار أربعة كلّها من بردى .

وقال المظفرى : هو بالضاد المعجمة وادٍ فى ديار العرب . والبريص بالصاد المهملة : اسم نهر ، وقيل اسم موضع بدِمشق .

وقال ابن المستوفى : هو بالصاد المهملة . قال المفسّرون : هو مأخوذ من البَرَص ، أراد الموضع المبيَّض المجصَّص . ويروى بالضاد المعجمة فعيل من البَرْض وهو الماء القليل . ورواية المهملة أكثر وأجود وقالوا : هو اسم نهر . وكرَّر البَريصَ فى هذه القصيدة فقال :

(١) فى النسختين : « وأنشدوا هذا البيت » ، وانما المراد أنشد الجواليقى هذا البيت . انظر المعرب ٥٨ – ٥٩ وكذلك النص التالى الذى اقتبسه البغدادى بعد الشعر .

فعلوتُ مِن أرض البَرِيصِ عليهمُ حتَّى نزلتُ بمنزلٍ لم يُوغَلِ

فدلَّ على أنّه موضع بعينه ، لا ماذهب إليه من فسرَّه قبل . قال ابن دريد: والبريص موضع بدمشق ، وليس بالعربى الصحيح ، وقد تكلّمت به العرب وأنشد هذا البيت . انتهى

وقال بعضهم[1]: هو موضع فيه أنهارٌ كثيرة ، وهو بالمهملة . وأنشد :

أهانَ العام ما عيّرتمونا شواء المسمَناتِ مع الخَبيص[2]

فما لحمُ الغراب لنا بزادٍ ولا سرطانُ أنهارِ البَرِيصِ

وفاعل يَسقون وهو الواو ضمير عائدٌ على أولاد جفنة فى بيت قبله كما يأتى ومن مفعوله . قال العصام (فى حاشية القاضى) : وتعدية الورود بعلى لتضمّنه معنى النزول ، وإلاّ فالورود المتعدّى بعلى بمعنى الوصول لا يعدّى بنفسه . والباء في قوله بالرحيق للمصاحبة ، أى ممزوجا بالخمر الصافية السائغة . ويُصفَّق بالبناء للمفعول ، والتصفيق : التحويل من إناء إلى إناء ليتصفّى ، وحقيقته التحويل من صَفْق إلى صَفْق ، أى من ناحية إلى ناحية . والباء فى بالرحيق متعلق بمحذوف ، أى يمزج بالرحيق ، وهو الصافى من الخمر . وقال صاحب(الكشاف) فى المطففين : الرحيق : صفوة الخمر ، ولهذا فسّر بالشراب الخالص الذى لاغشٌ فيه . والسَّلسل ومثله السلسال : السهل الانحدار السائغ الشراب .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : يجوز أن يكون المراد مدحَ ماء بَرَدَى وتفضيلَه على غيره . ومعنى يصفّق يمزج ، يقال صفّقته ، إذا مزجته . والرحيق : الخمر . والسلسل : السهل ، أى كأنه ممزوج بذلك ، فأسقط التشبيه كعادتهم

---

(١) هو وعلة الجرمى ، كما فى الحيوان ٢ : ٣١٧ .

(٢) الذى فى الحيوان ، وهو الصواب : « فما بالعار ما عيرتمونا ».

فى المبالغة . ويجوز أن يكون المراد مدحَ هؤلاء القوم بالكرم وأنّهم لا يسقون الماء إلاّ ممزوجاً بالخمر ، لسَعَتهم وكرمهم وتعظيم من يَرِد عليهم . انتهى .

والظاهر أن المراد هو الثانى لا الأوّل ، للسياق والسباق . وليس معنى التصفيق ما ذكره ، والصواب ما ذكره بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) من أنه يصفهم بالجود على من يَرِد عليهم ، فيسقونه ماء مصفّى ممزوجاً بالخمر الصافية السائغة فى الحلق . وحَملُ هذا الكلام على التلب أظهر ، يريد: يسقون من يَرِد عليهم الرحيقَ السلسل يصفّق ببردى أى بمائها . انتهى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لحسّانَ بن ثابت الصحابى ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والثلاثين[1] مدح بها آلَ جفنة ملوكَ الشام . وهذه قطعة منها بعد المطلع بثلاثة أبيات :

٢٣٨

قصيدة الشاهد

(لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهم ... يوماً بجلّق فى الزمانِ الأوّلِ
أولادُ جَفْنَةَ حول قبر أبيهم ... قبر ابن ماريّة الكريم المُفْضِلِ
يُغشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كلابهم ... لا يَسألون عن السَّواد المقبلِ)

يَسقون من ورد — البيت —

(يُسقَونَ دِرياقَ الرّحيقِ ولم تكنْ ... تُدْعى ولائدُهم لنَقْفِ الحنظَلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّراز الأوَّلِ
فَلبِثتُ أزماناً طِوالاً فيهمُ ... ثم ادَّكرتُ كأنّنى لم أفعلِ)

إلى أن قال بعد بيتين :

(ولقد شربتُ الخمرَ فى حانوتها ... صهباء صافيةً كطعم الفُلفُلِ

(١) الخزانة ١ : ٢٢٧ .

يسعى عليَّ بكأسها متنطِّف فيَعُلّني منها وإن لم أنهَلِ [١]
إنّ التي ناولتَني فرددتُها قُتِلتْ قتلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني بزُجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ
بزُجاجةٍ رقصت بما في قعرها رَقَصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجِلِ)

العِصابة: الجماعة من النـاس: وجِلِّق بكسر الجيم واللام أيضاً، قال الجواليقي (في المعربات): يراد به دمشق، وقيل موضع بقرب دمشق، وقيل إنه صورة امرأة كان الماء يخرُج من فيها في قرية من قرى دمشق، وهو أعجميٌّ معرب، وقد جاء في الشعر الفصيـح. وأنشد هذا البيت.

أولاد جفنة

وقوله: أولاد جَفنة الخ بالجرّ بدل من عصابة، ويجوز رفعه. وجَفنه بفتح الجيم هو أبو ملوك الشام، وهو جَفنة بن عمرو مُزيقياء بن عامر بن حارثةَ بن امرئِ القيس بن ثعلبةَ بن مازنٍ الغسانيّ.

وابن مارية هو الحارث الاعرج، وهو الحارث بن بَجيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة.

وأما جَبَلة بن الأيهم فهو ابن مارية؛ لأنه ابنُ الأيهم بن جبَلة بن الحارث الأعرج. وأراد بأولاد جفنة أولاد الحارث الأعرج ابن مارية، وهم: النعمان والمنذر، والمنيذر، وجَبَلة، وأبو شَمِر. وهؤلاء كلُّهم ملوك، وهم أعمام جبلة ابن الأيهم. كذا في مختصر أنساب العرب لياقوت الحمويّ.

قال السيّد الجرجاني (في شرح المفتاح): ترك تفضيلهم احترازاً عن تقديم بعضهم على بعض. ثم قوله وعن التصريح بأسامي الأناث الداخلة فيهم، فيه نظر؛ فإن ذكر نساء الملوك لا يُعهد عند ذكر الملوك. وقوله: إنّ مارية

---

(١) ط: «يسقى على»، صوابه في ش والديوان.

هى أمّ جَفنة غير صواب ، وإنما هى أم الحارث الأعرج . ومارية قال جمهور النسّابين : هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثَور بن مُرتع الكندية . وقال أبو عبيدة وابن السكيت : هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة؛ فتكون على هذا غسّانية، وهى أخت هند امرأة حُجْر والد امرئ القيس صاحب المعلّقة، وليست أمه . ومارية هى التى يضرب المثل بقرطيها فيقال : « خذه ولو بقُرْطَى مارية » ، يضرب للترغيب فى الشىء وإيجاب الحرص عليه ، أى لا يفوتنّك على كل حال ، وإن كنت تحتاج فى إحرازه إلى بذل النفائس . قال الزمخشرى (فى أمثاله) : هى أول عربية تقرّطت وسار ذكر قُرطيها فى العرب ، وكانا نفيسَى القيمة ، وقيل إنّهما قُوِّما بأربعين ألف دينار ، وقيل كان فيهما درّتان كبيض الحمام لم يُرَ مثلهما ، وقيل هى من اليمن أهدَت قرطيها إلى البيت . انتهى . ٢٣٩

وقال أبو محمد الاعرابىّ : هى ذات القرطين؛ لدرّتين كأنهما بيضتا نعامة أو حمامة .

وأراد بقوله : حول قبر أبيهم ، أنّهم ملوك ذوو حاضرةٍ ومستقَرّ ، ليسوا أصحابَ رحلة وانتجاع . سُئل الأصمعىّ بأنّه ما أراد حسان به[1] ، وأى مدح لهم فى كونهم عند قبر أبيهم ؟ فقال : إنهم ملوكٌ حُلول فى موضع واحد ، وهم أهل مدَر وليسوا بأهل عَمد . وقال غيره : معناه أنّهم آمنون لا يبرحون ولا يخافون كما تخاف العرب ، وهم مخصبون لا ينتجعون .

---

(١) سئل بكذا ، أى عن كذا ، من قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » .

قال السيّد المرتضى (فى أماليه[١]) : هذا من الاختصار الذى ليس فيه حذف . أراد أنّهم أعزّاء مقيمون بدار مملكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب . فاختَصَر هذا المبسوطَ فى قوله : حول قبر أبيهم . . قال : والاختصار غير الحذف ؛ وقومٌ يظنون أنّهما واحد ، وليس كذلك ، لأن الحذف يتعلق بالألفاظ : وهو أن تأتى بلفظٍ يقتضى غيرَه ، ويتعلق به ، ولا يستقل بنفسه ويكون فى الموجود دَلالةٌ على المحذوف ، فيُقتصر عليه طلباً للاختصار . والاختصار يرجع إلى المعانى : وهو أن تأتى بلفظٍ مُفيدٍ لمعانٍ كثيرة لو عُبِّر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ . فلا حذف إلاّ وهو اختصار ، وليس كلُّ اختصارٍ حذفا . انتهى كلامه .

وأدرَجَ ابنُ رَشيق (فى العُمْدة) هذا النوع فى باب الإشارة[٢]، قال : والإشارة من غرائب الشعر ومُلَحِه ، وبلاغةٌ عجيبةٌ تدلُّ على بُعد المرمى وفَرْط القُدرة ؛ وليس يأتى بها إلاّ الشاعرُ المبرِّز والحاذق الماهر ؛ وهى فى كل نوعٍ من الكلام لمحةٌ دالّةٌ ، واختصار ، وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه .

وقوله : يُغشَون حتّى ما تهرُّ كلابُهم الخ ، بالبناء للمفعول أى يُتردَّد إليهم ؛ مِن غشِيَه : إذا جاءه . وهرَّ الكلب يَهِرّ ، من باب ضرب ، هريراً : إذا صوّت ، وهو دون النُّباح . يعنى أنّ منازلهم لا تخلو من الأضياف والفقراء ، فكلابهم لا تهرّ على من يقصد منازلهم ؛ لاعتيادها بكثرة التردّد إليها من الأضياف وغيرهم . وقوله : لا يَسألون الخ ، أى هم فى سَعَة لا يسألون كم نزل

---

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) العمدة ١ : ٢٠٦ .

بهم من الناس ، ولا يَهولهم الجمعُ الـكثير ، وهو السَّواد ، إذا قصدوا نحوهم .

وهذا البيت استَشهد به سيبويه[1] وابنُ هشام (فى المغنى) على أنَّ حتى فيه ابتدائيّة ، أى حرف يُبتدأ بعده الجملة اسميّةً ، أو فعلية .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) : اعلم أنّ يُغشَون للحال الماضية ، أعنى أنّه حكاية لما مضى من الحال ، ولولا تقديرك له بالحال ما صحّ الرفع ؛ لأنّ الرفع لا يكون إلاّ والفعل واقع . ويُغشَون لا يكون إلاّ للحال أو للآتى ، فلو قدّرته للآتى لم يصحّ الرفع ؛ إذ لا يكون الرفع إلاّ وما قبله واقع والآتى لا يكون واقعاً ، فثبت أن يغشون للحال إذْ كانت الحال واقعة ، كأنه قال : من عادتهم أنّهم يغشون حتّى لا تهرّ كلابُهم ، أى لا يزالون يُغشون . انتهى .

وقوله : يُسقونَ دِرياق الرَحيق الخ ، يُسقون بالبناء للمفعول ، قال شارح الدّيوان السكرىّ : الدِّرياق : خالص الخمر وجيّده ، شبّهه بالدرياق الشافى . والولائد : جمع وَليدة ، وهى الخادم . والنّقف : استخراج ما فى الحنظل . يقول : هم ملوكٌ لا تَجتنِى ولائدُهم الحنظَل ولا تَنْتقِفُه .

٢٤٠ وقوله : من الطِّراز الأول ، يعنى آباءهم الأشراف المتقدّمين الذين لا تشبه خلائقهم وأفعالُهم هذه الأفعالَ المحدَثة .

وقوله : يسعى[2] على بكأسها الخ ، المتنطِّف : المقرَّط ؛ والنُّطَفَة ، بفتحات : القُرط . ويروى (متنطِّق) ، وهو الذى عليه منطَقة . وعلّه : سقاه سَقياً بعد سقى . والنَّهل هنا : العطش . وقال السكرىّ : يقول : يسقينيها على كلِّ حالٍ ، عطِشْت أو لم أعطَشْ .

---

(١) سيبويه ١ : ٤١٣ وشرح شواهد المغني ١٣٠ ، ٣٢٥ .

(٢) ط : « يسقى » ، صوابه فى ش .

وقوله : إنَّ التى ناولتنى فرددتها قُتلتْ ، بالبناء للمفعول ، أى مزجتْ بالماء ، والجملة خبر إنّ . وقوله : قُتلتَ ، هذا أيضاً بالبناء للمفعول ، لكنّه مسند إلى ضمير المتكلم ، والجملة اعتراضيّة .

وقوله : كلتاهما الخ ، أراد كلتا الممزوجة والصرف ، حلَبُ العنب ، فناولني أشدَّهما إرخاء ، وهى الصِّرف التى طلبَها منه فى قوله لم تقتُل . وهاتِها بكسر التاء أمرٌ من هاتَى يُهاتى مهاتاة[1] . والحلَب بفتحتين بمعنى المحلوب ، كالقنَص بمعنى المقنوص . وأرخاهما هو أفعل تفضيل من أرخَى المزيد ، وهو سماعىٌ عند قوم مقيسٌ عند آخرين . والمفصل ، روى بكسر الميم وفتح الصاد ، وهو اللِّسان لأنه آلة يُفصَل به ، وروى بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو موضع انفصال العضو .

وقوله : رقَص القلوص ، بفتح القاف : الناقة الشابّة ، قال السكرىُّ : يقال رقص رقَصاً وحلَب حَلَباً بفتحتين ، وقد تخفف ، والوجه الفتح[2] .

قال ابن الشجرىّ (فى أماليه[3]) : قال أبو الفرج[4] على بن الحُسَين الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى حديثاً رفعه إلى أبى ظَبيان الحِمَّانى قال :

---

(١) كذا . والمشهور أنها اسم فعل أمر بناؤه على الكسر .

(٢) نص السكرى ٣٥ من شرح الديوان طبع ليدن : « يقال رقص رقصا ، وحلب حلبا ، وجلب جلبا ، وقد يخففن أيضا ، والوجه الفتح » .

(٣) لم أعثر على هذا النص فى أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، والمعروف أنها منقوصة الأواخر كما نبه محققها فى ٢ : ٣٥٦ أنها تنقصها ستة مجالس .

(٤) الأغانى ٨ : ١٦٣ .

اجتمعت جماعةٌ من الحيِّ على شرابٍ ، فتغنّى أحدهم بقول حسان :

إنَّ التى ناولتَنى فرددتُها (البيت)

وقوله : كلتاهما حلَبُ العصير (البيت)

فقال رجلٌ منهم : كيف ذكر واحدةً بقوله إنّ التى ناولتنى فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلها اثنتين ؟ قال أبو ظبيان : فلم يقل أحدٌ من الجماعة جواباً ، فحلف رجلٌ منهم بالطَّلاق ثلاثاً إن بات ولم يسأل القاضى عُبيد الله بن الحسَن[1] عن تفسير هذا الشعر ! قال : فسُقِط فى أيدينا ليمينِهِ ، ثم اجتمعنا على قَصد عُبيد الله . فحدَّثنا بعضُ أصحابنا السعديِّين قال : فيمَّمناه نتخطّى إليه الأحياء ، فصادفناه فى مسجدٍ يصلى بين العشاءين ، فلمّا سمع حِسَّنا أوجز فى صلاته ثم أقبل علينافقال : ما حاجتكم؟ فبَدَرَ رَجلٌ منا كان أحسننا بَقِية[2]فقال: نحن ، أعزَّ الله القاضىَ ، قومٌ نزعنا إليك من طريق البصرة[3]فى حاجة مهمّة ، فيها بعضُ الشىء ، فإن أذنت لنا قلنا . فقال : قولوا . فذكَرَ يمين الرجل والشّعر . فقال : أمَّا قوله : إنَّ التى ناولتنى ، فإنّه يعنى الخمر . وقوله : قُتلتْ أراد مزجت بالماء . وقوله : كلتاهما حَلَب العصير ، يعنى الخمر ومِزاجها ، فالخمر

(١) فى النسختين : « الحسين » ، صوابه من الأغانى ٨ : ١٦٣ ومواضع أخرى منه ، وهذا هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى ، قاضى البصرة المتوفى سنة ١٦٨ . وانظر حواشى الحيوان ١ : ٣٤٥ .

(٢) فى النسختين : « نفثة » ، صوابه من الأغانى ، والبقية : الفهم وثقوب الذهن ، كما فى قول الله : « أولو بقية ينهون عن الفساد » .

(٣) فى الأغانى : « من طرف البصرة » .

عصير العنب ، والماء عصير السحاب ، قال الله تعالى: ﴿ وأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجا[1] ﴾ . انصرفوا إذا شئتم .

وأقول : إنَّ هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء :

أحدها أنه قال كلتاهما وكلتا موضوعة لمؤنثين ، والماء لمذكر والمذكر أبداً يغلَّب على التأنيث ، كتغليب القمر على الشمس فى قول الفرزدق :

* لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ[2] *

أراد : لنا شمسها وقمرها . وليس للماء اسم آخر مؤنث فيحمل على المعنى كما قالوا : « أتته كتابى فاحتقرها » ؛ لأن الكتاب فى المعنى صحيفة .

والثانى : أنه قال : أرخاهما للمفصل ، وأفعل هذا موضوع لمشتركَين فى معنى ، وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف به ، والماء لا يشارك فى إرخاء المفصل . ٢٤١

والثالث : أنّه قال فى الحكاية : فالخمر عصير العنب ، وقول حسان حلب العصير يمنع من هذا ، لأنّه إذا كان العصير الخمر والحَلَب هو الخمر فقد أُضيفت الخمر إلى نفسها ، والشىء لا يضاف إلى نفسه .

والقول فى هذا عندى : أنه أراد كِلتا الخمرين : الصرف والممزوجة ، حلَبُ العنب ، فناولْنِي أشدَّهما إرخاء للمفصل .

وفرَّق اللغويون بين المِفصل والمَفصِل فقالوا : المِفصل بكسر الميم وفتح

---

(١) الآية ١٤ من سورة النبأ .

(٢) صدره ، كما فى ديوانه ٥١٩ :

* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

الصاد اللسان ، وهو بفتح الميم وكسر الصاد واحد مفاصل العظام ، وهو في بيت حسان يحتمل الوجهين . انتهى كلام ابن الشجرى .

وأما حديث حسان بن ثابت مع جبلة بن الأيهم ، وكيفية إسلام جبلة وارتداده ، فقد أورده صاحب الأغانى[1] مفصّلا وها أنا أورده مجملا :

روى بسنده إلى يوسف بن الماجُشون عن أبيه قال : قال حسَّان بن ثابت : أتيت جبلةَ بن الأيهم الغسَّانى و [قد] مدحته ، فأذن لى ، فجلست بين يديه ، وعن يَمينه رجلٌ له ضفيرتان ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمَّا هذا فأعرفه — وهو النابغة الذبيانىّ — وأما هذا فلا أعرفه . قال : هو علقمة بن عَبَدَة ، فإن شئتَ استنشدتَهما [وسمعتَ منهما] ، ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدتَ ، [وإن شئت أن تسكتَ سكتَّ] . قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِلينى لِهَمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطىءِ الكواكبِ

قال : فذهب نِصفى . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشدَ :

طحابكَ قلبٌ في الحسانِ طَروبُ ... بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ

فذهب نصفى الآخر . فقال لى : أنت اعلمُ الآن ، إن شئتَ سكتَّ وإن شئتَ أنشدتَ . فتشدَّدت وأنشدت :

للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتُها ... يوماً بجلّق فى الزمانِ الأولِ
أبناء جَفنةَ عند قبرِ أبيهم ... قبرِ ابن ماريةَ الجوادِ المُفْضِلِ
يَسقونَ من وَرَدَ البريصَ عليهمُ ... كأساً تُصفَّقُ بالرحيق السَلسلِ[2]

---

(١) الأغانى ١٤ : ٢ — ٧ . وما وضع بين معكفين فى هذه النصوص فهو تكملة من الأغانى .

(٢) ط : « بالرحيل » ، صوابه فى ش والأغانى .

يَغْشون حتى ما تَهِرُّ كلابُهم لا يَسألون عن السَّواد المقبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شمُّ الأنوفِ من الطِراز الأوّلِ

فقال لى : ادنُ ادنُ ، لعَمْرى ما أنتَ بدُونِهما . ثمَّ أمر لى بثلثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كلّ عام .

وذكر أبو عمرو الشّيبانى هذه القصّة لحسّان مع عمرو بن الحارث الأعرج ، وأتى بالقصّة أتمّ من هذه الرواية ، قال أبو عمرو : قال حسّان بن ثابت :

قدِمت على عمرو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ إليه(١) ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إن أذنتَ لى وإلاّ هجوتُ اليمنَ كلَّها . فأذن لى فدخلت ، فوجدت عنده النابغة وعلقمةَ بن عَبَدة ، فقال لى : يا ابن الفُريعة ، قد عرفتُ نسبَك فى غسّان فارجعْ ، فإنى باعثٌ إليك بصلِة سنيّة ولا تحتاج(٢) إلى الشعر فإنى أخافُ عليك هذين السبُعين أن يفضَحاك ، وفضيحتُك فَضيحتى ، وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاقُ النعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهم يُحَيّون بالرَّيحان يومَ السَّباسبِ(٣)

فأبيتُ وقلتُ : لابدّ منه . فقال : ذاك إلى عمَّيك . فقلت لهما : بحقّ الملك إلاّ ماقدّمتمانى عليكما ! فقال : قد فعلنا . فأنشأتُ أقول : ٢٤٢

أبناء جَفنةَ عند قبر أبيهمُ قبرِ ابن مارية الكريم المُفضلِ

(١) فى الأغانى : « فاعتاص الوصول على اليه » .
(٢) الأغانى : « ولا أحتاج » .
(٣) ط والأغانى : « دقاق النعال » ، وأثبت ما فى ش والديوان ٩ قال شارحه : « القتيبى : قوله رقاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وانما يخصف من يمشى » .

(الأبيات[١]) فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً ، حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشعر ، لا ما يعللانى به منذُ اليوم ، أحسنتَ يا ابن الفُريعة ، هاتِ له يا غلامُ ألفَ دينار [مرجوحة[٢]]. فأعطيتُ ذلك ، ثم قال : لك عليَّ كلَّ سنة مثلَها .

وقال أبو عمرو الشَّيبانى : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغسّانىّ ــ وكان من ملوك آل جفنة ــ كتبَ إلى عُمر يستأذنُه فى القُدوم عليه ، فأذنَ له فخرج إليه فى خمسمائةٍ من أهل بيته ، من علكّ وغسّان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه، فسُرَّ بذلك وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلةُ مائتى رجل من أصحابه فلبسوا الديباج[٣] والحرير ، وركبوا الخيل معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضّة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قرطا مارِيَة ، وهى جدَّته ، ودخل المدينةَ فلم يبق بها بكر ولا عانسٌ إلاّ خرجتْ تنظر إليه وإلى زيِّه ، فلما انتهى إلى عُمرَ رحَّب به وألطَفَه وأدنى مجلسه ، ثم أراد [عمرُ] الحجَّ فخرج معه جبَلة ، فبينا هو فى الطّواف إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فَزارة ، فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده فهشم أنف الفزارىِّ ، فاستعدى عليه عمرَ فبعث إلى جبَلةَ فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمَّد حلَّ إزارى ، ولولا حرمةُ الكعبة لضربتُ عنقه[٤] بالسَّيف !

---

(١) الذى فى الأغانى بيت واحد ، وهو بدل البيت السابق :
أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

(٢) وبعدها أيضا فى الأغانى : « وهى التى فى كل دينار عشرة دنانير » .

(٣) فى الأغانى : « فلبسوا السلاح » .

(٤) الأغانى : « لضربت بين عينيه » .

قال عمر ، قد أقررتَ إمّا أن تُرضيَ الرجلَ وإمّا أقدتُه . قال جبلة : تصنع ماذا ؟ قال : آمرُ بهشْم أنفك ، قال : وكيف ذلك ، هو سُوقه وأنا ملك ؟ قال : [إنّ] الإسلام جَمعك وإياه ، فليس تفضُله إلاّ بالتُّقى والعافية ! قال جبَلة : قد ظننتُ أنى أكون فى الإسلام أعزَّ منّى فى الجاهليّة . قال عمر : دعْ عنك هذا ، فإنّك إن لم تُرضِ الرجل أقدتُه منك ! قال : إذَنْ أتنصَّر ! قال : إنْ تنصَّرتَ ضربتُ عنقَك ، فلما رأى جبلةُ الجِدَّ من عمر قال : أنا ناظر فى ليلتى هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا و [حيٍّ] هذا خَلقٌ [كثيرٌ] حتّى كادت أن تكون فتنة ، فلما أمسَوا أذن له عمرُ بالانصراف ، حتى إذا نام الناس تحمَّل جبَلةُ مع جماعته إلى الشام ، فأصبحت مكةُ منهم بَلاقع . فلما انتهى إلى الشام تحمَّل فى خمسمائةٍ من قومه حتى أتى القُسطَنطينيّة فدخل إلى هرقل ، فتنصّر هو وقومُهُ ، فسُرَّ هرقلُ بذلك جدًّا ، وظن أنّه فتحٌ من الفتوح ، وأقعده حيث شاء[1] ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . ثم إنّ عمر بدا له أن يكتب إلى هرقلَ يدعوه إلى الإسلام ، ووجّه إليه رسولا [وهو جَثّامة بن مُساحق الكنانى] ، فلما انتهى إليه أجابَ إلى كلِّ شىء سوى الإسلام ، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابنَ عمِّك هذا الذى جاءنا راغباً فى ديننا ؟ قلت : لا . قال : فالقَه . قال : فتوجّهتُ إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة[2] والحسن والستور[3] مالم أر مثله بباب هرقل ، فلما أُدخِلت عليه إذا هو فى بهو عظيم ، وفيه من التصاوير مالا أُحسِن وصفَه ، وإذا هو جالسٌ على سريرٍ من قواريرَ قوائمُه

(١) الأغانى : « وأقطعه حيث شاء » .

(٢) فى النسختين : « البهو » ، صوابه من الأغانى .

(٣) ش : « والجيش » وفى الأغانى : « والحسن والسرور » .

أربعةُ أُسْدٍ من ذهب ، وقد أمرَ بمجلِسه فاستُقْبِلَ به وجهُ الشمس ، فما بينَ
٢٤٣ يديه من آنية الذهب والفضة تلوح ، فما رأيت أحسنَ منه ، فلمّا سلّمت عليه
ردَّ السلام ورحّب بى وألطفنى ، ولامنى على تركى النزولَ عنده ، ثم أقعدنى
على سريرٍ لم أدر ما هو ، فتبيَّنتُه فإذا هو كرسىٌّ من ذهب ، فانحدرت عنه
فقال : مالك ؟ فقلت : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . فقال
جبلة أيضاً مثلَ قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته ، وصلَّى عليه ،
ثم قال : يا هذا ، إنَّك إذا طَهَّرت قلبَك لم يضرَّك ما لبِستَه ولا ما جلستَ
عليه . ثم سألنى عن الناس ، وألحفَ فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكِّر حتى
عرفت الحزنَ فى وجهه ، فقلت له : مايمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟
فقال ، أبعد الذى قد كان؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بنُ قيس عن الاسلام
[ومنَعَهم الزكاةَ] وضربهم بالسيف ثم رجَع إلى الاسلام . فتحدَّثنا مَلِيّاً
ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسه ، فولّى يُحضِر ، فما كان إلا هُنَيَّة[١] حتى أقبلت
الأخونة فوُضعت ، وجِيء بخِوانٍ من ذهب فوُضع أمامى فاستعفيت ، فوُضع
أمامى خِوان من خَلَنْج وجاماتُ قوارير ، وأديرت الخمرُ فاستعفيت منها ،
فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منه خمسا ، ثم أومأ إلى غلام فولّى
يُحضِر فما شَعَرت إلاّ بعشرِ جوارٍ يتكسّرن فى الحَلْى والحُلَل ، فقعد خمسٌ
عن يمينه وخمس عن شماله ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائى ، فإذا أنا بعشرٍ
أفضلَ من الأُوَل ، عليهنّ الوشىُ والحَلْى ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن
شماله ، ثم أقبلتْ جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدَّب ،
وفى يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خُلِطا ، وفى اليسرى جام فيه ماء

---

(١) فى النسختين : « هنيئة » ، وفى الأغانى : « هنيهة » ، وما أثبت أقرب تصحيح ، وانظر اللسان والقاموس (هنو) .

ورد ، فألقت الطائر فى ماء الورد فتمعّك فيه بين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر فتمعّك فيهما حتّى لم يدعْ فيه شيئاً ، ثم نفّرته فطار فسقط على رأس جَبلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بقى عليه شيء إلاّ سقط على جبلة ؛ ثم قال للجوارى : أطربْنني . فخفقن بعيدانهنّ يغنّين :

لله دَرُّ عصابةٍ نادمتُهم يوماً بجِلّقَ فى الزمان الأوّلِ

(الأبيات) فاستهلَّ واستبشر وطرِب ، ثم قال : زدننى . فاندفعن يغنِّين :

لمن الدار أقفرت بمَعانِ[1] بين شاطى اليرموك فالصمَّانِ[2]

إلى آخر القصيدة .

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلنا فى ملكنا بأكناف دِمَشق ، وهذا شعر ابن الفُريعة حسّان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : أمَا إنَّه مضرورُ البصر ، كبير السنِّ ! قال : يا جارية ، هاتى . فأتته بخمسمائة دينار ، وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفعْ هذه إلى حسّان . ثم راوَدَنى على مثلها ، فأبيت فبكى ، ثم قال لجواريه : أبكينَنى . فوضَعن عيدانهن ثم أنشأن يَقُلْن :

تنصَّرت الأشرافُ من عار لطمةٍ وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ

تكنَّفنى فيها لَجاجٌ ونَخوةٌ وكنت كمن باع الصَّحيحة بالعوَر

فياليتَ أمّى لم تلدْنى وليتنى رَجَعتُ إلى القول الذى قاله عمر[3]

---

(١) ط : « بمغانى » ش : « بمغان » ، صوابه ما أثبت من الديوان ٤١٤ والأغانى .

(٢) فى النسختين والأغانى : « بين شاطىء » والصواب تخفيف الهمزة . وفى الديوان والعقد ٢ : ٦٠ : « بين أعلى اليرموك فالخمان » . وفى معجم البلدان (الصمان) : « بين شاطىء اليرموك فالصمان » .

(٣) الأغانى : « قال لى عمر » .

٢٤٤ وياليتني أرعى المَخاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعة أو مُضَرْ
وياليت لي بالشام أدنى معيشةٍ أجالسُ قومي ذاهبَ السمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيت معه ، حتى نظرت إلى دموعه تجول على لحيته ، ثم سلّمت عليه وانصرفت ، فلما قدِمت على عمر سألني عن هرقلَ وعن جبلةَ فقصصت عليه القصّةَ ، فقال : أبعده الله ، تعجّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فهل سرّح معك شيئاً ؟ قلت : سرّح إلى حسانَ خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعثَ إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتّى دنا فسلّم وقال : ياأمير المؤمنين ، إنّي لأجد أرواحَ آل جفنة ! فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تعالى لك منه على رغم أنفه ، [وأتاك بمعونته] . فأخذها وانصرف وهو يقول :

إنّ ابنَ جفنةَ من بقيّة معشرٍ لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ
لم يَنسَني بالشّام إذْ هو ربُّها كلاَّ ولا متنصِّراً ، بالرُّومِ
يُعطي الجزيلَ ولا يراه عنده إلاّ كبعض عطيّة المذموم
وأتيته يوماً فقرَّبَ مجلسي وسقَى فروَّاني من الُخرطُوم

ثم قال للرسول : ما قال لك جبلة ؟ قال : قال لي : إن وجدتَه حيًّا فادفعْها إليه ، وإنْ وجدته ميتاً فاطرح الثِّيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره . فقال حسّان : ليتك والله وجدتَني ميتاً ففعلتَ ذلك بي ! انتهى كلام الأغاني .

وروى هذه القصة ابن عبد ربه (في العقد) على هذا النمط وزاد فيها عند قوله :

« قد ارتدَّ الأشعث بن قيس عن الإسلام ثم رجع وقبل منه[١] » . قال جبلة : ذرني من هذا ، إنْ كنتَ تضمن لى أن يزوّجني عمر بنته ، ويولّيني بعده الأمر رجعت إلى الإسلام . قال : فضمنت له التزويج ، ولم أضمن الإمْرَة .

وقال فى آخر القصة[٢] : فلما قدمتُ على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوتُه إليه من الإسلام ، والشرط الذى اشترطه ، فقال لى[٣] عمر : هلاّ ضمنتَ له الإمْرة أيضاً ، فإذا أفاء الله به [إلى[٤]] الإسلام قضَى عليه بحكمه عز وجل . قال : ثم جهزّنى عمر إلى قيصر ، وأمرنى أن أضمن لجبلة ما اشترط به . فلما قدمتُ القُسطنطينِيَّة وجدت الناس منصرفين من جِنازته ، فعلمت أن الشَّقاء غلب عليه فى أمّ الكتاب . انتهى .

وروى صاحب الأغانى عن ابن الكلبى : أنَّ الفَزارى لما وطىء إزارَ جبلة فلطم الفزاريُّ جبلةَ كما لطمه جبلة ، وثب عليه غسّان[٥] فهشّموا أنفه وأتوا به عمر . ثم ذكر باقى الخبر كما ذُكر .

---

(١) الذى فى العقد ٢ : ٥٨ بدل هذا « قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ، ارتدّ عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه » . والأشعث بن قيس ، من كندة ، بل كان من ملوكها فيما ذكر ابن سعد ، فالفزارى آخر غيره ، وهو عيينة بن حصن الفزارى ، أسلم ثم ارتد ثم أسلم بعد ذلك على يد أبى بكر . الاشتقاق ٢٨٤ والاصابة ٦١٤٦ .

(٢) العقد ٢ : ٦١ .

(٣) فى النسختين : « له » وانما الضمير لمتكلم . وفى العقد : « فقال » فقط .

(٤) هذه التكملة من العقد .

(٥) فى العقد : « فوثبت غسان » .

وروى الزُّبير بن بَكّار : أنّ جبلة قدِم على عمر فى ألفٍ من أهل بيته فأسلم وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام ، فسبَّ المدنىَّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلة فلطمه المدنىُّ ، فوثب عليه أصحاب جبلة ، فقال : دعوه حتّى أسألَ صاحبَه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنّكَ فعلت به فعلاً ففعل بك مثله . قال : أو ليس عندك من الأمر إلاّ ما أُرَى ؟ قال : لا ، فما عندك من الأمر يا جبلة ؟ قال : مَن سبّنا ضربناه ، ومن ضربَنا قتلناه ! قال : إنّما أنزل القرآنُ بالقصاص ! ! فغضب وخرج بمن معه ، ودخل أرض الروم فتنصّر ، ثم ندم فقال :

* تنصّرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ *

(وذكر الأبيات الماضية) .

ثم روى صاحب الأغانى[1] بسنده عن عبد الله بن مسعدة الفزارىّ قال :

٢٤٥ وجّهنى معاويةُ إلى ملك الروم فدخلتُ عليه ، وعنده رجل على سرير من ذهب ، فكلّمنى بالعربية فقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال أنا رجل غلبَ عليه الشقاء ، أنا جبَلَة بن الأيهم الغسّانى ، إذا صرتُ إلى منزلى فالقَنى . فلمّا انصرف أتيتُه فألفيته على شرابه ، وعنده قينتان تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت ، فلمّا فرَغتا من غنائهما أقبل عَلىّ فقال : ما فعل حسان بن ثابت . قلت : شيخ كبير قد عمِىَ ! فدعا بألف دينار ، فقال : ادفعْها إلى حسان . ثم قال : أترى صاحبَك يَفِى لى إن خرجتُ إليه ؟ قلت : قلْ ماشئتَ أَعْرِضْهُ عليه . قال : يعطينى [الثنِيّة[2] فإنّها كانت] منازلنا ، وعشرين

(١) الأغانى ١٤ : ٧ .

(٢) هى التى كانت تعرف بثنية العقاب ، ذكر ياقوت أنها المطلة على غوطة دمشق .

قرية من الغُوطة ، ويَفرضُ لجماعتنا ويُحسن جوائزَنا . فقلت : أبلّغه . فلمَّا قدمتُ على معاوية أخبرته الخبر ، فقال : وددت أنّك أجبتَه إلى ما سأل . وكتب إليه بعطاء ذلك ، فوجده قد مات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفصّل وغيره[1] :

٣١٦ ✽ وقد جَعَلَتْنِي من حَزِيمةَ إصبَعَا ✽

على أنّ فيه حذف ثلاث كلمات متضايفات ، أى ذا مقدار مسافة أصبع .

الأَوْلَى تقدير مضافين أى ذا مسافة إصبع ؛ فإنَّ المسافة معناها البعد ، و « المقدارُ » لا حاجةَ إليه . كذا قدر جماعةٌ منهم أبو علىّ (فى الإيضاح الشعرى) ، ومنهم ابن هشام (فى المغنى) .

وهذا عجز ، وصدره :

(فأدركَ إبقاءَ العَرَادَةِ ظَلْعُها)

وهو من جملة أبياتٍ للكَلْحَبَة العَرِينى[2] ، تقدّم شرحها وترجمته فى الشاهد الحادى والستين . وأوّل الأبيات :

(فإنْ تَنْجُ منهـا يا حَزِيمَ بنَ طارق
فقد ترَكتْ ما خَلفَ ظَهركَ بلقَعا)

---

(١) ابن يعيش ٣ : ٣١ . وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والعينى ٣ : ٤٤٢ والأشمونى ٢ : ٢٧٢ والمفضليات ٣٢ .

(٢) ط : « العرنى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق من تحقيق البغدادى فى ١ : ٣٩٢ .

يقول : إنْ تنجُ يا حَزِيمَ من فرسى ، فلم تفلتْ إلاّ بنفسك ، وقد استُبِيح مالُك وما كنتَ حوَيته وغنِمتَه ، فلم تدَعْ لك هذه الفرسُ شيئاً .

سبب الأبيات

وسبب هذه الأبيات : أنَّ بنى تغلب – وكان رئيسُهم حَزيمة بن طارق – أغار على بنى مالك بن حنظلة من بنى يربوع ، فاستاق حزيمةُ بن طارق إبلَ بنى يربوع ، ولما أتى الصريخُ إلى بنى يربوع ، ركبوا فى إثره فهزموه ، واستنقذوا منه ما كان أخذه ، وأُسِر حَزيمة . وهذا البيت يشهد بانفلات حَزيمة ، وشعرُ جريرٍ يشهَد بأسره ، وهو قوله :

* قُدنا حَزيمةَ قد علمتم عنوةً[1] *

ويُجمع بينهما بأنَّ حزيمة بعد أن نجا من الكلحبةَ أسره غيره . وضمير منها راجع إلى فرس الكلحبة . وحَزيم ، بفتح الحاء المهملة وكسر الزاء المعجمة : مرخَّم حَزيمة كما فى البيت الآخر . والبلة : القفر الخالى .

وقوله : (فأدرك إبقاء العَرادة) بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة . و (الإبقاء) ما تبقيه الفرس من العَدْو ، إذْ مِن عِتاق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العَدْو ؛ بل تُبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال فرس مُبْقية : إذا كانت تأتى بجَرْيٍ عند انقطاع جريها وقتَ الحاجة . وهو مفعول . و (ظلْعها) فاعل (أدرك) . والظَّلْع فى الإبل بمنزلة العَرج اليسير ، ولا يكون فى ذى الحافر إلاّ استعارة . يقول : تبعتُ حَزيمة فى هربه

(١) عجزه في ديوان جرير ٤٥٢ :
* وشتا الهذيل يمارس الأغلال *

فلما قربتُ منه أصابَ فرسى عرجٌ فتخلّفت عنه ، ولولا عرجُها لمـا أسره ٢٤٦
غيرى . وجملة (وقد جعلتنى) الخ حالية .

وأخطأ المظفّرى (فى شرح المفصل) حيث لم يقف على منشأ البيت ، فزعم أن حَزيمة اسم قبيلة ، وقال فى معناه : أدرك الظلعُ إبقاء هذا الفرس أى بقاءها وثباتها فى السير ، يعنى كانت ثابتة فى السير فعرجت فى حالةٍ لم يبق بينى وبين قبيلتى إلاَّ قدر إصبع . هذا كلامه ، وكان السكوت أجملَ به ، لو كان يعقل !

وقال العينى : كانت فرس الكلحبة مجروحة فقصَّرت لمـا قرب من حزيمة ففاته . وهذا لم يقله أحد ، وإنّما اعتذر الكلحبة لعرج فرسه وانفلات حزيمة بقوله :

(ونادى منادِى الحىّ أن قد أُتيتُمُ وقد شربتْ ماء المَزادةِ أجمَعا)

يقول : أتى الصريخ وقد شربتْ فرسى مِلْء الحوضِ ماء[1] . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها ، وكانت عطاشاً ، فمنها ما يشرب بعضَ الشرب ، وبعضها لا يشرب ألبتة ، لمـا قد جرَّبت من الشدَّة التى تلقى إذا شربت المـاء وحُورب عليها . وجملة وقد شربت حال ، أى أتيتم[2] فى هذه الحال . كذا قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضّليّات) .

فعلم من هذا أنَّ سبب عرج فرسه من إفراط شرب المـاء ، لا من الجُرح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « من الحوض ماء » ، صوابه فى ش وشرح ابن الأنبارى ٢١ وما سبق فى ١ : ٣٨٩ .
(٢) ط : « أوتيتم » ، صوابه فى ش وشرح الأنبارى وما سبق .

وأنشد بعده :

(يا مَنْ رأى عارضاً أُسرُّ به بين ذِرَاعَىْ وجَبهة الأسدِ)

على أنَّ أصله : بين ذراعى الأسد وجبهة الأسد . فحذف المضاف إليه الأوَّل على نيَّة لفظه . ولهذا لم يُبْنَ المضافُ ولم ينوَّن .

و (مَنْ) منادى ، وقيل المنادى محذوف ومَن استفهامية . والرؤية بَصرِيّة . و (العارض) : السَّحاب الذى يعترض الأفق . وجملة (أُسرُّ به) بالبناء للمفعول صفة لعارض . و (الذراعان) و (الجبهة) من منازل القمر . وعند العرب أن السحاب الذى ينشأ بِنَوءٍ من منازل الأسد يكون مطرُه غزيراً ، فلذلك يُسَرُّ به .

قال الأعلم (فى شرح شواهد سيبويه) : وصف عارضَ سَحابٍ اعترضَ بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواؤه أحمَدُ الأنواء . وذكرَ الذراعين ، والنوء إنَّما هو للذراع المقبوضة منهما ، لاشتراكهما فى أعضاء الأسد .

وتقدّم شرح هذا البيت ـ وهو للفرزدق ـ بأبسط من هذا فى الشاهد السادس والثلاثين بعد المائة(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(إلاَّ عُلالَةَ أو بُدا هةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارَهْ)

على أنّ الأصل : إلاّ عُلالة سابح أو بُداهة سابح ، كالذى قبله .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣١٩ .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية) : ليس من اعترض فى قوله إلا علالة أو بداهة قارح [1] بأنّ المضاف إليه محذوف ، يدافع أن يكون بمنزلة ما شبّهه به من قوله :

* لله درُّ اليومَ من لامَها[2] *

لأنه قد وليَ المضاف غير المضاف إليه ، وإذا وليه غيره فى اللفظ فقد وقع الفصل به بينهما ، كما وقع الفصل بينهما فى اللفظ فى قوله : لله درُّ اليومَ . وإذا كان كذلك فقد ساواه فى القبح للفصل الواقع بينهما ، وزاد عليه فيه أنّ المضاف هنا محذوف ، ولله درُّ اليومَ مذكور ، فلا يخلو الأمر من أن يكون أراد المضاف إليه فحذفه لدلالة الثانى عليه ، أو أراد إضافته إلى المذكور فى اللفظ وفصل بينهما بالمعطوف . وكيف كانت القصّة فالفصل حاصلٌ بين المضاف والمضاف إليه . واعترض بأن قال : لو كان على تقدير الإضافة إلى قارح الظاهر ، لكان إلا علالة أو بُداهةَ قارحٍ . [و[3]] لا يلزم لأنّه يجوز[4] أن يكون : إلا علالة قارح أو بُداهة قارح ، فيظهر المضاف إليه موضعَ الإضمار ، فتحذفه من اللفظ كما جاز عند من خالف سيبويه ، بأن يذكر علالة وهو يريد الإضافة فيحذف المضاف . وله أن يقول : إنّ تقديرى الحذف أسوغ ، ولأنّى أحذفه بعد أن قد جرى ذكره ، وحذفُ ما جرى ذكرُه أسوغُ لتقدُّم الدلالة عليه . انتهى كلام أبى على .

٢٤٧

---

(١) اشارة الى رواية أخرى .
(٢) عجز بيت لعمرو بن قميئة ، وهو الشاهد التالى رقم ٣١٧ .
(٣) بهذه الواو يستقيم الكلام .
(٤) ط : « لأنه يلزم » ، والصواب من ش .

وهذا البيتِ من قصيدة للأعشى ميمون تقدّم شرحه وترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين(١) . وقبله :

(وهُناكَ يَكذِبُ ظَنُّكم أن لا اجتماعَ ولا زيارَه)

يقول : إذا غزونا كم علمتم أن ظنّكم بأنّنا لا نغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل غازين .

وقوله (إلا عُلالة) استثناء منقطع من قوله لا اجتماع ، أى لكن نزوركم بالخيل . والعُلالة ، بضم المهملة : بقيَّة جرى الفرس . و (البُداهة) بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للإضراب . وروى بتقديم (بداهة) على (علالة) فأو ، على هذا لأحد الشيئين . و (السابح) : الفرس الذى يدحو الأرض بيديه فى العدْو . و (النَّهد) : المرتفع . و (الُجزارة) بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أنَّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً . وهذا مدحٌ فى الخيل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٣١٧ (لما رأتْ ساتِيدَما استَعْبَرتْ لله درُّ ـ اليومَ ـ مَنْ لامها)

على أنّه قد فصل فى ضرورة الشعر بين المتضايفين بالظرف ، والأصل : لله درُّ من لامها اليوم .

(١) الخزانة ١ : ١٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩١ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والازمنة ٢ : ٣٠٩ والانصاف ٤٣٢ وابن يعيش ٢ : ٣/٤٦ : ١٩ ، ٢٠ ، ٧٧/ ٨ : ٦٦ ومعجم البلدان (ساتيدما) وديوان عمرو بن قميئة ٦٢ .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية) قال سيبويه : تقول : عجبت من ضربِ اليومِ زيداً ، ولا يكون على هذا : لله درُّ اليومِ من لامها ، فيضيف درًّا إلى اليوم ؛ لأن درًّا بمنزلة قولهم لله بلادُك ، فليست تجرى مجرى المصدر ولا تعمل عمل الفعل . قال أبو عثمان : فلو أضفت دَرًّا إلى اليوم ، لبقى قولكَ من لامها لا موضع له ، لأنه ليس كالضرب فيكون الثانى فى موضع نصب بالمصدر ، فيكون بمنزلة عجبت من إعطاء زيد دِرهما . فإذا بقى لا موضع له ، لم تجز الإضافةُ فى دَر ، وإذا لم تجز الإضافة فى درّ إلى اليوم ، جعلته فاصلا بين المضاف والمضاف إليه ، وجعلتَه متّصلا باللام ومعمولا له ، ولا يكون معمولاً للاّمها ؛ لأن ما فى حيّز الصلة لا يعمل فيما قبله . انتهى .

وهذا البيت ثانى أبياتٍ ثلاثة لعَمرو بن قميئة(١) ، وهى : صاحب الشاهد

٢٤٨ (قد سألتْنى بنتُ عمرٍو عن الـ أرض التى تُنكِر أعلاَمها

لما رأتْ ساتيدَ ما استعبرت « البيت »

تذكَّرتْ أرضاً بها أهلُها أخوالَها فيها وأعمامَها)

قال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى فُرحة الأديب) : قال أبو النَّدَى : سبب بكائها أنَّها لما فارقت بلادَ قومها ووقعت إلى بلاد الروم ، ندمت على ذلك . وإنّما أراد عمرو بن قميئة(١) بهذه الأبيات نفسَه لابنته ، فكنى عن نفسه بها . وساتيدما : جبل بين مَيَّا فارِقين وسعرت . وكان عمرو بن قميئة قال هذا لما خرج مع امرئ القيس إلى ملك الروم . انتهى .

وتُنكر : تجهَل ؛ أنكرتُه إنكاراً : خلاف عرفْتُه ، و نكِرته مثالَ تعبت كذلك ، غير أنَّه لا يتصرف . كذا فى المصباح . والأعلام : الجبال ،

(١) ط « قمئة » صوابه فى ش وما سيأتى من كلام البغدادى .

ويجوز أن يريد بها المنارَ المنصوبة على الطريق ليستدلّ بها من يسلك الطريق . يريد : أنها سألته عن المكان الذى صارت فيه وهى لا تعرفه ، لما أنكرته استخبرته عن اسمه .

و (استعبرت) : بكت من وَحشة الغربة ولبعدها من أراضى أهلها . والعرب تقول : لله دَرُّ فلان ، إذا دَعوا له ، وقيل : إنَّهم يريدون لله عمله ، أى جعل الله عمله فى الأشياء الحسنة التى يرضاها . وإنّما دعا للائمها بالخير نكايةً بها لأنّها فارقت أهلها بحسن اختيارها ، فيكون هذا تسفيهاً لها بتغرُّبها .

وقال الأعلم : وصف امرأةً نظرت إلى ساتيدما — وهو جبل بعيدٌ من ديارها — فتذكرت بلادها فاستعبرت شوقاً إليها ، ثم قال : لله درّ من لامها اليوم على استعبارها وشوقها ، إنكاراً على لائمها ، لأنّها استعبَرَت بحقٍّ ، فلا ينبغى أن تلام . هذا كلامه . وليس هذا معنى الشعر فتأمَّل .

وكذلك لم يصب بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) فى قوله قد سألتنى هذه المرأة عن الأرَضِينَ التى كان بها أهلها ، إذ أنكرت جبالها أو أعلامَها المنصوبة فيها ، ولم تعرفها لتقادم العهد بها أو لتغيُّرها ، لمّا رأت هذا الجبل بكت ، لأنه كان منزلَ أهلها . ثم قال : لله در من لامها على البكاء وقبَّحه عندها ، لتمتنع عنه(١) . انتهى كلامه . وهذا كلام من لم يصل إلى العنقود .

وقوله : تذكّرتْ أرضاً بها أهلها ، قد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضا(٢) على أنّ قوله : أخوالها فيها وأعمامها ، منصوب بفعل مضمر وهو

(١) فى النسختين : « لتمتنع » .
(٢) فى كتابه ١ : ١٤٤ .

تذكّرتْ . وهذا جائز عندهم بإجماع ، لأنّ الكلام قد تمّ فى قوله : تذكّرَتْ أرضاً بها أهلُها ، ثم حمل ما بعده على معنى التذكّر .

وأجاز بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أن يكون قوله : أخوالَها ، بدلا من أرضاً بدل الاشتمال

وقوله : بها أهلها ، الظرف صفة لقوله أرضا وأهلها فاعل الظرف ، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره والجملة هى الصفة .

قال ابن خلف : ولو نصبت أهلها بإضمار فعل لجاز على بُعد .

والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموى (فى معجم البلدان) قال : ساتيدما بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثنّاة من تحت ودال مهملة مفتوحة وميم وألف مقصورة ، أصله مهمل فى الاستعمال فى كلام العرب ، فإمّا أن يكون مرتجلا عربياً لأنّهم قد أكثروا من ذكره فى شعرهم ، وإمّا أن يكون أعجميًّا . قال العِمْرانى : هو جبلٌ بالهند لا يعدم ثلجه أبداً . وأنشدوا :

أبردُ من ثلجِ ساتيدما وأكثر ماءً من العكرِش[1]

وقال غيره : سمّى بذلك لأنه ليس من يوم إلاّ ويسفك فيه دم ، كأنّه اسمان جُعِلا واحداً : ساتى ، دما . وسادى وساتى بمعنى ، وهو من سَدَى الثّوب ، فكأنّ الدماء تُسدى فيه كما يُسدى الثوب . وقد مدّه البحترىُّ فقال :

ولما استقرت فى جَلُولَى ديارهم فلا الظَّهْرُ من ساتيد ماء ولا اللِّحفُ ٢٤٩

(١) فى معجم البلدان : « وأبرد » بلا خرم . وقد زاد الشنقيطى الواو بقلمه فى نسخته .

قال أبو عبيد البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : رأيت البُحتُرىَّ قد مدَّه ، فلا أعلم أضرورة أم لغة ، والبحترىُّ شديد التوقِّى فى شعره من اللحن والضّرورة .

ثم قال ياقوت : وقد حذف يزيدُ بن مفرِّغ ميمه فقال :

* فدَيرِ سوَى فساتيدا فبُصرى *

قلت : وهذا يدل على أن هذا الجبل ليس بالهند ، وإنّما العمرانىُّ وهم . وذكر غيره أنَّ ساتيدما ، هو الجبل المحيط بالأرض ، منه جبل بارمَّا ، وهو الجبل المعروف بجبل حُمرِين وما يتّصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحى . وهو أقرب إلى الصحة . والله أعلم .

وقال أبو بكر الصُّولىّ فى شرح قول أبى نواس :

ويومَ ساتيدما ضربنـا بَنى الـ ـأصفَرِ والموتُ فى كتائبها

قال : ساتيدما : نهر قرب أرزَن ، وكان كسرى وجّه إياس بن قبيصة الطائى لقتال الروم بساتيدما فهزمهم ، فافتخر بذلك . وهذا هو الصحيح . وقوله : فى بلاد الهند خطأ فاحش . وقد ذكر الكسروى فيما أورد فى خبر دجلة عن المرزبانى عنه ، فذكر نهراً بين آمِد ومَيَّا فارقين ، ثم قال : ينصبُّ إليه وادى ساتيدما ، وهو خارج من درب الكلاب[1] ، بعد أن ينصبّ إلى وادى ساتيدما وادى الزور الآخذ من الكلك ، وهو موضع ابن بقراط البطريق من ظاهر أرمينيا . قال : وينصبّ أيضاً من وادى ساتيدما ، نهر مَيَّافارقين ، وهذا كله مخرجه من بلاد الرُّوم ، فأين هو والهند ، ياللعجب ! وقول عمرو بن قميئة :

---

(١) ش : « ضرب الكلاب » .

* لمّا رأت ساتيدما استعبرت *

يدل على [ذلك] ؛ لأنه قاله[١] فى طريقه إلى ملك الروم ، حيث سار مع امرىء القيس . انتهى كلام ياقوت .

وقال البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : ساتيدما : جبل متّصل من بحر الرُّوم إلى بحر الهند ، وليس يأتى يومٌ من الدهر إلاّ سُفك عليه دم ، فلذلك سمِّى ساتيدما . وكان قيصر قد غزا كسرى و أتى بلاده على غِرَّة ، فاحتال له حتّى انصرف عنه ، واتبعه كسرى فى جنوده فأدركه بساتيدما ، فانهزموا مرعوبين من غير قتال ، فقتلهم قَتْلَ الكلاب ، وَنجا قيصرُ ولم يَكَدْ . وفى شعر أبى النجم ساتيدما : قصر من قصور السواد ، قال أبو النجم يذكر سَكْر خالدِ القسرىِّ لدجلَة :

فلم يجبُها المرء حتّى أحكما   سَكْراً لها أعظم من ساتِيدَمَا[٢]

انتهى . ولا يخفى أنه ليس فى قول أبى النجم مايعيِّن كونه قصرا ، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل . وممَّا يرد به على العِمرانىّ فى قوله : إنه جبل بالهند لا يعدم ثلجه ، أن الهند بلاد حارَّة لا يوجد فيها الثلج[٣]. والله أعلم .

و (عمرو بن قَمِيئة) على وزن فَعيلة ، مؤنث قمىء على وزن فعيل مهموز اللام من قمؤ الرجل بضم الميم قَمْأً بسكونها ، وقماءة بفتحها والمد: أى صار قميئاً ، وهو الصَّغير الذليل . عمرو بن قميئة

(١) فى النسختين : « يدل على أنه » ، صوابه من معجم البلدان .
(٢) فى معجم ما استعجم : « المد حتى أحكما » ، وما هنا صوابه .
(٣) هذا من أوهام القدماء ، والا فالثلج يغطى أبدا رءوس الجبال العالية فى الجبال الاستوائية ، كما هو معروف .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : عمرو بن قميئة من قيس بن ثعلبة ابن مالك رهط طرَفة بن العبد ، وهو قديمٌ جاهلى كان مع حُجر أبى امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحِبي لما رأى الدربَ دونه ... وأيقن أنّا لاحقانِ بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عينُكَ ، إنّما ... نُحاول ملكاً أو نموتَ فنعذرا

٢٥٠ ثم قال ابن قتيبة : وفى عبد القيس عمرو بن قميئة الصغير [١].

أبناء قميئة

وأورد الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) ثلاثةً من الشعراء يقال لهم ابن قميئة ، أوّلهم هذا قال :

هو عمرو بن قميئة بن ذَريح بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور ، دَخل بلاد الروم مع امرىء القيس بن حُجر فهلك ، فقيل له عمرٌو الضائع . والثانى هو جميل بن عبد الله بن قميئة الشاعر العُذرى ، أحد بنى ظَبيان بن حُنّ ، وحُنّ بن عذرة [٢]، ولم يكن جميل يعرف إلا بابن قميئة .

والثالث ربيعة بن قميئة الصَّعْبي أحد بنى صعب بن تيم بن أنمار بن ميسر ابن عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، شاعر له فى كتاب عبد القيس القصيدة التى أولها :

لمن دِمنٌ قفرٌ كأنَّ رسومَها ... على الحَوْلِ جفنُ الفارسيِّ المزخرَفُ [٣]

* * *

(١) بعده فى الشعراء ٣٣٨ : « وهو شاعر أيضا » .
(٢) هذا من موجز النسب . والا فهو حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة . أو صوابه « وحن من عذرة » . وانظر جمهرة ابن حزم ٤٤٩ من تحقيق كاتبه .
(٣) فى النسختين : « على الجفن » ، صوابه من المؤتلف ١٦٨ .

وأنشد بعده :

كأنّ أصواتَ مِنْ إيغالِهنَّ بنا　　أَوَاخِرِ المَيس إنقاضُ الفَرَاريج

على أنّ الظرف قد فصَل بين المتضايفين لضرورة الشعر ، والأصل : كأنّ أصواتَ أواخِر المَيس . ومن للتعليل .

و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل فى الأرض : إذا أبعَدَ فيها . والضمير للإبل . و (الأواخر) : جمع آخِرة الرحْل ، بوزن فاعلة ، وهو العُود الذى فى آخر الرحْل يستند إليه الراكب . و (المَيس) بفتح الميم : شجَرٌ يتّخذ منه الرحال والأقتاب . وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتم فضّة . و (الإنقاض) : مصدر أنقضَت الدَجاجة : إذا صوّتت ، وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة . و (الفَراريج) : جمع فَرّوج ، وهى صِغار الدَجاج .

يريد أنّ رحالهم جَديدةٌ ، وقد طال سيرُهم فبعض الرحْل يحكّ بعضاً ، فيحصل مثل أصواتِ الفراريج من اضطراب الرِّحال ؛ لشدة السير .

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرّمة تقدم الكلامُ عليه فى الشاهد التاسع والستين بعد المائتين(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة(٢) :

٣١٨ ＊ تَمُرُّ على ماتستمرّ وقد شَفَتْ　　غلائِلَ عَبْدُ القيس منها صُدورِها ＊

على أن الفصل بين المتضايفين بغير الظرف نادر ، كما هنا ، والأصل : وقد شفت غلائلَ صُدورِها عبدُ القيس منها ، ففصل بين المضاف والمضاف

---

(١) انظر هذا الجزء الرابع من الخزانة ص ١٠٨ .
(٢) انظر الانصاف ٤٢٨ .

إليه بالفاعل وبالجارّ والمجرور . والفاعل ، وهو عبد القيس ، فى نية التقديم على المفعول وهو غلائلَ صدورها ، لأن فيه ضمير الفاعل .

و (عبد القيس) قبيلة . و (الغلائل) : جمع غليل[١]، وهو الضغن والحقد . و (شفَت) مجاز من شفى الله المريض . إذا أذهب عنه ما يشكو . و (تمرّ) من المرور . و (تستمرّ) من الاستمرار .

وهذا البيت مصنوع ، وقائله مجهول ، كذا فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن الأنبارىّ .

وقال ابن السيد (فى أبيات المعانى) : هـذا البيت أنشده الأخفش ، وتوجيه إعرابه أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بما ليس بظرف ، وهو أقبح ما جاء فى الشعر ودعت إليه ضرورةٌ ، وتقدير الـكلام . وقد شفَت غلائلَ صدورها . و (الغَلائل) : جمع غليلة مثل عظيمة وعظائم ، وكريمة وكرائم . وقال أبو الحسن الأخفش : إن كان الشعر لم يوثق بعربيَّته فيجوز أن يكون أخرج غلائل غير مضافة وقدَّر فيها التنوين لأنّها لاتنصرف ، ثم جاء بالصدور مجرورةً على نيَّة اعادتها ، كما قال الآخر[٢] :

٢٥١

رحم اللهُ أعظماً دفنوها بسجستان طلحةَ الطلَحَاتِ

أى أعظُمَ طلحةِ الطَّلحات . فكذلك هنا يريد غلائل عبد القيس منها غلائل صدورها ، وقد حذف الثانى اجتزاء بالأوّل . وهذا التأويل حسن ، لأنّه مخرج الـكلام[٣] ، وفيه ضعف من حيث إضمار الجار . انتهى

* * *

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « غليلة » . كما سيأتى .

(٢) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٢٠ .

(٣) ش : « يخرج الكلام » .

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلثمائة :

٣١٩ (فزَجَجْتُها بِمزَجَّةٍ زَجَّ القلوص أبي مَزَادَه[١])

على أنَّه فصَل بين المضاف وهو زجَّ ، وبين المضاف إليه وهو أبي مزاده، بالمفعول، وهو القلوص .

يقال زَجَجته زَجًّا : إذا طعنتَه بالزُّجّ ، بضم الزاء ، وهى الحديدة التى فى أسفل الرمح . و (زجَّ القلوصَ) مفعول مطلق ، أى زجًّا مثل زجّ . و (القَلوص) بفتح القاف : الناقة الشابة . و (أبومزادة) : كنية رجل ، قال صاحب الصحاح « المِزَجُّ ، بكسر الميم : رمح قصير كالمزراق » . قال ابن خلف : « هذا البيت يُروى لبعض المدنيّين المولّدين ، وقيل هو لبعض المؤنّثين ممَن لا يحتج بشعره . ومزجّة ، يروى بفتح الميم وهو موضع الزّجّ ، يعنى أنه زّج راحلته لتسرع كما يفعل أبو مزادة بالقلوص . ويجوز أن تكون الميم مكسورة ، فيكون المعنى فزججتها يعنى الناقة أو غيرها ، أى رميتها بشىء فى طرفه زُجّ كالحربة ، والمزجة ما يُزَجّ به . وأراد كزج أبى مزادة بالقَلوص أى كما يزّجها . انتهى

وقول العينى : « الأظهر أن الضمير فى زججتها يرجع إلى المرأة ، لأنّه يخبر أنه زجّ امرأتة بالمزّجة كما زجّ أبو مزادة القلوص » ، كلام يحتاج فى تصديقه إلى وحى . وقد انعكس عليه الضبط فى مزَجة فقال : هى بكسر الميم ، والناس يلحنون فيها فيفتحون ميمها . وقد أنشد ثعلب فى أماليه الثالثة هذا البيت كذا :

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٢ والخصائص ٢ : ٤٠٦ والانصاف ٤٢٧ وابن يعيش ٣ : ١٩ ، ٢٢ والعينى ٤ : ٣٦٨ والأشمونى ٢ : ٢٧٦ .

فزججتها متمكناً زجَّ الصعَّابِ أبو مزاده

وأنشد بعضهم :

* زجّ الصعابَ أبي مزاده *

أراد زجّ أبي مزادة الصعَّابَ ، ثم اعترض بالصعَّاب اهـ فلا شاهد في البيت على روايته الأولى . والصعَّاب : جمع صعب ، وهو نقيض الذَّلول .

وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه ، حتى قال السيرافيّ : لم يثبته أحدٌ من أهل الرواية ، وهو من زيادات أبي الحسن الأخفش في حواشي كتاب سيبويه ، فأدخله بعض النُّسّاخ في بعض النسخ ، حتّى شرحه الأعلم وابن خلف في جملة أبياته . والأخفش هذا هو أبو الحسن سَعيد بن مَسعدَة صاحب سيبويه ، لا الأخفش أبو الخطّاب فإنّه شيخ سيبويه . قال الزمخشري (في مفصّله) وما يقع في بعض نسخ الكتاب من قوله : فزججتها بمزجة ، البيت : فسيبويه بريء من عهدته[1] . أراد أن سيبويه لم يورد هذا البيت في كتابه، بل زاده غيره في كتابه . وإنّما برّأ سيبويه من هذا ، لأنّ سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف ، وإذا كان هذا مذهبَه ، فكيف يورد بيتاً على خلاف مذهبه . ومنه يظهر لك سقوط قول الجعبَريّ (في شرح الشاطبية) فإنّه بعد أن زعم أن البيت من أبيات الكتاب قال : فإنْ قلتَ : فما معنى قول المفصّل : بريء من عهدته ؟ قلتُ معناه من عهدة هذه الرواية ، لأنه يرويه :

٢٥٢

* زجّ القلوصِ أبو مزاده *

بجرِّ القلوص بالإضافة ، ورفع أبو مزادة فاعل المصدر . هذا كلامه .

---

(١) البيت لم يرد في مظنه من سيبويه ١ : ٩١ ولم أجد الأعلم تعرض له فيما طبع بهامش الكتاب .

ثم قوله : إن هذا البيت أنشده الأخفش والفرّاء ، أقول : نقْل الفرّاء لهذا البيت ليس لتأييد قراءة ابن عامر الآتية ، وإنّما نقله للطعن فيه بأنه كلامُ مَن لا يوثق به ، كما يظهر لك من كلام الفرّاء الآتى .

قال ابن جنيّ (فى الخصائص) : قد فصل بالمفعول به مع قدرته أن يقول : زجَّ القلوص أبو مزاده[1] . وفيه عندى دليل على قوّة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم وأنه فى نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول . ألا تراه ارتكب ههنا الضرورة مع تمكّنه من ترك ارتكابها ، لا لشيء غير الرغبة فى إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول . وهذا فى النثر وحال السَّعة صعبٌ جدًا ، لاسيّما والمفصول به مفعول لا ظرف . ا هـ

وبقوله : لا لشيء غير الرغبة الخ ، يُعلَم أنَّ قول العَينىّ : إنّ قائله ليس له عذر فى هذا إلاّ مسّ الضرورة لإقامة الوزن ، صادرٌ عن غير رويّة وفكر .

ونقل جماعة عن ابن جنّي فى توجيهه ، أنّه يقدّر فى الأول مضاف إليه وفى الثانى مضاف ، والتقدير : زجّ أبى مزادة القلوص قلوص أبى مزادة ، على أن يكون قلوص بدلاً من القلوص . وتعسّفه ظاهر . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشرى (فى حواشيه) أنّه قال : الوجه أن يجرّ القلوص ويجعل أبى مزادة بعده مجروراً بمضاف محذوف ، تقديره : قلوص أبى مزادة ، كما فى :

* ونارٍ تَوقّدُ بالليلِ نارا[2] * ا هـ

---

(١) بعده فى الخصائص : « كقولك سرنى أكل الخبز زيدٌ » .

(٢) لأبى دواد الايادى فى سيبويه ١ : ٣٣ . وصدره :

* أكل امرىء تحسبين امرأ *

وينسب أيضا الى عدى بن زيد . الكامل ١٦٣ ، ٤٨٩ .

وقد نقل الخلاف ابنُ الأنباريّ فى هذه المسألة (فى كتابه الإنصاف، فى مسائل الخلاف) فقال: ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض، لضرورة الشعر، وذهب البصريّون إلى إنّه لا يجوز ذلك بغيرهما. أما الكوفيّون فاحتجوا بأن قالوا: إنَّما قلنا ذلك لأنّ العرب قد استعملته كثيراً فى أشعارها، قال الشاعر:

فَزَجَجْتُهَا بِمزَجَّة . . . . . (البيت)

وقال الآخر:

تمرّ على ما تستمرّ وقد شفَتْ . . . . . (البيت[1])

وقال الآخر:

يَطُفْنَ بِحُوزِىِّ المراتع لم يُرَعْ بواديه من قرعِ القِسىِّ الكنائنِ[2]

والتقدير من قرع الكنائن القسىّ. وقال:

وأصبحت بعد خَطَّ بهجتِها كأنّ قفراً رُسومَها قَلَمَا

والتقدير بعد بهجتِها، ففصل بين المضاف الذى هو بعد والمضاف إليه الذى هو بهجتها، بالفعل الذى هو خطّ. وتقدير البيت: فأصبحت قفراً بعد بهجتها كأن قلما خطّ رسومها[3]. وقد حكى الكسائى عن العرب: هذا غلامُ

---

(١) هو الشاهد ٣١٨ السابق لشاهدنا هذا.

(٢) ط: «بطعن بجوزى المراتع» صوابه فى ش والانصاف وديوان الطرماح ١٦٥ واللسان (حوز).

(٣) كتبت قديما فى طبعة السلفية: «هذا البيت مثال عجيب فى الشعر، ولا أحسبه الا مصنوعا، وجدير أن يطرح للالغاز والتعمية، وقلما يصيب الممتحن فيه».

والله زيدٍ . وحكى أبو عبيدة سماعاً عن العرب : إنّ الشاة لَتجترُّ فتسمعُ صوتَ واللهِ ربِّها . وإذا جاء هذا فى الكلام ، ففى الشعر أولى .

وأمّا البصريّون فاحتجُّوا بأن قالوا إنَّما قلنا لا يجوز ذلك لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة شىء واحد ، فلا يجوز أن يفصل بينهما . وإنّما جاز الفصل بالظرف وحرف الجرّ كما قال ابن قميئة : ٢٥٣

* لله درُّ اليومَ مَنْ لامها[1] *

وقال أبو حيّة النّميرى :

كما خُطّ الكتابُ بكفِّ يوماً يهوديٍّ يقارِب أو يُزيلُ[2]

وقال ذو الرمة :

* كأن أصواتَ مِن إيغالهن بنا[3] *

لأنَ الظَّرف وحرْف الجر يتّسع فيهما مالا يُتّسع فى غيرهما .

وأمّا الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قوله : فزججته بمزجّة البيت ، فيروى لبعض المدنّيين المولّدين ، فلا يكون فيه حجّة . وأما سائر ما أنشدوه ، فهو مع قلّته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به . وأما ما حكاه الكسائى وأبو عبيدة فإنّما جاء فى اليمين لأنّها تدخل فى أخبارهم للتوكيد ، فكأنَّهم لما جازوا بها موضعَها استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام .

---

(١) صدره كما مر قريبا :

* لما رأت ساتيدما استعبرت *

(٢) سيبويه ١ : ٩١ واللسان (عجم) .

(٣) تقدم الكلام عليه قبل الشاهد ٣١٨ . وعجزه :

* أواخر الميس انقاض الفراريج *

والذى يدل على صحة هذا أنا أجمعنا وإياكم على أنه لم يجىء الفصل بغير اليمين فى اختيار الكلام. وأما قراءة ابن عامر، فلا يَسُوغ لكم الاحتجاج بها، لأنكم لا تقولون بموجبها، لأنّ الإجماع واقعٌ على امتناع الفصل بالمفعول فى غير ضرورة الشعر، والقرآن ليس فيه ضرورة. وإذا وقع الاجماع على امتناع الفصل بينهما فى حالة الاختيار، سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار. والبصريون يذهبون إلى أن هذه القراءة وهم من القارىء، إذْ لو كانت صحيحة لكان من أفصح الكلام، وفى وقوع الإجماع على خلافه دليلٌ على أنه وَهْمٌ فى القراءة[1]. وإنما دعا ابنَ عامر إلى هذه القراءة، أنه رأى فى مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء، ووجه إثبات الياء جرّ شركائهم على البدل من أولادهم وجعل الأولاد هم الشركاء، لأنّ أولاد الناس شركاء آبائهم فى أحوالهم وأموالهم. وهذا تخريج خطّ مصحف أهل الشام. فأما قراءة ابن عامر فلا وجه لها فى القياس، ومصاحفُ أهل الحجاز والعراق (شُرَكاؤُهم) بالواو، فدلّ على صحة ما ذهبنا إليه، والله أعلم. انتهى كلام ابن الأنبارى.

وفيه أمران: الأوّل: أنّ نسبة جواز الفصل فى الشعر بنحو المفعول إلى الكوفيِّين، لم يعترف به الفرّاء وهو من أجلّ أئمة الكوفيّين، قال (فى تفسيره المعروف بمعانى القرآن) فى سورة الأنعام[2]، عند قراءة ابن عامر ما نصه: وفى بعض مصاحف أهل الشام (شركائهم)، فإن تكن مثبَتة عن الأوّلين فينبغى أن يقرأ (زُيِّن) أى بالبناء للمفعول ويكون الشركاء هم الأولاد، لأنَّهم منهم فى النسب والميراث. فإن كانوا يقرءون (زَيَّن) أى

(١) فى الانصاف: «دليل على وهى القراءة».

(٢) معانى الفراء ١: ٣٥٧ فى الآية ١٣٧ من الأنعام.

بالبناء للفاعل ، فلست أعرف جهتها إلاّ أن يكونوا آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عِشاياً(١) ثم يقولون فى تثنية الحمراء حمرايان . فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زيَّن لـكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شُركايُهُم . وإنْ شئت جعلت زيَّن ، إذا فتحته، فعلاً لإبليسَ ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد . وليس قولُ من قال إنّما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزَجَجْتُها متمكِّناً زجَّ القلوص أبى مزاده

بشىء . وهذا مما كان يقوله نحويُّو أهلِ الحجاز ، ولم نجد مثله فى العربية . انتهى .

وقال أيضاً فى سورة إبراهيم عليه السلام(٢): وليس قول من قال مخلفَ : وعدَه رسلِهِ بشىء ، ولا : زيَّن لـكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم ، بشىء . قال الفرّاء : هذا باطل ، ونحويُّو أهل المدينة ينشدون قوله : ٢٥٤

* زجَّ القلوصَ أبى مزاده *

والصواب :

* زجَّ القلوصِ أبو مزاده * انتهى

الأمر الثانى : أنَّ ابن خلف (فى شرح أبيات الـكتاب)، وأبا شامة (فى شرح الشاطبيَّة) ، وتبعه (فى شرحها) بعده [الجعبرىّ(٣)] والسمين (فى إعراب القرآن) ، نقلوا عن (الإنصاف لابن الأنبارى) ما يؤيد قراءة ابن عامر .

(١) يعنى عِشاء .
(٢) معانى الفراء ٢ : ٨١ فى تفسير الآية ٤٧ من ابراهيم .
(٣) التكمله مما يقتضيه الكلام التالى . وقد أثبتها الشنقيطى كذلك فى هامش نسخته .

قال ابن خلف : قد احتجَّ ابن الأنبارى لهذه القراءة بقول العرب : هو غلامُ إن شاء الله أَخِيك . ففصل بإن شاء الله . وقول الشاعر :

* زجَّ القلوصَ أبى مزاده *

وقال الجعبريّ : نقل ابن الأنبارى (فى كتاب الإنصاف) عن الكسائى عن العرب : هو غلام إنْ شاء الله أخيك ، ففصل بالجملة الشرطية .

وقال السَّمين : قال ابن الأنبارى : هذه قراءة صحيحة ، وإذا كانت العرب قد فصلت بين المتضايفين بالجملة فى قولهم : هو غلامُ إن شاء الله أخيك ، فأن تفصل بالمفرد أسهل .

هذا كلامهم ، وأنت ترى هذا النقل لا أصل له ، وإنّما نَقْلُ ابنِ الأنبارى عن الكسائى عن العرب ، هو قولهم : هذا غلام والله زيد . وليس فى كلامه أيضا ما يؤيّد القراءة ، وإنما هو طاعنٌ فيها تبعاً للزمخشريِّ وغيره .

وكنت أظنّ أن صاحب الكشّاف مسبوق بابن الأنبارى ، فراجعت ترجمتهما فرأيت الأمر بالعكس ، فإنَّ الزمخشرى توفِّى يوم عرفة سنةَ ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وابن الأنباريّ مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وهو تلميذ الجواليقى (صاحب المعرّبات) وابنِ الشجريّ (صاحب الأمالى) ، والزمخشريُّ من أقران ابن الشجريّ ، فابن الأنبارى متأخِّر عن الزمخشرى بأربع طبقات . والزمخشريُّ فى طعنه على هذه القراءة مسبوقٌ أيضاً بالفرّاء ، فكان ينبغى الردّ على الفرّاء ، فإنَّه هو الذى فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر .

قال السمين : قراءة ابن عامر متواترة صحيحة ، وقد تجرّأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغى ، وهو أعلى القرّاء السَّبعة سنداً ، وأقدمُهم هجرة ، وإنّما

ذكرنا هذا تنبيهاً على خطأ من ردّ قراءته ، ونسبه إلى لحن أو اتباع مجرّد المرسوم . وقال أبو على الفارسىّ : هذا قبيح قليل الاستعمال ، ولو عدل عنها كان أولى ، لأنهم لم يفصلوا بين المتضايفين بالظرف فى الكلام مع اتساعهم فى الظروف ، وإنما أجازوه فى الشعر . وقال أبو عُبيد : لا أحبُّ قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه ، والقراءة عندنا هى الأولى لصحتها فى العربية مع إجماع أهل المصرين بالعراق عليها . وقال الزمخشرى — وأساء فى عبارته — :

وأما قراءة ابن عامر فشىء لو كان فى مكان الضرورة لكان سَمْجاً مردوداً كما سَمُج ورُدَّ :

* زجّ القلوصَ أبى مزاده *

فكيف به فى الكلام المنثور ، فكيف به فى القرآن المعجزِ بحسن نظمه وجزالته . والذى حمله على ذلك ، أنّه رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء لأنّ الأولاد شركاؤهم فى أموالهم ، لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب . وهذه الأقوال كُلها لاينبغى أن يلتفت إليها ، لأنها طعنٌ فى المتواتر ، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر . وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم ، وجاء فى الحديث : « هل أنتم تاركُو لِي صاحِبى » .

٢٥٥ وقال ابن جنّي (فى الخصائص) باب مايرد عن العربىّ مخالفاً للجمهور[1] : إذا اتفق شىء من ذلك نظر فى ذلك العربىّ وفيما جاء به ، فإن كان فصيحاً وكان ماجاء به يقبله القياس فيُحسنَ الظن به ، لأنه يمكن أن يكون قد وقع إليه ذلك من لغة قديمة قد طال عهدها — ورُوى عن عمر بن الخطاب أنه قال :

(١) الخصائص ١ : ٣٨٥ .

كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه فى الإسلام(١) . فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ولَهَت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوحُ واطمأنت العرب ، راجعوا رواية الشعر فلم يئولوا إلى ديوان مدوَّن ، وقد هلك من هلك فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عنهم كثيرُهُ . فإذا كان الأمر كذلك لم يُقطَع على الفصيح يسمع منه مايخالف الجمهور ، بالخطأ إذا كان القياس يَعضُدُه .

وقال ابن ذَكْوان : سألني الكسائى عن هذا الحرف وما بلغه من قراءتنا ، فرأيته كأنه أعجبَه ونزع بهذا البيت :

* نفيَ الدراهيمَ تَنقادِ الصَّياريف(٢) *

بنصب الدراهيم وجرِّ تنقاد . وأمَّا ما ورد فى النظم من الفصل بين المتضايفين بالظرف وبغيره ، فكثير . ثم بعد أنْ سَرَد غالبَ ماورد فى الشعر قال : وإذاقدعرفتَ هذا ، عرفتَ أنَّ قراءة ابن عامر صحيحةٌ من حيث اللغة ، كما هى صحيحة من حيث النقل ، فلا التفات إلى قول من قال : إنَّه اعتمد على الرسم لأنه لم يوجد فيه إلا كتابة شركائهم بالياء ، وهذا وإن كان كافياً فى الدلالة على جر شركائهم فليس فيه مايدلُّ على نصب أولادهم ، إذ المصحف مهمل من شكل ونقط ، فلم يبق له حجَّة فى نصب الأولاد إلاَّ النقل المحض .

وقال أبو شامة : ولا بُعدَ فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى ، وذلك

(١) الى هنا ينتهى نص كلام عمر ، وما بعده من الكلام يحتمل أن يكون من كلام الفضل بن الحباب ، أو ابن سلام . انظر الخصائص وطبقات ابن سلام ٢٢ .

(٢) قطعة من الشاهد التالى .

أنَّه قد عُهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظاً ، فاستمرَّت له هذه المرتبة مع الفاعل تقديراً ؛ فإن المصدر لو كان منوّناً لجاز تقديمُ المفعول على فاعله ، نحو : أعجبني ضرب عمراً زيد ، فكذا فى الإضافة . وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع شدة الاتصال بينهما أكثر من شدته بين المتضايفين ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم[1] ﴾ ، ﴿ فبما رحمةٍ[2] ﴾ والمفعول المقدَّم هو فى غير موضعه معنى ، فكأنه مؤخَّر لفظاً . ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت فى الكلام المنثور مثلُه . لأنَّه نافٍ ، ومن أسند هذه القراءة مثبت ، والإثبات مرجَّح على النفى بإجماع . ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله فى النثر ، لرجع إليه ، فما باله لا يكتفى بناقل القراءة من التابعين عن الصحابة !

هذا زبدة ما أورده السمين ، ومثله كلام الجعبرى (فى شرح الشاطبية) والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] :

---

(١) فى الآية ١٥٥ من النساء : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » . وفى الآية ١٣ من المائدة : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

(٢) الآية ١٥٩ من آل عمران .

(٣) سيبويه ١ : ١٠ والكامل ١٤٣ والخصائص ٢ : ٣١٥ وابن الشجرى ١ : ١٤٢ ، ٢/٢٢١ : ٩٣ ، ١٩٧ والانصاف ٢٧ ، ١٢١ وابن يعيش ٦ : ١٠٦ والعينى ٣ : ٤/٥٢١ : ٥٨٦ والتصريح ٢ : ٣٧٠ والأشمونى ٢ : ٢٨٩ وديوان الفرزدق ٥٧٠ .

٣٢٠ (تَنفِى يداها الحَصَى فى كلِّ هاجِرةٍ
نَفْىَ الدراهيمَ تنقـادِ الصَّيَارِيفِ)

على أنَّ فيه الفصل بالمفعول أيضاً بين المتضايفين ، فإن أصله : نفى تنقادِ الصياريف الدراهيمَ ، ففصل بالمفعول وهو الدراهيم ، بين المتضايفين .

وإضافة نفى إلى تنقاد ، من إضافة المصدر إلى فاعله . وروى أيضاً بإضافة نفى إلى الدراهيم ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر . وعلى هذه الرواية أنشده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) ، قال العينى : وفى شرح الكتاب : ويجوز نصب التنقاد ورفع الدراهيم فى العمل ، على القلب ، من حيث أمن اللبس ، يعنى أنَّه روى بجر الدراهيم بإضافة نفى إليه ونصب تنقاد ، فيكون من قبيل إضافة المصدرِ إلى فاعله على تقدير القلب بجعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا . وأورده سيبويه (فى أوائل كتابه ، فى باب ما يحتمل الشعرُ) قال : وربَّما مدُّوا فقالوا : مساجيد ومنابير ، شبَّهوه بما جمع على غير واحده فى الكلام كما قال الفرزدق : ٢٥٦

* نَفْىَ الدنانيرِ تنقادُ الصياريف *

وينشد : نفىَ الدراهيمِ . انتهى كلامه .

ومحلُّ الشاهد فيه عند أبى جعفرٍ النحاس ، الدنانير والدراهيم ، قال : من روى الدنانير فلا ضرورة عنده فيه ، لأنَّ الأصل فى دينار دنّار فلما جمعتَ رددته إلى أصله فقلت دنانير . ومن روى الدراهيم فذكر أبو الحسن بن كيسان أنه قد قيل فى بعض اللغات دِرهام ، قال : فيكون هذا على تصحيح الجمع . قال : أو يكون على أنَّه زاده للمد . قال : ويكون على الوجه الذى قال سيبويه أنَّه بنى الجمع على غير لفظ الواحد ، كما أنَّ قولهم : مذاكير ليس على لفظ ذَكر ، إنّما هو على لفظ مذكار ، وهو جمع لذكر على غير بناء واحده .

قال : ولم ينكر أن يكون الجمع على غير بناء الواحد ، فلذلك زاد الياء فى فى دراهيم . وقال لى علىّ بن سليمان : واحدُ الصياريف صيرف ، وكان يجب أن يقول صيارف . انتهى كلامه .

وعند الشنتمرى الشاهد فى الصياريف ، قال : زاد الياء فى الصياريف ضرورة تشبيهاً لها بما جمع فى الكلام على غير واحد ، نحو ذكر ومذاكير ، وسمح ومساميح . ولم يتعرض للدراهيم والدنانير .

وقد جمع ابن خلف بينهما فقال : الشاهد فيه على زيادة الياء فى جمع الدراهم والصيارف .

أقول : الظاهر كلام الأعلم لاغير ، وروى الدراهم بلا ياء ، وجميعهم لم يتعرضوا لإعراب الدراهيم والتنقاد .

و (النفى) بالنون والفاء ، قال صاحب المحكم : كلّ ما رددته فقد نفيته ، ونفيت الدراهم : أثرتها للانتقاد . وأنشد هذا البيت . و (يداها) فاعل تنفى ، والضمير لناقة الفرزدق . و (الحصى) : مفعول . و (الهاجرة): وقت اشتداد الحرّ فى وقت الظهر . و (نفى الدراهيم) : مفعول مطلق تشبيهى ، والأصل تنفى يداها الحصى نفياً كنفى الدراهيم . و (التَّنقاد) بالفتح ، من نقد الدراهم ، وهو التميز بين جيِّدها ورديئها . و (الصياريف) مجرور لفظاً بالإضافة مرفوع محلاّ ، لأنّه فاعل تنقاد .

قال الأعلم : وصف الفرزدق ناقتَه بسرعة السَّير فى الهواجر فيقول : إن يديها لشدّة وقعِها فى الحصى ينفيانه فيقرع بعضُه بعضاً ويُسمَع له صليلٌ كصليل الدنانير إذا انتقدها الصَيرفىّ فنفى رديئَها عن جيِّدها ، وخصّ الهاجرة لتعذّر السير فيها .

وقال ابن خلف : وصف راحلته بالنشاط وسرعة السَّير فى المواجر ، حين تكلّ المَطيَّة[١] وتضعف القُوى منها ، تكون هى نشيطة قويّة ، إذا أصابت مَناسمُها الحصى انتفى من تحت مناسمها ، كما تنتفى الدراهم من يد الصيرفىّ إذا نقدها بأصابعه . شبّه خروج الحصى من تحت مناسمها بارتفاع الدراهم عن الأصابع إذا نُقدت .

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[٢]

* * *

٢٥٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢١ (يا ابنَ الزُّبيرِ طالما عَصَيْكا وطالما عَنَّيْتَنا إليكا)
(لَنضرِبَنْ بِسَيْفِنا قَفَيْكا[٣])

على أنّه جاء فى الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى كاف الضمير ، فى قوله قفيكا ، والأصل قفاكا ، فأبدلت الألف ياء . وإنّما كان سبيل هذا الشعر لأنه ليس مع ياء المتكلم فإنّها تقلب معه ياء ، نثراً ونظما ، عند هذيل .

وإنّما قيّد بكاف الضمير لأنّ السماع جاء معه .

وظاهر كلام أبى على (فى المسائل العسكرية) لا يختصّ هذا بالشعر ، فإنّه قال :

---

(١) حورها الشنقيطى فى نسخته الى « المطى » ، وهو الوجه .
(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .
(٣) نوادر أبى زيد ١٠٥ ، ٢٥٧ وأمالى الزجاجى ٢٣٦ وشرح شواهد الشافية ٢٤٥ وشرح شواهد المغنى ١٥٣ والعينى ٤ : ٥٩١ والأشمونى ١ : ٤/٢٦٧ : ٢٨٣ .

وأمّا إبدال الياء من الألف فى قفا ، فى الإضافة ، فإنّما أبدل كما أبدلت الألف منها فيمن قال: رأيت هذان ، أى للتقارض . وقالوا أيضاً : عليك ، وإليك ، وقد اطّرد هذا فى بعض اللغات نحو : هَوَىَّ ، ونَوَىَّ ، وقَفَىَّ ، فأبدلت الياء من ألف هواى ، ونواى ، وقفاى ، كما أبدلت الألف منها فى : حاَحيت ، وعاَعيت ، حيث أريد إزالة التضعيف فيه . كما أريد من نظيره من الواو وهو : ضَوضَيت ، وقوقَيت . هذا كلامه .

وأمّا (عصيكا) فأصله عصيت ، قال ابن جنّي (فى سرّ الصناعة) : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس ، وكان سُحَيمٌ إذا أُنشد شعراً قال: أحسنَكَ والله ، يريد أحسنت . انتهى

وقد تقدّم الكلام فى هذا الكتاب ، فى ترجمة سحيم ، أنّه كان حبشيًّا وكان فى لسانه لُكنة[1] .

وقال أبو على (فى المسائل العسكريّة) : قال أبو الحسن الأخفش : إن شئت قلت أبدل من التاء الكاف لاجتماعهما فى الهمس ، وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها ، وإنْ كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية ، ألا تراهم يقولون : رأيتك أنت ، ومررت به هو ، فيجعل علامات الضمير المختصّ بها بعض الأنواع فى أكثر الأمر ، موقع الآخر . ومن ثَمَّ جاء : لولاك . وإنّما ذلك لأنّ الاسم لا يصاغ معرَباً ، وإنّما يستحق الإعراب بالعامل انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان

(١) الخزانة ٢ : ١٠٢ .

ضمير الرفع ، كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنّما الكاف بدل من التاء بدلاً تصريفيًا .

وهذا الشعر من مشطور السريع ، هكذا أورده أبو زيد (فى نوادره) ونسبه لراجز من حمير . وتبعه صاحب الصحاح فى مادة السين المهملة[1] .

وأمّا الزجاجى فإنّه رواه (فى آخر أماليه الكبرى) على خلاف هذه الرواية فقال : باب التاء والكاف فى المكنيّ ، يقال : ما فعلت وما فعلك ، قال الراجز :

يا ابنَ الزُّبَير طالما عَصَيْكا وطالَما عَنّيكَنَا إليكا
لَنَضْرِبَنْ بسيفنا قفَيْكا

يريد عَصَيْتنا وعنَّيتنا . فروى (عنَّيْكَنا) بدل التاء كافاً ، مثل (عصيكا).وعنيتنا إليك بمعنى أتعبتنا بالمسير إليك . والنون الخفيفة فى قوله : (لَنَضْرِبَنْ) نون التوكيد . وأراد بابن الزُّبير عبدَ الله بنَ الزُّبير حَوَارِىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٢ (قَالَ لَهَاَ : هَلْ لَكِ ياتا فِيِّ[2])

٢٥٨ على أنَّ كسرياء المتكلم من نحو (فىّ) لغةُ بنى يربوع ، لكنّه عند

---

(١) هى مادة (سين) .
(٢) انظر يس ٢ : ٦٠ .

النحاة ضعيف كقراءة حَمْزة : ﴿ ما أنتُمْ بِمُصْرِخيِّ[1] ﴾ .

وهذا الشعر من أرجوزة للأغلب العجلى ، وهو شاعر جاهلىٌّ إسلامىٌّ ، صاحب الشاهد أسلم وهاجر ، ثم استشهد فى وقعة نهاوَند . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة[2] . وأوَّل هذه الأرجوزة :

(أقبَلَ فى ثوبٍ معَافِرىٍّ ... بينَ اختلاطِ اللَّيل والعَشِىِّ)

إلى أن قال :

(ماضٍ إذا ماهمَّ بالمُضىِّ ... قَالَ لهـا هل لَكِ ياتا فِيِّ)

(قالتْ لَهُ ما أنت بالمَرضىِّ)

قال فى الصحاح : مَعافِر ، بفتح الميم : حىٌّ من همْدان ، وإليهم تنسب الثياب المعافرية ، وهو بالعين المهملة . والماضى : الذى لا يتوانى ولا يكسل فى أمرٍ همَّ به .

وقوله (قال لها) الخ ، الضمير عائد على امرأة تقدَّم ذكرها . و (يا) : حرف نداء ، و (تا) بالمثناة الفوقيّة منادى ، وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث ، و (لكِ) بكسر الكاف ، والجارُّ والمجرور خبر مبتدأ محذوف وهو متعلق قوله (فيِّ) . يقول : قال لها ذلك الرجلُ الماضى : يا هذه المرأة : هل لكِ رغبةٌ فىَّ ؟ قالت له : لست بالمرضىّ فيكونَ لىَ رغبةٌ فيك .

واعلم أنَّ الفرَّاء والزجَّاج وغيرَهما قد أنكروا هذه القراءة ، والشعر . أمَّا الفرَّاء فقد قال (فى تفسيرِه[3]) : الياء من مُصْرِخيَّ منصوبةٌ ، لأنَّ الياء

---

(١) الآية ٢٢ ابراهيم . وكذا ورد الاقتباس من الآية بترك الواو من أولها ، وهو جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٧٥ .

من المتكلِّم تسكَّن إذا تحرَّك ما قبلها ، وتنصب إرادةَ الهاءَ كما قرئ : ﴿لكم دينُكم ولىَ دين[١]﴾ بنصب الياء وجزمها . فإذا سكن ما قبلها ردَّت إلى الفتح الذى كان لها ، فالياء من مصرخىَّ ساكنة والياء بعدها من المتكلم ساكنة ، فحركت إلى حركةٍ قد كانت لها . فهذا مطَّرد فى الكلام . وقد خفض الياء من مصرخىِّ الأعمشُ ويحيى بن وثاب جميعاً ، حدثنى القاسم بن معن عن الأعمش عن يحيى أنَّه خفض الياء ، ولعلها من وهم القرَّاء طبقة يحيى، فإنَّه قلَّ من سلم منهم من الوهم ، ولعلَّه ظنَّ الباء من بمصرخىّ خافضة للحرف كلِّه ، والياءَ من المتكلم خارجة من ذلك . ومما نرى أنَّهم وهموا فيه ، قولهم : ﴿نُوَلِّهْ ما تَوَلَّى ونُصلِهْ جهنَّم[٢]﴾ وظنُّوا — والله أعلم — أنَّ الجزم فى الهاء ، والهاء فى موضع نصب وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه . ومما وهموا فيه قوله : ﴿وما تنزَّلتْ به الشياطُون[٣]﴾، حدثنى مَندلُ بن على العَنَزىّ[٤] عن الأعمش قال : كنت[٥] عند إبراهيم وطلحةُ بن مُصَرِّف [يقرأ[٦]] : ﴿قالَ لِمَنْ حَوْلَه ألا تستَمِعون[٧]﴾ بنصب اللام من حوله فقال لى إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنَّما هى : لمن حولِه ، بخفض اللام . قال : قلت : لا ، إنَّما هى حولَه ، فقال إبراهيم : ياطلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت .

---

(١) الآية ٦ من الكافرون .

(٢) الآية ١١٥ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢١٠ من سورة الشعراء . وهى قراءة الحسن . تفسير أبى حيان ٧ : ٤٦

(٤) ط : « الغزى » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء .

(٥) فى النسختين : « قلت » ، صوابه من معانى الفراء ٢ : ٧٦ .

(٦) التكملة من معانى الفراء .

(٧) الآية ٢٥ من الشعراء .

قال الأعمش قلتُ : لحنْتما ، لا أجالسكما اليوم . قال الفرّاء : وقد سمعت بعضَ العرب ينشد :

قال لها : هل لكِ يا تا فيِّ قالتْ له : ما أنتَ بالمرضِيّ

فخفض الياء من فيّ : فإن يكُ ذلك صحيحاً فهو مما يلتقى من الساكنين فيُخفض الآخِر منهما ، وإن كان له أصل فى الفتح . ألا ترى أنهم يقولون : لم أره مُذُ اليوم ومُذْ اليوم ، والرفع فى الذال هو الوجه ، لأنه أصل حركة منذ ، والخفض جائز . فكذلك الياء من مصرخيّ ، خفضت ولها أصلُ فى النصب . انتهى كلام الفرّاء .

٢٥٩

وأما الزَّجاج فقد قال (فى تفسيره) : قرأ حمزة والأَعمش (بمصرخيِّ) بكسر الياء ، وهذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلاّ وُجَيه ضعيف ذكره بعض النحويِّين ، وذلك أنَّ ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حرّكت إلى الفتح ، ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التى قبلها كسرة ، فإذا كان قبل الياء ساكنٌ حُرِّكتْ إلى الفتح لا غير . ومن أجاز بمصرخيِّ بالكسر ، لزمه أن يقول : ﴿ هذه عَصايِ أتوكأُ عليها[1] ﴾ . وأجاز الفراء على وجهٍ ضعيف الكسر ، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، وأنشد :

* قال لها هل لكِ ياتا فيِّ الخ *

وهذا الشعر ممّا لا يلتفت إليه ، وعمل مثل هذا أسهل ، وليس يعرف قائلُ هذا الشعر من العرب ، ولا هو ممّا يحتج به فى كتاب الله تعالى . انتهى كلام الزجاج .

(١) الآية ١٨ من سورة طه .

ونقل أبو شامة (فى شرح الشاطبية) عن ابن النحاس : أنَّ الأخفش سعيداً قال : ما سمعت هذا من أحد من العرب ، ولا من أحدٍ من النحويين . قال أبو جعفر : قد صار هذا بإجماع ، لا يجوز ولا ينبغى أن يحمل كتابُ الله على الشذوذ . قال أبو نصر بن القشيرىّ (فى تفسيره) : ما ثبت بالتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح ورديء ، بل فى القرآن فصيح وفيه ما هو أفصح ، فلعل هؤلاء أرادوا أنَّ غير هذا الذى قرأ حمزة أفصح . قال أبو شامة : قلت : يُستفاد من كلام أهل اللغة ، أنَّ هذه لغة ، وإنْ شذّت وقلّ استعمالها . قال أبو على : قال الفراء (فى كتابه التصريف) : زعم القاسم بن معن أنّه صواب ، قال : وكان ثقةً بصيراً ، وزعم أنّه لغة بنى يربوع . ثمَّ بعد أن نقل أبو شامة بعضاً من كلام الفرّاء والزَّجاج قال : والزمخشرى قال : هى قراءة ضعيفة ، واستشهدوا لها ببيت مجهول فذكره .

قلت : ليس بمجهول فقد نسبه غيره إلى الأغلب العجلىّ الراجز، ورأيته أنا فى أوَّل ديوانه . وانظر إلى الفرّاء كيف يتوقَّف فى صحة ما أسنده ؟ وهذه اللغة باقيةٌ فى أفواه الناس إلى اليوم ، يقول القائل : مافىِّ أفعلُ كذا .

وفى شرح الشيخ : قال حسين الجعفى : سألت أبا عمرو بن العلاء عن كسر الياء فأجازه . وهذه الحكاية تروى على وجوه ذكرها ابن مجاهد (فى كتاب الياءات) من طرق قال : قال خلاد حدثنا حسين الجعفى قال : قلت لأبى عمرو ابن العلاء : إن أصحاب النحو يلحّنونها[1] فيها . فقال : هى جائزة أيضاً ، لا نبالى إلى أسفل حركتها أو إلى فوق . ثم ذكر بقية الطرق.

---

(١) ط : «يلحوننا» ، صوابه فى ش واضحة .

واعلم أن علماء العربية قد وجّهوا قراءة حمزة بوجوه :

أحدها ما ذكره الشارح المحقّق ، وهو أن ياء الإضافة شبّهت بهاء الضمير التى توصل بواوٍ إذا كانت مضمومة وبياء إذا كانت مكسورة ، وتكسر بعد الكسر والياء الساكنة . ووجه المشابهة : أنّ الياء ضمير كالهاء ، كلاهما على حرفٍ واحد يشترك فى لفظه النصب والجر ، وقد وقع قبل الياء هنا ياء ساكنة ، فكسرت كما تكسر الهاء فى عليه . وبنو يربوع يَصلونها بياء كما يصل ابن كثير نحو عليه بياء ، وحمزة كَسر هذه الياء من غير صلة ، لأنّ الصلة ليست من مذهبه .

وهذا التوجيه هو الذى اعتمد عليه أبو على (فى الحجة) قال : وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون فى موضع نصب أو جر ، ٢٦٠ فالياء فى النصب والجرّ كالهاء فيهما ، وكالكاف فى أكرمتك وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة فى هذا له وضربه ، ولحق الكاف أيضا الزيادةُ فى قول من قال : أعطيتكاه وأعطيتكيه فيما حكاه سيبويه ، وهما أختا الياء ، كذلك ألحقوا الياء الزيادةَ من المدّ فقالوا : فىِّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء ، كما حذفت الزيادة من الهاء فى قول من قال : « لَهْ أرِقانِ » وزعم أبو الحسن أنّها لغة .

قلت : نقل الواحدىُّ (فى تفسيره الوسيط) عن قطرب أنه زعم أن هذا لغة فى بنى يربوع ، يزيدون على ياء الإضافة ياء ، نحو « هل لكِ ياتا فى » وكان الأصل بمصرخىّ ، ثمّ حذفت الياء الزائدة وأقرّت الكسرة على ما كانت عليه . انتهى

وقول أبى على : « لَهْ أرِقانِ » هو قطعة من بيت وهو :

فبتُّ لدى البيتِ العتيقِ أُريغه ... ومِطوايَ مُشتاقان لَهْ أرِقَانِ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب الضمائر(١)

وقال أبو شامة : ليس التمثيل بقوله : له أرقان ، مطابقاً لمقصوده ، فإنّ الهاء ساكنة حذفت حركتها مع حذف صلتها ، وليس مراده إلاّ حذف الصلة فقط . فالأولى لو كان مثّل بنحوِ : عليهِ ، وفيهِ . ثم قال أبو على : وكما حذفت الزيادة من الكاف ، فقيل أعطيتكه ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشى منها ، وعضدُه من القياس ما ذكرنا . لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحنٌ لاستقامة ذلك فى السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحنا .

الوجه الثانى أن يكون الكسر فى بمصرخىّ ، لأجل التقاء الساكنين ، وهذا هو الوجه الذى نبّه عليه الفرّاء أوّلاً وتبعه فيه الناس . قال الزمخشرىّ : كأنه قدّر ياءَ الإضافةِ ساكنة ، ولكنّه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف فى عصاى ، فما بالها وقبلها ياء .

وممّن تبع الفراءَ ابنُ جنى (فى المحتسب) فى سورة طه قال : قرأ الحسن وأبو عمرو بخلافٍ عنهما : (هِيَ عَصايِ(٢)) بكسر الياء ، وكسرُها فى نحو هذا ضعيف ، استثقالاً للكسرة فيها وهربا إلى الفتحة ، كهداى وبشراى ، إلاأنَّ للكسر وجهاً ما ، وذلك أنه قد قرأ حمزة (وما أنتم بمصرخىِّ) وكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أنّ قبلها كسرة وياء ، والفتحة والألف

(١) هو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلثمائة ، وقائله يعلى الأحول الأزدى .

(٢) الآية ١٨ من سورة طه . وقد وردت فى النسختين محرفة « هذه عصاى » وانظر ما كتبت فى كتابى تحقيق النصوص ص ٤٥ .

فى عصاى ، أخفُّ من الكسرة والياء فى مصرخىٍّ . وروينا عن قطرُب وجماعةٍ من أصحابنا :

* قال لها هل لكِ ياتا فىِّ *

أراد : فىَّ ، ثم أشبع الكسرة للإطلاق وأنشأ عنها ياء ، نحو منزلِى وحوملِى(١) . وروينا عنه أيضا :

عَلىِّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ   لوالدهِ ليست بذات عقاربِ(٢)

وروينا عنه أيضا :

إن بنِىِّ صبيةٌ صيفيّونْ   أفلَحَ مَن كان له رِبْعيون(٣) اهـ

الوجه الثالث : أنّ الكسر فى بمصرخىِّ للإتباع للكسرة التى بعدها ، وهى كسر همزة إنِّى . كما قرأ بعضهم : (الحمْدِ لِلّه) بكسر الدال اتباعا لكسر اللام بعدها .

قال أبو شامة : وهذه الأوجه الثلاثة كلها ضعيفة . والله أعلم . ٢٦١

* * *

وأنشد بعده :

* خالَطَ مِنْ سَلمى خَيَاشِيمَ وفا *

تقدّم شرحه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين من باب الاستثناء(٤) .

---

(١) يعنى فى قول امرىء القيس :
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) النابغة الذبيانى فى ديوانه ٣ .

(٣) الرجز لسعد بن مالك أو أكثم بن صيفى . نوادر أبى زيد ٨٧ والاشتقاق ٦٩ ، ١٦٤ والعقد ٣ : ١٠٣ .

(٤) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

وما وجه به الشارح هنا من الوجهين ، هما لأبى علىّ (فى الايضاح الشعرى) وتقدّم نقلهما عنه هناك بأبسط ممّا هنا فليرجع إليه .

وقال فى (البغداديّات) أجرى الشاعر فى فم الإفراد ، مُجرى الإضافة فى الضرورة ، وذلك قوله : خياشيم وفا ، فحُكمُ ألفِ فا ، أن تكون بدلاً من التنوين ، والمنقلبة من العين سقطت لالتقاء الساكنين ، لأنّه الساكن الأوّل ، وبقى الاسم على حرف واحد . وجاز هذا فى الشعر للضرورة ، لأنّه قد يجوز فى الشعر كثيراً مالا يجوز فى الكلام . قال المبرّد : وقد لحّن كثيرٌ من الناسِ العجّاجَ فى قوله : خياشيم وفا . قال : وليس هو عندى بلاحنٍ ، لأنه حيث اضطرأتى به فى قافيةٍ غير مُلْحِقَةٍ معها التنوين . والقول عندى فيه ما قدّمته : من أنّه أجراه فى الإفراد مُجراه فى الإضافة ، فلا يصلح تلحينه ونحن نجد مساغا إلى تجويزه ، ونحن نرى فى كلامهم نظيرَه من استعمالهم فى الشعر مالا يجوز مع سواه ، كقولهم :

* ولضفادى جَمِّهِ نَقانقُ(١) *

أى لِضفادع جَمِّهِ ، فكذلك يجوز فيه استعمال الاسم على حرف واحد وإن لم يَسُغْ فى الكلام . فامّا قول المبرّد : ومن كان يرى تنوين القوافى لم ينوّن هذا ، فليس فى هذا عنده شىء منع من تنوينه عند من ينوّن . ويُفسد ما ذكره من أنّ من نوّن القوافى لم ينوّن هذا ، أنّ(٢) من ينوّن القافية يلزمه تنوين هذا الاسم ، لكونه فى موضع النصب ، وقد أجاز المبرّد فى غير هذا

---

(١) لخلف الأحمر . انظر سيبويه ١ : ٣٤٤ وشرح شواهد الشافية ٤٤١ . وفى النسختين : « جمة » ، تحريف أصلحه الشنقيطى .

(٢) ط : « مع أن » ، وكلمة « مع » مقحمة ليست فى ش .

الموضع أن يكون الاسم المظهر على حرف مفرد . هذا كلامه ومنه تعلم أنّ نقل الشارح المحقّق عن أبي عَليّ خلافُ مذهبه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٣ (كَفَى بالنَّأْيِ مِنْ أَسْماء كَافِ(١))

على أنّ الوقف على المنصوب بالسكون لغة ، فإنّ كافياً مفعول مطلق وهو مصدر مؤكِّد لقوله كفى ، وكان القياس أن يقول كافياً بالنصب ، لكنّه حذف تنوينه ووقف عليه بالسكون ، والمنصوبُ حقُّه أن يبدل تنوينه ألفا .

(وكافٍ) من المصادر التي جاءت على وزن اسم الفاعل ، قال المرزوقي (في شرح الفصيح) : يريد كفى النأيُ من أسماء كفايةً ، وهو اسم فاعل وُضع موضعَ المصدر كقولهم : قم قائماً ، وعُوفِي عافية ، وفُلج فالجا . وكان يجب أن يقول كافياً ، لكنّه حذف الفتحة كما تحذف الضمّة والكسرة . انتهى

وكذلك الزمخشريُّ أورده (في المفصّل) في المصادر التي جاءت على صيغة اسم الفاعل .

والنأي : البعد ، وهو فاعل كفى ، والباء زائدة في الفاعل كقوله تعالى :

---

(١) الخصائص ٢ : ٢٦٨ والمنصف ٢ : ١١٥ وابن الشجرى ١ : ١٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ وابن يعيش ٦ : ٥١/١٠ : ١٠٣ وشرح شواهد الشافية ٧٠ وديوان بشر ١٤٢ .

﴿ كَفَى باللهِ شَهِيداً[1] ﴾ . و (من أسماء) متعلّق بالنّأى . وأسماء : امرأة ، أصله وَسْماء من الوَسَامة ، وهى الحسن .

وهذا صدر وعجزه :

(وليسَ لنأيِها إذْ طالَ شافِى)

صاحب الشاهد ٢٦٢

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لبشر بن أبى خازم ، مدح بها أوس بن حارثة ابن لأم ، لمّا خلّى سبيله من الأسر والقتل . و (شاف) اسم ليس . و (لنأيها) متعلّق به ، والخبر محذوف أى عندى أو موجود . وفاعل طال ضمير النأى . وإذْ تعليلّية متعلّقة بشاف . وجملة وليس لنأيها ، الخ معطوفة على ما قبلها ، أى يكيفنى بُعدها بلاء فلا حاجةَ إلى بلاءِ آخر ، إذْ هو الغاية ، ولا شفاء لى من مرض بعدها مع طوله . ويجوز أن تكون الواو للحال .

وقال مَعْمَر بن المثنّى ، شارح ديوان بشر ، وهو عندى بخطّهِ ، وهو خطٌّ كوفىٌّ : المعنى لا يصيبنى بعدهذا شىء أشدّ منه ، أى هو سُقم ومرض . ويروى : (ولَيسَ لِسُقْمِهِ) أى السُّقم الناشىء من بُعدها . ويروى أيضاً : (وليس لسقمها) أى السُّقم الذى حصل لى منهــا . هذا كلامه ، وليس وَراء عَبّادانَ قرية .

وروى شُرّاح المفصّل المصراع الثانى كذا :

* وَليس لحبّها إذْ طال شافى *

---

(١) الآية ٤٣ من الرعد و ٩٦ من الاسراء . وفى الكتاب أيضا : « وكفى بالله شهيدا » فى الآيتين ٧٩ ، ١٦٦ من النساء و ٢٨ من الفتح . و « فكفى بالله شهيدا » فى الآية ٢٩ من يونس .

قال شارح أبياته — وهو بعض فضلاء العجم — : قوله : لحبّها ، مفعول شافٍ والخبر محذوف ، أي عندي أو موجود ، ويجوز أن يكون لحبّها أي ليس شافٍ كافياً أو حاصلا لحبها . ورواه المظفَّريّ (في شرحه): «وليس بحبّها» بالموحَّدة وقال : أي ليس حبّها شافياً إذْ طال ، يعني يحصل الشفاء من وصلها لا بحبّها .

بشر بن أبي خازم

وبشر بن أبي خازم بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة — وخازم — بالخاء والزاي المعجمتين .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : بشر بن أبي خازم هو من بني أسد ، جاهليٌّ قديم ، وشهد حرب أسد وطيّء ، وشهد هو وابنه نوفلٌ الحلف بينهما . قال أبو عمرو بنُ العلاء : فحلان من فحول الجاهليّة كانا يُقْويان : بشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبياني : فأمَّا النابغة فدخل يثربَ فغُنِّيَ بشعره [فَفَطِنَ] فلم يعُد [للإقْواء[1]] . وأمَّا بشر فقال له أخوه سوادةُ : إنّكَ لتُقوِي ! قال : وما الإقْواء ؟ قال : قولُكَ :

ألم تَرَ أنَّ طُولَ الدهر يُسْلِي ويُنْسِي مِثلَ ما نُسِيت جُذامُ

ثم قلتَ :

وكانوا قومَنا فبغَوا علينا فسُقناهم إلى البلد الشآمِ

فلم يَعُد للإقواء . اهـ

وأورده محمَّد بن حبيب (في كتاب أسماء من قُتِل من الشعراء[2]) فقال: ومنهم بشر بن أبي خازم الأسدي ، وكان أغار في مِقْنَبٍ من قومه على الأبناء

(١) التكملة من الشعراء ٢٢٧ .

(٢) نشر محققا بقلم كاتبه في نوادر المخطوطات ٢ : ١١٢ — ٢٧٨ . والنص التالي فيه ص ٢١٤

من بنى صعصعة بن معاوية — وَكلُّ بنى صعصعة(١) ، إلاّ عامر بن صعصعة ، يُدعَون الأبناء ، وهم : واثلة ، ومازن ، وَسَلول — فلما جالت الخيلُ مرَّ بشرٌ بغلامٍ من بنى واثلة فقال له بشر : استأسِرْ . فقال له الوائلى : لتذهَبَن أو لأرشقُنك بسهمٍ من كنانتى : فأبى بشرٌ إلاّ أسرَه ، فرماه بسهم على ثُندُوَته فاعتنق بشرٌ فرسَه وأخذ الغلامَ فأوثقه ، فلمَّا كان فى الليل أطلقه بشرٌ من وَثاقِه وخلّى سبيلَه وقال : أعلِمْ قومَك أنّك قتلتَ بِشراً . وهو قوله :

وأنَّ الوائلىَّ أصاب قلبى بسهمٍ لم يكن نِكْساً لُغَابا

فى شعر طويل اهـ .

وكان بشر أوَّلا يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، وكان أوسٌ نذر لئن ظفر به ليحرّقنه ، فلما تمكَّن أطلقه وأحسن إليه فمدحه . وهذه القصيدة الفائيّة أول القصائد التى مدحه بها . ولما لم يكن فيها شىء من الشواهد سوى المطلع اكتفينا به وما زدنا عليه شيئاً . وعدّتها أربعة وعشرون بيتاً .

وأوسٌ هذا ، ممّن يُضرب به المثلُ فى الكرم والجود ، يقال له ابن سُعدى ، قال جرير : ٢٦٣

وما كعبُ بن مامَة وابنُ سُعْدَى بأجوَدَ منك يا عُمرَ الجَوادا

سبب هجاء بشر لأوس

وسبب هجاء بشرٍ لأوس، هو ماحكاه أبو العباس المبرّد (فى الكامل(٢)) قال: أوسُ بنُ حارثةَ بن لَأْمٍ الطائىُّ كان سيداً مقدَّماً ، وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هندٍ ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوسا

(١) فى نوادر المخطوطات : « وكان بنو صعصعة » .
(٢) الكامل ١٣٢ — ١٣٣ .

فقال : أأنت أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، لو مَلَكني حاتمٌ ووَلَدى ولُحمتى لوهَبَنا فى غداةٍ واحدة ! ثم دعا حاتماً فقال : أأنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن إنّما ذُكرتُ بأوس ، ولَأحدُ وَلَدِه أفضل منّى . وكان النعمان بن المنذر دعا بحُلّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلّ حىّ — فقال : احضُرُوا فى غدٍ فإنى ملبسٌ هذه الحُلّةَ أكرَمكم . فحضر القوم جميعاً إلاّ أوساً فقيل له : لِمَ تتخلّفُ[1] ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأجملُ الأشياء ألا أكون حاضراً ، وإنْ كنتُ المرادَ فسأُطلَب ويُعرف مكانى ؟ فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضُرْ آمناً مما خفتَ. فحضر فألبسه الحُلّة[2] ، فحسده قومٌ من أهله فقالوا للحطيئة : اهجُهُ ولك ثلثمائة ناقة . فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالا إلاّ من عنده ! ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفَكُّ صالحةٌ ‏ ‏ ‏ من آل لَأْمٍ بظهر الغيب تأتينى[3]

فقال لهم بشر بن أبى خازم — أحد بنى أسد بن خُزيمة — : أنا أهجوه

---

(١) فى الكامل : « لم تخلفت » .

(٢) الكامل : « فألبس الحلة » .

(٣) الذى فى ديوان الحطيئة ٨٣ : « وكان الحطيئة قد دعى الى هجاء زيد — يعنى زيد الخيل الطائى — وأرغبوه فى ذلك فأبى وأنشأ يقول :

كيف الهجاء وماتنفك صالحة ‏ ‏ ‏ من آل لأى بظهر الغيب تأتينى

وبعده أربعة أبيات . والظاهر أن صواب الرواية « لأم » فانه ليس فى آباء أوس من اسمه « لأى » . انظر الاصابة والأغانى . كما يظهر أن سبب الشعر عند السكرى مبتور ، ففى الأغانى أنه طلب الى الحطيئة أن يهجو بنى لأم وزيداً فأبى . الأغانى ١٦ : ٥٥ .

لكم . فأخذ الإبل وفعَل ، فأغار أوس عَليْها فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حيًّا إلاَّ قال قد أَجرْتُك إلاَّ من أوس . وكان فى هجائه قد ذكر أمَّه فأُتى به ، فدخل أوسُ على أمِّه فقال : قد أُتينا ببشرٍ الهاجى لك ولى[١] ! قالت : أوَ تطيعنى[٢]؟ قال : نعم . قالت : أرى أن تردّ عليه مالَه وتَعفُوَ عنه وتحبُوَه ، وأفعَلَ مثلَ ذلك، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحُه ! فخرج فقال : إنّ أمى سُعْدَى التى كنتَ تهجُوها ؛ قد أمرتْ فيك بكذا وكذا ! فقال : لاجرمَ ، والله لامدحتُ حتّى أموتَ أحداً غيرَك . ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ليقضىَ حاجتى فيمن قَضاها
فما وطىء الثّرى مثلُ ابن سُعدَى ولا لبِسَ النعالَ ولا احتَذاها

هذا ما أورده المبرّد ، ولم يذكر كيف تمكّن منه أوس .

وقد حكاه مَعْمَرُ بن المثنَّى (فى شرحه) قال : إنَّ بشرَ بن أبى خازم غزا طيئاً ثم بني نبهان ، فجُرح فأثقل جراحة ، وهو يومئذ يحمى أحدِ أصحابه وإنَّما كان فى بني والبة ، فأسرته بنو نَبْهان فخبَّئوه كراهية أن يبلغ أوساً ، فسمع أوسُ أنه عندهم فقال : والله لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أو يدفعوه ! ثم أعطاهم مائتى بعير وأخذه منهم ، فجاء به وأوقد له ناراً ليحرِّقه — وقال بعض بنى أسد : لم تكن نار ، ولكنّه أدخله فى جلد بعير حين سلخه ، ويقال جلد كبش ، ثم تركه حتَّى جفّ عليه فصار فيه كأنه العصفور[٣] — فبلغ ذلك سعدى بنت حُصين الطائيَّة ، وهى سيّدة[٤]، فخرجت إليه فقالت:

---

(١) بعده فى الكامل : « فما ترين فيه ؟ » .
(٢) الكامل : « أو تطيعنى فيه » .
(٣) كذا وردت هذه المبالغة .
(٤) أى ذات سيادة فى قومها .

ما تريد أن تصنَع ؟ فقال : أُحرقُ هذا الذى شتمنا . فقالت : قَبَح الله قوما يسوّدونك أو يقتبسون من رأيك ، والله لكأنَّما أُخذتَ به ، أمّا تعلم منزلته فى قومه ، خلّ سبيله وأكرمْه ، فإنّه لا يغسل عنك ماصنع غيرُه . فحبسه عنده وداوى جُرحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعث إلى قومك يفدُونك ، فإنى قد اشتريتك بمائتى بعير . فأرسل بشرٌ إلى قومه فهيَّئوا له الفداء ، وبادرهم أوسٌ فأحسن كُسوته وحمله على نجيبِهِ الذى كان يركبه ، وسار معه ، حتى إذا بلغ أدنى أرضِ غطَفَان ، جعل بشرٌ يمدح أوساً وأهلَ بيته ، بمكان كلّ قصيدة هجاهم بها قصيدة ، فهجاهم بخمسٍ ومدحهم بخمس . ٢٦٤

وقد قيل: إنَّ بنى نبهان لم تأسر بِشْراً قط ، إنّما أسره النعمان بن جبلة بن وائل ابن جلاح الكلبى ، وكان عند جبلةَ بنت عبيد بن لأم ، فولدت منه عوف ابن جبلة ، فبعث إليه أوس بن حارثة يتقرَّب بهذه القرابة ، فبعث ببشر إليه فكان من أمره ما كان .

هذه حكايته ، وقد نقلتها من خطّه الكوفىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٤ (وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ[(١)])

هذا عجز ، وصدره :

(إلى المرء قيسٍ أُطيلُ السُّرَى)

---

(١) الخصائص ٢ : ٩٧ وابن يعيش ٩ : ٧٠ وشرح شواهد الشافية ١٩١ وديوان الأعشى ٢٩ .

على أنه وقف على المنصوب المنوّن بالسكون ، ولم يبدل تنوينه ألفا كالذى قبله .

والاستشهاد بهذا البيت كثيرٌ فى مؤلفات أبى علىّ وتلميذِه ابن جنى . وكان القياس أن يقول : عُصَماً ، لأنه مفعول آخُذ ، وهو جمع عِصام ، ككتب جمع كتاب .

قال ابنُ جنى (فى المبهج ، وهو شرح أسماء شعراء الحماسة لأبى تمام[1]) : عِصام القربة : وِكاؤها ، وعصامها أيضاً : عروتها . وأنشد هذا البيتَ وقال : هو جمع عصام ، يعنى عهداً يبلغ به ويَعِزُّ به . فقضيته أنّه بضمتين .

واستشهد به ابن هشام صاحب السيرة النبويّة ، على أن عِصَما فيه بكسرة ففتحة ، جمع عصمة ، فإنه قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تَمَسَّكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِر[2] ﴾ : واحدة العِصَم عِصْمة وهى الحَبْل والسبَب . ثم أنشد هذا البيت[3] .

أبيات الشاهد

وهو من قصيدة للأعشى ميمونٍ مدح بها قيسَ بنَ معد يكَرِب ، مطلعُها :

(أتهجُرُ غانيةً أم تُلِمّْ أم الحبلُ واهٍ بها مُنجذِمْ
أم الصَّبْرُ أحْجَى فإنَّ أمرأً سينفعه علمُه إن عَلِمْ)

إلى أن قال :

(وبَهماءَ تَعزفُ جِنّانُها مَناهلُها آجناتٌ سُدُمْ
قطعتُ برَسّامةٍ جَسْرةٍ عُذافِرةٍ كالفنيق القَطِمْ

(١) المبهج ص ٤٧ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٣) السيرة ٧٥٤ جوتنجن .

تُفرِّج للمرء من هَمِّه ... ويُشْفَى عليها الفؤادُ السَّقِمْ
إلى المرء قيسٍ أُطِيلُ السُّرى ... وآخُذُ من كلِّ حيٍّ عُصَمْ
فكم دونَ بابك من مَعْشَرٍ ... خِفاف الحلوم عُداةٍ غُشُمٍ(١)
إذا أنا حَيَّيْتُ لم يَرجِعوا ... تحيَّتَهمْ وهُمُ غيرُ صُمّْ)

إلى أن قال:

(ولم يُودِ مَنْ كنتَ تسعى له ... كما قيل فى الحرب أودَى دَرِمْ)

إلى أنْ قال:

٢٦٥ (تقول ابنتى حِينَ جَدَّ الرحيل ... أرانا سَواءً ومَن قد يَتِمْ
فيا أبتاَ لا تَزَل عِندَنا ... فانَّا نَخافُ بأن نُخترَمْ(٢)
فلا رِمْتَ يا أبتا عِندنا(٣) ... فأنّا بخير إذا لم تَرِم
تُرانا إذا أضمرَتْكَ البلا ... دُ نُجفَى ويُقطعُ منَّا الرَّحِمْ)

الغانية: الجارية التى استغنت بزوجها، وقد تكون التى استغنت بحسنها. والإلمام: النزول، وأراد به هنا الزيارة والمواصلة. والحبل: الوصل. ووهى الحبل ونحوه: تشقّق واسترخَى. والانجذام، بالجيم والذال المعجمة: الانقطاع. وأحجى: أليق، من الحِجا وهو العقل.

واليَهْماء، بفتح المثناة التحتيَّة: الفلاة التى لا يُهتدَى إلى الطريق فيها. وتعزف: تصوّت، وهو بالعَين المهملة والزاى المعجمة. والجِنّان بكسر الجيم:

---

(١) فى الديوان ٣٠: «صباة الحلوم عداه عشم» باهمال عين «عشم». وفسر ثعلب الصباة بقوله: أبو عبيدة: صباة الحلوم: خفاف الحلوم.

(٢) الديوان: «تخترم» بالتاء فى أوله.

(٣) الديوان: «أبانا فلا رمت من عندنا».

جمع جانٍّ، وهو أبو الجنّ . والمنهل : المورِد ، وهو عينُ ماء تَرِده الإبل . والآجن : الماء المتغيِّر الطعم واللون . والسُّدُم ، بضم السين والدال المهملتين ، فى الصحاح : رَكيَّة سُدْم وسُدُم ، مثل عُسْر وعُسُر : إذا ادَّفنت .

وقوله : قطعت،جواب ربَّ المقدَّرة فى قوله : ويهماء ، وهو العامل فى محله. والرسَّامة : الناقة التى تؤثّر فى الأرض من شدَّة الوطء . والجَسْرة ، بفتح الجيم : الناقة القوية الشديدة ، ومثلها العُذافِرة ، بضم العين المهملة . والفَنِيق بفتح الفاء وكسر النون : الفحل العظيم الخَلْق . والقَطِم ، بفتح القاف وكسر الطاء : وصفٌ من قَطِم الفحلُ بالكسر : أى اهتاج وأراد الضراب ، وهو فى هذه الحالة أقوى ما يكون . والهَمّ : الغمّ . والفؤاد فاعل يشفى . والسَّقَم بفتحتين مفعوله .

وقوله : (إلى المرء قيس) إلخ أل فى المرء لاستغراق خصائص الأفراد ، نحو زيد الرجل ، أى الكامل فى هذه الصفة . وقيس بدل من المرء . و (السُّرَى) بالضم : جمع سَرْية ، يقال سَرَينا سُرية من الليل وسَرية ، بالضم والفتح . قال أبو زيد : ويكون السُّرَى أولَ الليل وأوسطَه وآخِرَه . وهذه طريقة المتقدِّمين فى التخلص إلى المديح ، وهو أنهم يصفون الفيافى وقطعها بسَير النوق ، وحكاية ما يعانون فى أسفارهم إلى ممدوحيهم . وقوله : (وآخُذُ من كلِّ) الخ ، معطوف على أُطيلُ السرى . وإنما كان يأخذ من كل قبيلةٍ عهداً إلى قبيلةٍ أخرى ، لأن له فى كل حيٍّ أعداءً ممن هجاهم، أو ممن يكره ممدوحَه ، فيخشى القتل أو غيره ، فيأخذ عهداً ليصل بالسّلامة إلى ممدوحه ، فذكر له ما تجشّمه من المشاق فى المسير إليه، ليُجزل له العطايا .وقدذكر الأعداء بقوله :

فكم دونَ بابك من معشرٍ . . . إلخ

وخِفاف : جمع خفيف ، ككرام جمع كريم . والحُلوم : جمع حِلم بالكسر ، وهو الأناة ، أراد به العقل . وعُداة ، بضم العين : جمع عادٍ ، كقضاة جمع قاض من عدا عليه يعدو عُدوانا : إذا ظلمه وتجاوز الحدَّ عليه . وغُشُم ، بضمتين : جمع غشوم ، من الغَشْم وهو الظُّلْم .

وقوله : ولم يودِ من كنت الخ ، أودى فلان أى هلك فهو مُودٍ . ودَرِم بفتح الدال وكسر الراء ، قال فى الصحاح : « اسم رجل من بنى شيبان ، قُتِل فلم يُدرَك بثأره ، وقال المؤرِّج : فُقِد كما فقد القارظ العَنَزِىّ » . وفى ديوان الأعشى : انه دَرِم بن دُبِّ بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان[1] ، كان النعمان يطلبه فظفِروا به ، فمات فى أيديهم قبل أن يصلوا به إلى النعمان ، فقيل «أودى دَرِم» فذهبت مثلا . وروى : ٢٦٦

* كما قيل في الحيِّ أودى دَرِمْ *

قال العسكرىّ (فى التصحيف[2]) : اجتمع رُواة بغداد[3] على أنّ دَرِمْ مفتوح الدال مكسور الراء إلاَّ ابن الرومىَّ الشاعر ، فإنه ذكر أن روايته (دِرَم) بكسر الدال وفتح الراء ، وكان يعزوه إلى محمَّد بن حبيب . وإنَّما احتاجَ إلى أن يجعله هكذا فى شعر له هربا من التوجيه ، فقد كان ابتداء قصيدته :

---

(١) كذا فى شرح ثعلب للديوان ٣١ . وفى جمهرة ابن دريد ١ : ٢٦ : « وفى بنى شيبان بطن يقال له دب ، وهو دب بن مرة بن شيبان ، وهم قوم درم الذى يضرب به المثل فيقال : أودى درم . وانظر المثل عند العسكرى والزمخشرى والميدانى .

(٢) تصحيف العسكرى ٢٨٩ .

(٣) فى التصحيف : « أجمع الرواة رواة البصرة وبغداد » .

* أفيضاً دماً إنّ الرزايا لها قِيَمْ[1] *

فبناها على فتح ما قبل الرويّ ثم قال :

* فطاحت جُباراً مثل صاحبها دِرَمْ *

وأنشدها عليٌّ هكذا[2] ، فأنكر ذلك عليه أبو العباس ثعلب[3] . ودَرِمٌ هذا مشهور عند النسّابين ، وهو دَرِم بن دُبّ بن مرّة بن ذهل ابن شيبان . إنّما قالوا : أودى دَرم ، لأنه قُتِل فلم يودَ ولم يثأرْ به ، وقال قائل : أودى درم فضُرِب مثلا .

وقوله : أرَانا سواءً الخ ، أي نرى أنفسَنا مثلَ الأيتام سواء . وقد يَتِم بالكسر يَيْتَم[4] بالفتح يُتما بالضّم والفتح وسكون التاء فيهما . واخترمهم الدهر ، وتخرّمهم : أي اقتطعهم واستأصلهم . ونُختَرم ، بضمّ النون .

وقوله : فلا رِمتَ الخ ، رام من مكانه يريم : إذا برح وزال . ونُرى ، بضم النون من الرؤية بمعنى الظّن . ونُجفى بضم النون من الجَفوة ، أي نعامَل بها .

* * *

---

(١) عجزه كما في التصحيف :

* فليس كثيرا أن تجودا لها بدم *

(٢) يعني علي بن العباس بن جريج الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ . والذي في التصحيف : « وأنشدها على هذا » .

(٣) بعده في التصحيف : « وأقام ابن الرومي على أنه درم بكسر الدال » .

(٤) في النسختين : « يتم » وحورها الشنقيطي الى ييتم .

٣٢٥ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلثمائة :

(كالحوتِ لا يُرويه شىءٌ يَلقَمُهْ يُصْبِح ظمآنَ وفى البحرِ فَمُهْ[1])

على أنه قد يقال فى غير الأفصح فمى وفمه وفم زيد ، فى جميع حالات الإضافة . وهذا ظاهر فإثبات الميم عند الإضافة فصيح ، ويدلّ له الحديث : « لخُلُوفُ فَم الصائم[2] » .

ولا التفات إلى قول أبى على (فى البغداديّات) : قد اضطُر الشاعر فأبدل من العين الميمَ فى الإضافة ، كما أبدلها منها فى الإفراد ، فقال : وفى البحر فمُه . وهذا الإبدال فى الكلام إنما هو فى الإفراد دون الإضافة ، فأجرى الإضافة مُجرى المفرد فى الشعر للضرورة . هذا كلامه .

ويَلقَمُه : مضارع لقِمْت اللُّقمة لَقَماً من باب طَرِب : إذا بلعتها ، وكذلك التقمتها وتلقّمتها : إذا ابتلعتها . وروى بدله : (يَلهَمُه) وهو بمعناه ، يقال لهِمَه لهماً من باب طرِب[3] أيضاً . إذا ابتلعه . و (ظمآنَ) بالنصب خبر (يصبح) . وجملة : (وفى البحر فمه) حال من الضمير المستتر فى ظمآن . قال حمزة الأصبهانى (فى الدرّة الفاخرة) : « أظمأُ من حوت » مثلٌ يزعمون دعوَى بلا بينةٍ أنه يعطش وفى البحر فمه ، واحتجّوا بقول الشاعر : كالحوت لا يرويه شىء الخ . وينقضون هذا بقولهم : « أروى من حوت » ، فإذا سُئلوا عن علّة قولهم قالوا : لأنه لا يفارق الماء . انتهى .

---

(١) الحيوان ٣ : ٢٦٥ والشذور ٣٢٣ والعينى ١ : ١٣٩ والتصريح ١ : ٦٤/٢ : ٢٩٢ والهمع ١ : ٤٠ والمخصص ١ : ١٣٦ وديوان العجاج ١٥٩ .

(٢) تمامه « أطيب عند الله من رائحة المسك » . انظر الحديث ١٦٢ من الألف المختارة من صحيح البخارى .

(٣) فى النسختين : « ضرب » ، صوابه ما أثبت .

ولم يزد الزمخشريُّ (فى المستقصى) فى شرح هذا المثل على قوله : يزعمون أنه يعطش فى البحر ، قال : كالحوت لا يرويه شىء الخ .

وقد نقل الكرمانى كلام الدرّة (فى شرح شواهد الخبيصىّ) ثم قال : يمكن تصحيح المثَلين حقيقةً ، وهو أن الحوت لا يشرب ماء البحر ماأمكنه لملوحته ؛ فهو إذنْ ظمآن . ولكثرة صبره على العطش مع وجود الماء كأنه ريّان ، إذ لو لا أنه كذلك لشربِ الماء . وجاز أن يكون قلّة شربه لخوف غرقه بوصول الماء إلى جوفه متجاوزَ الحدّ .

هذا كلامه ، ولا ينبغى له تسطير مثل هذا . والوجه أن يقال : لوجوده فى الماء إنما ضُرب المثل بريّه ، ولعدم طاقته على مفارقة الماء قيل : « أظمأُ مِنْ حُوت » . كأنّ ملازمته للماء إنما هى لشدة ظمئه .

٢٦٧

وقال صاحب حياة الحيوان : هذا البيتُ مثلٌ يضرَب لمن عاش بخيلاً شرها(١) .

وهو من رجز طويل لرؤبة بن العجّاج ، عِدّته أربعمائة وخمسة وثلاثون بيتاً ، مدح به أبا العباس السفّاح أول الخلفاء العباسيّة ، وأوله :

(قلت لزيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُهْ)

وذكر فى أواخره فقرَه وشدّة حاجته إليه . وهذه قطعة منه :

(جاءك عَوْدٌ خِندِفِىٌّ قَشْعَمُهْ)

العَود ، بالفتح : المسنّ القديم ، وأصله فى الإبل ، عَنَى به نفسَه . وخِندف :

---

(١) انظر حياة الحيوان للدميرى فى رسم (الحوت) .

امرأة الياس بن مضر . وأراد بكونه خندفيًّا أنه عَدْنانيٌّ لا قَحطانى .
والقَشْعَم : الكبير .

(عليهِ من لِبْدِ الزَّمانِ هِلْدِمُهْ)

لِبْد الزمان ، بكسر اللام وسكون الموحّدة : جفوفه ووَسخه . وهِلْدِمُهُ :
ما تراكم بعضُه على بعض ؛ وقال بعضهم : خُلْقانه . وهو بكسر الهاء والدال
وسكون اللام بينهما .

(مُوَجَّبٌ ، عارِى الضلوعِ حِرْضِمُه(١))

الموجّب ، بكسر الجيم وروى بفتحها : الذى يأكل فى اليوم والليلة مرّةً ،
يقال فلان يأكل وجبةً وقد وجَّب نفسَه توجيباً : إذا عوَّدها ذلك . أراد :
إننى لا أصيب من القوت فى اليوم والليلة إلاّ مرّة . والحِرضِم ، بكسر المهملة
والضاد المعجمة بينهما راء مهملة : المهزول ، كذا فى شرح ديوانه .

(لم يَلقَ للجَشْبِ إداماً يَأدِمهْ)

الجَشْب ، بفتح الجيم وسكون الشين المعجمة : ضِيق العيش . فى الصحاح :
طعام جَشِب ومجشوب أى غليظ ، ويقال هو الذى لا إدام معه .

(ما زال يَرجُوكَ لحقٌّ يزْعمهْ)
(على التنائى وَيَراك حُلُمهْ)

التنائى : التباعد . والحُلُم بضمتين : ما يراه النائم . والإسناد مجازىٌّ
أى يراك فى حُلُمه .

---

(١) فى النسختين : « عادى » بالدال ، وحورها الشنقيطى الى
« عارى » كما فى الديوان . وانظر اللسان (وجب) .

(قدْ طالمَا جَنّ إليك أهْيَمُهُ)

أهيمه : عقله وفؤاده .

(إيّاكَ لم يُخطِىءْ به ترسُّمُهُ)

الترسُّم ، بالراء : التفرّس ، من الفراسة .

(كالحوتِ لا يُروِيه شيء يَلْهَمُهْ)

شبّه نفسَه بالحوت أى هو كالحوت .

(يُصبح ظمآنَ وفى البحر فمُهْ)

(مِنْ عَطَشٍ لوّحه مُسْلَهِمُهُ)

لوّحه : غيّره ، من لوّحته أى غيّرته ، ومن لوّحت الشىء بالنار : أحميته . والمُسْلَهِم : المغيِّر .

(أطال ظِمئاً وجِباك مَقْدَمه)

الجبا ، بكسر الجيم بعدها موحّدة : المـاء المجموع للإبل ، وهو بالقصر . ومَقدَمه : مَورِده .

(وفيضُك الفيضُ الرَّواء أطغَمُهْ)

الرَوَاء ، بالفتح والمدّ : الماء العذب . وأطغمُه ، أى أكثره ، وهو بالغين المعجمة .

(قد كان جَمًّا شاؤُه ونَعَمُهُ)

أخبر عن نفسه بأنَّه كان قبل اليوم كثيرَ الغنم والإبل .

(فعَضّه دهرٌ مُذِفٌّ مَحْطِمُهُ)

(والدَّهرُ أحيَى لا يزالُ أَلَمُهْ)

الأحبى : الشديد الحانى الضلوع ، أى المشرف المنتفخ الجنبين من الغيظ .

(أفنَى القُرونَ وهو باقٍ أزَنَمُهْ)

أى حوادثه ، وهو بالزاء المعجمة والنون .

(بذَاكَ بادت عادُه وإرَمُه)

بادت : هلكت . وعاد وإرم : قبيلتان .

وهذا آخر الرجز . وترجمة رؤبة قد تقدّمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب(١) .

وقد حَظِىَ الأصمعىُّ عند هارونَ الرشيدِ بروايته لهذا الرجز .

روى السيِّد المرتضى (فى أماليه : الدرر والغُرر) بسنده إلى الأصمعىّ أنه قال : تصرَّفتْ بى الأسبابُ على باب الرشيد مؤمِّلا للظفر به والوصول إليه ، حتّى إنّى صرتُ لبعض حَرَسه خَديناً(٢) ؛ [فإنّى(٣)] فى بعض ليلةٍ ٢٦٨ قد نثرت السعادةُ والتوفيق فيها الأرَقَ بين أجفانِ الرشيد ، إذ خرج خادمٌ فقال : أمَا بالحضرة أحدٌ يحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ! رُبَّ قَيدٍ مُضَيَّق قد حلَّه التيسير(٤) ! فقال لىَ الخادم : ادخُل ، فلعلّها أن تكون ليلةً يُعرَس فى صباحها الغِنى(٥) إن فزتَ بالحظوة عند أمير المؤمنين . فدخلتُ

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى النسختين : « حديثا » ، صوابه من أمالى المرتضى ٢ : ٩ . والخدين : الصديق والصاحب .

(٣) التكملة من ش والأمالى .

(٤) فى أمالى المرتضى : « رب قيد مضيقة حله التيسير » .

(٥) المرتضى : « تعرس فى صباحها بالغنى » .

فواجهتُ الرشيدَ في مجلسِه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بى الخادمُ حيث يَسمعُ التسليم ، فسلمت فردَّ علىَّ السلامَ ثم قال : ياغلامُ أرِحْه لِيفرُخَ رُوعُه إنْ كان وجَدَ للرَّوعة حِسًّا ! فدنوت قليلاً ثمَّ قلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءة مَجدك وبَهاء كرمك مُجيرانِ لمن نظَر إليك من اعتراضِ أذِيَّة ! فقال : ادنُ . فدَنوت فقال : أشاعرٌ أم راوية ؟ فقلت : رواية لكلِّ ذى جِدٍّ وهَزْل ، بعد أن يكون مُحسِناً ! فقال : تالله مارأيتُ ادِّعاء أعظمَ من هذا ! فقلت : أنا على المَيدان ، فأطلِقْ من عِنانى يا أمير المؤمنين ! فقال : « قد أنْصفَ القارَةَ مَنْ راماها » ، ثمَّ قال : ما المعنى فى هذه الكلمة بَديئاً ؟ فقلت : فيها قولان : القارة هى الحرَّة من الأرض ، وزعمت الرواة أنَّ القارَة كانت رُماةً للتبابعة ، والملِكُ إذ ذاك أبو حَسّان ، فواقفَ عسكره عسكر السُّغْد[1] فخرج فارسٌ من السُّغد قد وضع سهمَه فى كَبِد قوسه فقال : أين رُماة العرب ؟ فقالت العرب : « قد أنصفَ القارَةَ مَنْ راماها » . فقال لى الرشيد:أصبت ! .

ثم قال : أتروى لرؤبةَ بن العجّاج والعجّاجِ شيئا ؟ فقلت : هما شاهدان لك بالقوافى وإن غُيِّبا عن بَصرك بالأشخاص . فأخرَج من ثِني فرشِه رُقعةً ثم قال : أنشِدْنى :

* أرَّقَنِي طارقُ همٍّ أرَّقا[2] *

فمضيت فيها مُضِىَّ الجواد فى سَنَن مَيدانه[3] تَهْدِرُ بها أشداقى ، فلمّا

---

(١) فى النسختين : « فوافق عسكره عسكر السعد » ، وما أثبت من أمالى المرتضى وتصحيح الشنقيطى بقلمه فى نسخته . والمواقفة : أن يقفا معا فى حرب أو خصومة .

(٢) هى مطلع أرجوزة لرؤبة فى ديوانه ١٠٨ ـ ١١٥ .

(٣) المرتضى : « فى متن ميدانه » .

صرت إلى مديحه لبنى أمية ، ثنيتُ لسانى إلى امتداحه لأبى العباس(١) فى قوله :

(قلتُ لزِيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُهْ)

فلما رآنى قد عدلت من أُرْجوزة إلى غيرها قال : أعنْ حَيرةٍ أمْ عنْ عَمد ؟ قلت : عن عمد ، تركتُ كِذْبَه إلى صِدْقه فيما وصف به جَدَّك(٢) من مَجْده ! فقال الفضل : أحسنتَ ، بارك الله فيك ! مثلُك يُؤهَّل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيت على آخرها قال لى الرشيد : أتروى كلمةَ عدىٍّ بن الرِقاع :

* عرَفَ الديارَ توَهُّماً فاعتادها(٣) *

قلت : نعم . قال : هاتِ . فمضيتُ فيها حتّى إذا صرتُ إلى وصف الجمل قال لى الفضل : ناشدتك الله ان تَقْطع علينا ما أُمْتِعْنا به من السهر فى ليلتنا هذه ، بصفةِ جَملٍ أجرب ! فقال له الرشيد : اسكتْ فالإبل هى التى أخرجتك من دارك ، واستلبتْ تاجَ ملكك ، ثم ماتت وعُمِلت جلودُها سِياطاً ضَربْتَ بها أنت وقومك ! فقال الفضل : لقد عوقِبتُ على غير ذنب ، والحمدُ لله ! فقال الرشيد : أخطأتَ ، الحمدُ لله على النِّعم ، ولو قلتَ : وأستغفرُ اللهَ كنتَ مُصيباً . ثمَّ قال لى : امضِ فى أمرك . فأنشدته ، حتَّى إذا بلغت إلى قوله :

* تُزْجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوقِه *

استوى جالساً ثم قال : أتحفظ فى هذا ذِكْراً ؟ قلتُ : نعمْ ، ذكرتِ

(١) أبو العباس هو السفاح . وفى المرتضى : « للمنصور » .

(٢) فى المرتضى : « المنصور » .

(٣) عجزه كما فى اللسان (بلد) والطرائف الأدبية ٨٧ :

* من بعد مادرس البلى أبلادها *

الرواةُ أنَّ الفرزدقَ قال : كنتُ فى المجلس ، وجريرٌ إلى جانبى ، فلما ابتدأ عدىٌّ فى قصيدته ، قلتُ لجرير – مُسِرًّا إليه – نسخر من هذا الشامىّ(١) . فلما ذقنا كلامَهُ يَئِسْنا منه ، فلمّا قال :

* تُزْجى أغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوقه *

– وعدىٌّ كالمستريح – قال جرير : أما تراه يستَلِبُ بها مثلا ؟ فقال الفرزدق : يا لُكَعُ ، إنّه يقول :

* قلم أصابَ من الدواة مِدادها *

فقال عدىٌّ :

* قَلَمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادَها *

٢٦٩

فقال جرير : أ كان سمعُك مخبوءاً فى صدره ؟! فقال له : اسكتْ ، شَغَلنى سَبُّكَ عن جيِّد الكلام ! فلمَّا بلغ إلى قوله :

ولقد أرادَ اللهُ إذْ وَلاَّكَها مِنْ أمَّةٍ إصلاحَها ورشادَها

قال الرشيد : ما تُراه قال حين أنشدهُ هذا البيت ؟ قلت : قال : كذاك أراد الله . فقال الرشيد : ما كان فى جلالته لِيقولَ هذا ، أحسَبه قال : ما شاء الله ! قلت : وكذا جاءت الرواية . فلما أتيت على آخرها قال : أتروى لذى الرمّة شيئاً ؟ قلت الأكثر . قال : فما أراد بقوله :

---

(١) عند المرتضى : « هلم نسخر من هذا الشامى » .

نُمُوٌّ أُمِرَّتْ فَتلَه أَسَدِيَّةٌ ذِراعيَّةٌ حَلَّالةٌ بالمصانعِ[1]

قلت : وصف حمارَ وحش أسمنه بقلُ روضةٍ تواشجتْ أصولُه وتشابكت فروعهُ ، مِن مطرِ سحابةٍ[2] كانت بنوءِ الأسد ثم فى الذراع من ذلك . فقال الرشيد : أرِحْ ، فقد وجدناك مُمتِعا وعرفناك محسنا . ثم قال : أجدُ مَلالة — ونَهض — فأخذ الخادم يُصلح عَقِبَ النعلِ فى رجله — وكانت عربيّة — فقال الرشيد : عقَرتَنى يا غلام ! فقال الفضل : قاتلَ اللهُ الأعاجم ، أما إنّها لو كانت سِنْدِيّةً لما احتجتَ إلى هذه الكلمة[3] . فقال الرشيد : هذه نعلى ونعلُ آبائى ، كم تُعارِض فلا تُترَك من جوابٍ ممضّ ! ثم قال : يا غلام ، يؤْمَر صالحُ الخادم ، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل ، فى ليلته هذه ، ولا يحجَب فى المستأنف . فقال الفضل : لولا أنّه مجلسُ أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيرُه ، لأمرتُ لكَ بمثلِ ما أمَرَ لك ، وقد أمرتُ لك به إلاّ ألفَ درهم ، فتلقَّ الخادمَ صباحا . قال الأصمعىّ : فما صلَّيت من غدٍ إلاّ وفى منزلى تسعةٌ وخمسون ألفَ درهم .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثلثمائة [وهو من شواهد س[4]] :

---

(١) فى ديوانه ٣٦١ وأمالى المرتضى : « متنه أسدية » .

(٢) المرتضى : « عن مطر سحابة » .

(٣) المرتضى : « هذه الكلفة » .

(٤) التكملة من ش . وانظر سيبويه ٢ : ٨٣ ، ٢٠٢ ومجالس العلماء ٣٢٧ والخصائص ١ : ٣/١٧٠ : ١٤٧ ، ٢١١ والانصاف ٣٤٥ وشرح شواهد الشافية ١١٥ والهمع ١ : ٥١ وديوان الفرزدق ٧٧١ .

٣٢٦ (هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِن فَمَوَيْهِما   على النابحِ العاوِى أشدَّ رِجامِ)

على أنّه جمع بين البدل والمبدل منه ، وهما الميم والواو .

وتكلف بعضُهم معتذراً بأنْ قال : الميم بدل من الهاء التى هى اللام ، قُدِّمت على العين .

وتقدير القول الأوّل (كما فى البغداديّات لأبى على) أنّه أضاف الفم مبدِلا من عينها الميم للضرورة ، كقول الآخر :

* وفى البحر فَمُهُ[1] *

ثم أتى بالواو التى هى عين ، والميم عوض منه ، فيكون جمعاً بين البدل والمبدل منه للضرورة . وقد وجدنا هذا الجمعَ فى مذاهبهم ، قال الشاعر :

* أقول يا اللهمّ يا اللهمّا[2] *

فجمع بين حرف التنبيه وبين الميمين اللتين هما عوضان منه ، فيكون قد اجتمع فيه على هذا الوجه ضرورتان : إحداهما[3] إضافة فم بالميم وحكمه أن لا يضاف بها ، وثانيتهما[3] جمعه بين البدل والمبدل منه .

أقول : إضافة فم بالميم فصيح ، وليس بضرورة ، وتقدّم الرّد عليه بحديث : « لَخلُوف فمِ الصائم[4] » .

وأما القول الثانى فهو يشبه أن يكون مذهب سيبويه ، فإنّه قال فى باب

---

(١) انظر الشاهد السابق .

(٢) انظر الشاهد ١٣٠ فى الخزانة ٢ : ٢٩٥ .

(٣) فى النسختين : « أحدهما » و « وثانيهما » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى أثناء الكلام على الشاهد السابق .

النسبة — واسمه عنده باب الإضافة — مانصه : « وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان ، لأنّه كان أصله فَوَه ، فأبدلوا الميم مكان الواو ، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم ثبتت فى الاسم ، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم على حاله ، ومن ردّ إلى دم اللام ردّ إلى فم العينَ فجعلها مكانَ اللام ، كما جعلوا الميم مكان العين فى فم . قال الشاعر :

* هما نفثا فى فىَّ من فمويهما *

٢٧٠ وقالوا فموان . فمن قال فَمَانِ فهو بالخيار ، إن شاء قال : فَمَوِىٌّ ، وإن شاء قال : فَمِىٌّ . ومن قال : فَمَوان قال : فَمَوِىٌّ ، على كل حال » .

هذا كلام سيبويه، وبه يظهر خطأ الأعلم فى شرح شواهده حيث قال : [الشاهد(١)] فى قوله فمويهما وجمْعِه بين الواو والميم التى هى بدل منها فى فم . ومثل هذا لايُعرف لأنَّ الميم إذا كانت بدلا من الواو فلا ينبغى أن يُجْمَع بينهما . وقد غَلِط(٢) الفرزدق فى هذا ، وجُعِلَ من قوله إذْ أسنَّ واختلط عقلُه . ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين توهّمه مما حذفت لامه من ذوات الاعتلال ، كيد ودم ، فردّ ماتوهّمه محذوفا منه » . انتهى كلامه .

وقوله : ومثل هذا لايعرف ، تقدَّم عن أبى علىّ أنه معروف فى قولهم : يا اللهم .

وقوله : وقد غلط(٢) الفرزدق فى هذا الخ ، فيه أنّه لا يجوز أن يتوهّم فى البدوىّ أنه يغلط فى نطقه ويلحن ، فإنه لايطاوعه لسانه وإنْ تعمّده كما قيل ، فالعرب معصومون عن لحن اللسان. نعم يجوز أن يغلطوا فى المعانى .

---

(١) التكملة من ش والشنتمرى .

(٢) ط : « خلط » صوابه فى ش والشنتمرى .

وقوله : ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين الخ ، كأنه حين كتب هذا الكلام لم ينظر إلى كلام سيبويه .

وقد نقل أبو على (فى البغداديّات) وجهاً آخر فى توجيه فمويهما ، مع أنه لم ينقل فيها مذهب سيبويه ، قال :

« وأمّا قول الفرزدق فمويهما ، فإنه قيل إنّه أبدل من العين الذى هو واوُ الميمَ ، كما تُبدل منه فى الإفراد ، ثم أبدل من الهاء التى هى لامُ الواوَ . وبدل الواوِ من الهاء غير بعيد ، ويدل على سَوغ ذلك أنهما يَعتقبان الكلمةَ الواحدة، كقولك عِضَة ، فإنّ لامه قد يُحكم عليها بأنها هاء لقولهم عِضاه ، وقد يحكم عليها أنها واو لقولهم: عِضَوات .

وذهب ابن جنّي (فى سر الصناعة) إلى أنّ فمويهما مثنّى فَماً بالقصر ، قال فى قول الشاعر :

* يا حبّذا عينا سُلَيمَى والفما *

يجوز أن يكون الفما فى موضع رفع ، وهو اسمٌ مقصور بمنزلة عصا ، وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هما نفثا فى فىّ من فمويهما *

فاعرفه . انتهى .

وقوله : (هما نفثا) ضمير التثنية راجعٌ إلى إبليس وابنِه ، كما يأتى . ونفثا : أى ألقَياَ على لسانى ، من نفث الله الشىء فى القلب : ألقاه . وأصل نفث بمعنى بزَق ، ومنهم من يقول : إذا بزق ولا ريقَ معه . ونفث فى العُقدَة عِندَ الرُّقية[1] ، وهو البزاق اليسير . ونفثه نفثاً أيضاً : إذا سحره . ورُوى

(١) ط : « عن الرقبة » ، صوابه فى ش .

أيضاً : (هما تَفَلا) من تفَل تفْلا ، من بابى ضرب وقتل ، من البزاق ؛ يقال بزق ثم تَفَل . و (النابح) أراد به من يتعرَّض للهجو والسبِّ من الشعراء ، وأصله فى الـكلب . ومثله (العاوى[1]) بالعين المهملة . و (الرِّجام): مصدر راجمه بالحجارة أى رَاماه ، وراجم فلانٌ عن قومه : إذا دافع عنهم ، جَعل الهجاء كالمراجَمة لجعله الهاجى كالـكلب النابح . وكأنَّ الأعلم لم يقفْ على ماقبل هذا البيت ، ولهذا ظنّ أنّ ضمير التثنية لشاعرين من قومه ، نزع فى الشعر إليهما .

وهذا البيتُ آخرُ قصيدةٍ للفرزدق ، قالها آخرَ عمره تائباً إلى الله عز وجل ممّا فرَط منه من مهاجاته الناسَ ، وقذفِ المحصنات ؛ وذمَّ فيها إبليسَ لإغوائه إيّاه فى شبابه . وهذه أبياتٌ منها[2] :

أبيات الشاهد

(ألم تَرَنى عاهدتُ ربّى ، وإننى ... لَبينَ رِتاجٍ قائماً ومَقام
على حِلفةٍ لا أشتُم الدهرَ مسْلِماً ... ولا خارجاً مِن فىَّ زورُ كلامِ
وأصبحتُ أسعَى فى فِـكاكِ قلادةٍ ... رَهينةَ أوزارٍ علىَّ عظامِ
ولم أنتَبهْ حتّى أحاطت خطيئتى ... ورائى ، ودقَّتْ للأمورِ عِظامى
أطعتُكَ يا إبليسُ سبعين حِجةً ... فلما انتهى شَيبى وتمّ تَمامى
فزِعتُ إلى ربّى وأيقنتُ أننى ... مُلاقٍ لأيام المنونِ حِمامى
ألا طالما قد بتُّ يُوضِعُ ناقتى ... أبو الجنِّ إبليسُ بغير خِطامِ
يَظلُّ يمنِّينى على الرحل وارِكاً ... يكونُ ورائى مرّةً وأمامى
يبشّرُنى أن لا أموتَ ، وأنّه ... سيُخلِدُنى فى جَنَّة وسَلام

٢٧١

(١) ط : « العادى » بالدال هنا وفى الشاهد ، وصوابه فى ش.

(٢) ديوان الفرزدق ٧٦٩ والكامل ٦٩ والنقائض ١٢٦ .

فقلت له : هلاَّ أُخَيَّكَ أخرجتْ ... يمينُكَ من خُضرِ البحور طوامى(١)

فلما تلاقى فوقه الموجُ طامياً ... نكَصتَ ولم تحتلْ له بمَرام

ألم تأت أهل الحِجْر ، والحِجر أهلُه ... بأنعمِ عيشٍ فى بُيُوتِ رُخام(٢)

وآدمُ قد أخرجته وهو ساكنٌ ... وزوْجتَه من خير دارِ مُقام

وأقسمتَ يا إبليسُ أنك ناصحٌ ... له ولها ، إقسامَ غير أثَام

وكم من قرونٍ قد أطاعوك أصبحوا ... أحاديثَ كانوا فى ظِلال غمام(٣)

وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغى ... رضاه ، ولا يقتادنى بزمام

سأجزيكَ مِن سَوءاتِ ما كنت سقْتَنى ... إليه جُروحاً فيكَ ذاتَ كِلام

تُعَيَّرُها فى النارِ والنارُ تلتقِى ... عليكَ بزَقُّوم لها وضِرَام(٤)

وإنّ ابنَ إبليسٍ وإبليسَ ألبَنا ... لهمْ بعذابِ الناسِ كلَّ غُلام

هما نفثا فى فِىَّ من فمويهما . . .. البيت)

وقوله : ألم ترنى عاهدت ربى ، البيتين ، هما من شواهد الكشاف ومغنى اللبيب ، ويأتى إن شاء الله شرحهما فى محلِّه .

وقوله : وإن ابن إبليس الخ ، ألبَنا : سقَيا اللبن ، يريد أن إبليس وابنه سقَيا كلَّ غلام من الشعراء هجاء وكلاماً خبيثاً . ثم إنَّ الفرزدق سامحه الله وغفر ذنبه بعد هذا نقض توبته ورجع إلى الأوّل .

---

(١) ط : « لغيك » ، صوابه من الديوان ٧٧٠ . والمراد بهذا الأخ فرعون موسى ، اذ خدعه ابليس فغرق فى اليم ، وهو بحر القلزم .

(٢) فى النسختين : « فى البيوت رخام » ، صوابه من الديوان ٧٧١ .

(٣) فى النسختين : « ضلال غمام » ، صوابه من الديوان .

(٤) فى النسختين : « تعبرها فى النار » ، صوابه من الديوان .

وكان السبب فى نقض التوبة هو ما حكاه شارح النقائض : أن الفرزدق لما حج عاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيِّد نفسه حتى يحفظ القرآن ، فلما قدِم البصرة قيَّد نفسه وقال :

ألم ترنى عاهدتُ ربِّى وإننى لَبَيْنَ رِتاجٍ قائماً ومَقامِ

الأبيات . ثم إن جريراً والبعيث هَجَياه[1] ، وبلغ نساء بنى مجاشع فحشَ جريرٍ بهن ، فأتينَ الفرزدق وهو مقيد فقلن : قبح الله قيدَك ، وقد هتك جريرٌ عَوْراتِ نسائك ، فلُحيت شاعرَ قوم ! فأغضبْنَه ففك قيده وقال ، وهو من قصيدة[2] :

لعمرىَ لئنْ قيَّدت نفسى لطالما سعيتُ وأوضعت المطيَّة فى الجهل[3]
ثلاثين عاماً ما أرى من عَماية إذا برقت أن لا أشدَّ لها رحلى[4]
أتتنى أحاديثُ البَعيثِ ودونه زَرودُ فشاماتُ الشَّقيق من الرمل[5]
فقلت أظنُّ ابن الخبيثة أنَّنى شُغِلت عن الرامى الكنانة بالنَّبْلِ
فإنْ يكُ قَيدِى كان نَذراً نذرتُه فما بىَ عن أحساب قومى من شغل
أنا الضامن الراعى عليهم وإنَّما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

٢٧٢

وقوله : أوضَعْت المطيّة ، أى دفعتها فى السير . والعماية ، بالفتح : الجهل والصبا .

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه « هجواه » لأنه من هجا يهجو .
(٢) ديوان الفرزدق ٧١١ والنقائض ١٢٧ .
(٣) ط : « لعمرى ان » ، صواب الرواية من ش والديوان والنقائض .
(٤) فى الديوان والنقائض : « الا شددت لها رحلى » ، والمعنى يستقيم بكل منهما .
(٥) فى الديوان والنقائض : « الى الرمل » .

وقوله : أظنَّ ابنُ الخبيثة ، الهمزة للاستفهام ، وابن الخبيثة فاعل ظنّ ، وأراد به جريراً . يقول . إنما أراد جريرٌ بهجاء البَعيث غيرَه ، كما صنع رامى الكنانة بصاحبها[1]: وذلك أن رجلا من بنى فَزارة ورجلاً من بنى أسد كانا راميين ، فالتقيا ومع الفزارى كِنانةٌ جديدة ومع الأسدى كنانة رثَّةٌ ، فقال الأسدىُّ للفزارى . أنا أرمَى أو أنت؟ فقال الفزارى : أنا أرمَى منك! فقال له الأسدى : فانى أنصِب كنانتى وتنصبُ كنانتك حتّى نرمىَ فيهما ، فنصب الأسدىُّ كِنانته فجعل الفزارىُّ يرميها فيقرطِس ، حتّى أنفد سهامَه كلَّها ، [كلُّ ذلك يصيبُها ولا يخطئها[2]] ، فلما رأى الأسدىُّ أنَّ سِهام الفزارى نَفِدت قال : انصِب لى كنانتك حتّى أرميَها . فرمى فسدّد السهم نحوَه حتى قتله . فضربه الفرزدق مثلا ، يعنى أنّ جريراً يهجو البعيث وهو يعرّض بالفرزدق .

وقوله : أنا الضامن الراعى عليهم إلخ ، هذا البيت من شواهد النحاة والبيانيِّين ، وروى صدره بغير هذا أيضاً[3] .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين[4] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل وغيره[5] :

(١) فى النقائض : « كما صنع صاحب الكنانة » .

(٢) التكملة من النقائض ١٢٨ .

(٣) فى العينى ١ : ٢٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٥ :

* أنا الذائد الحامى الذمار وانما *

(٤) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) مجالس ثعلب ٥٤٤ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ :

٣٢٧ (وَأَبِيَّ مالَكَ ذو المَجَازِ بِدارِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(قَدَرٌ حَلَّكَ ذا المَجَازِ وقد أَرَى)

على أن (أَبِيَّ) عند المبرد مُفردٌ ردَّ لامُهُ فى الإضافة إلى الياء كما ردَّت فى الإضافة إلى غيرها ، فيكون أصله أبُوِى ، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ، عملاً بالقاعدة حيث اجتمعا وكان أوّلهما ساكنا ، وأبدلت الضمّة كسرة لئلا تعود الواو .

وكلام المبرّد وإن كان موافقاً للقياس إلا أنّه لم يقم عليه دليل قاطع . قال الزمخشرىّ (فى المفصل) : وقد أجاز المبرّد أَبِيَّ وأَخِيَّ ، وأنشد :

* وأَبِيَّ مَالَكَ ذو المَجازِ بِدارِ *

وصِحَّةُ حَمْله على الجمع فى قوله :

* وفَدَّيْنَنا بالأَبِينا[1] *

تدفع ذلك . يريد أن أَبِيَّ جاء على لفظ الجمع ، ولا قرينَةَ مخلِّصة للإفراد فتعارض الاحتمالان ، فحملَ على لفظ الجمع وسقط الاحتجاجُ به فى محلّ الخلاف فيكون أصله على هذا أَبِينَ ، حذفت النون عند الإضافة ، فأدغمت الياء التى هى ياء الجمع فى ياء المتكلم . فوزن أَبِي فَعِي لا فَعَلِي . وعلى هذا حمل ابن جنّي وغيرُه قراءة من قرأ : ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبِيكَ إبراهيمَ وإسْمَعِيل وإِسْحَقَ[2]﴾ ، ليكون فى مقابلة آبائك فى القراءة الأخرى .

= ٥٦ وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ ومعجم الأدباء ١٣ : ٢٠٠ ومعجم ما استعجم (الربذة) .

(١) قطعة من بيت هو الشاهد التالى لهذا .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة البقرة . وانظر المحتسب ١ : ١١٢ .

قال أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) : ومن زعم أن قول الشاعر :

* وأَبِىَّ مالَك ذو المجاز بِدارِ *

إنما ردَّ الواو التى هى لام الفعل ، فى الإضافة ، إلى الياء كما ردَّه مع الكاف والهاء فى نحو أبوك وأبوه ، فليس بمصيب ، وذلك أنَّ هذا الموضعَ لمّا كان يلزمه الإعلالُ بالقلب ، وقد استمرَّ فيه القلب وأمضِىَ ذلك فيه ، فلم يرد فيه ما كان يلزمه الإعلال ، وإنّ أَبِىَّ مثل عِشْرِىَّ . انتهى

واحتج [ابنُ الشجرىّ فى أماليه بمثل هذا[1]] .

٢٧٣ وقد عزا ثعلب (فى أماليه العاشرة[2]) إلى الفراء ما عزاه الزمخشرىُّ وابن الشجرىّ إلى المبرد ، من كون أبى مفرداً رد إليه لام فعله . وهذه عبارة ثعلب : الفراء يقول : من أتمّ الأب فقال هذا أبوك فأضاف إلى نفسه قال : هذا أبِىَ ، خفيفٌ[3] . قال : والقياس قول العرب : هذا أبوك وهذا أَبِىَّ فاعلم [ثقيلٌ[4]] ، وهو الاختيار . وأنشد :

فلا وأبِىَّ لا آتيـك حتَّى ... يُنَسَّى الوالهُ الصبُّ الحنينا

وقال : أنشد الكِسائىّ بِرَنبويَهْ[5] — قرية من قرى الجبل — قبل أن يموت :

(١) تكملة يقتضيها السياق . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٧ .

(٢) يعنى الجزء العاشر من مجالس ثعلب ص ٥٤٤ .

(٣) ط : « خفف » ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) التكملة من مجالس ثعلب ، ومن قلم الشنقيطى بهامش نسخته .

(٥) ط : «زنبويه» بالزاى ، صوابه بالراء المهملة كما فى ش .

قدرٌ أحلَّك ذا النُّجيل وقد أرى ... وأبِيَّ مالَكَ ذو النُّجَيل بدار

إلاّ كدارِكُمْ بذى بَقَر الحِمى ... هيهاتَ ذو بَقَرٍ من المُزْدارِ . انتهى .

وقوله : (قدرٌ) مبتدأ ، وجملة (أحلّك) إلخ خبره . وهو كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » ، أى ما أحلَّك ذا المجاز إلاّ قدر .

وأورده ابن هشام (فى مسوِّغات الابتداء بالنكرة من الباب الرابع ، من المغنى) على أنَّ المسوِّغ للابتداء به صفة محذوفة ، كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » أى قدرٌ لا يغالَب وشرٌّ أىُّ شر . والقدر : قضاء الله وحكمه . وأحَلَّك بمعنى أنزلك ، متعدِّى حلَّ بالمكانُ حلولا ، إذا نزل ، وهو متعدٍّ إلى مفعولين أولها الكاف وثانيهما ذا المجاز ، والهمزة للتصيير أى صيَّرك حالاًّ بذى المجاز .

ذو المجاز

و (ذو المجاز) بفتح الميم وآخره زاء معجمة : سوقٌ كانت فى الجاهليّة للعرب . قال ابن حجر (فى شرح البخارىّ) : ذكر الفاكهىّ من طريق ابن إسحاق : أنَّ ذا المجاز سوقٌ كانت بناحية عرَفة إلى جانبها . وعند الأزرقىّ من طريق هشام بن الكلبىّ ، أنّها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووقع (فى شرح الكِرمانىّ) أنّها كانت بمِنىً . وليس بشىء ، لما رواه الطبرانى عن مجاهد ، أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون فى الجاهليّة بعرفة ولا بمنى . انتهى .

= ومعجم البلدان ووفيات الأعيان ١ : ٤٥٤ فى نهاية ترجمة محمد بن الحسن . وقال ياقوت : « قرية قرب الرى ، بها مات على بن حمزة الكسائى النحوى ، ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ، فدفنا بها . وكانا خرجا صحبة الرشيد فقال : اليوم دفنت الفقه والنحو برنبويه » . ورنبويه ، آخره هاء ساكنة ، كما فى الوفيات .

والـكِرْمانىُّ فى هذا تابعٌ لصاحب الصحاح ، فإنّه قال فيه : ذو المجاز موضع بمنى كان به سوقٌ فى الجاهلية . وتبعه أيضاً بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) والدَّمامينىّ (فى الحاشية الهنديّة) .

ذو النجيل

و (ذو النُّجيل) فى روايه ثعلب بضمّ النون وفتح الجيم ، كذا رأيته مضبوطاً (فى نسخة صحيحة قديمة من أماليه عليها خطوط الأئمّة) . قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ذو النُّجيل بضم النون وفتح الجيم : موضع من أعراض المدينة وينبُع اهـ . ورُوِى أيضاً (ذو النُّخيل) بضم النون وفتح الخاء المعجمة وهو مُناسبٌ أيضاً ، قال ابن الأثير (فى المرصّع) : هو عين قرب المدينة ، وأخرى قرب مكة ، وموضع دُوَين حَضْرَمَوت . وكلا هذين اللفظين غير موجود فى معجم ما استعجم للبكرىّ[1] .

وقوله : (وقد أرى) قد للتحقيق وأرى بمعنى أعلم معلّق عن العمل بما النافية ، والجملة بعدها سادّة مسدّ المفعولين . وقوله : (وأبىّ) الواو للقسم ، وجملة القسم معترضة بين أرى ومعموله ، أتى بها للتأكيد ، وجوابُ القسم محذوف يدلّ عليه مفعول أرى . وحرّفه بعضهم فرواه : (ولا أرى) بلا النافية موضع قد ، وزعم أنّ الجملة المنفيّة جواب القسم وأنّ مفعولى أرى محذوفان تقديره : لا أراك أهلاً لذى المجاز . وقيل لا دعائيّة . هذا كلامه . ولم يروِ هذه الرواية أحدٌ ، والثابتُ فى رواية ثعلب وغيره من شروح المفصل هو ما قدّمناه وليس المعنى أيضاً على ما أعرَبه ، فتأمَّل . وقال بعضهم : (أُرى) بالمبنىّ للمفعول بمعنى أظن ، وبكسر الكاف من (أحلَّكِ) و (لكِ) ، وكلاهما لا أصل له .

٢٧٤

---

(١) الحق أن البكرى قد أوردهما فى معجمه ، فالنجيل رسم لها فى باب النون ص ١٣٠٠ . والنخيل ، أوردها فى (نخل) ١٣٠٢ كما أوردها عرضا فى ٦٣٥ عند ذكر (الربذة) .

وقوله : (مالَكَ ذو المجاز) الخ ، وذو المجاز فاعل لكَ لاعتماده على النفي ، أو هو مبتدأ ولك خبره ، وعليهما فقوله بدارِ حالٌ صاحبُها ذو المجاز على الأوّل وضميرُه المستترُ في لك على الثاني ، أو قوله بدار خبر المبتدأ ، ولك كان في الأصل صفة لدار فلمّا قدّم صار حالاً . خاطبَ نفسَه وقال : قدرُ الله وقضاؤُه أحلّك هذا الموضع ، وقد أعلم أنّه ليس لك هذا الموضع بمنزلٍ تقيمُ فيه ، بل ترتحل عنه ، وأُقسم على ذلك بأبي . وقوله : إلاّ كدارِكُمُ ، صفة لموصوف محذوف أي إلاّ دار كداركم ، أو الكاف زائدة .

ذو بقر

وذو بقر ، بفتح الموحَّدة والقاف ، قريةٌ في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم عن الأصمعي : هو قاعٌ يَقرِي الماء ، وقال يعقوب : هو وادٍ فوق الرَّبذة. انتهى[1] .

والمراد هو الأخير بدليل إضافته إلى الحمى ، فإنّ الربذة كانت حمًى خارج المدينة المنورة . قال أبو عبيد[2] : الرَّبذة ، بفتح أوله والموحَّدة وبالذال المعجمة ، هي التي جعلها عمر حِمًى لإبل الصدقة ، وكان حماه الذي أحماه بريداً في بريد ، ثم زادت الولاة في الحمى أضعافا ، ثم أبيحت الأحماء في أيّام المهديّ العباسيّ فلم يحمِها أحدٌ بعد ذلك .

إلى أن قال : ثمّ الجبال التي [تَلِي القَهْبَ[3]] عن يمين المصعِد إلى مكة جبلٌ أسودُ يدعى أسْوَدَ البُرَم، بينه وبين الرَّبذة عشرون ميلا ، وهو في أرض

(١) كذا بدون ذكر لاسم الكتاب المقتبس منه ، أو المؤلف ، وهذا النص بعينه في معجم ما استعجم ٢٦٣ — ٢٦٤ .
(٢) أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم ٦٣٣ .
(٣) التكملة من معجم ما استعجم ٦٣٤ .

بنى سُليم ، وأقربُ المياه من أسودِ البُرَم حفائرُ حَفرها المهدىُّ على ميلين منه ، تدعى ذا بقر ، وقد ذكرها مؤرِّج السُلَمىُّ فقال :

قدرٌ أحلَّكَ ذا النَّجَيل وقد أرى . . . . البيتين

وأنشدهما على رواية ثعلب (فى أماليه[1]) .

والمزدار : اسم فاعل من ازدار : افتعل من الزيارة . وأراد الشاعر به نفسَه ، استبعد أن يزور أرضه . وروى أبو عبيد فى المعجم (الزُّوَّار) جمع زائر .

مؤرج السلمى

وقائل هذين البيتين مؤرِّج السُلَمىُّ كما قال أبو عبيد (فى المعجم) ، وهو شاعر إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية . ومُؤرِّج ، بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الراء المكسورة وآخره جيم ، وهو اسم فاعل مِن أرَّجت بين القوم تأريجا : إذا هيَّجت الشرَّ بينهم . والسُّلَمىّ ، بضمّ السين وفتح اللام ، نسبة إلى سُلَيم بن منصور ، مصغَّرا ، وهو أبو قبيلة .

تتمة

أسواق العرب

قال ابن حجر (فى شرح البخارى) : أسواق العرب فى الجاهلية أربعة ذو المجاز ، وعُكاظ ، ومجنّة ، وحُباشة .

أما ذو المجاز فقد تقدَّم نقله عنه .

وأمّا عُكاظ بضمّ أوّله ، فعن ابن اسحاق : أنّها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال لها الفُتُق ، بضمّ الفاء والمثنّاة بعدها قاف . وعن ابن الكلبيّ : كانت بأسفل مكة على بَريدٍ منها غربىّ البيضاء ، وكانت لكنانة .

---

(١) الحق أنه أورد « النخيل » بالخاء المعجمة لا الجيم .

وأما حُباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدّة ، وبعد الألف شين معجمة ، فكانت فى ديار بارق نحو قَنُونا ، بفتح القاف وبضمّ النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة ، من مكة إلى جهة اليمن على ستّ مراحل . وقد ذُكر فى الحديث الثلاث الأوَل ، وإنما لم تُذكر حُباشة فى الحديث لأنّها لم تكن من مواسم الحجّ ، وإنّما كانت تقام فى شهر رجب . قال الفاكهىّ : ولم تزل هذه الأسواق قائمة فى الإسلام إلى أنْ كان أول ما ترك منها سوق عكاظ فى زمن الخوارج ، سنة تسع وعشرين ومائة ، وآخر ما ترك منها سُوق حباشة فى زمن داود بن عيسى بن موسى العباسىّ ، فى سنة سبع وتسعين ومائة . ثم أسند عن ابن الكلبىّ : أنّ كلّ شريفٍ إنّما كان يحضر سوق بلده إلاّ سوق عكاظ ، فإنّهم كانوا يتوافون بها من كلّ جهة ، فكانت أعظم تلك الأسواق . وقد ذكرها فى أحاديث ، منها حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « انطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم فى طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ » الحديث فى قصة الجنّ . وروى الزبير بن بكّار (فى كتاب النسب) أنها كانت تُقام صبحَ هلالِ ذى القَعدة إلى أن يمضىَ عشرون يوما . قال : ثم تقوم سوق مَجَنّة عشرةَ أيام إلى هلال ذى الحجة ، ثم تقوم سوق ذى المجاز ثمانية أيّام ، ثم يتوجّهون إلى مِنى بالحج . وفى حديث جابر : « أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم لبثَ عشْرَ سنينَ يتبع الناسَ فى منازلهم فى الموسم ، بمَجنّة وعُكاظ يبلّغ رسالاتِ ربه » . انتهى ما أورده ابن حجر . ٢٧٥

وفيه : أنّ أسواق العرب أكثر من هذا ، جَمعَها صاحبُ قبائلِ العرب[1]

(١) انظر أيضا الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢ : ١٦١–١٧٠ وصبح الأعشى ١ : ٤١٠ . وقد ألف فى ذلك بعض معاصرينا الأفاضل وهو الأستاذ سعيد الأفغانى ، كتابا سماه « أسواق العرب » .

قال : (دُومة الجندل) كانت تقوم أوّل يوم من ربيع الأول إلى النصف منه ، وكانت المبايعة فيه إلقاء الحجارة على السلعة ، فمن أعجبته ألقى حجراً فتُرِكت له . و (المشقَّر) تقوم من أوّل يوم من جُمادى الآخرة ، وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والهمهمة ، خوفَ الحلف والكذب . ثم (صُحار) بضم الصاد المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب ، خمسة أيّام . ثم (الشِّحْر) بالكسر ، يقوم في النصف من شعبان ، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضاً . ثم (صنعاء) في النصف من شهر رمضان إلى آخره . ثم سوق (حَضْرَمَوت) في النصف من ذي القَعدة ثم (عُكاظ) في هذا اليوم بأعلى نجد قريب من عرفات . وعكاظُ من أعظم أسواق العرب ، وكان يأتيها قريشٌ وهوازن وغطفان ، وسُليم والأحابيش وعُقيل والمصطلق ، وطوائف من العرب إلى آخر ذي القعدة ، فإذا أهلَّ ذو الحجة أتوا (ذا المجاز) — وهو قريب من عكاظ — فتقوم سوقُه إلى التروية ، ثم يصيرون إلى منى ، وتقوم سوق (نَطاة) بخيبر ، وسوق (حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . هذا ماأورده صاحب قبائل العرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

٣٢٨ (فلمَّا تبيَّنَّ أصواتَنا بكينَ وفدَّيْنَنا بالأبينا)

على أن الأب يجمع على (الأبِين) على حدّ جمع المذكر السالم ، كما في هذا البيت .

---

(١) في كتابه ٢ : ١٠١ . وانظر الخصائص ١ : ٣٤٦ والمحتسب ١ : ١١٢ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ : ٣٧ واللسان (أبى ٦) .

قال سيبويه : وسألته – يعني الخليلَ – عن أب فقال : إنْ ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها قلت أبون ، وكذلك أخ تقول أخون ، لا تغيّر البناء ، إلاّ أن تحدث العرب شيئاً كما يقولون دَمُون(١) ، ولا تغيّر بناء الأبِ(٢) عن حال الحرفين لأنه بني عليه ، إلا أن تحدث العرب شيئاً ، كما بَنَوه على غير بناء [الحرفين(٣)] . وقال الشاعر :

فلمّا تبيَّنَّ أصواتَنا . . . (البيت)

أنشدَناه مَنْ نثِق به ، وزعم أنه جاهليّ . وإنْ شئت كسّرت فقلت : آباء وآخاء . انتهى نصّ سيبويه .

وأورد ابن جنّي (في المحتسب) بعد هذا البيت — عند قراءة ابن عباس والحسن : (وإلهَ أبيك) على أنَّه أبِينَ ، حذفت النون للإضافة – قولَ أبي طالب نظيراً له :

ألم تَرَ أنِّي بعد همٍّ همَمْتُه لفرقة حرٍّ من أبِينَ كرامِ

وقول الآخر :

* فهو يفدّى بالأبِينَ والخالْ(٤) *

قال الأعلم : جمعُ أب جمعَ سلامة غريبٌ ، إذ حقّه للأعلام والصفات الجارية على فعلها ، كمسلمين . ٢٧٦

(١) ط : « دومون » وحورها الشنقيطي في نسخته الى «ذوون» ، صوابه من سيبويه .

(٢) في النسختين : « بناء الألف » صوابه من سيبويه .

(٣) في النسختين : « كما ثنوه على غير بناء » والتصحيح والتكملة من كتاب سيبويه .

(٤) المحتسب ١١٢ واللسان (أبى ٧)

وقوله (تبيَّنَّ) بمعنى (تعرَّفن) وبه رُوى أيضاً . أى لمَّا عرفن أصواتنا معرفةً بيِّنة ، ووزنه تفعَّلن ، أُدغمت النون الأصلية فى نون جماعة النساء .
وقوله (فدَّيْنَنا) إلخ ، أى قلن : جعل الله آباءنا فداءً لـكم .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الـكتاب) وتبعه مَن بعده من شرّاح الشواهد : البيت لزياد بن واصـل . لمَّا عرفْنَ أصواتهم ركِبْنَ إليهم حتَّى يستنقذوهنّ وفدّينهن بآبائهن . ويروى :

* فلما تبيَّنّ أشباَحنا *

جمع شَبَح .

وقال أبو محمد الأعرابى الغندجانى (فى فُرحة الأديب[1]) : كذَب ابن السيرافى [فى تفسير هذا البيت] ، ولم يعرف منه قليلا ولا كثيراً ، كيف رَكِبن إليهم حتّى يستنقذوهنَّ سبايا كما زعم ، وإنّما معنى البيت أنّ زياداً افتخر فى أبياتٍ[2] بآباء قومه وبأمهاتهم من بنى عامر ، وأنّهم قد أبلَوْا فى حروبهم ومعاونتهم ، فلما عادوا إلى [حِلَلِهِمْ وعِنْدَ] نسائهم وعرفن أصواتهم فدَّينهم لأجْل أنَّهم أبلَوْا فى الحروب . والأبيات تدلّ على صحة هـذا المعنى . وأولها — وهى لزياد بن واصل السُّلَمىّ — :

عزَتنا نســاء بنى عامرٍ فسُمنا الرجالَ هواناً مبينا[3]
ونحن بَنوهُنَّ يومَ الصِّفــا قِ إذ نُقبل القومَ وَعْثاً حزُونا
بضربٍ كوَلْغ ذُكورِ الذئا بِ تَسمع للهامِ فيه رَنينا

---

(١) الورقة ٥٧ من مخطوطة البغدادى بدار الكتب المصرية ، وما بين معكفين فهو منها .
(٢) فى الفرحة : « فى هذه الأبيات » .
(٣) فى الفرحة : « هوانا مهينا » .

ورَمْيٍ على كلِّ عزّافةٍ ترُدُّ الشِّمال وتعطى اليمينا
وكنّاً مع الخيل حتى استوت شبابُ الرجال وسَرُّوا العيونا
ولما تبيَّنَّ أصواتنا رئِمن وفدَّيننا بالأبينا

انتهى ما أورده أبو محمد .

و (رئمن) بمعنى عطفن وحَنَنَّ من الحنين ، ومعناه على رواية (بكين) أنهنّ بكين فرحا بسلامتهم ، وفدَّينهم بآبائهن إشفاقا عليهم .

وقوله عزَتنا ، من عزوته إلى أبيه : إذا نسبته إليه . أراد : نُسبت نساء بنى عامر إلينا ، وقلن نحن منكم .

وقوله : فسُمنا الرجال ، من سامه خسفا ، أى أولاه ظلماً ومهانة .

وقوله : بضرب إلخ هو متعلّق بسُمنا ، يقال : ولغَ فى الإناء يَلَغ ولْغا وولُوغا إذا شرب مافيه بأطراف لسانه . وقوله : تسمع ، صفة ضرب ، والهامة الرأس ، وضمير منها للرجال[1] .

وقوله : ورمىٍ ، إلخ هو بالجرّ عطف على ضربٍ . والعزّافة : الشُّجاع الجهير الصوت[2] ، وهو صيغة مبالغة من العَزْف ، بالعين المهملة والزاى المعجمة والفاء ، وَهو الصَّوت . أى ورمىٍ على كلِّ شجاعٍ صيِّت يردُّ الضرب عن شِماله ويُعطيه عن يمينه .

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو سهو من البغدادى ، صوابه « وضمير فيه للضرب » .

(٢) كذا ، والحق أن العزافة هى القوس ، يقال عزفت عزفا وعزيفا : صوتت .

زياد بن واصل

وزياد بن واصل من شعراء بنى سُلَيم ، وهو جاهلىٌّ كما قال سيبويه[١] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة[٢] :

٣٢٩ (وكنتُ لهُ كشَرِّ بنى الأَخِينا)

على أن أخا يجمع على (أخين) جمع مذكّر سالم كما يجمع أب على أبين .

وهذا عجز ، وصدره :

(وكان لنا فَزَارةُ عمَّ سَوْء)

وهذا البيت أورده أبو زيد مفرداً فى نوادره[٣] ؛ ونسبه إلى عَقيل بن عُلَّفَة المرِّىِّ ، وقال : أراد الإخوة .

قال ابن الشجرىّ (فى أماليه) : وأما قول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب[٤] :

٢٧٧ فقلنا أسلموا إنّا أُخوكم فقد بَرِئت من الإحَنِ الصُّدُور

---

(١) هذا يوهم أن سيبويه عين اسمه أيضا ، ولكن سيبويه لم يذكر اسم الشاعر ، بل قال بعد أن روى الشاهد : « أنشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلى » .

(٢) نوادر أبى زيد ١١١ ، ١٩١ والبيان ١ : ١٨٦ واللسان (أخا ٢١) .

(٣) فى الموضعين ١١١ ، ١٩١ .

(٤) وكذا فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٨ . والحق أن البيت ليس من أبيات الكتاب ، كما سيأتى فى كلام البغدادى ، الا أن يكون احد شراح شواهده قد تعرض له .

فقيل : إنه وضع الواحد موضعَ الجمع ، وقيل : إنّه جمع أخ كجمع أب على أبين ، وحذف النون من أخون للإضافة . ومن قال الأبون والأخون قال فى التثنية الأبان والأخان ، فلم يردّ اللام فى التثنية كما لم يردّها فى الجمع . انتهى.

أقول هذا البيت ليس من شواهد الكتاب ، وأورد الجاحظُ (فى البيان والتبيين) ما قبل البيت الشاهد قال : وقال الآخر فى إنجاب الأمّهات وهو يخاطب بنى إخوته :

عفاريتاً علىَّ وأخْذِ مالى ... وعَجزاً عن أناسٍ آخَرينا[1]

فهلاّ غيرَ عمّكم ظلمتمْ ... إذا ما كنتُم متظلّمينا

ولو كنتمْ لِمُكْيِسةٍ أكاسَتْ ... وكَيسُ الأمّ كَيسٌ للبنينا

ولكنْ أمُّكمْ حمُقَت فجئتمْ ... غِثاثاً مَا نرى فيكمْ سمينا

وكان لنا فَزَارةُ عَمَّ سَوءٍ ... وكنتُ له كشرِّ بنى الأخِينا

وقوله : متظلّمينا ، فى الصحاح : تظلّمنى فلان ، أى ظلمنى مالى . وقوله : ولو كنتم لمكْيسة ، إلخ هو بضمّ الميم وسكون الكاف وكسر التحتيّة ، هى المرأة التى تلد أولاداً أكياساً . وأكاست المرأة : ولدت ولداً كيّساً . قال صاحب الصحاح : الكَيْس : خلاف الحق ، والرجل كيِّس مكيَّس باسم المفعول ، أى ظريف ، والكِيسَى ، بالكسر : نعت المرأة الكيّسة، وهو تأنيث الأكيس ، وكذلك الكُوسى بالضم ، وقد كاس الولدُ يَكيس كيْساً . وأكْيَسَ

---

(١) هذا البيت وثلاثة بعده فقط فى اللسان (كيس) ، مع نسبتها الى رافع بن هريم .
وفى البيان ١ : ١٨٥/٥٧٤ : « عفاريتاً على » و « وعجزاً » ، بالنصب فيهما . وفى اللسان (كيس) :
عفاريتا على وأكل مالى ... وجبنا عن رجال آخرينا

الرجلُ وأ كاس ، إذا ولد له أولاد أ كياس . وأنشد هذا البيت مع ما بعده . وروى المصراع الثانى هكذا :

* فـكَيس الأمّ يُعرَف بالبنينا *

وكذا أنشدهما الصاغانىّ (فى العباب) ونسبه إلى رافع بن هُريم . وقد رَجعتُ إلى ديوان رافع بن هريم ، فلم أجد فيه إلاّ البيتين الأوّلين وهما :

عفاريتٌ علىَّ وأخذِ مالى . . . . . البيت

والبيت الذى بعده . وليس فيه البيتان اللذان أوردهما صاحبُ الصحاح والعبابِ منسوبين إليه .

وقوله : ولـكنّ أمّـكم حمُقَت ، بضم الميم ، أىصارت حمقاء . والغِثاث ، بكسر المعجمة بعدها مثلَّثة : جمع غثيث بمعنى المهزول ، كـكرام جمع كريم . وفَزارة ، بفتح الفاء والزاى المعجمة : أبو حىّ من غطَفان ، وهو فَزارة ابن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطَفان . والسَّوء ، بالفتح ، هو المؤذى . فى المصباح وغيره : هو رجلسَوء ، بالفتح والإضافة ، وعملُسَوء ، فإن عرّفت الأول قلت : الرجل السَّوء والعمل السَّوء ، على النعت .

وقوله : (وكنتُ له) إلخ فى أ كثر نسخ الشرح (وكنتُ لهمْ) بضمير الجمع ، وهو خطأ والصواب الإفراد ، وهو بالتـكلُّم لا بالخطاب . وإنما قال : (كشَرٍّ) بالـكاف لا بدونها ، لأنَّه أراد مثل أشرّبنى إخوةٍ فى الدنيا ، ولم يردْ أنّه مثلُ أشرٍّبنى إخوة فَزارة .

والظاهر أنّ هذا البيت وحده لعَقيل بن عُلَّفة ، وهو غير مرتبطبالأبيات التى أوردها الجاحظ قبله . وتلك الأبيات البيتان الأوّلان منها ، رأيتهما فى ديوان رافع بن هُريم ، من رواية أبى عمرو .

رافع بن هريم

وراقع هُو رافع بن هريم بن عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . قال أبو زيد (فى نوادره) : هو شاعر قديم أدرك الاسلام وأسلَمَ(١) . وديوانه صغير ، وهو عندى وعليه خطُّ أبى العباس ثعلب إمام الـكوفيين ، وخطُّ الحسن بن الخشَّاب البغدادى ، وليس فيه من شواهد هذا الشرح شيء . وهُريم بضم الهاء وفتح الراء المهملة .

عقيل بن علفة

وأما عَقِيل بن عُلَّفة فهو شاعر فصيح مُجيد من شعراء الدولة الأمويَّة . وعَقيل بفتح العين وكسر القاف . وعُلَّفة ، بضمِّ العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلَّف ، وهو ثمر الطلح .

وهو عَقيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يربوع بن غَيظ بن مرة بن سعد(٢) بن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وأمُّه عَمْرة بنت الحارث بن عوف المرّى(٣) . وأمُّها بنت بدر بن حصن بن حذيفة(٤) .

قال صاحب الأغانى ، كان عَقيلٌ هذا جافيا أهوجَ شديدَ الغَيرة والعجرفيّة وهو فى بيت شرفٍ فى قومه من كِلا طرفيه . وكان لايرى أنّ له كفئاً ، وكانت قريش ترغب فى مصاهَرته، وتزوّج إليه من خلفائها(٥) وأشرافها ،

---

(١) الذى فى النوادر ٢٢ : « وقال رافع بن هريم ، اسلامى ». وفى ص ٦٩ : « وقال رافع بن هريم وأدرك الاسلام » .

(٢) فى جمهرة ابن حزم ٢٥٣ « غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان » .

(٣) فى الأغانى ١١ : ٨٢ : « وأم عقيل بن علفة العوراء ، وهى عمرة بنت الحارث بن عوف » .

(٤) فى الأغانى : « زينب بنت حصن بن حذيفة » .

(٥) ط : « حلفائها » ، صوابه فى ش والأغانى .

وخطب إليه عبدُ الملك بن مروانَ بعض بناته لبعض وَلده ، فأطرق ساعة ثم قال : إنْ كانَ ولا بدّ فجنِّبني هُجناءك ! فضحك عبد الملك وعَجِب من كِبْر نفسه على ضيقته وشدّة عيشته بالبادية .

ودخل على عثمان بن حَيان — وهو أمير المدينة — فقال له عثمان : زوِّجني بعضَ بناتك . فقال : أبكرةً من إبلي تعني ! فقال له عثمان : أمجنونٌ أنت ؟ قال : أيَّ شيءٍ قلتَ لي ؟ قال : قلت لك : زوِّجني ابنتَك . فقال : إن كنتَ تريد بكرةً من إبلي فنعَمْ . فأمر به فوُجئت عنقه ، فخرج وهو يقول :

لحا الله دهراً ذَعْذَعَ المالَ كلَّه وسوَّدَ أبناء الإماءِ العَوارِكِ

وكان له جار جُهني ، وقيل سَلاماني ، فخطب إليه ابنتَه ، فغضب عَقيلٌ وأخذه فكتّفَه ودهَنَ استَه بشحمٍ أو زيت ، وأدناه من قرية النمل ، فأكل خصيتيه حتّى ورم جسده ، ثم حلّه وقال : يخطب إليَّ عبدُ الملك فأردُّه ، وتجترئ أنت عليّ فتخطب ابنتي !

ورَوى أنَّ عمر بن عبد العزيز عاتبَ رجلاً من قريش أمُّه أختُ عقيل ابن علَّفة ، فقال له : قبّحَك الله ، لقد أشبهت خالَك في الجفاء ! فبلغت عقيلاً فرحَل من البادية حتّى دخل على عمر فقال له : أما وجدتَ لابن عمِّك شيئاً تعيِّره به إلاّ خئولتي ، قبَّح [الله] شرَّا كما خالا ! فقال عمر : إنك لأعرابيٌّ جافٍ ، أما لو كنتُ تقدَّمتُ إليك لأدّبتك ، والله ما أراك تقرأ شيئاً من كتاب الله . فقال : بلى ، إني لأقرأ . ثم قرأ : إنا بعثنا نوحاً إلى قومه ! فقال له عمر : ألم أقل إنّك لاتقرأ ؟ فقال : ألم أقرأ ؟ فقال : إن الله قال : ﴿ إنا أرسَلْنا نوحاً ﴾ . فقال عَقيل :

خُذُوا بطْنَ هَرْشَى أَو قفاها،فإنه ِكِلا جانِبَيْ هَرْشَى لهنّ طَرِيقُ[1]

فجعل القوم يضحكون من عَجرفته ويعجبون .

ورَوى أنّه قرأ (إذا زُلزلت الأرض) حتّى بلغ آخرها ، فقدّم (ومن يَعْمل مِثقالَ ذرّة شرًّا يره) على : (فمن يَعْملْ مِثقال ذرّة خيراً يره) فقال له عمر : إنّ الله تعالى قدَّم الخير وأنت قدَّمت الشرَّ ! فأنشد البيت .

وأورده صاحب الكشّاف فى (إذا زلزلت) لهذه الحكاية . ٢٧٩

وهَرْشَى بالفتح والقصر : ثنيَّة فى طريق مكة حرسها الله ، قريبة من الجُحْفة يُرى منها البحر . وهذا مثلٌ فى التخيير . ولهرشى طريقان ، من سَلك أيَّهما شاء أصاب . وضمير لهنّ للإبل . والمعنى يا صاحبىَّ سِيرا فى بطن هذه الثنيَّة أو قَفاها ، أى أمامها أو خلفها ، فإنّ كلا جانبيها طريقٌ للإبل . كأنه ظنّ أن التقديم والتأخير فى هذا المقام لا يضر ، وهو غفلةٌ عن المزايا القرآنية .

وقدِم عَقيلٌ المدينة فدخل المسجد ، وعليه خفّان غليظان ، فجعل يضرب برجله ، فضحكوا منه ، فقال : ما يُضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم ــ وكانت ابنة عَقيل عنده ، وكان أميراً على المدينة ــ إنّهم يضحكون من خُفّيك وضربك برجليك ، وجفائك . فقال : لا ، ولكنّهم يضحكون من إمارتك ، فإنّها أعجبُ من خُفَّىَّ .

* * *

(١) الرواية : « خذا بطن هرشى » بخطاب الاثنين ، وقد حورها الشنقيطى فى نسخته الى « خذا » كما فى الأغانى ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائةوهو من شواهد س[1] :

٣٣٠ (رُحْتِ وفى رِجليك ما فيهما وقد بَدا هَنْكِ من المِئزَرِ)

على أن تسكين (هن) فى الإضافة للضرورة، وليس بلغة .

وأورده سيبويه فى باب الإشباع فى الجرّ والرفع وغير الإشباع قال : وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المجرور والمرفوع فى الشعر ، شبّهوا ذلك بكسر فَخِذ حيث حذفوا فقالوا فَخْذ ، وبضمّة عضُدٍ حيث حذفوا فقالوا : عضْد ، لأنّ الرفعة ضمة والجرّة كسرة . ثم أنشد هذا البيت .

ومثله فى الضرورة قول جرير :

سيرُوا بَنى العمِّ فالأهوازُ منزلُكم ونهرُ تِيرَى ولا تَعْرِفْكم العربُ[2]

ومن أبيات الكتاب أيضاً[3] :

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثمـا من اللهِ ولا واغِلِ

قال ابن جنّي (فى المحتسب) : وأما اعتراض أبى العباس المبرّد هنا على الكتاب فإنّما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لأنه حكاه كما سمعه ، ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره . وقول أبى العباس : إنّما الرواية فاليوم فاشربْ ، فكأنه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ولم تسمعْ ما حكيتَه

---

(١) فى كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر الخصائص ١ : ٣/٧٤ : ٩٥ والمحتسب ١ : ١١٠ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ والعمدة ٢ : ٢١١ وابن يعيش ١ : ٤٨ والعينى ٤ : ٥١٦ عرضا والهمع ١ : ٥٤ .

(٢) فى الديوان ٤٨ والبلدان (نهرتيرى) : « فلم تعرفكم العرب » . و « ولم تعرفكم » . وفى سمط اللآلى ٥٢٧ : « فما تعرفكم» وبرواية الخزانة والسمط يصح الاستشهاد .

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩٧ . وهو لامرىء القيس .

عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدَّ من السرف ، فقد سقطت كُلفة القول معه .
وكذلك إنكاره عليه أيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هنْك من المئزر *

فقال : إنما الرواية :

* وقد بدا ذاكِ من المئزر *

وما أطيبَ العروسَ لولا النَّفقة . انتهى

وهذا البيت ثالث أبياتٍ للأُقيشر الاسدى .

صاحب الشاهد

قال صاحب الأغانى وغيره : سكِر الأقيشرُ يوماً فسقط ، فبدت عورتُه وامرأته تنظر إليه ، فضحكت منه وأقبلت عليه تلومُه وتقول له : أما تستحى يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحالة ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تقول : يا شيخُ أما تستَحى ... مِن شُربكَ الخمرَ على المَكْبرِ
فقلت : لو باكرتِ مَشمولةً ... صَهْباً كلَوْنِ الفَرَس الأشقر
رُحتِ وفى رجلَيكِ عُقّالةٌ ... وقدْ بدا هَنْكِ مِن المِئْزَرِ !

انتهى . وقال بعض من كتب على شواهد سيبويه : مرَّ سكرانَ بسكّة بنى فَزارة ، فجلس يُريق الماء ، ومرّ به نسوةٌ فقالت امرأة منهنّ : هذا نشوانُ قليلُ الحياء ، أما تستحى يا شيخ من شربك الخمر ؟ فقال ذلك .

٢٨٠

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : مر الفرزدق بامرأةٍ وهو سكران يتواقع ، فسخِرت منه ، فقال هذه الأبيات . انتهى ، والصواب الأول .

وقوله : أما تستحى ، هو شاهدٌ على أنه يقال استحى يستحى كاستبى يستبى . وقد قرأ يعقوب وابن مُحيصِن : (إن الله لا يَسْتَحِى أن يَضربَ

مثلا[1]) بياء واحدة ، ورويت عن ابن كثير أيضاً ، وهي لغة تميم .
قال ابن هشام (في شرح بانت سعاد[2]) : والأصل بياءين فنقلت حركة العين إلى الفاء فالتقى ساكنان : فقيل حذفت اللام فالوزن يَسْتَفِع ، وقيل حذفت العين فالوزن يَسْتَفِل .

وروى بدل الخمر (الراح) وهي بمعناها . وقوله : على المَكْبَر ، بفتح الميم وكسر الموحدة ، مصدر كبر يكبر من باب علم أى أسنّ، والمصدر الكِبَر بكسر ففتح والمَكبِر أيضاً ، قال صاحب الصحاح : يقال علاه المَكبِر بكسر الباء ، والاسم الكَبْرة بفتح الكاف وسكون الباء أى السن .
وباكرت بمعنى سارعت في البُكرة . والمشمولة : الخمر الباردة الطعم ، والأصلُ في المشمولة التي ضربتها ريح الشمال حتى بَرَدت ، يقال : غدير مشمول، ونحوه . ويقال للخمر شَمُول أيضاً ، لأنها تشتمل على عقل صاحبها ، وقيل لأنَّ لها عصفةً كعصفة الريح الشمال . والصَّهبة : الشُقْرة ، وسميت الخمر الصهباء للونها ، وهي ممدودة وقد قصرها للضرورة ، وفيه ردٌّ على الفرّاء إذ زعم أنه لا يقصر للضرورة إلاّ ما مأخذه السماع ، ولا يجوز قصرُ الممدودِ القياسي .

وقوله : (وفي رجليك ما فيهما) يريد أن فيهما اضطراباً واختلافا .
ورُوى : (وفي رجليكِ عُقّالةٌ) وهو بضمّ العين وتشديد القاف : ظَلْع يأخذ

---

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .
(٢) عند الكلام في قول كعب :
شجت بذى شبم من ماء محنية ‌ ‌ ‌ صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

في القوائم . و (بدا) بمعنى ظهر . و (الهَنُ) : كناية عن [كلّ ما يقبُح[1]] ذِكرُه ، وأراد به هنا الفرج . و (المِئْزر) هو الإزار ، كقولهم مِلحف ولحاف .

الأقيشر

والأقيشر : مصغّر أقشَر . قال صاحب الصحاح : رجل أقشر بيِّن القَشَر بالتحريك ، أي شديد الحمرة .

قال صاحب الأغاني[2] : الأقيشر لقبٌ لقّب به ، لأنه كان أحمرَ الوجه أقشر . واسمه المغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة[3] ويكنى أبا مُعرض بضم الميم وكسر الراء الخفيفة .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : اسمه المغيرة بن الأسود بن وَهب ، أحد بني أسد بن خزيمة .

قال صاحب الأغاني : وعُمِّر الأقيشر عمراً طويلا . ولد في الجاهلية[4] ، وكان كوفياً خليعاً ، ماجناً ، فاسقاً ، فاجراً مدمنَ الخمر ، قبيحَ المنظر . وهجاهُ رجلٌ من بني تميم فقال :

يا أيها المبتغي حُشّاً لحاجتِه وجهُ الأقيشر حُشٌّ غيرُ ممنوعِ

---

(١) تكمله ليست في النسختين .

(٢) ترجمة الأقيشر في الأغاني ١٠ : ٨٠ — ٩٠ والمؤتلف ٥٦ والمرزباني ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(٣) في النسختين : « بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة » ، وكلمة « معرض » مقحمة ، وليس لأسد من اسمه معرض . جمهرة ابن حزم ١٩٠ . والصواب ما أثبت من الأغاني والاصابة ٥٤٤٩ .

(٤) نص أبي الفرج : « وما أخلقه بأن يكـون ولد في الجاهلية ونشأ في أول الاسلام » .

(والحُشُّ ، بضمّ الحاء المهملة وتشديد الشين المعجمة : بيت الخلاء)

قال ابن قتيبة : وكان يغضب إذا قيل له أقيشر . فمرّ يوماً بقوم من بنى عبس فقال رجل منهم : يا أقيشر ! فسكت ساعة ثم قال :

أتدعونى الأقيشرَ ! ذاك إسمى ... وأدعوك ابنَ مُطفِئة السّراجِ [(١)]

تنادى خِدنَها بالليل سِرًّا ... وربُّ الناسِ يَعلمُ ما تناجى [(٢)]

فسمّى الرجلُ ابنَ مطفئة السراج ، وولده ينسبون إلى ذلك إلى اليوم .

قال صاحب الأغانى : وله حكاياتٌ فى شرب الخمر والافتراء على الخمّارين، ولم يسلَمْ من هجوه أحد .

٢٨١ وقد أطنب صاحب الأغانى فى قبائحه : منها أنه كان له ابن عمٍّ موسر فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثُر ذلك عليه فمنعه فقال : إلى كم أُعطيك وأنت تنفقه فى شرب الخمر ! لا والله ، لا أعطيك شيئاً ! فتركه حتى اجتمع قومُه فى ناديهم — وهو فيهم — ثم جاء فوقف عليهم ثم شكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمَه ، فأنشأ يقول :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلطِمُ وجهَه ... وليس إلى داعى الندَى بسريعِ

حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدِينه ... وليس لما فى بيته بمُضيعِ

والبيت الأول أورده صاحب تلخيص المفتاح ، شاهداً لردّ العجز على الصدر[(٣)] .

(١) فى الشعراء ٥٤١ : « ذلك اسمى » ، فتنتفى الضرورة .

(٢) فى بعض نسخ الشعراء : « من تناجى » .

(٣) دلائل الاعجاز ٩٩ ومعاهد التنصيص ٢ : ٨٢ .

ومنها أنه كان عِنِّيناً لا يأتى النساء ، وكان يصف ضدَّ ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجلٌ من قيس فأنشده الأقيشر :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى ميعةٍ　　عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤُه يتَفصَّدُ(١)

مَرِحٍ يَطيرُ من المِراحِ لُعابُه　　ويَكاد جِلْدُ إهابهِ يتقددُ(٢)

ثم قال للرجل : أتعرف الشعر ؟ قال: نعم . قال :ما وصفتُ ؟ قال : فرساً. قال : أفكنتَ لو رأيته ركبته ؟ قال : إى والله — وأمالَ عطفَه — فكشف الأقيشر عن أيره وقال : هذا وصفتُ فقم واركَبْه . فوثبَ الرجلُ عن مجلِسِه وهو يقول : قبَّحك الله من جَليس !

وذكره ابن حجر (فى قسم المخضرَمين من الإصابة) ، وأورد له هذين البيتين .

ومنها : أنَّ عَمَّةَ الأقيشر قالت له يوماً : اتق الله وقم فصَلِّ ! فقال : لا أصلى ! فأكثرت عليه فقال : قد أبرمتِنى ، فاختارى خَصلةً من خَصلتَيْن . إما أن أصلِّىَ ولا أتطهَّر ، أو أتطهَّرَ ولا أصلِّى ! قالت : قبحك الله ، فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء . فصلى بلا وضوء .

ومنها أنه أتى إلى قيس بن محمد بن الأشعث — وكان ضَريراً وناسكا —

(١) ط : « يتنضد » ، وفى ش والأغانى : « يتقصد » ، صوابه من الاصابة ، وقال الميمنى : « رواهما أبو تمام فى الحماسة بتغيير القافية : يتدفق ، ويتمزق . وفى كنايات الجرجانى ٢٠ عن ابن دريد لأعرابى وقف على أبى عبيدة ، بزيادة :

حتى علوت به مشق ثنية　　طورا أغور به وطورا أنجد

(٢) الاصابة : « جلد أريمه » ، وفى الأغانى : « وتكاد جلدته به تتقدد » . وانظر الحماسة بشرح المرزوقى ١٨٨٠ .

فسأله فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال . لا أريدها جملة ، ولكن مر القهرمان أن يعطيني في كلّ يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد . فأمر بذلك ، فكان يأخذها ، فجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابة تحمله إلى بيوت الخمّارين؛ فلما نفدت الدراهمُ ، أتاه الثانية فسأله فأعطاه كالأولى ، وعمل بها مثل ذلك . ثمّ أتاه الثالثة فأعطاه وفعلَ مثل ذلك وأتاه الرابعة فسأله فقال قيس : لا أبالك كأنك قد جعلته خراجاً علينا . فانصرف وهو يقول :

ألم ترَ قيسَ الأكمهَ ابنَ محمّدٍ يقولُ ولا تلقاه للخير يفعلُ
رأيتك أعمى العينِ والقلبِ ممسكاً وما خيرُ أعمى العين والقلبِ يبخلُ
فلو صمّ تمّتْ لعنةُ اللهِ كلّها عليه ، وما فيه من الشرّ أفضلُ

فقال قيس ، لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه !

ومنها : أنّه تزوّج بابنة عم له ، يقال لها الرّباب ، على أربعة آلاف درهم ، فأتى قومه وسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابنَ رأسِ البغل — وهو دهقان الصّين ، وكان مجوسيًّا — فسأله فأعطاه الصداق كاملاً ، فقال[1] :

كفاني المجوسيُّ مهرَ الرّبابِ فدًى للمجوسيّ خالي وعمّْ[2]
شهدتُ عليكَ بطيبِ الأرُومِ فإنّك بحرٌ جوادٌ خِضَمّْ[3]
وإنّك سيدُ أهلِ الجحيمِ إذا ما تردّيتَ فيمن ظَلَمْ

(١) الأبيات في الحيوان ٥ : ١٥٩ للحكم بن عبدل أو غيره . وفي عيون الأخبار ٢ : ١٩٦ منسوبة لبعض الأعراب ، وفي الشعراء ٢٣ لجهول ، وفي نهاية الأرب ٤ : ٥٣ للأقيشر نقلا عن الأغاني .

(٢) في نهاية الأرب : « هم الرباب » .

(٣) في القاموس : « والأرومة ، وتضم : الأصل . جمعه أروم » .

تجاوِرُ هَامَانَ في قعرِها وفرعونَ والمكتَنِي بالحَكَمْ

فقال المجوسي : ويحك . سألتَ قومك فلم يُعطوك شيئاً وجئتني فأعطيتُك فجزيتَني هذا القول ! فقال : أوَما ترضى أن جعلتُك مع الملوك وفوق أبي جهل !

ومن شعره :

يا أيُّها السائلُ عمَّا مضى من علم هذا الزمنِ الذاهبِ[1]
إن كنتَ تبغي العلمَ أو أهلَه أو شاهداً يُخبِرُ عن غائبِ
فاعتَبِرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحب[2]

ومن قصيدة له :

لا تَشرَبَنْ أبداً راحاً مُسارَقَةً إلاّ معَ الغُرِّ أبناءِ البطاريق
أفنَى تِلادِي وما جمَّعتُ من نَشَبٍ قَرعُ القَواقيزِ أفواهَ الأباريق[3]

وهذا البيت من أبيات مغني اللبيب في الباب الخامس .

ومن هذه القصيدة :

عليكَ كلَّ فتًى سَمْحٍ خَلاَئقُه مَحضِ العرُوقِ كريمٍ غيرِ ممذوقِ
ولا تصاحِبْ لئيماً فيه مَقْرَفة ولا تَزُورَنَّ أصحابَ الدوانيقِ

(١) الأبيات من قصيدة طويلة في شعر الأعشين ٢٧٥ منسوبة إلى [illegible] . وفي البيان ١ : ٥٤ أن معاوية تمثل بها .

(٢) [illegible] : « فاعتبر الأرض » . تحريف .

(٣) من شواهد [illegible] ٣٠١ : « أفواه يروى بالرفع فاعلا [illegible] فقد قرعته » .

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق[١]، ومدح أخيه زكريَّا[٢]، فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونَا منه ؟ فانطلقوا فجمعوا بَعراً وقَصباً بظهر الكوفة ، وجعلوه فى حُفرة ، وأقبل الأقيشر وهو سكرانُ من الحيرة ،على بغل رجلٍ مُكارٍ ، فأنزله عن البغل وعاد ،فأخذوا الأقيشر فشدّوه ثم وضعوه فى تلك الحفرة ، وألهبوا النَّار فى القصب والبعر ، وجعلت الريح تلفح وجهَه وجسمَه بتلك النار ، فأصبح ميِّتاً ولم يُدرَ مَن قتله . وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة .

تتمـــة

ذكر الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) مَن اسمه الأُقيشر ، ومن اسمه الأقيسِر من الشعراء .

فالأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسدىَ الشاعر المشهور ، وصاحب الشراب .

والأقيسر[٣] هو صاحب لواء بنى أسد ، جاهلى . قال ابن حبيب : اسمه عامر بن طريف بن مالك بن نصر ، وأنهى نسبه إلى دُودان بن أسد بن خزيمة .

* * *

(١) هو عبد الله بن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، كما فى نهاية الأرب ٤ : ٥٦ .

(٢) هو زكريا بن اسحاق بن طلحة ، وفيه يقول (الأغانى ١٠ : ٨٢) :

قرب الله بالسلام وحيا زكريا بن طلحة الفياض

(٣) الذى فى المؤتلف ٥٥ : « الأقشر » .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الثلثمائة[١] :

٣٣١ (حَتَّى إذا ما خَرَجَتْ من فُمِّهْ)

على أنّ تشديد الميم مع ضمّ الفاء وفتحها ضرورة وليس بلغة عند ابن جنّى .

أقول : قاله ابن جنّي (فى سرّ الصناعة، فى حرف الميم) وهذه عبارته : اعلم أنّ الميم حرف مجهور، يكون أصلاً، وبدلا، وزائداً .

فالأصل نحو مَرَس وسحر ورسم .

وأما البدل فقد أبدلت من الواو، والنون، والباء، واللام . أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فَوْه بوزن سوط، فحذفت الهاء تخفيفاً، فلما بقى على حرفين ثانيهما حرف لين، كرهوا حذفَه للتنوين فيجحفوا به، فأبدلوا من الواو ميماً للقرب، لأنَّهما شفهيَّان، وفى الميم هواء فى الفم يضارع امتداد الواو . ويدلّ أنّ فم مفتوح الفاء وجودك إياها مفتوحةً فى هذا اللفظ، وهو المشهور . وأمَّا ما حكى فيها أبو زيد وغيره، من كسر الفاء وضمِّها، فضربٌ ٢٨٣ من التغيير لحق الكلمةَ لإعلالها بحذف لامها وإبدال عينها . وأمَّا قول الآخر :

يا ليتَها قد خرجتْ من فُمِّهْ حتى يعود الملكُ فى أُسطُمِّهْ

يروى بضمّ الفاء وفتحها، فالقول فى تشديد الميم عندى أنّه ليس ذاك

(١) اصلاح المنطق ٥٦ والخصائص ٣ : ٢١١ وابن الشجرى ٢ : ٣٥ وابن يعيش ١٠ : ٣٣ والهمع ١ : ٣٩ وملحقات ديوان العجاج ٨٩ .

بلفة . ألا ترى أنك لا تجد لهذه المشدّدة الميم تصرّفاً . إنّما التصرّف كلّه على: ف و ه ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بأفواهِهِم ﴾[1] ، وقال الآخر[2] :

فلا لَغْوٌ ولا تأثِيمَ فِيها وما فاهُوا به أبداً مقيمُ[3]

وقالوا : رجل مفوّه : إذ أجادَ القول ، لأنه يخرج من فيه . وقالوا : ماتفوّهت به ، وهو تفعّلت . وقالوا في جمع أفوه ، وهو الكبير الفم : فُوهٌ . ولم نسمعهم قالوا : أفام ، ولا تفمّمت ، ولا رجل أفمُّ كما قالوا أصم . فدلّ اجتماعهم على تصريف الكلمة بالفاء والواو والهاء على أن التّشديد لا أصل له ، وإنما هو عارضٌ لِحقَ الكلمةَ .

فإن قال قائل : فإذا ثبت بما ذكرتَه أن التشديد ليس من أصل الكلمة، فمن أين أتاها ؟ وما وجه دخوله إياها ؟ فالجواب : أن أصل ذلك أنهم ثقّلوا الميم في الوقف فقالوا : هذا فمّْ كما يقولون هذا خالدّْ ، وهو يجعلّْ ، ثم إنَّهم أجرَوُا الوصلَ مُجرى الوقف فيما حكاه سيبويه عنهم من قولهم ثلاثهَرْبَعة ، وكقوله :

* ببازلٍ وَجْنَاء أو عَيْهَلِّ[4] *

---

(١) الآية ١٦٧ من آل عمران .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت . ديوانه ٥٤ والعينى ٢ : ٤٣٦ .

(٣) البيت ملفق من بيتين ، وهما :

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به أبدا مقيم

وبعده بأبيات :

ولا لغو ولا تأثيم فيها ولا غول ولا فيها مليم

(٤) لمنظور بن مرثد الأسدى ، كما فى نوادر أبى زيد ٥٣ ومجالس ثعلب ٦٠٣ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

فهذا وجه تشديد الميم عندى [١] .

فإن قلت : إذا كان أصل فم عندك فَوْه ، فما تقول فى قول الفرزدق :

* هُما نفثا فى فىَّ من فمويهما[٢] *

وإذا كانت الميمُ بدلاً من الواو فكيف جاز له الجمع بينهما ؟

فالجواب : أن أبا علىّ حكى لنا عن أبى بكر وأبى إسحاق ، أنهما ذهبا إلى أنّ الشاعرَ جمع بين العِوض والمعوَّض منه ؛ لأن الكلمة مجهورة منقوصة. وأجاز أبو على أيضاً فيه وجهاً آخر ، وهو أن تكون الواو فى فمويهما لاما فى موضع الهاء من الأفواه ، وتكون الكلمة يعتقب عليها لامان : هاء مرة ، وواو أخرى ، فيجرى هذا مجرى سنَة وعِضة . ألا تراها فى قول من قال سَنَوات ، وأسنتوا ، ومساناة ، وعِضَوات، واويِّين ، وتجدها فى قول من قال سنة سنْهاء وبعير عاضه ، هائيّين . وإذا ثبت بما قدّمناه أن عين فم فى الأصل واو، فينبغى أن يُقضَى بسكونها ، لأنَّ السكون هو الأصل .

فإن قلت : فهلاَّ قضيتَ بحركة العين بجمعك إياه على أفواه ، نحو بطل وأبطال ، وقدَم وأقدام ، ورسَن وأرسان ؟

فالجواب : أن فَعْلاً مما عينُه واوٌ بابُه أيضاً أفعال ، كسوط وأسواط ، وحوض وأحواض ، ففَوْهٌ لأنّ عينَه واوٌ بسوطٍ أشبهُ منه بقدم ورسَن . فاعرف ذلك . انتهى كلام ابن جنّي باختصار قدر النصف .

---

(١) فى النسختين : « فهذا حكم تشديد الميم عندى » ، صوابه من النسخة رقم ١٣ ش من الخزانة .

(٢) هو الشاهد ٣٢٦ وقد سبق فى ص ٤٦٠ من هذا الجزء الرابع . وعجزه :

* على النابح العاوى أشد رجام *

وقول الشارح : « والجمع أفمام » . يوهم أنه مسموع ، وقد نص ابن جنّي وصاحب الصحاح على أنّه لايقال ذلك .

(صاحب الشاهد) والبيت من أرجوزةٍ للعجاج ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[1] .

ورواية الشارح للبيت غير جيدة ، والصواب :

* ياليتها قد خرجَت من فمِّــه *

كما هو فى ديوانه . وكذا رواه ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) . يقول : ياليتّها قد خرجتْ منْ فمّــه حتّى يعود الملك إلى أهله . ويجوز أن يكون أراد ٢٨٤ كلمة يتكلَّم بها . وأسطُمُّ الشىء : وسَطه ومعظمه . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : يقال فلانٌ فى أسطُمَّة قومه ، أى فى وسطهم وأشرافهم . وأسطمَّة الحسب : وسطه ومجتمعه ، والأُطْسُمَّة مثله على القلب . وأنشد بيت العجاج وقال : أى فى أهله وحقّه ، والجمع الأساطم . وتميم تقول : أساتم ، تُعاقِب بين الطاء والتاء فيه ، وأورد البيت فى مادة الفاء والميم أيضاً .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا أعْنِى بذلكَ أسفَلِيكُمْ ولَكِنِّى أُريد به الذَّوِينا)

على أن قوله (الذوين) فيه شذوذان : أحدهما قطعُه عن الإضافة ، وثانيهما إدخال اللام عليه .

(١) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وهذا البيت للكميت بن زيد ، من قصيدةٍ هجا بها أهلَ اليمن تعصُّباً لمضر . يقول : لا أعنِي بهجوى إياكم أراذلَكم ، وإنما أعنى ملوككم ، كذى يزن ، وذى جدَن ، وذى نواس ، وهم التبابعة . والأسفلون : جمع أسفل ، خلاف الأعلى . وأراد بالذوين : الأذواء[1] .

وقد تقدّم شرح هذا البيت فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[2] .

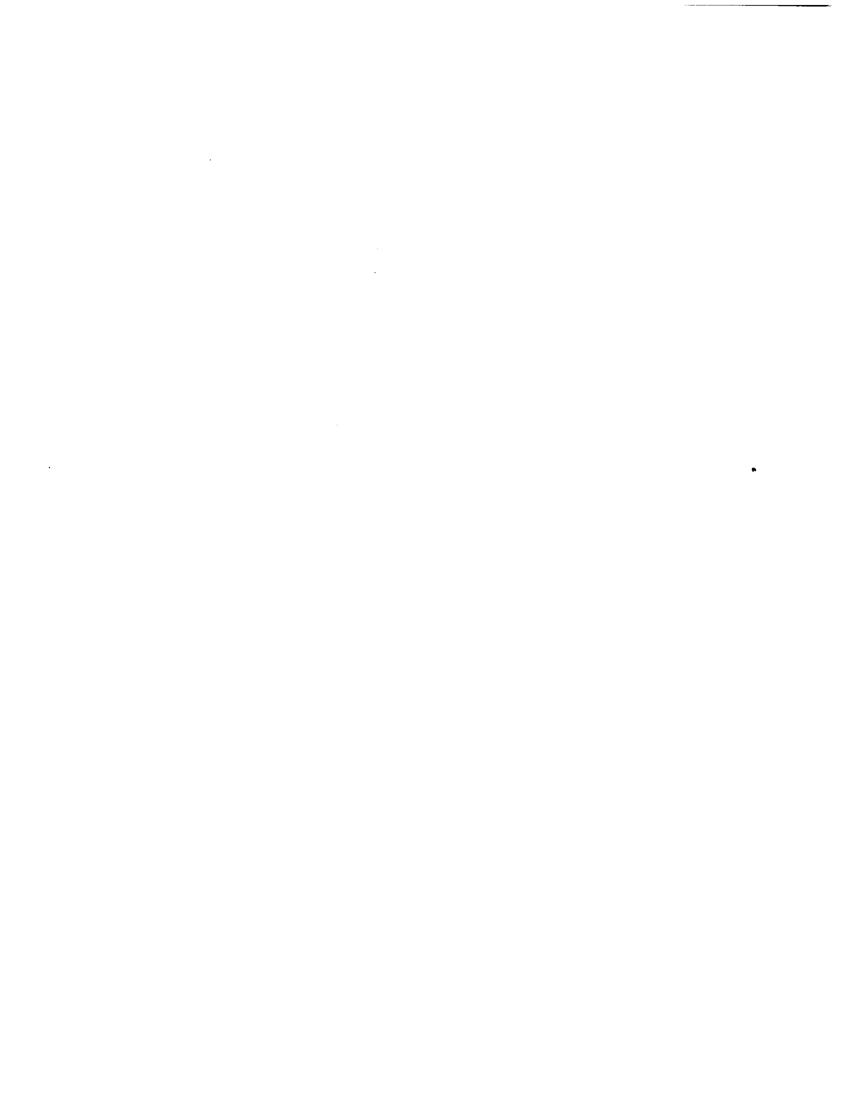
تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره
الجزء الرابع من خزانة الأدب
بتقسيم محققه

(١) انظر الخزانة ٢ : ٢٨٩ ـ ٢٩٣ .
(٢) الخزانة ١ : ١٣٩ ـ ١٤٣ .



(١)

فهرس التراجم



(ب)

فهرس الشــــواهد



باب خبر كان وأخواتها

باب المنصوب بلا التى لنفى الجنس

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

باب المجرورات : الإضافة

دار الجيل للطباعة
جمهورية مصر العربية
١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون : ٩٠٥٢٩٦